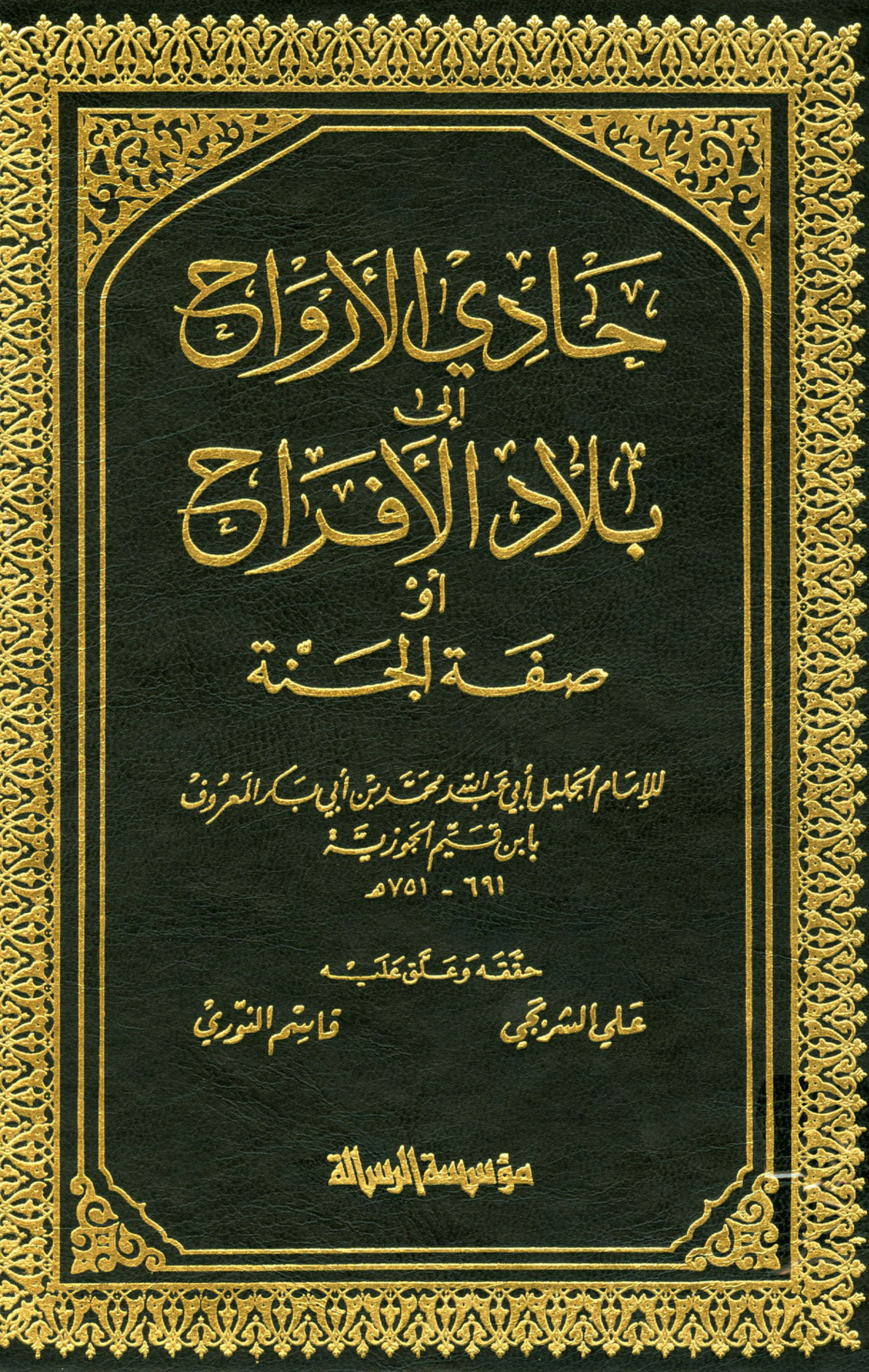

حادي الأرواح
إلى
بلاد الأفراح
أو
صفة الجنة
للإمام الجليل أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف
بابن قيم الجوزية
٦٩١ - ٧٥١هـ
حققه وعلق عليه
علي الشربجي
قاسم النوري
مؤسسة الرسالة

حَادِي الأَرْوَاحِ

إلى

بِلادِ الأَفْرَاحِ

أَوْ

صفة الجنّة

للإمام الجليل أبي عبد الله محمّد بن أبي بكر المعروف

بابن قيّم الجوزيّة

٦٩١ - ٧٥١هـ

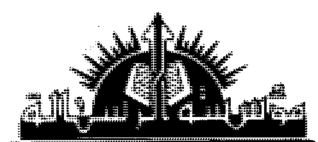
حقّقه وعلّق عليه

علي الشربجي　　　　قاسم النوري

مؤسسة الرسالة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



للطباعة والنشر والتوزيع

وطى المصيطبة
شارع حبيب أبي شهلا
بناء المسكن
تلفاكس: (٩٦١١)
٨١٥١١٢ _ ٣١٩٠٣٩ _ ٦٠٣٢٤٣
ص.ب: ١١٧٤٦٠
برقياً: بيوشران
بيروت _ لبنان

Al-Resalah
PUBLISHERS
BEIRUT
LEBANON
Telefax: (9611)
815112 - 319039 - 603243
P.O. Box: 117460
E-mail:
Resalah@cyberia.net.lb
Web Location:
Http://www.resalah.com

الطَّبعَة الثالِثَة

١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م

طبعَة جَديدَة مصَحّحَة ومنقّحَة

مقدمة التحقيق

حمداً لك يا رب العالمين ، يا باريء الأولين والآخرين ، يا من تَفَضَّلت على عبادك المؤمنين بجنات النعيم ، والصلاة والسلام على نبيك ورسولك محمد سيد الأنبياء والمرسلين، وقائد المحبين إلى دار النعيم ، وعلى آله وأصحابه الغرِّ الميامين،ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد

فاعلم أخي المؤمن ـ وفقنا الله وإياك ـ عِلْمَ اليقين أن الجنة مخلوقةٌ لربنا عز جلَّ ، وأنها حقٌّ ، وما كان لعبد أن يماري بها ، أو يشك في وجودها بعد أن أخبرنا الله عنها ، وقصَّ علينا من أنبائها ، وحدثنا الصادق المعصوم عنها وذكرها لنا .

قال تبارك وتعالى : ﴿ **مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المتَّقُونَ** . . ﴾ وقال : ﴿ **وَسَارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمٰاوات والأَرْضُ** ﴾ .

وقال رسول الله ﷺ : « إنَّ أرواح الشهداء في حواصل طيرٍ خضرٍ تعلقُ في ثمار الجنةِ أو شجر الجنة » .

وقد وصف ربنا جلَّ وعلا هذه الجنة وما فيها من النعيم المقيم ، والعيش الرغد ، فقال : ﴿ **فِيهَا أَنْهارٌ منْ مَاءٍ غيرِ آسِنٍ وأنهارٌ من لبنٍ لم يتغيَّرْ طَعْمُهُ وأنهارٌ من خَمْرٍ لَذَّةٍ للشَّاربينَ وأَنْهارٌ منْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ وَمَغْفِرةٌ مِنْ رَبِّهم** ﴾ وقد صحّ عن النبي ﷺ أنه قال عن الله تعالى :

« أعددتُ لعباديَ الصالحينَ ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلب بشر » رواه مسلم (٢٨٢٤).

ولهذا كانت الجنةُ قُرَّةَ عيون المحبين ، ومحطَّ أشواق قلوب العارفين ، أسهروا ليلهم في سبيلها ، وأظمؤوا نهارهم من أجلها ، وبذلوا كل غالٍ ونفيس مهراً لها ، وعربوناً لدخولها . فالطريقُ إذاً إلى هذه الجنة يحتاج الى زادٍ من التقوى ، وعملٍ متواصل من الخير ، وجهادٍ دؤوب للشيطان ، وعراك مستمر مع النفس والهوى . قال رسول الله ﷺ « حُفَّتِ الجنةُ بالمكارِهِ » ولذلك كانت هذه الجنة حراماً على أولئك الذين صرعهم الشيطان واستخف بهم ، وقادهم الهوى إلى المآثم والمحارم .

ولو أنصف العبد لرأى أن وجود هذه الجنة، وما فيها من النعيم من لوازم العقل والحكمة ، ومقتضيات العدالة الإلهية ، إذ بها ينال المحسن جزاء إحسانه وأجر عمله ، كما أن النار حقٌّ لا بدَّ منها ليكتوي بحرِّها ولظاها أولئك الذين اتبعوا أهواءهم ، وعاثوا في الأرض فساداً .

ولولا الجنة والنار لاستوى الغث والسمين ، واختلط الحابل بالنابل ، والخير والشر ، وحكمة الله وعدالته مبرأتان من هذا. قال تعالى : ﴿ **أمْ نَجْعَلُ الَّذين آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كالمُفْسِدِينَ في الأرضِ أمْ نجعلُ المُتَّقِينَ كالفُجّارِ** ﴾ وقال : ﴿ **أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ المَأْوَىٰ نُزُلاً بما كانُوا يَعْمَلون. وأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ** ﴾

فـ ﴿ **الحَمد لله الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا الله لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بالحقِّ ونُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُموهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ .

المؤلفات في هذا الباب

وقد ألف كثير من العلماء كتباً خاصة في موضوع صفة الجنة ، وما أعدّ الله لأهلها ، منها :

- «صفة الجنة» لابن أبي الدنيا. ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٣/٤٠٢ ، وهو من مصادر المؤلف.

- «صفة الجنة» لأبي نعيم الأصبهاني، طبع في دار المأمون للتراث، بتحقيق علي رضا عبد الله.
- «صفة الجنة» للضياء المقدسي، ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٢٨/٢٣ في ثلاثة اجزاء.
- «البعث والنشور» للبيهقي طبع في مؤسسة الكتب الثقافية تحقيق محمد السعيد ابن بسيوني زغلول.
- مختصر «البعث والنشور» للبيهقي ذكر في مؤلفات الذهبي ٨٥/١ من «سير أعلام النبلاء».
- «البعث» لأبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث أبي داود، يوجد منه ثلاث نسخ في الظاهرية. انظر «فهرس منتخب مخطوطات الحديث» للألباني ص ٨.
- «البعث والنشور» للمحاسبي ذكره في «تاريخ التراث العربي» ١١٧/٤ «فهرس معهد المخطوطات العربية» ١٤٩/١ وقال: يفاد منه الغزالي في «الدرة الفاخرة» وقد طبع في بيروت.
- «صفة الجنة والنار» برواية سعيد بن جناح الكوفي. تحقيق علي أكبر غفاري في بيروت الشرق الأوسط للطباعة والنشر والتوزيع [١٤٠٨ هـ ١٩٨٧ م] ذكر في أخبار التراث العربي المجلد ٤ العدد ٣٧.

كما أن كثيراً من المحدثين قد وضعوا في كتبهم أبواباً لصفة الجنة - منهم الإمام مسلم، والترمذي، وابن أبي شيبة، ومن أوسعهم في هذا المجال الحافظ ابن كثير. في خاتمة كتابه «النهاية».

ابن القيم وكتابه حادي الأرواح

حادي الأوراح: اسم جميل اختاره ابن القيم لهذا الكتاب، طابق ما بين مبناه ومعناه، وصدق، فالجنة حقاً دار الأفراح: أفراح لا تنتهي، ونعيم لا يبيد.

وابن القيم كان حريصاً أن يعرض في هذا الكتاب كل ما وصل إليه من الأدلة التي تتعلق بموضوعه ، ولم يدخر وسعاً في تجلية جوانبه رغبة في إيصال هذه المعاني إلى الأذهان ، وترغيباً للناس في سلوك دروب الجنان . وهذا واضح في مقدمة كتابه حيث قال :

وهذا كتاب اجتهدت في جمعه ، وترتيبه وتفصيله وتبويبه ، فهو للمحزون سلوة ، وللمشتاق إلى تلك العرائس جلوةٌ ، محرك للقلوب، إلى أجل مطلوب ، وحادٍ للنفوس ، إلى مجاورة الملك القدوس ، ممتع لقارئه ، مشوق للنّاظر فيه ، لا يسأمه الجليس ، ولا يملُّه الأنيس ، مشتمل من بدائع الفوائد ، وفرائد القلائد ، على ما لعلَّ المجتهد في الطلب ، لا يظفر به فيما سواه من الكتب ، مع تضمينه لجملة كثيرة من الأحاديث المرفوعة ، والآثار الموقوفة .

ثم قال ـ رحمه الله ـ والله يعلم ما قصدت ، وما بجمعه وتأليفه أردت ، فهو عند لسان كل عبد وقلبه ، وهو المطلع على نيَّته وكسبه . . . ثُمَّ قَال : فيا أيها الناظر فيه لك غُنْمُه ، وعلى مؤلفه غُرْمُه .

ولم يُخفِ المؤلف ـ رحمه الله ـ أنه بذل جهداً في هذا المؤلف ، وأبدع فيما وصل إليه من ترتيب وتبويب فقال : وبنات أفكاره تُزَفُّ إليك ، فإن صادفت كفءاً كريماً فلن تعدم منه إمساكاً بمعروف ، أو تسريحاً بإحسان .

الكتاب وبيان أهميته :

بعد النظر في هذا الكتاب ، وتتبع مضمونه تبين لنا الأمور التالية :

أ ـ أن ترتيبه كان ترتيباً منطقياً ، كأنه إنما وضع وفق سلم بدأ بأول الدرجات ، ثم سار صُعداً إلى أعلاها ، يظهر هذا من ترتيب أبوابه وفصوله ، فقد جاء **مثلاً** : **الباب الأول**: في بيان وجود الجنة ، وهذا منطقي أن يبدأ به قبل أن يصف الجنة ويتحدث عنها ، لأن الحكم على الشيء ـ كما يقولون : ـ فرع عن تصوره وثبوته ، ثم ذكر على طريق الاستطراد مواقف الناس في بيان حقيقة الجنة التي أُسكنها آدم ، وناقش الموضوع بإسهاب ، وعرض حُجَج كل فريق ،

ونصر ما يراه حقاً ، مؤيداً ذلك بالأدلة ، ثم تابع بعد وصف الجنة ، أولاً فأولاً وفق ترتيب سديد ، فذكر أبوابها ، وعدد تلك الأبواب ، ثم درجاتها ، وهكذا قال : الباب التاسع : في ذكر عدد أبواب الجنة ، الباب العاشر : في سعة أبوابها ، الباب الحادي عشر : في صفة أبوابها ، وهكذا . وواضح جداً من هذا التسلسل مدى الترابط المنطقي في ترتيب أبواب هذا الكتاب وفصوله من أوله إلى آخره .

ثم سار بالكتاب إلى نهاية جميلة ، وختمه بخاتمة حسنة ، فذكر الباب الأخير ، وكأنه عود على بدء ، لخص فيه عقيدة السلف ، وبيان وجه الحق فيها ، وردّ قول من خالفهم ، فقال مثلاً : وقد ذكرنا في أول الكتاب جملة مقالات أهل السنة التي أجمعوا عليها ، كما حكاه الأشعري عنهم ، ونحن نحكي إجماعهم كما حكاه حَرْب صاحب الإمام أحمد بلفظه .

وسرد طائفة من مُسلَّمات أهل السنة ، وأنكر على من يخالفهم فيها ، فقال مثلاً :

كان من قولهم: إن الإيمان قول وعمل، ومن زعم أن الإيمان قول بلا عمل فهو مرجىء، ومن زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص، فقد قال بقول المرجئة . . .

ثم قال : فصل ، ونختم هذا الكتاب بما بدأناه أولاً ، وهو خاتمة دعوى أهل الجنة . . .

وحقاً فالكتاب في مضمونه ، وفي مبناه ومعناه ذو أهمية بالغة ، فمؤلفه رحمه الله تعالى جمع فيه ما تفرّق عند غيره في هذاالموضوع ،سواء أولئك الذين أفردوه وحده في البحث ، أو نثروه في طيَّاتِ كتبهم ، من هنا يتبيَّن أن هذا الكتاب كان مرجعاً مهماً ومفيداً لمن أراد الوقوف على ما يتعلق بصفة الجنة ونعيمها[1] ، فجزاه الله تعالى خيراً .

---

١ ـ قال في آخر الباب الثامن ما نصه : فتأمل هذه الأبواب وما تضمنته من النقول ، والمباحث ، والنكت ، والفوائد التي لا تظفر بها في غير هذا الكتاب البتة .

مصادر الكتاب :

اعتمد ابن القيم في تقصي هذا الموضوع على الموارد الآتية :

- كتاب الله عز وجل وآياته الكريمة ، فهو المصدر الأول والمرجع الأقوى في إثبات مسائل الغيب ، وتقرير أحكامها ، وقد ساق المؤلف كل دليل في محله ، وأيد كل جزئية بما يناسبها من القرآن .

- السنة النبوية، وقد تتبع ما هو عند مشاهير المحدثين وغيرهم في الصحاح والسنن والمسانيد ، والمصنفات والمعاجم ، وبهذا يتبين أنه رجع إلى أكثر ما هو معروف من كتب السنة ، وتدعيماً لما صحَّ لديه ، ورغبة في تأييد ما قام عنده ؛ ساق كثيراً من الأحاديث التي لم يصحّ إسنادها ، ولعله في هذا الجانب اعتمد على ما عند ابن أبي الدنيا ، وأبي الشيخ ، وابن المبارك، وأحمد في «الزهد» وغيرهم، وكان يذكر ما فيها من علل ويفند ما فيها من ضعف، وأحياناً كان يسكت عنها.

- أقوال الصحابة، ولا سيّما العلماء منهم الذين لهم باع في التفسير والاستنباط من أمثال الخلفاء الراشدين ، والعبادلة وغيرهم .

- أقوال التابعين من أمثال الحسن وقتادة ، وابن المسيب وغيرهم .

- علماء التفسير ومؤلفاتهم كابن جرير ، والسدي ، ومجاهد ، ومقاتل وغيرهم .

- أقوال الأئمة - رحمهم الله تعالى - ولاسيّما الأئمة الأربعة ، والأوزاعي ، وسفيان الثوري ، وابن عينية وغيرهم .

- كما كان يعتمد في تأويل بعض الأدلة وتفسيرها على كثير من أمهات كتب اللغة وعلمائها: كـ«الصحاح» للجوهري ،وأبي عبيدة ،وابن الأنباري وغيرهم .

وأخيراً فإن المؤلف لم يأل جهداً في سوق ما استطاعه في هذا الكتاب من الأدلة المعقولة والمنقولة .

فالموضوع جدير بهذا الجهد ، وكشفه لعباد الله بوجه مشرق حري بهذا الاهتمام .

ونلاحظ أن المؤلف رحمه الله ساق طائفة من الأحاديث الضعيفة، والأقوال التي لم تؤيدها الأدلة الصحيحة ، وإن كان لم يعتمد على هذه الأدلة استقلالاً إلا في مواضع قليلة .

ومعلوم أن أمر العقيدة لا ينهض إلا بما صحَّ عن الله جل وعلا ورسوله ﷺ ، ولا يثبت بمجرد قول أحد أو تخمينه ، ولا يستقيم على حديث ضعيف أو منحول .

تحقيق الكتاب وعملنا فيه :

- اعتمدنا في إخراج هذا الكتاب على مخطوطة محفوظة بدار الكتب الظاهرية تحت رقم /٨٤٦٨/ كتبها إبراهيم بن محيي الدين يحيى بن أحمد بن الدويك الشافعي، الدمشقي سكناً في التاسع من شهر رمضان سنة ٩٦٣ هـ في الجامع الكبير بطرابلس . وهي بخط مقروء لا بأس به، ولا تخلو من بعض الأخطاء التي وقع فيها الناسخ . وقد رجعنا في تصحيح هذه الأخطاء إلى مصادر المؤلف التي اعتمدها مع الاستئناس بما لدينا من نسخ الكتاب المطبوعة .
- خرجنا الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الواردة في الكتاب علماً بأننا لم نستوعب جميع أماكنها ، ولا جميع مخرجيها ، وربما اقتصرنا على المصدر الذي عزا المؤلف الحديث إليه . ولقد فاتنا تخريج بعض الأحاديث التي لم نعثر عليها بعد البحث عنها وهي قليلة، وأما الآثار الموقوفة فلم نخرجها غالباً.
- شرحنا بعض الألفاظ الغامضة سواء في النصوص أو عبارات المؤلف .
- ضبطنا النص ورقمناه .

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه :

* هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حَريز الزرعي[1] الدمشقي أبو عبدالله شمس الدين المشهور : بابن قيم الجوزية[2] .

والده : أبو بكر كان قَيِّماً للمدرسة ومُدَبِّراً لشؤونها ، متعبداً قليل التكلف

(*) مترجم في المصادر التالية : ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٤٧ ـ ٤٥٢ ، البداية ١٤/٢٣٤ ـ ٢٣٥ ، الدرر الكامنة ٥/١٣٧ ـ ١٤٠ ، الوافي بالوفيات ٢/٢٧٠ ـ ٢٧٢ ، الرَّد الوافر ٦٨ ـ ٦٩ ، بغية الوعاة ١/٦٢ ـ ٦٣ ، النجوم الزاهرة ١٠/٢٤٩ ، شذرات الذهب ٦/١٦٨ ـ ١٧٠ ، البدر الطالع ٥/١٤٣ ـ ١٤٦ ، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ٣٠ ـ ٣٢ ، دائرة المعارف الإسلامية « العربية » ١/٢٦٨ ، مختصر طبقات الحنابلة ٦١ ، ابن القيم اللغوي لأحمد ماهر البقري ، ابن قيم الجوزية : عصره ومنهجه وآراؤه في الفقه والعقائد والتصوف لعبد العظيم عبد السلام شرف الدين ، والتيمورية ٣/٢٥١ ، فهرس المؤلفين ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، آداب اللغة ٣/٢٤٥ ، معجم المطبوعات ٢٢٢ ـ ٢٢٥ ، الأعلام ٦/٥٦ ، الزيارات ٢٠ ، المنهج الأحمد ٤٤٩ ـ ٤٥٢ ، كشف الظنون ٨٩، ١٢٥، ١٢٩، ١٦٨، ٢٠٦، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٦٠ وغيرها ، روضات الجنات ٢٠٥، هدية العارفين ١٥٨ ـ ١٥٩ ، إيضاح المكنون ١/٢٧١ ، ٤٢٢ وغيرها المجددون في الإسلام ٣٠٢ ـ ٣٠٦ ، معجم المؤلفين ٩/١٠٦ ـ ١٠٧ ، مجلة المجمع العلمي ٢٣/٣٦٣ ـ ٣٨١، المجمع ٣٠/٦٣٨ ـ ٦٤٠ ، مجلة معهد المخطوطات ٥/٢٦٧ ، طبقات المفسرين للداوودي ٢/٩٠، ذيل العبر ٢٨٢ ، السلوك ٢/ ق ٣/٨٣٤ ، ومقدمات مؤلفاته المحققة .

(١) نسبة إلى زُرع : بلد من أعمال دمشق كما قال ابن ناصر الدين في « توضيح المشتبه » في رسم الزرعي ، وتدعى اليوم إزرع وهي بلدة في حوران تبعد عن دمشق جنوباً ٨٩ كم .

(٢) مدرسة في دمشق أنشأها محيي الدين أبو المحاسن يوسف بن عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٦ هـ تقع في سوق البزورية، قبلي المسجد الأموي بالقرب من قصر العظم، وهي الآن حوانيت، فوقها مسجد صغير تقام فيه الصلوات.

سمع الرشيد العامري وغيره ، وحدث وله يدٌ في الفرائض مات في ذي الحجة سنة ٧٢٣ هـ[١].

ولد ابن القيم في ٧ صفر سنة ٦٩١ هـ ، ونشأ في بيت علم وفضل ، أخذ العلم عن نخبة من علماء عصره .

شيوخه :

- أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام أبو العباس تقي الدين ابن تيمية - توفي ٧٢٨ هـ - درس عليه « المحرر » ، والأصول ، والفرائض ، وأصول الدين ، وكثيراً من تصانيفه .
- أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة المقدسي الحنبلي الفقيه المحدث الشهاب أبو العباس - توفي ٦٩٧ هـ .
- إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن الفراء الحراني الدمشقي الحنبلي مجد الدين أبو الفداء - توفي ٧٢٩ هـ - درس عليه « مختصر الخرقي » ، و« المقنع » ، و« الروضة » في الأصول، والفرائض.
- أيوب بن نعمة الكمال زين الدين النابلسي الدمشقي - توفي ٧٣٠ هـ .
- أبو بكر بن أحمد بن عبد الدائم بن نعمة النابلسي الصالحي - توفي ٧١٨ هـ .
- سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر ، ابن قدامة الحنبلي ، أبو الفضل القاضي ، الحاكم - توفي ٧١٥ هـ .
- عبدالله بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني شرف الدين ابن تيمية - توفي ٧٢٧ هـ .
- علي بن المظفر بن إبراهيم الكندي الوداعي علاء الدين ابن عرفة - توفي ٧١٦ هـ .

---

(١) الدرر الكامنة ١/٥٢٧ .

- عيسى بن عبد الكريم بن عساكر بن سعد بن أحمد القيسي ، شرف الدين ، ابن مكتوم ، أبو الروح توفي ٧٤١ هـ .

- عيسى بن المطعم بن عبد الرحمن ، أبو محمد المقدسي الصالحي الحنبلي السمسار ـ توفي ٧١٧ هـ .

- فاطمة بنت جوهر . ذكرها الداوودي في « طبقات المفسرين » .

- القاسم بن أبي غالب المظفر بن محمود من بني هبة الله ابن عساكر ، بهاء الدين ـ توفي ٧٢٣ هـ .

- مجد الدين التونسي ، وقرأ عليه « المقرّب » في العربية ـ ذكره في « بغية الوعاة» .

- محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي بدر الدين ، أبو عبدالله ـ توفي ٧٣٣ هـ .

- محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي الهندي ، صفي الدين أبو عبدالله ـ توفي ٧١٥ هـ ـ وقرأ عليه الأصول .

- محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلبكي ، أبو عبدالله شمس الدين ـ توفي ٧٠٩ هـ ـ قرأ عليه العربية ، «الملخص»، « الجرجانية » ، « ألفية ابن مالك » ، وأكثر « الشافية الكافية » ، وبعض « التسهيل » .

- أبو نصر محمد بن عماد الدين الشيرازي ذكره في « بغية الوعاة».

- يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف جمال الدين أبو الحجاج المزي القضاعي ، الكلبي الحافظ ٧٤٢ هـ .

تلامذته :

- إسماعيل بن عمر بن كثير ، أبو الفداء ، عماد الدين ـ توفي ٧٧٤ هـ صاحب «البداية»، و «التفسير».

- عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي أبو الفرج ، زين الدين - توفي ٧٩٥ هـ صاحب «**ذيل طبقات الحنابلة**» .

- محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد ، أبو عبدالله ، ابن قدامة المقدسي ، شمس الدين - توفي ٧٤٤ هـ صاحب «**طبقات المحدثين**» .

- محمد بن عبد القادر بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد المنعم الجعفري النابلسي أبو عبدالله - توفي ٧٩٧ هـ .

ولداه : إبراهيم ، وعبدالله شرف الدين الذي ناب عن أبيه بالصّدرية(١) .

أقوال العلماء فيه :

قال ابن رجب : كان رحمه الله تعالى ذا عبادة وتهجد ، وطول صلاة إلى الغاية القصوى ، وتألهٍ ولهجٍ بالذكر ، وشغف بالمحبة ، والإنابة والاستغفار ، والافتقار إلى الله والإنكسار له ، والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته ، لم أشاهد مثله في ذلك ، ولا رأيت أوسع منه علماً ، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه ، وليس هو المعصوم ، ولكن لم أرَ في معناه مثله ، وكان عارفاً بالتفسير لا يجارى فيه ، وبأصول الدين ، وإليه فيهما المنتهى ، وبالحديث ومعانيه وفقهه ، ودقائق الاستنباط منه ، لا يلحق في ذلك ، وبالفقه وأصوله ، وبالعربية وله فيها اليد الطولى(٢) ، وبعلم الكلام ، وبكلام أهل التصوف ، وإشاراتهم ودقائقهم ، وقال :

قال الذهبي : عني بالحديث ومتونه وبعض رجاله ، وكان يشتغل في الفقه ، ويجيد تقريره وتدريسه ، وتصدر لإقراء العلم ونشره .

---

(١) مدرسة أنشأها صدر الدين أبو الفتح أسعد بن عثمان بن منجا التنوخي العدل - توفي ٦٥٧ هـ ودفن بها ، ومحلها في درب الريحان، جوار تربة القاضي جمال الدين المصري من ناحية الجامع الأموي ، ووضع لها أوقافاً كثيرة ودرس بها ابن اخته صدر الدين ، وولده وجيه الدين ، وابن عبد الهادي ، وابن القيم ، وابنه إبراهيم والآن قد محيت آثارها .

(٢) وهذا واضح ، انظر تحليله لبعض وجوه الإعراب في الباب التاسع .

قال ابن كثير : برع في علوم متعددة لاسيّما علم التفسير ، والحديث ، والأصلين ، ولما عاد ابن تيمية من مصر عام ٧١٢ هـ لازمه إلى أن مات ، فأخذ عنه علماً جماً مع ما سلف له من الاشتغال ، فصار فريداً في بابه في فنون كثيرة ، مع كثرة الطلب ليلاً ونهاراً ، وكثرة الابتهال ، وكان حسن القراءة والخلق ، كثير التودد ، لا يحسد أحداً ولا يؤذيه ، ولا يحقد على أحد ، ولا أعرف في زماننا من أهل العلم أكثر عبادة منه ، وكل تصانيفه مرغوب فيها ، يتعانى الإيضاح جهده .

وقال القاضي برهان الدين الزرعي : ما تحت أديم السماء أوسع علماً منه .

وقال ابن حجر : كان جريء الجنان، واسع العلم ، عارفاً بالخلاف ، ومذاهب السلف ، محباً لابن تيمية منتصراً له ، لا يكاد يخرج عن أقواله ، هذّب كتبه ونشر علمه .

آثاره العلمية

- « اجتماع الجيوش الإسلامية في غزو المعطلة والجهمية » طبع في مصر ، والهند (١٣١٤ هـ) ، وبيروت .
- « أحكام أهل الذمة » طبع في جامعة دمشق (١٩٦٤ م) ، وبيروت .
- « أخبار النساء » ينسب إليه ، وهو مختصر لابن الجوزي لكتاب « النساء » لأبي الفرج الأصبهاني طبع في مصر وبيروت .
- « أسماء مؤلفات الإمام شيخ الإسلام تقي الدين ابن عباس أحمد ابن تيمية » طبعها د. صلاح الدين المنجد .
- « إعلام الموقعين عن رب العالمين » طبع في الهند سنة (١٣١٣ هـ) ومصر وبيروت .
- « إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان » طبع في القاهرة (١٣٢٢ هـ) بتعليق جمال الدين القاسمي .

- « إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان » طبع في القاهرة (١٣٢٠ هـ) وبيروت .
- « اقتضاء الذكر بحصول الخير ودفع الشر » .
- « أمثال القرآن » طبع في بيروت (١٩٨٣ م) وفي مكة بعنوان الأمثال في القرآن الكريم » (١٩٨٠ م) تحقيق ناصر الرشيد .
- « أيمان القرآن » وسيأتي في « التبيان » .
- « بدائع الفوائد » أربعة أجزاء طبع في القاهرة، وبيروت .
- « بطلان الكمياء » من أربعين وجهاً .
- « بلوغ السول من أقضية الرسول » رسالة ختم بها إعلام الموقعين طبع في الهند (١٢٩٢ هـ) .
- « بيان الاستدلال على بطلان محتالي السباق والنضال » . من « هدية العارفين » .
- « بيان الدليل على استغناء المسابقة عن التحليل » « هدية العارفين » .
- « التبيان في أقسام القرآن » طبع في مكة (١٣٢١ هـ) وفي القاهرة وبيروت .
- « التحبير لما يحل ويحرم من لباس الحرير » ذكره الصفدي ويقال فيه : « التحرير » كما في « شذرات الذهب » .
- « التحفة المكية » لعله « تحفة النازلين بجوار رب العالمين » ذكره في « مدارج السالكين » .
- « تحفة المودود بأحكام المولود » طبع في دمشق والقاهرة والهند وباكستان آخرها في قبرص بعناية بسام عبد الوهاب الجابي .
- « تحفة النازلين بجوار رب العالمين » ذكره في « هدية العارفين » .
- « تدبير الرئاسة في القواعد الحكيمة بالذكاء والقريحة » ذكره في « هدية العارفين » .
- « تفسير أسماء القرآن » .

- « تفسير سور الكافرون ، والمعوذتين » طبع في القاهرة ، بتحقيق محمد حامد الفقي ، وهو جزء من « بدائع الفوائد » .
- « تفسير الفاتحة » قال الصفدي : مجلد كبير.
- « التفسير القيِّم » جمعه محمد أويس الندوي سنة (١٩٤٨ م) من كتب ابن القيم .
- « تفضيل مكة على المدينة » .
- « تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته » طبع بالقاهرة ، باسم « عون المعبود » .
- « جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام » طبع بمصر ، والكويت بتحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط .
- « جوابات عابدي الصلبان وأن ما هم عليه دين الشيطان » .
- « الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي » ويدعى : « الداء والدواء » طبع في القاهرة (١٩٠٤ م) والسعودية .
- « حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح » طبع في القاهرة (١٣٢٥ هـ) وبيروت وسماه ابن رجب « صفة الجنة » . مرَّ الحديث عنه مبسوطاً .
- « حكم إغمام هلال رمضان » ذكره في « هدية العارفين » .
- « حكم تارك الصلاة » مجلد، ذكره في « الشذرات » .
- « الداء والدواء » تقدم في « الجواب الكافي » ، وطبع مرات.
- « ربيع الأبرار في الصلاة على النبيِّ المختار » ذكره في « هدية العارفين » .
- « الرسالة الحلبية في الطريقة المحمدية » نظم . ذكره في « طبقات المفسرين » .
- « الرسالة الشافية » في أسرار المعوذتين ، ذكره الصفدي .
- « رسالة في اختيارات تقي الدين ابن تيمية » .
- « رفع اليدين في الصلاة » ذكره في « الشذرات »، والداوودي .

- « رفع التنزيل » ذكره في « هدية العارفين » .
- « الروح » طبع في الهند (١٣١٨ هـ) والقاهرة ، وبيروت .
- « روضة المحبين ، ونزهة المشتاقين » طبع في مصر وبيروت .
- « زاد المسافر إلى منازل السعداء في هدي خاتم الأنبياء » ، ذكره ابن رجب « زاد المسافرين » .
- « زاد المعاد في هدي خير العباد » طبع في الهند (١٢٩٨ هـ) ومصر بتحقيق حامد الفقي، وبيروت بتحقق الأستاذين شعيب وعبد القادر الأرناؤوط (١٧) مرة.
- « شرح أسماء الكتاب العزيز » . قال ابن رجب مجلد .
- « شرح أسماء الله الحسنى » .
- « شرح الشروط العمرية » طبع في جامعة دمشق (١٩٦١ م) وهو قسم من أحكام أهل الذمة .
- « شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل » طبع في القاهرة (١٣٢٣ هـ) .
- « الصراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم » . قال ابن رجب مجلدان .
- « صفة الجنة » وهو «حادي الأرواح» كتابنا هذا.
- « الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي ﷺ من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها » طبع في القاهرة .
- « الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة » طبع في القاهرة .
- « الطاعون » قال ابن رجب : مجلد لطيف .
- « الطب النبوي » وهو قسم من زاد المعاد .
- « الطرق الحكمية في السياسة الشرعية » ويدعى : « الفراسة المرضية في أحكام السياسة الشرعية » وطبع مراراً .
- « طريق الهجرتين وباب السعادتين » طبع في مصر وبيروت ويدعى : « سفر الهجرتين » .

- « عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين » طبع في مصر (١٣٤١ هـ) وبيروت .

- « عقد محكم الإخاء بين الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع إلى رب السماء » ، وذكر باسم « عقد محكم الأحباء » ، « الأحقاء » .

- « عون المعبود » تقدم بـ « تهذيب سنن أبي داود » .
- « فتاوى الرسول »
- « الفتح القدسي » .
- « الفرق بين الخلة والمحبة ، ومناظرة الخليل لقومه » مجلد .

- « الفروسية » وطبع بالقاهرة ، وبيروت وسماه الصفدي : « الفروسية المحمدية » .
- « فضل العلم » ذكره في « الشذرات » ولعله الآتي .
- « فضل العلماء » مجلد .

- « الفوائد » طبع بمصر، وفي بيروت، ووضع بعض الناشرين على غلاف الفوائد : « كنوز العرفان في أسرار وبلاغة القرآن »

- « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان » طبع بمصر بتصحيح محمد بدر الدين النعساني .

- « قرة عيون المحبين وروضة قلوب العارفين » .
- « القصيدة النونية » في السنة وسيأتي باسم « الكافية الشافية » .
- « القضاء والقدر » ذكره ابن حجر .
- « الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية » ونشر باسم « القصيدة النونية » طبع بمصر (١٣١٩ هـ) .
- « الكبائر » مجلد .
- « كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء » ذكره الصفدي .

- « الكلم الطيب ، والعمل الصالح » طبع مرات ، وسماه في « الشذرات » : « الكلام الطيب » .

- « مدارج السالكين بين منازل ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ طبع بمصر وبيروت بإشراف محمد رشيد رضا وهو شرح « منازل السائرين » للهروي .
- « مراحل السائرين » ذكره في « هدية العارفين » ، و« الشذرات » ولعله « مدارج السالكين » .
- « المسائل الطرابلسية » مجلدان ذكره في « الشذرات » . وفي « هدية العارفين » ثلاث مجلدات .
- « مشروعية زيارة القبور » نشره عزت العطار في القاهرة (١٩٥٥ م) .
- « مصايد الشيطان » ذكره في « الشذرات » .
- « معالم الموقعين » . ذكره الصفدي في « الوافي » .
- « معاني الأدوات والحروف » ذكره الصفدي .
- « مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة » طبع بمصر (١٣٢٣ هـ) وفي بيروت .
- « مقتضى السياسة في شرح نكت الحماسة » ذكره في « هدية العارفين » .
- « المنار المنيف في الصحيح والضعيف » حققه الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة طبع في حلب (١٩٧٠ م) .
- « المورد الصافي والعلل الوافي » ذكره في « هدية العارفين » .
- « المهذب » ذكره في « هدية العارفين » .
- « نزهة المشتاقين » ذكره في « هدية العارفين » .
- « نقد المنقول ، والمحك المميز بين المردود والمقبول » ذكره ابن رجب .
- « نكاح المحرم » .
- « نور المؤمن وحياته » مجلد ذكره في « هدية العارفين » .
- « هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى » طبع في الهند ، والقاهرة (١٣٢٣ هـ) ، والسعودية .
- « الوابل الصيب من الكلم الطيب » طبع مرات في السعودة والقاهرة وبيروت .

وفاته رحمه الله تعالى :

مـات في الثالث عشـر من شهر رجب سنـة (٧٥١ هـ) بـدمشق وشهـد جنازته القضاةوالأعيان،وكمل له من العمر ستون سنة . وصلي عليه في المسجد الأموي ، ثم في جامـع الجراح . ودفن في مقبـرة باب الصغيـر مقابـل جامـع الصابونية وقبره معروف وقد أخـر قليلاً إلى الجهـة الشرقيـة ليكون خلف سـور المقبرة من الجانب الأيسر . فتغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته .

آميـــــن

المحققان

علي شربجي ـ قاسم النوري

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الإعانة

[مقدمة المؤلف]

الحمد لله الذي جعل جنات الفِردوس لعباده المؤمنين نُزُلاً ، ويسَّرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها ، فلم يتخِذوا سواها شُغُلاً ، وسهَّل لهم طُرقَها ، فسلكوا السبيلَ الموصلة إليها ذُلُلاً ، خلقها لهم قبل أن يخلقهم ، وأسكنهم إياها قبل أن يُوجدهم ، وحجبها بالمكاره ، وأخرجهم إلى دار الامتحان ، ليبلوهم أيُّهم أحسنُ عملاً ، وجعل ميعاد دخولها يومَ القدوم عليه ، وضرب مدة الحياة الفانية دونه أجلاً ، وأودعها ما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وجلاها لهم حتى[1] عاينوها بعين البصيرة التي هي أنفذُ مِن عين[2] البصر ، وبشَّرهم بما أعدَّ لهم فيها على لسان رسولِه ، فهي خيرُ الْبُشَر[3] ، على لسان خير البشر ، وكمَّل لهم البشرى بكونهم ﴿ **خالدين فيها لا يبغون عنها حِوَلاً** ﴾ [الكهف : ١٠٨][4].

والحمد لله فاطرِ السماوات والأرض ، جاعل الملائكة رُسلاً ، وباعثِ الرسل مبشرين ومنذرين ، لئلا يَكونَ للناسِ على الله حجةً بعد الرسلِ ، إذ لم يخلقهم عبثاً ، ولم يَتركهمْ سُدى ، ولم يغفلْهم هملاً ، بل خلقَهم لأمرٍ

(١) في الأصل : (عليهم حين) وما أثبتناه أولى .

(٢) في هامش الأصل : رؤية .

(٣) الْبُشَرُ : جمع بُشْرى . وهي الْبِشَارة . والبشارة : ما يُبَشَّرُ به ، وما يعطاه المبَشِّر بأمر مفرح . وبشر فلاناً : أخبره بما يَسرُّه .

(٤) الحِوَلُ : التحول والانتقال .

عـظيمٍ ، وهيـأهم لخـطبٍ جسيمٍ ، وعمَّـر لهم دارين ، فهـذه لمن أجـابَ الداعي ، ولم يبغِ سوى ربه الكريم بدلاً ، وهـذه لمن لم يُجب دعوتَـه ، ولم يرفع بها رأساً ، ولم يعلق بها أملاً .

والحمد لله الذي رضي من عبادِه باليسيرِ من العملِ ، وتجَاوزَ لهم عن الكثير من الزَللِ ، وأفاضَ عليهم النعمةَ ، وكتبَ على نفسِه الرحمةَ ، وضمَّن الكتـابَ الذي كتبـه ، أنَّ رحمتَه سبقت غضبَـه ، دعا عبـادَه إلى دار السلام ، فعمَّهم بالدَّعوة حُجةً منه عليهم وعدلاً ، وخصَّ بالهدايةِ والتوفيقِ من شاء نعمةً منه وفضلاً . فهذا عدْلُه وحكمتُه ، وهو العزيزُ الحكيمُ ، ذلك فضلُه يُؤتيـه من يشاء ، والله ذو الفضلِ العظيم .

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ، شهادةَ عبدِه وابنِ عبدِه وابن أمتِه ، ومن لا غنى له طَرفَة عينٍ عن فضلِهِ ورحمتِه ، ولا مطمعَ له بالفوز بالجنةِ والنجاة من النارِ إلا بعفوه ومغفرته .

وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه ، وأمينُه على وحيـه وخيرتـه من خلقِه ، أرسلَه رحمـة للعالمين ، وقـدوةً للعاملين ومحجـة[1] للسالكين ، وحُجـةً على العبادِ أجمعين ، بعثه للإيمان منادياً ، وإلى دار السلام داعياً ، وللخليقة هادياً ، ولكتابِه تالياً ، ولمرضاته ساعياً ، وبالمعروف آمراً ، وعن المنكر ناهياً ، أرسلَه على حين فترةٍ من الرسـلِ ، فهَدى بـه إلى أقوم الـطُرقِ ، وأوضحِ السبـلِ ، وافترضَ على العباد طاعتَه ومحبتَه ، وتعزيزَه ، وتوقيرَه[2] والقيامَ بحقوقِه ، وسدَّ إلى الجنـة جميع الـطرق فلم يفتحها لأحـدٍ إلا من طريقـه ، فلو أتـوا من كـل طريق ، واستفتحوا من كل بابٍ لما فُتِحَ لهم حتى يَكونوا خلفه من الداخلين ، وعلى منهاجِه وطريقتِه من السالكين .

فسبحانَ من شرحَ لـه صدرَه ، ووضـعَ عنه وِزرَه[3] ، ورفـع له ذكـرَه ،

---

(١) المحجَّة : الطريق المستقيم .

(٢) التوقير : التعظيم .

(٣) الوِزْرُ : الحمل الثقيل ، والإثم والذنب .

وجعلِ الذل والصَغار على من خالفَ أمره ، فدعا إلى الله وإلى جنته سراً وجهاراً ، وأذن بذلك بين أظهُر الأمةِ ليلاً ونهاراً ، إلى أن طلعَ فجرُ الإسلام ، وأشرقت شمسُ الإيمان ، وعلَتْ كلمةُ الرحمنِ ، وبَطلت دعوةُ الشيطانِ ، وأضاءت بنورِ رسالتِه الأرضُ بعد ظلماتِها ، وتألفت به القلوبُ بعد تفرقِها وشَتاتِها ، فأشرقَ وجهُ الدهر حُسناً ، وأصبحَ الظلامُ ضياءً ، واهتدى كلُ حيران ، فلما أكمل الله به دينَه ، وأتمَ به نعمتَه ، ونشرَ به على الخلائق رحمتَه ، فبلَّغ رسالات ربه ونصحَ عبادَه ، وجاهدَ في الله حقَ جهادِه ، خيَّره بين المُقام في الدنيا وبين لقائه والقدومِ عليه ، فاختارَ لقاءَ ربهِ محبةً له ، وشوقاً إليه ، فاستأثر به[1] ونقلَه إلى الرفيق الأعلى ، والمحلِ الأرفع الأسنى ، وقد ترك أمتَه على الواضحةِ الغراءِ ، والمَحَجَةِ البيضاء ، فسلك أصحابُه وأتباعُه على أثره إلى جنات النعيم ، وعدَلَ الراغبون عن هَديه إلى طريق الجحيم : ﴿ **لِيَهلِكَ مِنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى من حَيَّ عن بَيِّنةٍ وإنَّ اللَّهَ لسميعٌ عليمٌ** ﴾ [الأنفال : ٤٢] .

فصلى اللهُ وملائكتُه وأنبياؤه ورسله وعبادُه المؤمنون عليه ، كما وحَّد الله وعبَدَه ، وعرَّفنا به ودعا إليه .

أما بعد . فإن اللهَ سبحانه وتَعالى لم يَخلق خلقَه عبثاً ، ولم يَتركهم سُدى ، بلِ خلقَهم لأمرٍ عظيمٍ ، وخطبٍ جسيمٍ ، عُرِضَ على السماوات والأرض والجبال فأبينَ وأشفَقن[2] منه إشفاقاً ووجلاً ، وقلن ربَّنا إن أمرتَنا ، فسمعاً وطاعةً ، وإن خيرتَنا ، فعافيتك نريد ، لا نَبغي بها بدلاً ، وحمَلَه الإنسانُ على ضعفِه وعجزِه عن حملِه ، وباءَ به[3] على ظُلمه وجَهلِهِ ، فألقى أكثرُ الناسِ الحِملَ عن ظهورِهم لشدة مؤنَتِهِ[4] عليهم وثقله ، فصحبوا الدنيا صحبةَ الأنعام السائمةِ[5] لا يَنظرون في معرفة مُوجِدِهم وحقِهِ عليهم ، ولا في المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار التي هي طريق ومعبر إلى دارِ القرارِ ، فلا يَتَفكرون

(١) استأثر به : اختاره لنفسه .

(٢) أشفقن : خفن .

(٣) باء به : رجع ، وباء بذنبه : احتمله واعترف به ، وثقل عليه .

(٤) لشدة مؤنته : لشدة كلفته عليهم .

(٥) الأنعام السائمة : الإبل ترسل للمرعى .

في قلة مقامِهِم في الدنيا الفانية، وسُرعة رحيلهم إلى الآخرة الباقية، فقد ملكَهم باعثُ الحسِّ(١)، وغابَ عنهم داعي العقلِ، وشملَتْهم الغَفلةُ، وغرتهم الأماني(٢) الباطلةُ، والخِدعُ الكاذبة، فخدَعَهم طولُ الأمل، ورَانَ على قلوبِهم(٣) سوءُ العملِ فهمهم في لذاتِ الدنيا، وشهواتِ النفوسِ، كيف حَصلَتْ حَصلوها، ومن أي وجهٍ لاحت(٤) لهم أخذوها، إذا أبدى لهم حظُ من الدنيا ناجِذَيْه(٥) طاروا إليه زرافاتٍ(٦) ووحداناً، وإذا عَرضَ لهم عَرَض عاجلٌ من الدنيا لم يُؤثروا عليه ثواباً من الله ولا رضواناً: ﴿ يَعلَمُونَ ظَاهِراً مِن الحَياةِ الدُّنيا وَهُم عَنِ الآخِرَةِ هُم غَافِلُونَ ﴾ [الروم: ٧]، ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِين نَسُوا الله فَأَنْسَاهُم أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُون ﴾ [الحشر: ١٩].

والعَجبُ كلُّ العجبِ من غَفلة مَنْ لحظاتُه معدودةٌ عليه، وكلِّ نفسٍ من أنفاسِه لا قيمةَ له، وإذا ذهبَ لم يَرجِعْ إليه، فمَطايا الليلِ والنهار تُسرِعُ به، ولا يَتَفكَّرُ إلى أينَ يُحمَل، ويُسَارُ به أعظَمَ من سيرِ البريدِ، ولا يَدري إلى أي الدارين يُنقَل، فإذَا نَزَلَ به الموتُ اشتدَ قلقُهُ لخرابِ ذاتِه، وذهاب لذاتِه، لا لما سَبَقَ مِنْ جناياتِهِ، وسَلَفَ مِنْ تَفريطِه، حيثُ يُقَدِّم لحياتِهِ. فإن خَطرتْ له خطرةٌ عارضةٌ لِمَا خُلِقَ له، دَفَعَها باعتمادِهِ على العفوِ، وقال: قد أُنبِئنا أنه هو الغفورُ الرحيمُ، وكأنه لم يُنَبأ أَنَّ عذابَه هو العذابُ الأليمُ.

فصل

ولما عَلِم الموفقون ما خُلقوا له، وما أُريدَ بإيجادهم رفعوا رؤوسَهم،

---

(١) في الأصل: الجن وهو خطأ.
(٢) غرتهم الأماني: خدعتهم تمنياتهم الباطلة.
(٣) ران على قلوبهم: غشيها وغطى عليها.
(٤) لاحت: ظهرت.
(٥) ناجذية: النواجذ: أقصى الأضراس.
(٦) الزّرافات: جمع زَرافة، وهي الجماعة من الناس.

فإذا عَلَمُ الجنةِ قد رُفع لهم ، فشمروا إليه ، وإذا صراطُها المستقيمُ قد وَضَحَ لهم ، فاستقاموا عليه ، ورأوا من أعظمِ الغَبْنِ[١] بيعُ ما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلبِ بشر ، في أبدٍ لا يزولُ ، ولا ينفدُ بصبابةِ[٢] عيشٍ ، إنما هو كأضْغَاثِ أحلامٍ[٣] ، أو كطيفٍ[٤] زارَ في المنام ، مَشُوبٍ بالنَغَصِ[٥] ، ممزوجٍ بالغُصَصِ[٦] ، إنْ أضحكَ قليلاً أبكى كثيراً ، وإن سَرَّ يوماً أحْزَنَ شهوراً ، آلامُهُ تزيدُ على لذاتِه ، وأحزانُهُ أضعافُ أضعافِ مسراتِه ، أولُه مَخَاوفُ ، وآخرُهُ مَتَالفُ ، فيا عجباً من سفيهٍ في صورةِ حليمٍ ، ومعتوهٍ في مِسْلاخِ[٧] عاقلٍ ، آثرَ[٨] الحظَ الفاني الخَسيسِ ، على الحظِ الباقي النفيسِ ، وباعَ جنةً عرضُها السماواتُ والأرضِ ، بسجنٍ ضيقٍ بين أربابِ العاهاتِ ، والبَلياتِ ، ومَساكنَ طيِّبةً في جناتِ عدنٍ تجري من تَحتِها الأنهارُ ، بِأعْطانٍ[٩] ضيقةٍ آخرها الخرابُ والبوار[١٠] ، وأبكاراً عرباً أتراباً[١١] كأنَّهنَّ الياقوتُ والمَرجانُ ، بقذراتٍ دنساتٍ سيئاتِ الأخلاقِ مسافحاتٍ ، أو متخذاتِ أخدانَ[١٢] ، وحوراً مقصوراتٍ في الخيام[١٣] بخبيثاتٍ سيئاتٍ بين

---

(١) الغبن : النقص والخسارة .

(٢) الصُّبابة : ما بقي في الإناء من ماء ونحوه .

(٣) أضغاث أحلام : ما كان ملتبساً مختلطاً لا يصح تأويله ، لاختلاطه والتباسه . وأصل الضغث : القبضة من الحشيش المختلط رطبها بيابسها . والأحلام : جمع حُلْم ، وهو ما يراه النائم .

(٤) الطيف : الخيال الطائف في النوم .

(٥) مشوب بالنغص : مخلوط بكدر العيش .

(٦) الغُصص : جمع غُصَّة : وهو ما اعترض في الحق من طعام أو شراب .

(٧) المِسْلاخ : الجِلْد .

(٨) في الأصل (أآثر) على الاستفهام ، وما أثبتناه أولى .

(٩) العَطَن : مبرك الإبل حول الحوض . وجمعه أعطان .

(١٠) الْبَوَار : الهلاك ، والكساد .

(١١) عُرُباً أتْراباً : العُرُب : جمع عَرُوب . وهي المرأة المتحببة إلى زوجها والمطيعة له ، والأتراب : جمع تِرْب . وهو المماثل في السن ذكراً كان أو أنثى .

(١٢) مسافحات أو متخذات أخدان : زانيات ، والسِّفاح ، والمُسافحة : معاشرة المرأة بلا زواج . والأخدان : جمع خِدْن ، وهو الصديق الذي يكون معك ظاهراً وباطناً .

(١٣) حور مقصورات في الخيام : الحور : جمع حوراء ، وهي المرأة إذا اشتدّ بياض بياض عينها ، مع شدة سواد سوادها ، وهذا من جمال العين ، وانظر ص ٢٨٤ تفصيل المؤلف هناك . =

الأنام(١)، وأنهاراً من خمرٍ لذةٍ للشاربين، بشراب نَجسٍ مُذهِب للعقلِ مُفسدٍ للدنيا والدينِ، ولذةَ النظرِ إلى وجهِ العزيزِ الرحيمِ، بالتَّمَتُّعِ برؤيةِ الوجهِ القبيحِ الدميمِ، وسماعَ الخطابِ من الرحمن، بسماع المعازف والغناء والألحان، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المَزيد، بالجلوس في مجالسِ الفسوقِ مع كلِّ شيطانٍ مَريد، ونداءَ المنادي يا أهلِ الجنةِ: إنَّ لكم أن تنعموا فلا تبأسوا، وتحيوا فلا تموتوا، وتُقيموا فلا تَظعنوا، وتَشبوا فلا تَهرموا بغناءِ المغنين:

وَقَفَ الهـوى بي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيسَ لي مُـتَـأَخـرٌ عـنـهُ ولا مُـتَـقَـدمُ
أَجِـدُ المـلامـةَ في هـواكَ لـذيـذةً حبـاً لـذكـرِك، فلْيلُمني اللّومُ

وإنَّما يَظهـرُ الغَبْنُ الفاحشُ في هـذا البيعِ يـومَ القيـامـة، وإنمـا يَتَبينُ سَفَهُ(٢) بائعِه يومَ الحسرةِ والندامـةِ، إذا حُشِرَ المتقـون إلى الرحمن وَفـداً(٣)، وسِيقَ المجرمون إلى جهنم وِرداً(٤)، ونـادى المُنادي على رؤوسِ الأشهـادِ، ليَعلمنَّ أهلُ الموقفِ من أَوْلَى بالكرمِ من بين العبادِ، فلو توهم المتخلفُ عن هذه الرفقـةِ ما أُعـدَّ لهم من الإكرامِ، وادُّخِـر لهم من الفضلِ والإنعـام، وما أخفي لهم من قُـرةِ أعين لم يَقَعْ على مثلِهـا بصر، ولا سمعتـه أُذن ولا خَـطرَ على قلبِ بشرٍ، لعلم أيَّ بضاعةٍ أضاعَ، وأنه لا خير له في حياتِهِ، وهو معدودٌ من سَقَطِ المتـاعِ، وعلمَ أنَّ القومَ قـد تَوسـطوا ملكاً كبيـراً لا تَعتريـه الآفات، ولا يَلحقه الزوالُ، وفازوا بالنَعيمِ المُقيمِ في جوارِ الكبيرِ المتعالِ.

فهم في روضـاتِ الجنـة يتقلبـون، وعلى أسـرتِهـا تحت الحِجَـالِ(٥)

= ومقصورات في الخيام: جمع مقصورة، وهي المرأة المنعمة في بيت لا تتركه. والخيام: جمع خيمة.

(١) الأنام: الإنس والجن، وما ظهر على الأرض من جميع الخلق.

(٢) السَّفه: الجهل والطيش، وسوء التصرف.

(٣) الوفد: الجماعة يفدون على ذي الشأن، وقيل هنا: جاؤوا ركباناً.

(٤) الوِرْد: الماء يورد، والوِردْ: الإبل ترد الماء. ويقال للقوم يردون الماء: وِرْد. والمراد أنهم يقصدون جهنم للارتواء. وبئس الورد المورود.

(٥) الحِجَال: جمع حَجَلة، وهي ناموسية تستر السرير كالقبة تتخذ للعروس، وخشية البعوض =

يجلسون، وعلى الفُرشِ - التي بطائِنُها[1] من إستبرق[2] - يَتكئون، وبالحورِ العين[3] يتمتعون، وبأنواعِ الثمارِ يَتفكهون، و﴿ يطوف عليهم وِلدان مخلَّدون، بأكوابٍ وأباريقَ وكأسٍ من مَعِينٍ[4]، لا يَصدعُون[5] عنها ولا يُنزِفُون[6]، وفاكهةٍ ممَّا يَتخيَّرون، ولحمِ طيرٍ مما يَشتَهُون، وحورٌ عينٌ كأمثالِ اللؤلؤِ المَكنون[7]، جزاءً بما كانوا يعملون ﴾ [الواقعة : ١٧ - ٢٤]، ﴿ يُطَافُ عليهم بصِحافٍ[8] من ذهبٍ، وأكوابٍ وفيها ما تشتهيه الأنفُسُ وتَلذُّ الأعين، وأنتم فيها خالدون ﴾ [الزخرف : ٧١]. تالله، لقد نُودي عليها في سُوقِ الكَسادِ[9] فما قَلَّبَ ولا استام[10] إلا أفرادٌ من العبادِ، فواعجباً لها كيفَ نامَ طالبُها؟ وكيف لم يَسمحْ بمهرِها خاطبُها؟ وكيف طابَ العيشُ في هذه الدارِ بعد سَماعِ أخبارِها؟ وكيف قرَّ للمُشتاقِ القَرار، دون مُعانقةِ أبكارِها؟ وكيف قرَّتْ دونها أعينُ المُشتاقين؟ وكيف صَبَرتْ عنها أنفُسُ الموقنين؟ وكيف صَدَفَتْ[11] عنها قلوبُ أكثرِ العالمين؟ وبأي شيء تَعوَّضَتْ عنها نفوسُ المُعْرِضِينَ؟

= والناموس، وانظر ص ٢٧٩ الكلام عليها.

(١) البطائن : جمع بطانة، وهي من الثوب ما يبطن به، وهي خلاف ظِهَارَته.

(٢) الإستبرق: الديباج الغليظ، وثياب من حرير وذهب. والديباج : الحرير.

(٣) العين : جمع عيناء، وهي المرأة حسنة العين وواسعتها.

(٤) الماء المعين : هو الظاهر الذي تراه العين جارياً على وجه الأرض.

(٥) لا يُصَدَّعُون : لا يصيبهم الصُداع. والصُداع : وجع الرأس.

(٦) ولا يُنْزِفون : لا يذهب عقلهم من السكر. يقال : نُزِفَ شارب الخمر : سكر فذهب عقله وتمييزه. ونَزَفَ الشيء نَزْفاً : نَفِدَ وفني.

(٧) المكنون : المصون.

(٨) الصِّحَاف : جمع صَحْفَة، وهو وعاء الأكل الكبير.

(٩) سوق الكساد : التي لم تحظ بالرواج، ولم يَنْفُق ما فيها لقلة الرغبة فيه.

(١٠) السوم : عرض السلعة على البيع. ومعنى الكلام أن سوق الجنة في الدنيا كاسدة. لا يسأل عنها، كثير من الناس. يقال : استام المشتري السلعة : أراد شراءها ومعرفة ثمنها، واستام البائع غالى وطلب سعراً عالياً. وفي الأصل (أسام) وما أثبتناه أولى.

(١١) صدف : أعرض.

شعرٌ في وَصْفِ الجنة

ومـا ذاكَ إلا غيـرة[1] أنْ ينـالَهـا ... سـوى كفئها، والـربُّ بـالخلقِ أعلَمُ
وإن حُجِبَتْ عنـا بكـلِّ كـريهـةٍ ... وحُفَّتْ بمـا يُؤذي النفـوسَ، ويُؤلِمُ
فللهِ مـا في حشـوِهـا من مَسرَّةٍ ... وأصنـافِ لـذاتٍ بهـا يُتَنَـعَّمُ
ولله بـردُ العيشِ بينَ خِيـامِهـا ... وروضاتِها ، والثغرُ في الروضِ يَبسمُ
ولله واديهـا الـذي هـو موعـدُ المز ... يَـدِ لِوَفْـدِ الحُبِّ ، لـو كُنْتُ مِنْهُمْ
بـذيَّالـك الـوادي يَهِيمُ صَبـابـةً ... مُحبٌ يـرى أن الصَّبـابـةَ مَغْنَمُ
وللهِ أفـراحُ المُحبيـنَ عِنْـدمـا ... يُخَـاطِبُهم من فـوقهم ، ويسلِّمُ
ولله أبـصـارٌ تـرى اللهَ جـهـرةً ... فلا الضيمُ يَغشاهـا ، ولا هيَ تَسأَمُ
فيـانظرةً أهـدَتْ إلى الـوجهِ نَضْرةً ... أمِنْ بَعدِهـا يَسلو المحبُّ المُتَيَّمُ[2]
ولله كـم مـن خيـرةٍ إن تَبَسَّمتْ ... أضاءَ لَهـا نـورٌ من الفجرِ أعـظَمُ
فَيالـذَّة الأبصارِ إن هي أقبلتْ ... ويـالـذةَ الأسمـاعِ حيـن تَكَلَّمُ
ويا خَجْلَةَ الغصن[3] الرطيب إذا انثنتْ ... ويـا خجلةَ الفجـرين[4] حين تَبَسَّمُ
فـإن كنت ذا قلبٍ عليـل[5] بحبِهـا ... فلم يَبْـق إلا وَصلُهـا لـكَ مَـرهَـمُ
ولاسيَّمـا في لثمِهـا عنـد ضمِهـا ... وقد صارَ منها تحت جِيدِكَ معصمُ[6]
تـراه إذا أبـدتْ لـه حُسْنَ وجهِهـا ... يَلذُّ بـه قبـل الـوصـالِ ، وَيَنْعَمُ
تَفكَّـهُ فيهـا العينُ عنـد اجتلائهـا ... فـواكهَ شتى ، طلعُهـا ليس يُعْدَمُ[7]
عنـاقيدُ من كـرمٍ ، وتفـاحُ جنـةٍ ... ورمـانُ أغصـانٍ بـه القلبُ مغـرَمُ

---

(١) في الأصل : عبرة .
(٢) المتيم : المحب الذي أذهب عقله الحب . يقال : تيمه الحب : إذا أذهب عقله واستعبده ، فهو مُتَيَّم .
(٣) في الأصل (الغضّ) وما أثبتناه أولى .
(٤) في الأصل (البحرين) (والفجرين) أقرب .
(٥) في الأصل (عليك) وما أثبتناه أولى . والعليل : المريض .
(٦) لَثَم : قبل ، والجيد : العنق . والمعصم : موضع السوار من الساعد .
(٧) تفكه : تمتع وتلذذ . اجتلائها : النظر إليها . طلعها : ثمرها.

وللوَردِ مـا قـد ألبَسْتُـه خـدودُهـا ... وللخمرِ ما قـد ضمَّه الـريقُ ، والفَمُ
تقسَّم فيهـا الحُسْنُ في جمعٍ واحدٍ ... فَيـا عجبـاً من واحـدٍ يَتـقـسَّـمُ
لهـا فِـرَقٌ شتَّى من الحُسنِ أُجمِعَتْ ... بـجُـمـلَتِـهـا، إنَّ السُّـلوَّ مُـحَـرَّمُ
تَـذكـر الـرحمن مَنْ هُـوَ نـاظـرٌ ... فـينـطقُ بـالـتَسبيـحِ لا يـتلعـثـم
إذا قَـابَلَتْ جيشَ الهُمـومِ بـوجهِها ... تـولَّى على أعقابِـهِ الجيشُ يُهْـزَمُ
ولمَّـا جـرى مـاءُ الشبابِ بغُصنِهـا ... تيـقَّـنَ حقـاً أنـه لـيسَ يَـهـرَمُ
فيـا خاطبَ الحسنـاءِ إن كُنتَ راغبـاً ... فهـذا زمـانُ المَهـرِ فهـوَ المُقـدَّمُ
وكن مُبغضـاً للخـائنـاتِ بحبِّهـا ... فتَحـظى بـهـا من دُونـهنَّ وَتَـنْعَـمُ
وكن أيِّمـاً ممَّن سـواهـا فَـإنـهـا ... لمثلِكَ في جنـاتِ عَـدْنٍ تـأيَّمُ (١)
وصُمْ يـومَـكَ الأدنى لعلَّكَ في غـدٍ ... تَفـوزُ بعيـدِ الفـطرِ ، والنـاسُ صُوَّمُ
وأقدمْ ولا تـقـنـعْ بعيشٍ مُنَغَّصٍ ... فمـا فـاز بـاللَّذاتِ من ليس يُقـدِمُ
وإنْ ضـاقَتِ الدنيـا عليكَ بـأسرِهـا ... ولم يَـكُ فيهـا مَنْـزِلٌ لَـكَ يُـعْلَمُ
فحيَّ عَلى جنـاتِ عـدنٍ فـإنَّـهـا ... منـازلُـكَ الأُولى وفـيهـا الـمُخيَّم
ولكنَّنـا سبيُّ العـدوِّ فـهـل تَـرى ... نَـعـودُ إلى أوطـانِـنـا ونسـلَّمُ
وقـد زَعمـوا أنَّ الغـريبَ إذا نَـأى ... وشَـطَّتْ بِـه أوطـانُـهُ فَهْـوَ مُغـرَمُ
وأيُّ اغتِـرابٍ فـوقَ غُـربَتِنَـا التي ... لهـا أَضْحَتِ الأعـداءُ فينـا تَحكَّمُ
وحيَّ على السوقِ الذي فيه يلتقي المُحِـ ... ـبـونَ ذاكَ الـسـوقُ للقـومِ مُعلمُ
فمـا شئتَ خُـذْ منـهُ بـلا ثَمنٍ لـه ... فقـد أسلَفَ التُّجـارُ فيـه وأسلَمـوا
وحيَّ على يـومِ المـزيـدِ الـذي بـهِ ... زيـارةُ ربِّ العرشِ ، فـاليوم مَـوسِمُ
وحيَّ عـلى وادٍ هـنـالِـكَ أفْيَـحٍ ... وتـربَتُهُ مِنْ أذْفَـرِ المسكِ أعـظَمُ (٢)
مـنـابـرُ من نـورٍ هـنـاكَ وفـضـةٍ ... ومِنْ خـالِصِ العقيـانِ لا يتقصَّمُ (٣)
وكثبانُ مسكٍ قـد جُعِلْنَ مَقاعـداً ... لِمَنْ دونَ أصحـابِ المنابِـرِ تُعلم (٤)
فبينـا هُمُ فـي عيشِهـم وسـرورِهم ... وأرزاقُـهُم تـجـري عليـهِم وتُـقْسَـمُ

(١) الأيم : من لا زوج له من الرجال والنساء .
(٢) أفيح : واسع . والأذْفر : الجيد . يقال مسك أذفر، وذَفِرٌ : أي جيد .
(٣) العِقْيان : الذهب الخالص، يتقصم : يتكسر .
(٤) كثبان : جمع كثيب. وهو التل من الرمل .

إذا هُمْ بنورٍ ساطعٍ أَشرَقَتْ لَـه ... بـأقطارِها الجنَّاتُ لا يُتَوَهَّمُ
تَجلَّى لَهُمْ ربُّ السماوات جَهْرَةً ... فَيَضْحَكُ ربُّ العَرْشِ ثُمَّ يُكَلِّمُ
سَلاَمٌ عليكُم يَسمعونَ جميعُهُمْ ... بآذانِهِم تَسْليمَةً إذْ يُسَلِّمُ
يقولُ سَلوني ما اشْتَهَيْتُمْ فَكُلُّ ما ... تُريدونَ عندي ، أنَّني أنا أَرْحَمُ
فقالوا جميعاً : نحن نَسأَلُكَ الرِّضا ... فأنتَ، الذي تولي الجميلَ وترحَمُ
فَيعطِيهِمُ هذا ، ويَشهَدُ جمعُهمْ ... عليهِ ، تعالى الله ، فالله أَكرَمُ
فيا بائعاً هَذا ببخسٍ مُعجَّلٍ ... كأنَّكَ لا تَدري ، بَلى سوفَ تَعْلَمُ
فإنْ كُنتَ لا تدري فتلكَ مصيبَةٌ ... وإن كنتَ تَدْري فالمصيبَةُ أعظَمُ

فصل

وهذا كتابٌ اجتهدتُ في جمعِه ، وترتيبِهِ ، وتفصيلِه ، وتبويبِه ، فهو للمَحْزُونِ سَلْوَةٌ وللمُشتاقِ إلى تلك العرائسِ جلوةٌ ، محركٌ للقلوب ، إلى أَجَلِّ مَطلوبٍ ، وحادٍ للنفوسِ إلى مُجاورة الملك القُدُّوس[1] ، ممتع لقارئه ، مشوق للناظر فيه ، لا يَسأَمُه الجليسُ ، ولا يَملُّه الأنيسُ ، مُشتَمِلٌ من بَدائعِ الفوائدِ ، وفرائِد القلائِدِ[2] ، على ما لعلَّ المجتهدَ في الطلبِ ، لا يَظْفَرُ به فيما سواه من الكتبِ ، مع تَضْمِينِه لجملة كثيرة من الأحاديث المرفوعات ، والآثار[3] الموقوفات ، والأسرار المودعة في كثيرٍ من الآيات ، والنكت البديعات ، وإيضاح كثيرٍ من المشكلات ، والتنبيه على أُصول من الأسماءِ والصفات ، إذا نظر فيه الناظر زاده إيماناً ، وجلى عليه الجنة حتى كأنه يشاهدها عياناً ، فهو مثير ساكن العزمات إلى روضات الجنات ، وباعث الهممِ العليات ، إلى العيش الهنيِّ في تلك الغُرفات .

وسميته « حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح » فإنه اسم يطابق مسماه ، ولفظ

(١) القُدُّوسُ : من أسماء الله الحسنى . ومعناه المنزه عن كل نقص وعيب .
(٢) القلائد : جمع قلادة ، وهي ما يجعل حول العنق من حلي ونحوه .
(٣) في الأصل (الآيات) وهو خطأ ، وما أثبتناه هو الصحيح .

يوافق معناه ، والله يعلم ما قصدت ، وما بجمعِه أردت ؛ فهو عند لسان كل عبدٍ وقلبِهِ ، وهو المطلع على نيته ، وكسبه ، وكان جلّ المقصودِ منـه بشارة أهـلِ السنة ، بما أعدَّ الله لهم في الجنة، فإنهم المستحقون للبُشرى في الحياة الـدنيا وفي الآخرة ، ونعم الله عليهم باطنة وظاهرة ، وهم أولياء الرسول ، وحـزبه ، ومن خَرَجَ عن سُنَّته فهم أعـداؤه وحربـه . لا تَأخُـذُهم في نصرة سنتـه ملامـة اللوام ، ولا يَتركون ما صَحَ عنه لقول أحد من الأنام ، والسُنة أجلّ في صدورِهم من أن يُقَدِّموا عليها رأياً فقهياً ، أو بحثاً جدلياً ، أو خيـالاً صوفيـاً ، أو تناقضـاً كلامياً ، أو قياساً فلسفياً ، أو حكماً سياسياً ، فمن قدم عليها شيئـاً من ذلك ، فبابُ الصوابِ عليه مسدود ، وهو عن طريقِ الرشاد مصدُود .

فيا أيها النـاظر فيـه لك غُنْمـه وعلى مؤلفه غُـرْمُه، ولـك صَفوهُ ، وعليـه كَدَرُه . وهذه بضاعته المُزْجَاة[٢] تعرَضُ عليك ، وبَنَاتُ أفكارِه تُزَفُّ إليك ، فإنْ صادفتَ كفؤاً كريماً فلن تعدم منه إمساكاً بمعروفٍ أو تسريحاً بإحسانٍ . وإن كان غيرَه فالله المستعانُ ، فما كان من صواب فمن الواحد المنَّانِ ، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطانِ . والله بريء منه ورسوله .

وقد قسَّمتُ الكتابَ سبعينَ باباً .

والله سبحانه هو المسؤول أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، مدنياً لمؤلفـه وقارئه وكاتبه من جنات النعيم ، وأن يجعله حجة له ولا يجعله حجة عليه ، وأن ينفـع به من انتهى إليـه ، إنه خيـر مسؤول وأكرم مـأمـول ، وهـو حسبنـا ونعم الوكيل .

---

(١) المُزْجَى : الشيء القليل ، وبضاعة مُزْجَاة : قليلة مردودة ترفض رغبة عنها .

الباب الأول

في بيانِ وجودِ الجنةِ الآن

لم يـزل أصحاب رسـول الله ﷺ ، والتـابعـون وتـابعـوهم وأهـل السنـة والحديثِ قاطبة ، وفقهاء الإسلام ، وأهل التصوفِ ، والزهدِ على اعتقاد ذلك وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوصِ الكتابِ والسنة ، وما عُلِمَ بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم ، فإنهم دعوا الأمم إليها ، وأخبروا بها إلى أن نبغت(١) نابغة من القـدرية(٢) والمعتـزلة(٣) فـأنكرت أن تكـون مخلوقة الآن ، وقالت : بل الله يُنشئُها يومَ المعاد ، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الـذي وضعوا بـه شريعـة لما(٤) يَفعله الله، وأنـه ينبغي له أن يفعـل كذا، ولا ينبغي لـه أن يفعل كـذا، وقـاسـوه على خَلْقِـه في أفعـالهم، فهم مشبهـة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفـات(٥) وقالـوا: خَلق الجنة قبل الجزاءِ عبث،فإنها تصير معطلة مدداً متطاولة ليس فيها سكانها.

وقالوا: ومن المعلوم أن ملكاً لو اتخذ داراً،وأعدَّ(٦) فيها ألوان الأطعمة، والآلات والمصـالح ، وعـطَّلها من النـاسِ ، ولم يمكنهم من دخولهـا قرونـاً

---

(١) نبغ : ظهر وتفوق .

(٢) القدرية : فرقة أنكرت القدر ، ونفت علم الله عز وجل بالأشياء قبل وقوعهـا ، وأثبتوا لـلإنسان قدرة على خلق أفعاله .

(٣) المعتزلة : فرقة من المتكلمين ، شذت عن أهل السنـة ، وأول رجالهـا واصل بن عـطاء الذي اعتزل حلقة الحسن البصري ، وكان من أكبر رجال هذه الفرقة : إبراهيم النظام . وأبو الهذيل العلاف . أولوا من النصوص كل ما يخالف ما يرونه بعقولهم .

(٤) في هامش الأصل: فيما

(٥) والجهمية : فرقة من المبتدعة نسبوا إلى جهم بن صفوان آمنوا بالجبر ، ونفوا الصفات الإلهية .

(٦) في هامش الأصل: اتخذ.

متطاولة ، لم يكن ما فعله واقعاً على وجهِ الحكمةِ ، ووجد العقلاء سبيلاً إلى الاعتراض عليه ، فحجروا على الربِّ تبارك وتعالى بعقولهم الفاسدة ، وآرائِهم الباطلة !! وشبّهوا أفعالَه بأفعالهم ، وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب . أو حرَّفوها عن مواضِعها ، وضلَّلوا وبدَّعوا من خالفهم فيها ، والتزموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء .

ولهذا يَذكرُ السلفُ في عقائدِهم : أنَّ الجنةَ والنارَ مخلوقتان ، ويذكر من صنفَ في المقالات أن هذه مقالة أهلِ السنةِ ، والحديث قاطبة لا يختلفون فيها .

قال الإمام أبو الحسن الأشعري[1] في كتاب «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» [ص: ٢١١]: جملة ما عليه أصحاب الحديث، وأهل السنة الإقرار بالله وملائكتِه وكتبه ورسله وما جاء من عند الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ ، لا يَرُدُّون من ذلك شيئاً والله تعالى إله واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً . وأنَّ محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأنَّ الله يبعث من في القبور ، وأن الله تعالى على عرشِه ، كما قال : ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] ، وأن له يدين بلا كيف ، كما قال : ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] . وكما قال : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ ، [المائدة : ٦٤] ، وأن له عينين بلا كيف ، كما قال : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر : ١٤] ، وأن له وجهاً ، كما قال : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧] ، وأن أسماءَ الله تعالى لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج ، وأقروا أن لله علماً كما قال : ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ [النساء :١٦٦] وكما قال : ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾ [فاطر : ١١] ، وأثبتوا السمع والبصر ، ولم ينفوا ذلك عن الله كما تعتقد المعتزلة ، وأثبتوا لله القوة كما قال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ

---

(١) هو العلامة إمام أهل الكلام علي بن إسماعيل من ذرية أبي موسى الأشعري ، ولد ٢٦٠ هـ ، وكانت وفاته ٣٣٠ هـ انظر ترجمته مفصلة في « سير أعلام النبلاء » ١٥/ ٨٥ ـ ٩٠ .

﴿ أَشَدُّ مِنْهُم قُوَّةً ﴾ [فصلت : ١٥] ، وقالوا : إنه لا يكون في الأرضِ من خيرٍ ، ولا شرٍ إلا ما شاء الله ، وإن الأشياء تكون بمشيئة اللهِ كما قال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ الله ﴾ [الإنسان : ٣٠] ، وكما قال المسلمون : ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن .

وقالوا : إنَّ أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعلَه ، أو يكون أحد يقدر أن يخرج عن عِلْمِ الله ، أو أن يفعل شيئاً علم الله أنه لا يفعله ، وأقروا أنه لا خالقَ إلا الله تعالى ، وأن أعمال العبادِ، يخلقُها الله تعالى ، وأن العباد لا يقدرون أن يَخلقوا شيئاً ، وأن الله تعالى وفَّقَ المؤمنين لطاعته ، وخذل الكافرين ، ولطف بالمؤمنين ونظر لهم وأصلحَهُمْ وهداهم ، ولم يلْطفْ بالكافرين ، ولا أصلحهم ، ولا هداهم،ولو أصلحهم لكانوا صالحين ، ولو هداهم لكانوا مُهتدين ، وأن الله تعالى يقدر أن يصلح الكافرين ، ويلطفَ بهم ، حتى يَكونوا مؤمنين ، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين[1] كما عَلِمَ ، وخذلهم وأضلهم ، وطبع على قلوبهم ، وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره ، ويؤمنون بقضاء الله وقدره خيره وشره حلوه ومره ، ويؤمنون أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله كما قال ، ويلجئون أمرهم إلى الله ، ويثبتون الحاجة إلى الله في كل وقت ، والفقر إلى الله في كل حال .

ويقولون : إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، والكلام في الوقف واللفظِ ، فمن قال : باللفظ أو بالوقفِ فهو مبتدع عندهم ، لا يقال : اللفظ بالقرآن مخلوق ، ولا يقال : غير مخلوق . ويقولون : إنَّ الله تعالى يُرى بالأبصارِ يومَ القيامةِ ، كما يرى القمرُ ليلةَ البدرِ ، ويراه المؤمنون ، ولا يراه الكافرون ، لأنهم عن الله تعالى محجوبون ، قال الله تعالى : ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَومَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٥] ، وأن موسى عليهِ السلامُ سأل الله سبحانَه وتعالى الرؤيةَ في الدنيا ، وأن الله تعالى تجلى للجبل ، فجعله دكاً ، فأعلمه

---

(١) أي أن يكونوا كافرين باختيارهم الكفر . لا أن الله عز وجل ألجأهم إليه ، وقضى به عليهم من غير ذنب منهم . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

بذلك أنه لا يراه في الدنيا ، بل يراهُ في الآخرة ، ولا يكفِّرون أحداً من أهلِ القبلةِ بذنبٍ يرتكبه ، كنحو الزنى والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائرِ .

وهم بما معهم من الإيمانِ مؤمنون ، وإن ارتكبوا الكبائرَ ، والإيمان عندهم هو الإيمان بالله وملائكتِهِ وكتبهِ ورسله ، وبالقدرِ خيره وشره حلوه ومره ، وأن ما أخطأهم لم يكنْ ليصيبهم ، وأن ما أصابهم لم يكنْ ليُخطئهم ، والإسلام هو أن يشهدَ أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، كما جاء في الحديثِ . والإسلام عندهم غير الإيمان ، ويقرون بأن الله مقلبُ القلوب ، ويقرون بشفاعة رسول الله ﷺ ، وأنها لأهلِ الكبائرِ من أمته ، وبعذاب القبر ، وأن الحوضَ حق ، والصراطَ حقٌ ، والبعثَ بعد الموتِ حق ، والمحاسبةَ من الله للعباد حق ، والوقوف بين يدي الله تعالى حقٌ ، ويُقرّون بأن الإيمان قول ، وعمل يزيد وينقص ، ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق .

ويقولون : أسماءُ الله هي الله تعالى ، ولا يشهدون على أحد من أهلِ الكبائرِ بالنار ، ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين ، حتى يكونَ الله تعالى نزَّلَهم حيث شاء . ويقولون : أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم ، وإن شاءَ غفر لهم ، ويؤمنون بأن الله ، تعالى يخرج قوماً من الموحدين من النار ، على ما جاءت به الروايات عن رسولِ الله ﷺ ، ويُنكِرون الجدل والمراء في الدين ، والخصومة في القدرِ، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدلِ ، وَيَتَنَازَعُونَ فيه من دينِهم بالتسليم للرواياتِ الصحيحةِ ، ولِمَا جاءت به الآثار التي رواها الثقاتُ عدلاً عن عدلٍ ، حتى ينتهي ذلك إلى رسولِ الله ﷺ ، ولا يقولون كيف،ولا لِم ، لأن ذلك بدعة .

ويقولون : إن الله تعالى لم يأمر بالشر ، بل نهى عنه ، وأمر بالخيرِ ، ولم يرضَ بالشِركِ ، وإن كان مريداً له ، ويعرفون حق السلفِ الذين اختارهم الله تعالى لصحبةِ نبيه ﷺ ، ويأخذون بفضائِلهم، ويسكتون عمَّا شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم ، ويقدمون أبا بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علياً رضي الله عنهم ، ويقرون بأنهم الخلفاء الراشدون المهديّون ، وأنهم أفضلُ الناس كلِّهم بعد رسول الله ﷺ ، ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسولِ الله ﷺ « أنَّ اللهَ

يَنزِلُ إلى السَّماءِ الدنيا فيقولُ : هل من مستغفرٍ ؟ »[1] ، كما جاء في الحديث عن رسـول الله ﷺ ، ويأخـذون بالكتـاب والسنة ، كمـا قال تعـالى : ﴿ فَـإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء : ٥٩] .

ويَرون اتباع من سلف من أئمة الدين ، وأن لا يتبعوا في دينِهم ما لم يأذن به الله ؛ ويُقرّون أن الله تعـالى يجيء يوم القيـامة ، كمـا قال : ﴿ وَجَـاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفاً صَفاً ﴾ [الفجر : ٢٢] ، وأن الله تعالى يقرب من خلقه كيف شاء كما قال : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ ﴾ [ق : ١٦] .

ويرون العيدين والجمعة والجماعة خلف كلِّ إمام بـر أو فاجر ، ويثبتون المسحَ على الخفين سُنّة ، ويرون ذلك في الحضر والسفر ، ويثبتون فرض الجهادِ للمشركين منذ بعثَ الله نبيه ﷺ إلى آخر عصابةٍ تُقـاتل الـدجال ، وبعد ذلك.

ويرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، وأن لا يخرج عليهم بالسيف، وأن لا يقاتلوا في الفتنة، ويصدقون بخروج الدجال، وأن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله، ويؤمنون بمنكر ونكير، والمعراجِ والرؤيا في المنامِ ، وأن الدعاءَ لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصلُ إليهم، ويصدقون أن في الدنيا سحرة، وأن الساحر كافر، كما قال الله تعالى، وأن السِّحر كائن موجود في الدنيا.

ويـرون الصلاةَ على كـلِ من مات من أهـل القبلة مؤمنهم وفاجـرهم ، ويقرونَ أن الجنةَ والنارَ مخلوقتان ،وأنَّ من مات ماتَ بأجلِه ،وكذلك من قتل قتل بأجله ، وأن الأرزاق من قِبَل الله تعالى يرزقها عباده حلالاً كانت أو حراماً ، وأن الشيطان يوسـوس للإنسـان ، ويشككه ويخبـطه ، وأن الصالحين قـد يجوز أن يخصهم الله تعـالى بآيـاتِ تظهـر عليهم ، وأنّ السنةَ لا تنسـخُ بـالقـرآنَ ، وأن الأطفال أمرهم إلى الله إن شاءَ عذَّبَهم ، وإنْ شـاء فعل بهم مـا أراد ، وأن الله تعالى عالم ما العباد عاملون، وكتب أن ذلك يكون، وأن الأمور بيد الله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢١) في الدعوات ، وغيرها : باب الدعاء نصف الليـل ، ومسلم (٧٥٨) في صلاة المسافرين : باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل .

ويَرون الصبرَ على حكم الله ، والأخذ بما أمر الله تعالى به، والانتهاء عما نهى الله عنه ، وإخلاصَ العمل [لله] والنصيحةَ للمسلمين ، ويدينون بعبادةِ الله في العابدين، والنصيحةِ لجماعةِ المسلمين ، واجتنابَ الكبائر ، والزنى ، وقولِ الزور ، والمعصية ، والفجور ، والكبر ، والازدراء على الناس ، والعجب .

ويرون مجانبة كل داعٍ إلى بدعة ، والتشاغل بقراءةِ القرآن ،وكتابة الآثار، والنظر في الفقهِ مع التواضعِ والاستكانة وحُسْنَ الخلقِ ، وبذلَ المعروفِ ، وكفَّ الأذى ، وترك الغيبة والنميمةِ والسعاية ، وتفقد المأكل والمشرب، فهذه جملةُ ما يَأمُرونَ به ، ويستعملونَه ويَرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب . وما توفيقُنا إلا بالله، وهو حسبُنا ونعم الوكيل ، وبه نستعين ، وعليه نتوكل وإليه المصير .

والمقصود حكايته عن جميعِ أهلِ السنَّةِ والحديث : أن الجنة والنارَ مخلوقتان، وسقنا جملة كلامه ليكون الكتاب مؤسساً على معرفة من يستحق البشارة المذكورة ، وأن أهل هذه المقالة هم أهلها ، وبالله التوفيق .

وقد دلَّ على ذلك من القرآن قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ، عِنْدَ سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهَى ، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ [النجم : ١٣ - ١٥] ، وقد رأى النبي ﷺ سِدرةَ المُنْتَهى ، ورأى عندها الجنة كما في « الصحيحين » من حديث أنس ابن مالك في قصة الإسراء وفي آخره : « ثُمَّ انطلقَ بي جبريلُ حتى أتى سدرةَ المنتهى ، فغشيها ألوانٌ لا أدري ما هي ؟ قال : ثُمَّ دخلتُ الجنةَ فإذا فيها جَنابذُ اللؤلؤِ ، وإذا ترابُها المِسكُ »[1] .

وفي « الصحيحين » من حديث عبدِ الله بن عمر أن رسولَ الله قال:

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩) في الصلاة: باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، ومسلم (٢٥٩) في الإيمان : باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات .

جنابذ: قال في «الفتح»: الجنابذ شبه القباب. واحدها جُنبذة بالضم، وهو ما ارتفع من البناء واستدار، فهو فارسي معرب.

« إنَّ أحدَكم إذا مات عُرِضَ عليه مقعدُه بالغداةِ والعَشِيِّ ، إن كانَ من أهلِ الجنةِ فمن أهلِ الجنَّة ، وإن كان من أهلِ النارِ فمن أهلِ النارِ ، فيُقال هذا مقعدُكَ حتى يبعثَكَ الله تعالى يومَ القيامةِ »[1] .

وفي « المسند » ، و« صحيح »[2] الحاكم ، وابن حبان وغيرهم من حديث البراء بن عازب قال : خرجنا معَ رسولِ الله ﷺ في جَنازةِ رجلٍ من الأنصار - فذكر الحديث بطوله ، وفيه : « فيُنادي منادٍ من السماء : أنْ صَدَقَ عبدي ، فأفرشُوهُ من الجنَّة ، وألبسُوه من الجنةِ ، وافتحُوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من رَوْحِها وطيبِها »[3] . وذكر الحديث .

وفي « الصحيحين » من حديثِ أنسِ بن مالكٍ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إن العبدَ إذا وُضِعَ في القبر وتَولَّى عنه أصحابُه وإنَّه ليسمعُ قَرْعَ نعالِهم قال : فيَأتيهِ مَلَكانِ فيقعدانه، فيقولان له : ما كنتَ تقولُ في هذا الرجلِ ؟ قال : فأمَّا المؤمنُ فيقولُ : أشهدُ أنَّهُ عبدُ الله ورسوله ، قال : فيقولان له : انظرْ إلى مَقْعَدِكَ من النارِ ، قد أبْدَلَكَ الله به مقعداً من الجنَّةِ . قال نبيُّ الله ﷺ ، فيراهما جميعاً »[4] ..

وفي « صحيح » أبي عَوانة الإسْفَرايِيني و« سُننِ » أبي داود من حديث البَراء بن عازب الطويل في قبضِ الرُّوحِ : « ثم يُفتحُ له بابٌ من الجنَّةِ ، وبابٌ من النارِ ، فيُقال: هذا كان منزلَك لو عَصيتَ الله تعالى أبدلَكَ الله به هذا ، فإذا رأى ما في الجنَّةِ قال : ربِّ عجِّلْ قيامَ الساعةِ كيما أُرجِعَ إلى أهلي ومالي ، فيُقالُ : اسكن »[5] .

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٩) في الجنائز : باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، ومسلم (٢٨٦٦) في الجنة : باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه .

(٢) هذا التعبير فيه تساهل، لأن كتاب الحاكم يسمى « المستدرك » على الصحيحين ، وكيف يصح إطلاق الصحة عليه ، وفيه الضعيف والموضوع كما هو معلوم عند أئمة النقد من المحدثين .

(٣) أخرجه أحمد ٤/٢٨٧ ، والحاكم في « المستدرك » ١/٣٧ - ٣٨.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٧٤) في الجنائز : باب ما جاء في عذاب القبر ، ومسلم (٢٨٧٠) في الجنة : باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار .

(٥) أخرجه أبو داود (٤٧٦٣) في السنة : باب في المسألة في القبر وعذاب القبر .

وفي « مُسند » البزَّارِ وغيره من حديث أبي سعد الخُدْرِي قال : شهدنا مع النبيِّ ﷺ جَنازةً ، فقال رسولُ الله ﷺ : « يأيها الناسُ، إنَّ هذه الأمة تُبْتَلىٰ في قبورِها ، فإذا دُفِنَ الإنسانُ وتفرّقَ عنه أصحابُه ، جاءهُ مَلَكٌ في يدِه مِطراقٌ فأقعدَه فقال : ما تقولُ في هذا الرجل ؟ ـ يعني محمداً ﷺ ـ فإنْ كان مؤمناً ، قال : أشهدُ أنَّ لا إلـه إلا الله وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، فيقولون [له] : صَدقتَ ، ثم يُفْتَحُ له بابٌ إلى النارِ فيقولون : هذا كان منزلَكَ لو كَفرتَ بربِّكَ ، فأمّا إذ آمنتَ به ، فهذا منزلُكَ ، فيُفتحُ له بابٌ إلى الجنَّةِ فيريدُ أن ينهضَ إلى الجنَّة فيقولون له : اسكن »[1] وذكر الحديث .

وفي «صحيح» مسلم عن عائشة قالت: خُسفتِ الشمسُ في حياةِ رسولِ الله ﷺ، فذكرت الحديثَ إلى أن قالت: ثم قامَ، فخطبَ الناسَ، فأثنىٰ على الله بما هو أهلُهُ، ثم قال: «إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتانِ من آياتِ الله تعالى، لا يُخْسَفان لموتِ أحد، ولا لحياتِه، فإذا رأيتموهما، فافزَعُوا إلى الصلاةِ»[2].

وقال رسولُ الله ﷺ : « رأيت في مقامي هذا كلَّ شيءٍ وُعِدْتُم ، حتى لقد رأيتُني آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتُموني أُقَدِّمُ ، ولقد رأيتُ جهنم يَحْطِم بعضُها بعضاً حين رأيتموني تأخَّرتُ »[3] .

وفي « الصحيحين » واللفظ للبخاري عن عبدالله بن عباس قال : انخسفتِ الشمسُ على عهدِ النبيِّ ﷺ ، فذكر الحديث وفيه : فقال : « إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتان من آيات الله ، لا يَخسفانِ لموتِ أحدٍ ولا لحياتِه ، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله» فقالوا : يا رسولَ الله رأيناكَ تناولتَ شيئاً في مقامك ، ثم رأيناك تكعكعت ، فقال : «إني رأيتُ الجنَّة ، وتناولتُ عنقوداً ، ولو أصبتُه لأكلتُم منه ما بقيتِ الدنيا ، وأُرِيْتُ النارَ، فلم أرَ منظراً كاليومِ قطُّ أفظَعَ ،

---

(١) أخرجه البزار في «زوائده» (٨٧٢) وفيه اسكت بدل: اسكن، وأحمد ٣/٣، وقال الهيثمي في «المجمع» ٣/٤٧ ـ ٤٨: رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٩٠١) في كتاب الكسوف : باب صلاة الكسوف ، وأخرجه البخاري (١٠٤٣) في كتاب الكسوف : باب الصلاة في كسوف الشمس ، عن المغيرة بن شعبة .

(٣) أخرجه البخاري (١٢١٢) في كتاب العمل في الصلاة: باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة.

ورأيتُ أكثرَ أهلِها النساءَ»، قالوا : بِمَ يا رسـولَ الله ؟ قال : «بكُفْرِهنَّ». قيل : أيكفـرن بالله ؟ قـال :«يَكفرنَ العشيـرَ، ويكفـرنَ الإحسـانَ ، لـو أحسنتَ إلى إحداهنَّ الدهرَ كلَّه ، ثم رأتْ منك شيئاً ، قالت : ما رأيتُ مِنْكَ خيراً قطُّ »[1] .

وفي « صحيـح » البخاري عن أسمـاء بنت أبي بكر ، عن النبيِّ ﷺ في صلاةِ الكسوف قال : « قد دَنَتْ مني الجنَّـة ، حتى لو اجتـرأتُ عليها لجئتُكم بقـطافٍ من قِطافهـا ، ودنت مني النارُ حتى قُلتُ أي ربِّ ، وأنـا معهم . فـإذا امرأةٌ ، حسِبْتُ أنَّه قال : تَخدشُها هِرَّةٌ . قلت : ما شأنُ هذه ؟ قالوا : حَبَسَتْها حتى ماتتْ جوعاً ، لا أطعمتها ولا أرسلتها تأكلُ »[2] .

وفي « صحيح » مسلم من حديث جـابر في هـذه القصة قـال : « عُرِضَ عليَّ كلُّ شيءٍ تُولجونَه ، فعُرِضَتْ عليَّ الجنَّةُ حتى تناولتُ منها قِطفاً فقصُـرتْ يدي عنه ، وعُرِضَتْ عليَّ النارُ، فرأيتُ فيها امـرأةً من بني إسرائيـل تُعذَّبُ في هرةٍ لها » وذكر الحديث[3] .

وفي « صحيح » مسلم عنه في هذا الحديث : « ما من شيءٍ تُوعَدُونه إلا قد رأيتُه في صلاتي هذه ، لقد جِيء بالنارِ ، وذلك حينَ رأيتموني تأخرتُ مخافةَ أن يُصيبَني من لَفْحِها ، وحتى رأيت فيها صاحِبَ المِحْجَنِ يجرُّ قُصْبَه في النارِ، وكان يَسرِقُ الحاجَ بِمِحْجَنِهِ ، فإن فُطِنَ له قال : إنما تَعلَّق بمحجني ، وإن غُفِل عنه ذَهبَ به ، وحتى رأيتُ فيها صاحبةَ الهرةِ التي ربطتها ، فلم تُطعمها ، ولم تدعها تأكلُ من خشاشِ الأرضِ ، حتى ماتت جـوعاً، ثم جِيء بـالجنَّةِ وذلكم حين رأيتموني تقدَّمتُ حتى[4] قمت في مقامي ، ولقد مددتُ يدي ، وأنا أريدُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٥٢) في كتاب الكسوف : باب صلاة الكسوف جماعة ومسلم (٩٠٧) في كتاب الكسوف : باب ما عُرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف .
ومعنى كعكعت : تأخرت . . والعشير : المعاشر كالزوج وغيره. وفي الحديث جواز إطلاق الكفر على كفران الحقوق ، وإن لم يكن صاحبه كافراً بالله تعالى . ومعنى كفران الحقوق : جحودها وإنكارها .

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٥) في الأذان : باب رقم ٩٠ .

(٣) أخرجه مسلم (٩٠٤) في الكسوف ؛ باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار .

(٤) في الأصل (حين) وما أثبتناه هو المواقف لما في مسلم .

أن أتناولَ من ثمرها لتنظروا إليه ، ثم بدا لي أن لا أفعل ، فما من شيءٍ توعدونَه إلا قد رأيتُه في صلاتي هذه »[(١)] .

وفي « مسند » الإمام أحمد ، « وسنن » أبي داود ، والنسائي من حديث عبدالله بن عمرو في هذه القصة : « والذي نفسُ محمدٍ بيده لقد أدنيت الجنةُ مني ، حتى لو بَسطت يدي لتعاطَيتُ من قُطوفِها ، ولقد أُدْنِيت النارُ منّي حتى لقد جَعَلْتُ أتقيها خشيةَ أن تغشاكُم » وذكر الحديث[(٢)] .

وفي « صحيح » مسلم من حديث أنس بن مالك قال : بينما رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم ، إذا أُقيمتِ الصلاةُ فقال: «يا أيُّها الناسُ، إني إمامُكم فلا تَسبقوني بالركوع ، ولا بالسجود ، ولا ترفعوا رؤوسكم ، فإني أُراكم من أمامي ،ومن خلفي ،وايمُ الذي نفسي بيده، لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً » ، قالوا : وما رأيتَ يا رسولَ الله ؟ قال: «رأيتُ الجنةَ والنارَ »[(٣)] .

وفي «الموطأ» و «السنن» من حديث كعب بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : «إنما نسمةُ المؤمن طير تعلقُ في شجر الجنة حتى يُرجعها الله إلى جسده يوم القيامة»[(٤)]. وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة.

---

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم (٩٠٤) (١٠) في الكسوف : باب (٣) ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار .
ومعنى من لفحها : أي من حَرِّ لهبها . والمحجن : عصا معقوفة الطرف، وصاحب المحجن رجل من أهل الجاهلية معه محجن كان يقعد في الطريق، ويسرق بمحجنه من المارة، وخشاش الأرض: حشراتها.

(٢) أخرجه أحمد : ٣٥١/٦ ، وأبو داود (١١٩٤) في الصلاة بنحوه . والنسائي ١٣٧/٣ .
لتعاطيت من قطوفها : تناولت من ثمارها ، والقُطوف جمع قِطْف وهو الثمار المقطوفة ، وما أينع من الثمر وحان قطافه .

(٣) أخرجه مسلم (٤٢٦) في كتاب الصلاة : باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما . ولفظه : « فلا تسبقوني بالركوع ، ولا بالسجود، ولا بالقيام ، ولا بالانصراف » وفيه « والذي نفس محمد بيده » .

(٤) أخرجه مالك في « الموطأ » (٥٦٨) في الجنائز ، والنسائي ٤/ ١٠٨ ،وابن ماجه (٤٢٧١) في الزهد ، باب ذكر القبر والبلى .

ومثله حديث كعب بن مالك أيضاً عن النبيِّ ﷺ : « إنَّ أرواحَ الشهداءِ في [حواصل] طيرٍ خضرٍ تعلقُ في ثمرِ الجنةِ ، أو شجرِ الجنَّةِ »[1] رواه أهل السُّنن ، وصحَّحه الترمذي .

وسيأتي في آخر هذا الكتاب في الباب الذي يذكر فيه دخول أرواح المؤمنين الجنةَ قبل يوم القيامة ، تمامُ هذه الأحاديث إن شاء الله تعالى ، وذكر دلالة القرآن على ما دلَّت عليه السنةُ من ذلك .

وفي « صحيح » مسلم ، و« السُّنن » و« المسند » من حديث أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال :« لما خلقَ الله تعالى الجنة والنار ،أرسل جبريلَ إلى الجنة فقال : اذهبْ ، فانظرْ إليها ، وإلى ما أعددتُ لأهلِها فيها ، فذهبَ فنظرَ إليها وإلى ما أعدَّ الله لأهلها فيها ، فرجع ، فقال : وعزَّتك لا يسمعُ بها أحدٌ إلا دخلها ، فأمر بالجنَّة فحُفَّت بالمكارِهِ ، فقال : فارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، فقال : فنظرَ إليها ، ثم رجع فقال : وعزتك لقد خَشِيتُ أن لا يدخُلها أحدٌ ، قال : ثم أرسله إلى النار قال : اذهب فانظرْ إليها وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها ، قال : فنظرَ إليها فإذا هي يركبُ بعضُها بعضاً ، ثم رجع فقال : وعزَّتك لا يدخلها أحد سمع بها ، [فأمر بها] فحفت بالشهواتِ ثم قال: اذهب فانظرْ إلى ما أعددتُ لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها، فرجع فقال: وعزَّتك لقد خشيتُ أن لا ينجو منها أحدٌ إلا دخلها» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[2]

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة : « حُجِبت الجنَّة بالمكارِهِ ، وحُجِبَت النارُ بالشهوات »[3] .

---

(1) أخرجه الترمذي (١٦٤١) في الجهاد : باب ما جاء في ثواب الشهداء . وقال : حديث حسن صحيح ،وتقدم في « السنن » الحديث قبله .

الْحَواصِل : جمع حَوْصَلة : وهي انتفاخ في مرئي الطيور يختزن فيه الغذاء قبل وصوله إلى المعدة .

(2) أخرجه أحمد ٢/٣٣٣ ،وأبو داود (٤٧٤٤) في السنة : باب في خلق الجنة والنار ، والترمذي (٢٥٦٠) في الجنة : باب ما جاء في خلود أهل الجنة ، وأهل النار . ولم أجده عند مسلم.

(3) أخرجه البخاري (٦٤٨٧) في الرقاق : باب حجبت النار بالشهوات ، ومسلم (٢٨٢٣) في كتاب =

وفي « الصحيحين » من حديث أبي سعيدٍ الخُدريِّ عن النبي ﷺ قال : « اختصمتِ الجنَّة والنارُ، فقالت الجنَّةُ : يا ربِّ ما لها إنما يدخلها ضعفاء الناس وسقطهم ؟ وقالت النار : يا ربِّ ما لها يدخُلها الجبارون والمتكبرون ؟ فقال : أنت رحمتي أُصيبُ بك من أشاءُ، وأنت عذابي أُصيبُ بكِ من أشاءُ، ولكل واحدة منكما مِلؤُها»[1] .

وفي « الصحيحين » من حديث ابن عمر ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « اشتكت النار إلى ربِّها فقالت : يا ربِ أكلَ بعضي بعضاً ، فأذنَ لها بنَفَسين : نفسٌ في الشتاء ، ونفسٌ في الصيف »[2] .

وروى الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، عن عبد الملك بن أبي بشير ورفع الحديث قال: «ما من يوم إلا والجنةُ والنار يسألان، تقولُ الجنة: يا ربِّ قد طابت ثماري، وأطَّردت أنهاري، واشتقتُ إلى أوليائي، فعجِّل إليَّ بأهلي. وتقول النارُ: اشتدّ حرِّي، وبَعُدَ قعري، وعظُمَ جمري، فعجِّل إليَّ بأهلي»[3].

وفي « صحيح » البخاري من حديث أنس عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « بينما أنا أسير في الجنة ، وإذا بنهر في الجنة حافتاه قباب الدرِّ المجوف . قال : قلت : يا جبريل ما هذا؟ قال : هذا الكوثرُ الذي أعطاكَ ربُّك ، فضرب الملك بيده فإذا طينه المسك الأذفَر »[4] .

= الجنة : بلفظ : حفت . قال النووي : قال العلماء : هذا من بديع الكلام وفصيحه وجوامعه التي أوتيها ﷺ من التمثيل الحسن ، ومعناه : لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكاره ، والنار إلا بالشهوات . وكذلك هما محجوبتان بهما ، فمن هتك الحجاب وصل إلى المحبوب . فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات .

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٠) في التفسير : باب ﴿ وتقولُ هَلْ مِنْ مَزِيد ﴾ ، ومسلم (٢٨٤٦) في الجنة : باب (١٣) النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء . ولفظ البخاري « تحاجت » ، ومسلم «احتجت، وتحاجت».

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٦٠) في بدء الخلق : باب صفة النار وأنها مخلوقة ، ومسلم (٦١٧) في المساجد ، باب (٣٢) استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر ، وكلاهما عن أبي هريرة .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « صفة الجنة » (٨٦) مختصراً .

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٨١) في الرقاق ، باب في الحوض . =

وفي « صحيح » مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «دخلتُ الجنَّة فرأيتُ فيها قصراً وداراً فقلتُ: لمن هذا، فقيل: لرجلٍ من قريشٍ، فرجوتُ أن أكونَ أنا هو، فقيل لعمر بن الخطاب، فلولا غيرتُكَ يا أبا حفص لدخلتُه»، قال: فبكى عمر، وقال: أوَ يُغار عليك يا رسول الله؟[1]. وسيأتي حديث بلال، وقول النبي ﷺ: « ما دخلتُ الجنَّة إلا سمعتُ خشخشتك بين يديَّ »[2] وغير ذلك من الأحاديث التي تأتي إن شاء الله تعالى

وقال عبدالله بن وهب: حدثنا معاوية بن صالح، عن عيسى بن عاصم، عن زِرِ بن حُبَيْش، عن أنس بن مالك قال: صلَّى بنا رسولُ الله ﷺ ذات يوم صلاة الصُبح، ثم مدَّ يده، ثم أخَّرها، فلما سلَّم قيل له: يا رسول الله، لقد صنعت في صلاتك شيئاً لم تصنعه في غيرها، قال: «إني أُريتُ الجنَّة، فرأيتُ فيها دالية، قُطوفُها دانية، حَبُّها كالدُّباءِ، فأردت أن أتناول منها، فأُوحِيَ إليها أن استأْخِري فاستأخرت، ثم أريتُ النار فيما بيني وبينكم، حتى لقد رأيتُ ظلِّي وظلَّكُم، فأومأتُ إليكُم أن استأخِروا فأُوحي إليّ أقرّهم، فإنك أسلمت وأسلموا، وهاجرت وهاجروا، وجاهدتَ وجاهدوا، فلم أرَ لي عليكم فضلاً إلا بالنُّبوةِ »[3].

فإن قِيل: فما منعكم منِ الاحتجاجِ على وجودِها الآن بقصةِ آدم، ودخوله الجنَّة وإخراجه منها بأكلِهِ من الشجرةِ، والاستدلال بها في غاية الظُّهورِ؟

= حافتاه: جانباه. المجوف: الضخم الجوف. والجوف من كل شيء داخله وباطنه. والكوثر: الخير الكثير، ونهر في الجنة، يصب في الحوض. المسك الأذفر: المسك الجيّد.

(١) أخرجه مسلم (٢٣٩٤) في فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٥٧) في فضائل الصحابة: باب من فضائل أم سليم، وبلال رضي الله عنهما والخشخشة، صوت الشيء اليابس إذا حَكَّ بعضه بعضاً.

(٣) لم نجده بهذا السياق، وحديث رؤية الجنة، ودنو الرسول منها مذكور في «صحيح» مسلم، وسبق تخريجه قريباً بغير هذا السياق، ص ٤٤ ت (٣) من حديث أنس رضي الله عنه مختصراً.

قيل : الاستدلال بذلك وإن كان عند العامة في غاية الـظهور ، فهـو في غاية الغمـوض لاختلاف النـاس في الجنة ، التي أسكنها آدم،هل كانت جنة الخُلدِ التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة ، أو كانت جنة في الأرض في شرفها ؟ ونحن نذكر من قال بهذا ومن قال بهذا ، وما احتجّ به كل فريق على قولهم ، وما ردّ به الفريقُ الآخر عليهم بحول الله ، وقوته .

الباب الثاني

في اختلاف الناس في الجنة التي أُسكِنَها آدمُ، عليه الصلاة والسلام وأهبط منها.

هل هي جنة الخلد، أم جنة أخرى غيرها في موضع عال من الأرض ؟

قال منذر بن سعيد في « تفسيره » : وأمّا قوله تعالى لآدم : ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوجُكَ الجنَّةَ ﴾ [البقرة : ٣٥] فقالت طائفةٌ : أُسكنَ الله آدم جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة ، وقال آخرون : هي جنة غيرها جعلها الله له وأسكنه إياها، ليست جنة الخلد، قال : وهذا قول تكثر الدلائل الشاهدة له ، والموجبة للقول به . وقال أبو الحسن الماوردي في « تفسيره » : واختلف الناس في الجنة التي أسكناها على قولين .

أحدهما : أنها جنة الخلد .

الثاني : أنها جنة أعدها الله تعالى لهما، وجعلها دار ابتلاء، وليست جنة الخلد التي جعلها دار جزاء، ومن قال بهذا اختلفوا فيه على قولين :

أحدهما : أنها في السماء ، لأنه أَهْبَطَهما منها . وهذا قول الحسن .

الثاني : أنها في الأرض ، لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نهيا عنها دون غيرها من الثمار ، وهذا قول ابن بحر ، وكان ذلك بعد أن أُمر إبليس بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام . والله أعلم بصواب ذلك . هذا كلامه .

وقال ابن الخطيب[1] في «تفسيره» المشهور : واختلفوا في الجنة المذكورة في هذه الآية ، هل كانت في الأرض أم في السماء ؟ وبتقدير أنها كانت في

---

(١) أي الفخر الرازي صاحب «التفسير الكبير» المسمى «مفاتيح الغيب».

السماء ، فهل هي الجنة التي هي دار الثواب وجنة الخلد ، أو جنة أخرى ؟ فقال أبو القاسم البلخي ، وأبو مسلم الأصبهاني : هذه الجنة [كانت] في الأرض ، وحملا الإهباط على الانتقال من بقعةٍ إلى بقعة ، كما في قوله : ﴿اهْبِطُوا مِصْراً﴾ [البقرة: ٦٠] واحتجا عليه بوجوه .

القول الثاني : وهو قول الجُبَّائي : أن تلك الجنة كانت في السماءِ السابعة .

والقول الثالث : وهو قول جمهور أصحابنا : أن هذه الجنة هي دار الثواب .

وقال أبو القاسم الراغب في « تفسيره » : واختلف في الجنة التي أسكنها آدم ، فقال بعض المتكلمين : كان بستاناً جعله الله تعالى له امتحاناً ولم تكن جنة المأوى ، وذكر بعض الاستدلال على القولين .

وممن ذكر الخلاف أيضاً أبو عيسى الرُّمَّاني في « تفسيره » واختار أنها جنة الخلد ، ثم قال : والمذهب الذي اخترناه ، قول الحسن وعمرو ، وواصل وأكثر أصحابنا ، وهو قول أبي علي ، وشيخنا أبي بكر ، وعليه أهل التفسير ، واختار ابن الخطيب التوقف في المسألة ، وجعله قولاً رابعاً فقال :

والقول الرابع : أن الكل ممكن ، والأدلة متعارضة ، فوجب التوقف وترك القطع[1] .

قال منذر بن سعيد : والقول بأنها جنة في الأرض ليست جنة الخلد قول أبي حنيفة وأصحابه قال : وقد رأيت أقواماً نهضوا لمخالفتنا في جنة آدم [عليه السلام] ، بتصويب مذهبهم من غير حجة إلا الدعاوى والأماني ، ما أتوا بحجةٍ من كتاب ولا سنة ، ولا أثر عن صاحب ، ولا تابع ، ولا تابع التابع ، لا موصولاً ولا شاذاً مشهوراً .

وقد أوجدناهم أن فقيه العراق ومن قال بقوله ، قالوا : إن جنة آدم ليست جنة الخلد ، وهذه الدواوين مشحونة من علومهم ، ليسوا عند أحدٍ من الشاذين

(١) الأقوال الأربعة: ذكرها الفخر الرازي ٣/٣ - ٤ .

بل من رؤساء المخالفين . وإنما قلت : هـذا ليعلم أني لم أنصر مـذهب أبي حنيفة ، وإنما أنصر ما قام لي عليه الدليل من القـرآن والسنة . هـذا ابن مُزَين المالكي يقول في « تفسيره » : سألتُ ابن نافع عن الجنة أمخلوقة هي ؟ فقال : السكوت عن الكلام في هذا أفضل ، وهذا ابن عيينة يقول في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ إنَّ لَـكَ أَلَّا تَجُـوعَ فِيهـا ولاَ تَعْـرَى ﴾ [طـه : ١١٨] قـال : يعني في الأرض ، وابن نافع : إمام ، وابن عُيَيْنَةَ : إمام ، وهم لا يأتوننا بمثلهما،و[لا] من يضاد قوله قولهما .

وهـذا ابن قُتَيْبَة ذكـر في كتاب « المعـارف » بعد ذكـره : خلق الله لآدم وزوجه ، قال : ثم تركهما ، وقال : أثمروا وأكثروا ، واملؤا الأرض، وتسلطوا على أنوانِ(١) البحور ، وطير السماء ، والأنعام ، وعشبِ الأرض ، وشجرها ، وثمرها ، فأخبرَ أن في الأرضِ خلقه ، وفيها أمره ، ثم قال : ونصبَ الفردوسَ فانقسم على أربعة أقسام : سَيحونُ، وجيحـونُ، ودِجلة ، والفرات ، ثم ذكـرَ الحيَّة فقال : وكـانت أعظمَ دواب البـرِّ ، فقالت للمـرأة : إنَّكما لا تمـوتان إن أَكَلْتُما من هذه الشجرة .

ثم قال ـ بعد كلام ـ : ثم أخرجه من مشرق جنة عدن إلى الأرض ، التي منهـا أُخِذَ ، ثم قـال : قال وهب : وكـان مهبطُهُ حين أهبطَ من جنَّـة عدن في شـرقي أرض الهند . قـال : واحتمل قـابيلُ أخـاه حتى أتى به واديـاً من أودية اليمن ، في شرقي عدن ، فكمن فيه . وقال غيره فيما نقل أبو صـالح عن ابن عباس في قوله : ﴿ اهبطوا ﴾ ، هو كما يقول : هبط فلان أرض كذا وكذا .

قال منذر بن سعيـد : فهذا وهب بن مُنَبـه يحكي : أنَّ آدم عليه السـلام خُلِقَ في الأرض ، وفيها سكن ، وفيها نُصب له الفردوسُ ، وأنه كان بعـدن ، وأن الأربعة أنهار انقسمت من ذلك النهر الذي كان يُسمَّى فردوس آدم ، وتلك الأنهار بقيت في الأرض ، لا اختلاف بين المسلمين في ذلك ، فاعتبروا يا أولي الألبـاب . وأخبر أن الحيـة التي كلمت آدم كانت من أعـظم دواب البر ، ولم

---

(١) « المعارف » ص ١١ . والأنوان : جمع نون ، وهو حوت البحر .

يقل : من أعظم دواب السماء ، فهم يقولون : إن الجنة لم تـكن في الأرض وإنما كانت فوق السماء السابعة .

ثم قال : وأخرجه من مشرق جنة عدن ، وليس في جنة المأوى مشرق ولا مغرب ، لأنه لا شمس فيها .

ثم قال : وأخرجه إلى الأرض التي أخذ منها ، يعني أخرجه من الفردوس الذي نصب له في عدن ، في شرقي أرض الهند . وهذه الأخبار التي حكى ابن قتيبة ، إنما تنبىء عن أرض اليمن ، وعن عدن ، وهي من أرض اليمن ، وأخبر أن الله نصب الفردوس لآدم عليه الصلاة والسلام بعدن ، ثم أكَّد ذلك بأن قال : الأربعة أنهار التي ذكرنا منقسمة عن النهر الذي كان يسمى فردوس آدم .

قال منذر: وقال ابن قُتَيْبَة عن ابن منبّه عن أبيّ قال : واشتهى آدم عند موته قِطفاً من الجنَّة التي كان فيها ـ بزعمهم على ظهـرِ السماءِ السـابعة ، وهـو في الأرض ، فخرج أولاده : يطلبون ذلك له ، حتى بلغتهم الملائكة موته ، فأولاد آدم كانوا مجانين عندكم إن كان ما نقله ابن قتيبة حقاً ، يطلبون لأبيهم ثمرة جنة الخلد في الأرض .

قال : ونحن لم ننقل عشر ما قال هؤلاء ، ولو كانت جنَّة الخلد ، لخُلِّد فيها ، ونحن استدللنا من القرآن ، وغيرنا قطع وادَّعى ما ليس له عليه برهان . فهذا ذكر بعض أقوال من حكى الخلاف في هذه المسألة ، ونحن نسوق حجج الفريقين إن شاء الله تعالى ، ونبين ما لهم وما عليهم ، إن شاء الله .

الباب الثالث

في سياق حجج من اختار أنها جنة الخلد التي يدخلها الناس يوم القيامة .

قالوا : قولنا هذا هو الذي فطرَ الله عليه الناسَ صغيرهم وكبيرهم ، لم يخطر بقلوبهم سواه ، وأكثرُهم لا يعلم في ذلك نزاعاً .

قالوا : وقد روى مسلم في « صحيحه » من حديث أبي مالك ، عن أبي حازم ،عن أبي هريرة، وأبي مالك،عن ربعي ، عن حذيفة قالا : قال رسولُ الله ﷺ: «يجمعُ الله تعالى الناسَ، فيقومُ المؤمنونَ حتَّى تُزْلَفُ لهم الجنةُ، فيأتونَ آدمَ [عليه السلام] فيقولون : يا أبانا : استفتحْ لنا الجنَّة : فيقول : وهل أخرجَكُم من الجنَّة إلا خطيئةُ أبيكم ؟ »[1] وذكر الحديث .

قالوا : وهذا يدل على أن الجنّة التي أخرج منها هي بعينها التي يطلب منه أن يستفتحها .

وفي « الصحيحين » حديث احتجاج آدم وموسى ، وقول موسى : أخرجتنا ونفسك من الجنة[2] ، ولو كانت في الأرض ، فهم قد خرجوا من بساتين ، فلم يخرجوا من الجنة . وكذلك قول آدم للمؤمنين يوم القيامة : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم ؟ وخطيئته لم تخرجهم من جنات الدنيا .

قالوا : وقد قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ وقلْنا يا آدمُ اسكنْ أنتَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٥) في الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها . ومعنى تزْلف : أي تُقرَّب .

(٢) أخرجه البخاري (٦٦١٤) في القدر : باب تحاج آدم وموسى عند الله، ومسلم (٢٦٥٢) في القدر : باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام .

وزوجُك الجنَّةَ وكُلا منها رَغداً حيثُ شِئتُما ولا تَقْرَبا هـذه الشَّجرةَ فتكُـونا مِن الظَّالِمينَ . فأَزَلَّهما الشَّيطانُ عنها فأخرجهُما مِمَّا كانا فيه وقلْنـا اهبطُوا بعضُكُمْ لبعض عَدوٌّ ولكمْ في الأرضِ مُستقرٌ ومَتاعٌ إلى حينٍ ﴾ [البقرة : ٣٥ - ٣٦] .

فهـذا يـدل على أن هبـوطهم كـان من الجنـة إلى الأرض من وجهين :
أحدهما : من لفـظة: ﴿ اهبطوا ﴾ ، فـإنه نـزول من عُلو إلى سُفل .

والثاني قوله: ﴿ولَكُمْ في الأرضِ مُسْتَقر﴾ [البقرة: ٣٦]. عقيب قوله: ﴿اهبـطوا﴾. فدلّ على أنهم لم يكـونوا قبـل ذلك في الأرض، ثم أكَّـد هـذا بقوله في سورة الأعراف: ﴿قال فيها تَحيَوْنَ وفيها تموتُونَ، ومنها تُخرَجُـون﴾ [الأعـراف: ٢٥]، ولـو كـانت الجنـة في الأرض لكـانت حيـاتهم فيهـا قبـل الإخراج وبعده.

قالوا : وقد وصف سبحانه جنة آدم بصفات لا تكون إلا في جنـة الخلد فقال : ﴿ إنَّ لَكَ ألاَّ تَجُوعَ فِيهَا ولا تَعْـرَى وَأَنَّك لا تَظمأ فيها ولا تضحى ﴾ . [طه : ١١٨ - ١١٩] ، وهذا لا يكون في الدنيا أصلاً، فإن الرجل ولو كان في أطيب منازلها فلا بد أن يعرض له شيء من ذلك ، وقابل سبحانه بين الـجـوع والعري ، والـظمأ والضحى ، وذلك أحسن من المقـابلة بين الجوع والعـطش ، والعري والضحى . فإن الجوع ذلّ الباطن ، والعري ذلُّ الظاهـر ، والظمـأُ حرُّ الباطن ، والضحى حرُّ الظاهر . فنفى عن سـاكنها ذلَّ الـظاهر والبـاطن ، وحرَّ الظاهر والباطن ، وهذا شأن ساكن جنة الخلد .

قالوا : وأيضاً ، فلو كانت تلك الجنة في الدنيا لعلم آدم كذب إبليس في قوله : ﴿ هلْ أدُلُّـك على شجرةِ الخُلدِ ومُـلكٍ لا يَبْلى ﴾ [طهٰ : ١٢٠] . فـإن آدم كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية ، وأن ملكها يبلى .

قالوا : وأيضاً هذه القصة في سورة البقرة ظاهرة جداً في أن الجنـة التي أخرج منها فوق السماء، فإنه سبحانه قال : ﴿ وإذْ قُلنَا للملائِكَةِ اسجدُوا لآدَمَ فَسَجدُوا إلا إبليسَ أَبى واستكْبرَ وكانَ مِنَ الكافرينَ وقلنا يـا آدمُ اسكنْ أنْتَ وزوجُكَ الجنَّةَ وكُلا مِنها رَغَداً حيثُ شِئتُما ولا تَقْرَبا هـذِهِ الشَّجرةَ فتكـونا مِنَ الظالمينَ . فأزلَّهما الشَّيطانُ عنها فأخرَجهُمَا ممَّا كانَا فيهِ وقُلنـا اهبطُوا بعضُكم

لبعضٍ عدوٌّ ولكُمْ في الأرضِ مُستَقَرٌ ومتاعٌ إلى حينٍ . فَتلقَّى آدَمُ من رَبِّهِ كلماتٍ فتابَ عليهِ إنَّهُ هُوَ التّوابُ الرَّحيمُ ﴾ [البقرة : ٣٤ ـ ٣٧] . فهذا إهباط آدم وحواء وإبليس من الجنة ، ولهذا أتى فيه بضمير الجمع . وقد قيل : إن الخطاب لهما وللحية ، وهذا ضعيف جداً ، إذ لا ذكر للحية في شيء من قصة آدم ، ولا في السياق ما يدل عليها . وقيل : الخطاب لآدم وحواء، وأتى فيه بضمير الجمع كقوله : ﴿ وكُنّا لِحُكمهم شاهدينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٨] . وهما داود وسليمان ، وقيل: لآدم وحواء وذريتهما.

وهذه الأقوال ضعيفة غير الأول ، لأنها بين قول لا دليل عليه ، وبين ما يدل اللفظ على خلافه ، فثبت أن إبليس داخل في هذا الخطاب وأنه من المهبطين ، فإذا تقرر هذا ، فقد كرَّر سبحانه الإهباط ثانياً بقوله : ﴿ قلنا اهبطُوا منها جميعاً فإما يأتينَّكم مني هُدىً فمن تبعَ هُداي فلا خَوفٌ عليهِمْ ولا هم يحزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٣٨] . والظاهر أن هذا الإهباط الثاني غير الأول ، وهو إهباط من السماء إلى الأرض ، والأول إهباط من الجنة. وحينئذ فتكون الجنة التي أهبط منها أولاً فوق السماء جنة الخلد، وقد ظن الزمخشري أن قوله : ﴿ اهبطُوا منها جميعاً ﴾ خطاب لآدم وحواء خاصة وعبر عنهما بالجمع لاستتباعهما ذرياتهما . قال : والدليلَ عليه قوله تعالى : ﴿ قالَ اهبطا مِنها جَمِيعاً بعضُكم لبعضٍ عدوٌّ ﴾ [طه : ١٢٣] . قال : ويدل على ذلك قوله : ﴿ فَمَنْ تبعَ هُدَايَ فلا خوفٌ عليهم ولا هُم يَحزَنُونَ ، والذين كفرُوا وكذبُوا بآياتِنا أولئكَ أصحابُ النَّارِ هُمْ فيها خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٣٨ ـ ٣٩] . وما هو إلا حكم يعمُّ الناس كلهم(١).

ومعنى [قوله] : ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾، ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم بعضاً . وهذا الذي اختاره أضعف الأقوال في الآية ، فإن العداوة التي ذكرها الله تعالى إنما هي بين آدم وإبليس وذريتهما ، كما قال الله تعالى : ﴿ إنَّ الشيطانَ لَكُمْ عدوٌّ فاتخذُوهُ عدوًّا ﴾ [فاطر : ٦] ، وهو سبحانه قد أكَّد أمر العداوة بين الشيطان والإنسان ، وأعاد وأبدى ذكرها في

---

(١) انظر الكشاف: ١/٢٧٤.

القرآن ، لشدة الحاجة إلى التحرز من هذا العدو ، وأما آدم وزوجته ، فإنه إنما أخبر في كتابه أنه خلقها ليسكن إليها ، وجعل بينهما مودة ورحمة ، فالمودة والرحمة بين الرجل وامرأته ، والعداوة بين الإنسان والشيطان .

وقد تقدم ذكر آدم وزوجه وإبليس وهم ثلاثة ، فلماذا يعود الضمير على بعض المذكور مع منافرته لطريق الكلام دون جميعه ، مع أن اللفظ والمعنى يقتضيه ، فلم يصنع الزمخشري شيئاً .

وأما قوله تعالى في سورة [طه] : ﴿ **قَالَ اهبِطَا مِنْها جَميعاً بَعضُكُمْ لِبعضٍ عَدوٌّ** ﴾ [طه : ١٢٣] . وهذا خطاب لآدمَ وحواء ، وقد جعل بعضهم عدواً لبعض : فالضمير في قوله : ﴿ **اهبطَا مِنهـا** ﴾ إما أن يرجع إلى آدم وزوجه ، أو إلى آدم وإبليس ، ولم يذكر الزوجة لأنها تبع له : وعلى هذا ، فالعداوة المذكورة للمخاطبين بالإهباط ، وهما آدم وإبليس ، فالأمر ظاهر ، وأما على الأول ، فتكون الآية قد اشتملت على أمرين :

أحدهما : أمره تعالى لآدم وزوجه بالهبوط .

والثاني : إخباره بالعداوة بين آدم وزوجه ، وبين إبليس ، ولهذا أتى بضمير الجمع في الثاني دون الأول ، ولا بدَّ أن يكون إبليس داخلاً في حكم هذه العداوة قطعاً ، كما قال تعالى : ﴿ **إنَّ هذا عدوٌّ لكَ ولزوجِكَ** ﴾ [طه : ١١٧] . وقال للذرية : ﴿ **إنَّ الشَّيطانَ لَكُمْ عَدوٌّ فاتخذُوهُ عَدوًّا** ﴾ [فاطر : ٦] .

وتأمل كيف اتفقت المواضع التي فيها ذكر العداوة على ضمير الجمع دون التثنية ؟ وأما الإهباط فتارة يذكره بلفظ الجمع ، وتارة بلفظ التثنية ، وتارة بلفظ الإفراد ، كقوله في سورة الأعراف : ﴿**قال اهبط منها**﴾ ، وكذلك في سورة ﴿ص﴾ ، وهذا لإبليس وحده ، وحيث ورد بصيغة الجمع ، فهو لآدم وزوجه وإبليس ، إذ مدار القصة عليهم ، وحيث ورد بلفظ التثنية ، فإما أن يكون لآدم وزوجه ، إذ هما اللذان باشرا الأكل من الشجرة ، وأقدما على المعصية ، وإما أن يكون لآدم وإبليس ، إذ هما أبوا الثقلين ، وأصلا الذرية ، فذكر حالهما ، ومآل أمرهما

ليكون عظة وعبرة لأولادهما ، وقد حكيت القولين في ذلك .

والذي يوضح أن الضمير في قوله : ﴿ اهبطَا منها جميعاً ﴾ لآدم وإبليس ، أن الله سبحانه لما ذكر المعصية أفرد بها آدم دون زوجه فقال : ﴿ وعَصَى آدمُ ربَّهُ فغَوى ، ثُمَّ اجتباهُ ربُّه فتابَ عليهِ وَهَدَى ، قال اهبطَا مِنها جميعاً ﴾ [طه : ١٢١ ـ ١٢٣] . وهذا يدل على أن المخاطب بالإهباط هو آدم، ومن زين له المعصية ، ودخلت الزوجة تبعاً ، فإن المقصود إخبار الله تعالى للثقلين ، بما جرى على أبويهما من شؤم المعصية ، ومخالفة الآمر ، فذكر أبويهما أبلغ في حصول هذا المعنى ، ومن ذكر أبوي الإنس فقط . .

وقد أخبر سبحانه عن الزوجة بأنها أكلت مع آدم ، وأخبر أنه أهبطه وأخرجه من الجنة بتلك الأكلة ، فعلم أن حكم الزوجة كذلك ، وأنها صارت إلى ما صار إليه آدم ، وكان تجريد العناية إلى ذكر حال أبوي الثقلين أولى من تجريده إلى ذكر أبي الإنس وأمهم ، فتأمله . وبالجملة فقوله ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدوٌّ ﴾ :ظاهر في الجمع ، فلا يسوغ حمله على الاثنين في قوله : ﴿ اهبطا ﴾ من غير موجب .

قالوا : وأيضاً فالجنة جاءت معرفة بلام التعريف في جميع المواضع ، كقوله : ﴿ أَسْكُنْ أنتَ وزَوجُكَ الجنَّةَ ﴾ [البقرة : ٣٥] . ونظائره ، ولا جنة يعهدها المخاطبون ويعرفونها إلا جنة الخلد التي وعد الرحمن عباده بالغيب ، فمد صار هذا الاسم علماً عليها بالغلبة كالمدينة والنجم والبيت والكتاب ونظائرها ، فحيث ورد لفظها معرفاً انصرف إلى الجنة المعهودة المعلومة في قلوب المؤمنين ، وأما إن أريد به جنة غيرها فإنها تجيء منكرة ، أو مقيدة بالإضافة ، أو مقيدة من السياق بما يدل على أنها جنة في الأرض :

فالأول : كقوله : ﴿ جنّتينِ مِنْ أَعْنَابِ ﴾ [ألكهف: ٣٢].

والثاني : كقوله : ﴿ ولَوْلا إذْ دخَلْتَ جنَّتَكَ ﴾ [الكهف : ٣٩] .
والثالث : كقوله : ﴿ إنَّا بَلوْنَاهُمْ كما بلونا أصحابَ الجنَّةِ ﴾ [القلم : ١٧] .

قالوا : ومما يدل على أن جنة آدم هي جنة المـأوى ، ما روى هـوذة بن خليفة عن عوف ، عن قسامة بن زهيـر عن أبي موسى الأشعـري قال : إنَّ الله تعالى لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة ، وعلّمه صنعة كلٍّ شيء ، فثماركم هذه من ثمار الجنة ، غير أن هذه تتغيَّر وتلك لا تتغيَّر .

قالوا : وقد ضمن الله سبحانه وتعالى له إن تاب إليـه ، وأناب أن يعيـده إليها ، كما روى المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ فَتلقَّى آدمُ مِنْ ربِّهِ كَلِماتٍ فتابَ عليهِ ﴾ [البقرة : ٣٧] . قال : يـا رب ألـم تخلقني بيدك ؟ قال : بلى ، قال : أيْ ربُّ ألم تنفخ فيَّ من روحـك ؟ قال : بلى ، قال : أيْ رَبِّ ألم تسكني جنتكَ ؟ قال : بلى ، قال : أيْ رَبِّ ألـم تسبق رحمتك غضبك ؟ قال : بلى ، قال أرأيتَ إن تبتُ وأصلحتُ أراجعي أنت إلى الجنة ؟ قال : بلى ، قال : فهو قوله تعالى : ﴿ فتلقَّى آدمُ من رَبِّه كَلماتٍ فتابَ عليه ﴾ وله طرق عن ابنِ عباس ، وفي بعضها : كأن آدم قال لربـه إذ عصاه : ربِّ إن أنا تبتُ وأصلحتُ ، فقال له ربه : إني راجعك إلى الجنة . فهذا بعض ما احتج به القائلون بأنها جنة الخلد ، ونحن نسوق حُجج الآخرين .

الباب الرابع

في سياق حجج الطائفة التي قالت : ليست جنة الخلد ، وإنما هي جنة في الأرض .

قالوا : هذا قول تكثر الدلائل الموجبة للقول به ، فنذكر بعضها .

قالوا : قد أخبر الله سبحانه على لسان جميع رسله : أن جنة الخلد إنما يكون الدخول إليها يوم القيامة ، ولم يأت زمن دخولها بعد ، وقد وصفها الله سبحانه وتعالى لنا في كتابه بصفاتها ، ومحال أن يصف الله سبحانه وتعالى شيئاً بصفة ، ثم يكون ذلك الشيء بغير تلك الصفة التي وصفها .

قالوا : فوجدنا الله تعالى وصف الجنة التي أعدت للمتقين بأنها ﴿ دارَ المُقَامة ﴾ [فاطر : ٣٥] . فمن دخلها أقام بها ، ولم يقم آدمُ بالجنة التي دخلها .

ووصفها بأنها ﴿ جَنَّةُ الخُلْدِ ﴾ [الفرقان : ١٥] . وآدم لم يخلد فيها .

ووصفها بأنها : دار ثواب وجزاء ، لا دار تكليف وأمر ونهي .

ووصفها بأنها : دار سلامة مطلقة ، لا دار ابتلاء وامتحان ، وقد ابتلي فيها آدم بأعظم الابتلاء .

ووصفها بأنها : دار لا يُعصى الله فيها أبداً ، وقد عصى آدم ربّه في جنته التي دخلها .

ووصفها بأنها : ليست دار خوف ولا حَزَن ، وقد حصل للأبوين فيها من الخوف والحزن ما حصل .

وسمّاها : ﴿ دار السَّلام ﴾ [الأنعام : ١٢٧] ولم يسلم فيها الأبوان من الفتنة .

و﴿ دار القرار ﴾ [غافر : ٣٩] . ولم يستقرا فيها.

وقال في داخليها : ﴿ ومَا هُمْ منها بمُخرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٨].

وقال: ﴿لا يَمَسُّهم فيها نَصَبٌ﴾ [الحجر: ٤٨]. وقد ندّ فيها آدم هارباً فاراً، وطفق يخصف ورق الجنة على نفسه، وهذا النصب بعينه.

وأخبر أنه : ﴿ لا لغوٌ فيها ولا تأْثِيم ﴾ [الطور : ٢٣] . وقد سمع فيها آدم لغو إبليس وإثمه .

وأخبر أنه لا يسمع فيها لغو ولا كذاب ، وقد سمع فيها آدم [عليه السلام] كذبِ إبليس .

وقد سمّاها الله سبحانه وتعالى : ﴿ مقعَد صِدْقٍ ﴾ [القمر : ٥٥] ، وقد كذب فيها إبليس ، وحلف على كذبه .

وقال تعالى للملائكة : ﴿ إني جاعلٌ في الأرضِ خليفةً ﴾ [البقرة : ٣٠] ولم يقل : إني جاعل في جنة المأوى . فقالت الملائكة : ﴿ أتجعلُ فيها من يفسدُ فيها ويسفكُ الدماءَ؟﴾ [البقرة: ٣٠] ومحال أن يكون هذا في جنة المأوى.

وقد أخبر الله تعالى عن إبليس أنه قال لآدم: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ على شجرةِ الخلْدِ ومُلكٍ لا يَبلى ﴾ [طه : ١٢٠] . فإن الله سبحانه وتعالى قد أسكن آدم جنة الخلد والملك الذي لا يبلى ، فكيف لم يردّ عليه ويقول له : كيف تدلني على شيء أنا فيه ، وقد أعطيته ، ولم يكن الله سبحانه وتعالى قد أخبر آدم إذ أسكنه الجنة أنه فيها من الخالدين ، ولو علم أنها دار الخلد لما ركن إلى قول إبليس ، ولا مال إلى نصيحته ، ولكنه لما كان في غير دار خلود غرّه بما أطمعه فيه من الخلد .

قالوا : ولو كان آدم أسكن جنة الخلد ، وهي دار القُدْس التي لا يسكنها إلا طاهر مقدّس ، فكيف توصل إليها إبليس الرجس النجس المذموم المدحور ، حتى فتن فيها آدم [عليه السلام] ووسوس له ؟ وهذه الوسوسة إما أن تكون في قلبه ، وإما أن تكون في أذنه ، وعلى التقديرين ، فكيف توصل

اللعين إلى دخول دار المتقين. وأيضاً فبعد أن قيل له : ﴿ **اهبطْ مِنْها فَمَا يكونُ لكَ أنْ تَتَكَبَرَ فِيهَا** ﴾ [الأعراف : ١٣] ، أيفسح له أن يرقى إلى جنة المأوى فوق السماء السابعة بعد السّخط عليه ، والإبعاد له ، والزجر والطرد بعتوه واستكباره ، وهل هذا يلائم قوله : ﴿ **فَما يكونُ لكَ أن تَتَكَبَّرَ فيها** ﴾ فإن كانت مخاطبته لآدم بما خاطبه به وقاسمه عليه ليست تكبراً ، فما التكبر بعد هذا ؟ .

فإن قلتم : فلعل وسوسته وصلت إلى الأبوين ، وهو في الأرض ، وهما فوق السماء في علّيين ، فهذا غير معقول لغة ولا حساً ولا عرفاً ، وإن زعمتم أنه دخل في بطن الحية حتى أوصل إليهما الوسوسة فأبطل وأبطل ، إذ كيف يرتقي بعد الإهباط إلى أن يدخل الجنة ، ولو في بطن الحية ؟

وإذا قلتم : إنه دخل في قلوبهما ، ووسوس إليهما ، فالمحذور قائم ، وأيضاً فإن الله سبحانه وتعالى حكى مخاطبته لهما كلاماً سمعاه شِفاهاً ، فقال : ﴿ **مَا نَهاكُما رَبُّكما عنْ هـذِه الشَّجرةِ** ﴾ [الأعراف : ٢٠] وهذا دليل على مشاهدته لهما وللشجرة ، ولما كان آدم خارجاً من الجنة ، وغير ساكن فيها قال الله تعالى له : ﴿ **ألَمْ أنهَكُما عَنْ تِلْكُما الشَّجرةِ** ﴾ [الأعراف : ٢٢] ولم يقل عن هذه الشجرة ، فعندما قال لهما : ﴿ **ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ** ﴾ [الأعراف : ٢٠] لما أطمعهما في ملكها ، والخلود في مقرها أتى باسم الإشارة بلفظ الحضور تقريباً لها وإحضاراً لها عندهما ، وربهما تعالى قال لهما : ﴿ **أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ** ﴾ [الأعراف : ٢٢] ، ولما أراد إخراجهما منها ، فأتى باسم الإشارة بلفظ البُعد والغيبة ، كأنهما لم يبق لهما من الجنة حتى ولا مشاهدة الشجرة التي نهيا عنها ، وأيضاً فإنه سبحانه قال : ﴿ **إليهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطيِّبُ** ﴾ [فاطر : ١٠] ووسوسة اللعين من أخبث الكَلِم ، فلا تصعد إلى محل القدس .

قال منذر : وقد روي عن النبي ﷺ : «**أن آدم عليه السلام نام في جنته**»[1] وجنة الخلد لا نوم فيها بالنصّ ، وإجماع المسلمين ، فإن النبي ﷺ

---

(١) ذكره السيوطي في « الدرر المنثور » ١/٥٢ . ونسبه لمجاهد ، موقوفاً عليه .

سئل : أينامُ أهلُ الجنةِ ؟ قال : « لا ، النومُ أخوُ الموتِ ، والنومُ وفاةٌ »[1] وقد نطق به القرآن ، والوفاة تقلب حال ، ودار السلام مسلمة من تقلب الأحـوال ، والنائم ميت أو كالميت .

قلت : الحديث الذي أشار إليه المعـروف أنه موقوف من رواية ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : خلقت حواءُ من قصيرى آدم وهو نائم[2] .

وقال أسباط : عن السـدي : أُسكن آدم [عليه السـلام] الجنة ، وكـان يمشي فيها وَحِشَاً ليس له زوج يسكن إليها ، فنام نومةً ، فاستيقظ فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه ، فسألهـا ما أنت ؟ قـالت : امرأة قـال : ولِمَ خلقت ؟ قالت : لتسكنَ إليَّ .

وقـال ابن إسحاق عن ابن عبـاس : ألقى [الله] على آدم عليه السـلام السِّنَةَ ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه من شقه الأيسر ، ولأم مكانه لحماً ، وآدم نائم لم يهب من نومته ، حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء ، فسوّاها امرأة يسكن إليها ، فلما كشف عنه السِّنَةَ، وهبَّ من نـومته رآهـا إلى جنبه فقـال : لحمي ودمي وزوجتي ، فسكن إليها .

قالوا : ولا نزاع أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم في الأرض ، ولم يذكر في موضع واحد أصلاً أنه نقله إلى السماء بعد ذلك ، ولو كان قد نقله بعد ذلك إلى السماء لكان هذا أولى بالذكر ، لأنه من أعظم الآيـات ، ومن أعظم النعم عليه ، فإنه كان معراجاً ببدنه وروحه من الأرض إلى فوق السماوات .

قالوا : وكيف ينقله سبحانه ويسكنه فوق السماء ، وقد أخبر ملائكتـه أنه جاعله في الأرض خليفة،وكيف يسكنه دار الخلد التي من دخلها يخلد فيها، ولا يخرج منها ؟ قال تعالى : ﴿ ومـا هـمْ منها بمخْـرجينَ ﴾ [الحجر : ٤٨] قالوا : ولو لم يكن معنا في المسألة إلا أن الله سبحانه أهبط إبليس من السماء

---

(١) أخرج نحوه الطبراني في « الأوسط » كما في « المجمع » ١٠/٤١٥ ، وأحمد في « الزهد » ص ١٥ ، وأبو نعيم في « الحلية » ٧/٩٠ و« صفة الجنة » (٩٠) .

(٢) تتمة الحديث رقم (١) ، وهو موقوف من قول مجاهد . والمراد بقصيراه : أسفل أضلاعـه ، أو آخر ضلع في الجنب «القاموس المحيط».

حين امتنع من السجود لآدم [عليه السلام] ، وهذا أمر تكوين لا يمكن وقوع خلافه ، ثم أدخل آدم [عليه السلام] الجنة بعد هذا ، فإن الأمر بالسجود كان عقب خلقه من غير فصل ، فلو كانت الجنة فوق السماوات لم يكن لإبليس سبيل إلى صعوده إليها ، وقد أهبط منها .

وأما تلك التقادير التي قدرتموها فتكلفات ظاهرة ، كقول من قال : يجوز أن يصعد إليها صعوداً عارضاً لا مستقراً ، وقول من قال : أدخلته الحية ، وقول من قال : دخل في أجوافها ، وقول من قال : يجوز أن تصل وسوسته إليهما وهو في الأرض ، وهما فوق السماء ، ولا يخفى ما في ذلك من التعسف الشديد ، والتكلف البعيد ، وهذا بخلاف قولنا . فإنه سبحانه لما أهبطه من ملكوت السماء حيث لم يسجد لادم [عليه السلام] أُشرِبَ عداوته ، فلما أسكنه جنته ، حسده عدوه ، وسعى بكيده وغروره في إخراجه منها . والله أعلم .

قالوا : ومما يدلّ على أن جنة آدم لم تكن جنة الخلد التي وعد المتقون : أن الله سبحانه لما خلقه أعلمه أن لعمره أجلاً ينتهي إليه ، وأنه لم يخلقه للبقاء ، كما روى الترمذي في « جامعه » من حديث أبي هريرة قال : قال رسول رسول الله ﷺ : « لما خَلَقَ الله آدم [عليه السلام] ونَفَخَ فيه الرُّوحَ عَطَسَ، فقال : الحمدُ لله [فحمدَ الله] بإذنه . فقال ربُّه : يرحمكَ الله يا آدمُ ، اذهبْ إلى أولئكَ الملائكةِ إلى ملأ منهم جلوس فقلْ : السلام عليكم [قالوا : وعليك السلام] ، ثم رجع إلى ربِّه فقال : إنَّ هذه تحيتكَ وتحية بنيكَ بينهم فقال الله له ويداه مقبوضتانِ : اختر أيهما شئت ، فقال : اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمينٌ مباركةٌ ، ثم بسطها فإذا فيها آدمُ وذريته فقال: يا رب ما هؤلاء؟ قال : هؤلاء ذريتُكَ ، فإذا كلُّ إنسان مكتوب عمره بين عينيه ، فإذا فيهم رجل أضوؤهم ، أو من أضوئهم قال :يا ربِّ من هذا ؟قال: هذا ابنُكَ داود وقد كتبتُ لَهُ عُمُر أربعينَ سنةً . قال : يا ربِّ زِدْ في عمره ، قال: ذلك الذي كتبتُ له . قال : أي ربِّ ، فإني قد جعلتُ له من عمري ستين سنةً . قال : أنت وذاك ، قال : ثم أُسكنَ الجنةَ ما شاء الله ، ثم أهبط منها . فكان آدم [عليه السلام] يعدُّ لنفسه : فأتاه مَلَكُ الموتِ فقال له آدم : قد عجلتَ قد كتبت لي ألفُ سنةٍ . قال بلى ،

ولكنَّكَ جعلتَ لابنك داودَ ستين سنةً ، فجحَدَ فجحدتْ ذريتُه ، ونسي فنسيت ذريتُه ، قال فمن يومئذ أمرَ بالكتاب والشهودِ »[1] قال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة .

قالوا : فهذا صريح في أن آدم عليه السلام لم يخلق في دار البقاء التي لا يموت من دخلها ، وإنما خلق في دار الفناء التي جعل الله تعالى لها ولسكانها أجلاً معلوماً ، وفيها أسكن .

فإن قيل: فإذا كان [آدم عليه السلام] قد علم أن له عمراً مقدراً، وأجلاً ينتهي إليه، وأنه ليس من الخالدين، فكيف لم يعلم كذبَ إبليس في قوله: **﴿هل أدُلك على شَجرَةِ الخُلْدِ﴾** [طه: ١٢٠]؟ وقوله: **﴿أو تكونا من الخالدين﴾** [الأعراف: ٢٠].

فالجواب من وجهين :

أحدهما : أن الخلد لا يستلزم الدوام والبقاء ، بل هو المكث الطويل كما سيأتي .

الثاني : أن إبليس لما حلف له ، وغرَّه وأطمعه في الخلود نسي ما قدر له من عمره .

قالوا : وأيضاً فمن المعلوم الذي لا ينازع فيه مسلم أن الله سبحانه خلق آدم [عليه السلام] من تربة هذه الأرض، وأخبر أنه خلقه **﴿ من سُلَالَةٍ مِنْ طِيْنٍ ﴾** [المؤمنون : ١٢] وأنه خلقه **﴿ من صَلْصَالٍ من حَمَأٍ مَسْنُونٍ ﴾** [الحجر : ٢٦] . فقيل : هو الذي له صلصلة ليبسه . وقيل : هو الذي قد تغيرت رائحته من قولهم : صل اللّحم إذا تغير . والحَمأُ : الطين الأسود

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٦٨) في التعبير : باب (٩٥) . والحاكم ٦٤/١ وصححه ، ووافقه الذهبي .

وهذا الحديث يعد من أحاديث الصفات المتعلقة بالباري عز وجل ونحن نسلّم بها ، ولا نفسرْها ، مع علمنا أن الله عز وجل : **﴿ ليس كمثله شيء ﴾** . فقوله في الحديث : « يداه مقبوضتان » نقول الله أعلم بذلك على الشكل الذي يليق بذاته سبحانه وتعالى من غير كيف ولا تشبيه .

المتغير ، والمسنون : المصبوب ، وهذه كلها أطوار للتراب الذي هو مبدؤه الأول ، كما أخبر عن أطوار خلق الذرية ﴿ مِن نُطْفَةٍ ، ثمَّ منْ عَلَقةٍ ، ثمّ من مُضْغَةٍ ﴾ [الحج : ٥] ولم يخبر سبحانه [وتعالى] أنه رفعه من الأرض إلى فوق السماوات ، لا قبل التخليق ولا بعده ، فأين الدليل الدال على إصعاد مادته ، أو إصعاده هو بعد خلقه ، وهذا ما لا دليل لكم عليه ، ولا هو لازم من لوازم ما أخبر الله به ؟

قالوا : ومن المعلوم أن ما فوق السماوات ليس بمكان للطين الأرضي المتغير الرائحة الذي قد أنتن من تغيره ، وإنما محل هذا الأرض التي هي محل المتغيرات الفاسدات ، وأما ما فوق الأفلاك فلا يلحقه تغير ولا نتن ولا فساد ولا استحالة ، فهذا أمر لا يرتاب فيه العقلاء .

قالوا : وقد قال الله تعالى : ﴿ وأَمَّا الذينَ سُعِدُوا ففي الجنةِ خالدينَ فيها ما دامتِ السَّماواتُ والأرضُ إلا ما شاءَ ربُّكَ عطاءً غيرَ مَجذُوذٍ ﴾ [هود : ١٠٨] ، فأخبر سبحانه أن عطاء جنة الخلد غير مجذوذ . قالوا : فإذا جمع ما أخبر الله سبحانه به من أنه خلقه من الأرض ، وجعله خليفة في الأرض ، وأن إبليس وسوس إليه في مكانه الذي أسكنه فيه ، بعد أن أهبطه من السماء بامتناعه من السجود له ، وأنه أخبر ملائكته أنه ﴿ جَاعلٌ في الأرضِ خَلِيفةً ﴾ [البقرة : ٣٠] ، وأن دار الخلد : دار جزاء وثواب على الامتحان والتكاليف ، وأنها لا لغوٌ فيها ولا تأثيمٌ ولا كذّاب ، وأن من دخلها لا يخرج منها ، ولا ييأس ولا يحزن ، ولا يخاف ولا ينام ، وأن الله حرمها على الكافرين، وإبليس رأس الكفر، فإذا جمع ذلك بعضه إلى بعض ، وفكر فيه المنصف الذي رفع له علم الدليل ، فشمّر إليه ، وربأ بنفسه عن حضيضِ التقلد، تبين له الصوابُ . والله الموفق .

قالوا : ولو لم يكن في هذه المسألة إلا أن الجنة ليست دار تكليف ، وقد كلّف الله سبحانه الأبوين بنهيهما عن الأكل من الشجرة ، فدلَّ على أنها دارُ تكليف لا جزاء وخلد . فهذا أيضاً بعض ما احتجت به هذه الفرقة على قولها . والله أعلم.

الباب الخامس

في جواب أرباب هذا القول لأصحاب القول الأول

قالوا : أما قولكم : إن قولنا هو الذي فطر الله عليه عباده بحيث لا يعرفون سواه ، فالمسألة سمعية لا تعرف إلا بأخبار الرسل ، ونحن وأنتم إنما تلقينا هذا من القرآن ، لا من المعقول ولا من الفطرة ، فالمتَّبع فيه ما دلَّ عليه كتاب الله وسنة رسوله ، ونحن نطالبكم بصاحب واحد ، أو تابع أو أثر صحيح أو حسن ، يصرِّح بأنها جنة الخلد التي أعدَّها الله للمؤمنين بعينها ، ولن تجدوا إلى ذلك سبيلاً ، وقد وجدنا من كلام السلف ما يدل على خلافه ، ولكن لما وردت الجنة مطلقة في هذه القصة ، وافقت اسم الجنة التي أعدّها الله لعباده في إطلاقها ، وبعض أوصافها ، فذهب كثير من الأوهام إلى أنها هي بعينها ، فإن أردتم بالفطرة هذا القدر لم يفدكم شيئاً ، وإن أردتم أن الله فطر الخلق على ذلك ، كما فطرهم على حسن العدل وقبح الظلم ، وغير ذلك من الأمور الفطرية ، فدعوى باطلة ، ونحن إذا رجعنا إلى فطرنا لم نجد علمها بذلك ، كعلمها بوجوب الواجبات ، واستحالة المستحيلات .

وأما استدلالكم بحديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وقول آدم : « وهَلْ أخرجكُم منها إلا خطيئةُ أبيكم ؟ »[1] فإنما يدل على تأخر آدم [عليه السلام] عن الاستفتاح للخطيئة التي قد تقدمت منه في دار الدنيا ، وأنه بسبب تلك الخطيئة حصل له الخروج من الجنة ، كما في اللفظ الآخر : إني نهيت عن أكل الشجرة فأكلت منها ، فأين في هذا ما يدل على أنها جنة المأوى بمطابقةٍ ،

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٥) في الإيمان : باب (٨٤) أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

أو تضمن أو استلزام ، وكذلك قول موسى له : « أخرجتَنا ونفسَكَ منَ الجنةِ »[1] فإنه لم يقل له : أخرجتنا من جنةِ الخلد .

وقولكم : إنهم خرجوا إلى بساتين من جنس الجنة التي في الأرض ، فاسم الجنة وإن أطلق على تلك البساتين، فبينها وبين جنة آدم ما لا يعلمه إلا الله، وهي كالسجن بالنسبة إليها، واشتراكهما في كونهما في الأرض لا ينفي تفاوتهما أعظم تفاوت في جميع الأشياء.

وأما استدلالكم بقوله تعالى : ﴿ وقُلْنا اهبطُوا ﴾ [البقرة : ٣٦] عقيب إخراجهم من الجنة ، فلفظ الهبوط لا يستلزم النزول من السماء إلى الأرض ، وغايته أن يدل على النزول من مكانٍ عالٍ إلى أسفل منه ، وهذا غير منكر ، فإنها كانت جنة في أعلى الأرض ،فـأُهبِطوا منها إلى الأرض .

وقد بينا أن الأمر كان لآدم [عليه السلام] وزوجه وعدوهما ، فلو كانت في السماء لما كان عدوهما متمكناً منها بعد إهباطه الأول لما أبى السجود لآدم [عليه السلام] . فالآية أيضاً من أظهر الحجج عليكم ، ولا تغني عنكم وجوه التعسفات والتكلفات التي قدرتموها ، وقد تقدمت .

وأما قوله تعالى : ﴿ ولكُمْ في الأَرضِ مُستَقرٌ ومَتَاعٌ إلى حينٍ ﴾ [البقرة : ٣٦] ، فهذا لا يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض ، فإن الأرض اسم جنس ، وكانوا في أعلاها وأطيبها وأفضلها ، في محل لا يدركهم فيه جوع ، ولا عُري ولا ظمأ ولا ضحى ، فأُهبطوا إلى أرض يعرض فيها ذلك كله ، وفيها حياتهم وموتهم ، وخروجهم من القبور ، والجنة التي أسكناها لم تكن دار نَصب ولا تعب ولا أذى ، والأرض التي أهبطوا إليها هي محل التعب والنصب ، والأذى وأنواع المكاره ، وأما قولكم : إنه سبحانه وتعالى وصفها بصفات لا تكون في الدنيا ، فجوابه : إن تلك الصفات لا تكون في الأرض التي أهبطوا إليها منها وأما قولكم : إن آدم [عليه السلام] كان يعلم أن الدنيا فانية منقضية ، فلو كانت الجنة فيها لعلم كذب إبليس في قوله : ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ

(١) أخرجه البخاري (٣٤٠٩) في الأنبياء : باب (٣١) وفاة موسى وذكره بعد .

على شجرةِ الخلْدِ ؟ ﴾ [طه : ١٢٠] ، فجوابه من وجهين :

أحدهما : أن اللفظ إنما يدل على الخلد ، وهو أعم من الدوام الذي لا انقطاع له ، فإنه في اللغة : المكث الطويل ، ومكث كل شيء بحسبه ، ومنه قولهم : رجل مخلَّد ، إذا أسن وكبِر ، ومنه قولهم لأثافي الصخور : خوالد . لطول بقائها بعد دروس الأطلال . قال :

إلا رماداً هامداً دفعتْ عنه الرياحَ خوالدٌ سُحْم[1]

ونظير هذا إطلاقهم القديم على ما تقادم عهده ، وإن كان له أول ، كما قال تعالى : ﴿ كالعُرْجُونِ القَديم ﴾[2] [يس : ٣٩] ، ﴿ وإنَّكَ لفي ضلالك القديم ﴾ [يوسف : ٩٥] ، ﴿ إفْكٌ قَديم ﴾ [الأحقاف : ١١] وقد أطلق تعالى الخلود في النار على عذاب بعض العصاة ، كقاتل النفس ، وأطلقه النبي ﷺ على قاتل نفسه .

الوجه الثاني : أن العلم بانقطاع الدنيا ، ومجيء الآخرة ، إنما يعلم بالوحي ، ولم يتقدم لآدم عليه الصلاة والسلام نبوة يعلم بها ذلك . وهو وإن نبأه الله سبحانه وتعالى ، وأوحى إليه ، وأنزل عليه منها صحفاً ، كما في حديث أبي ذر ، لكن هذا بعد إهباطه إلى الأرض بنص القرآن ، قال تعالى : ﴿ قال اهبطا منها جميعاً بعضكُم لبعض عدوٌّ فإمَّا يأتينَّكُم مني هُدىً فمن اتَّبَعَ هُداايَ فلا يُضلُّ ولا يَشقىٰ ﴾ [طه : ١٢٣] وكذلك في سورة البقرة : ﴿ قلنا اهبطُوا منها جميعاً فإما يأتينَّكُم مني هُدىً ﴾ [البقرة : ٣٨] .

وأما قولكم : إن الجنة وردت معرفة باللام ، غير مراد بها جنة الخلد قطعاً ، كقوله تعالى : ﴿ إنَّا بلوناهُم كما بلَونا أصحابَ الجنةِ إذْ أقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّها[3] مُصبحينَ ﴾ [القلم : ١٧] وقولكم : إن السياق ها هنا دلّ على أنها جنة في الأرض .

---

(١) أورده في اللسان في مادة : خلد . سُحم : سود ، جمع : أسحم .
(٢) العرجون: القضيب المنحني .
(٣) الصرم : القطع .

قلنا : والأدلة التي ذكرناها دلت على أن جنة آدم عليه السلام في الأرض ، فلذلك صرنا إلى موجبها ، إذ لا يجوز تعطيل دلالة الدليل الصحيح .

وأما استدلالكم بأثر أبي موسى : أن الله أخرج آدم [عليه السلام] من الجنة وزوده من ثمارها . فليس فيه زيادة على ما دلّ عليه القرآن ، إلا تزوده منها ، وهذا لا يقتضي أن تكون جنة الخلد .

وقولكم : إن هذه تتغير ، وتلك لا تتغير ، فمن أين لكم أن الجنة التي أسكنها آدم كان التغير يعرض لثمارها ، كما يعرض لهذه الثمار ، وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي - ﷺ - أنه قال : « لولا بنو إسرائيل لم يَخْنَز اللَّحم »[1] أي : لم يتغيَّر ولم ينتن . وقد أبقى الله سبحانه وتعالى في هذا العالم طعام العزيزِ وشَرابَهُ مئة سنة لم يتغيرْ.

وأما قولكم : إن الله سبحانه وتعالى ضمن لآدم عليه السلام إن تاب أن يعيده إلى الجنة . فلا ريب أن الأمر كذلك ، ولكن ليس يعلم أن الضمان إنما يتناول عوده إلى تلك الجنة بعينها ، بل إذا أعاده إلى حنة الخلد ، فقد وفَّى سبحانه بضمانه حقَّ الوفاء ، ولفظُ العود لا يستلزم الرجوع إلى عين الحالة الأولى ، ولا زمانها ولا مكانها ، بل ولا إلى نظيرها كما قال شعيب لقومه : **﴿ قدِ افتَرينا عَلىٰ الله كَذِباً إنْ عُدْنا في مِلَّتكُم بعد إذْ نَجَّانا الله مِنها وما يكونُ لنا أن نَعُودَ فيها إلاّ أنْ يَشاءَ الله ربُّنا﴾** [الأعراف: ٨٩]،وقد جعل الله سبحانه المظاهِرَ[2] عائداً بإرادته الوطء ثانياً ، أو بنفس الوطء ، أو بالإمساك ، وكل منها غير الأول لا عينه ، فهذا ما أجابت به هذه الطائفة لمن نازعها .

---

(١) أخرجه مسلم (٦٣) في الرضاع : باب (١٩) لولا حواء لم تخن أنثى زوجها .

(٢) المظاهر: هو الذي يقول لزوجته أنت علي كظهر امي.

الباب السادس

في جواب من زعم أنها جنة الخلد عما احتج به منازعوهم

قالوا : أما قولكم : إن الله سبحانه أخبر أن جنة الخلد إنما يقع الدخول إليها يوم القيامة ، ولم يأتِ زمن دخولها بعد ، فهذا حقّ في الدخول المطلق ، الذي هو دخول استقرار ودوام ، وأما الدخول العارض ، فيقع قبل يوم القيامة

وقد دخل النبي ﷺ الجنة ليلة الإسراء ، وأرواح المؤمنين والشهداء في البرزخ في الجنة ، وهذا غير الدخول الذي أخبر الله به في يوم القيامة ، فدخول الخلود إنما يكون يوم القيامة ، فمن أين لكم أن مطلق الدخول لا يكون في الدنيا ، وبهذا خرِّج الجواب عن استدلالكم بكونها دار المقامة ، ودار الخلد ؟

قالوا : وأما احتجاجكم بسائر الوجوه التي ذكرتموها في الجنة ، وأنها لم توجد في جنة آدم [عليه السلام] من العُري ، والنصبِ والحزنِ واللّغوِ ، والكذب وغيرها . فهذا كله حقّ لا ننكره نحن ، ولا أحد من أهل الإسلام .

ولكن هذا إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة ، كما يدل عليه سياق الآيات كلّها ، فإن نفي ذلك مقرون بدخول المؤمنين إياها ، وهذا لا ينفي أن يكون فيها [بين] أبوي الثقلين ما حكاه الله سبحانه وتعالى من ذلك ، ثم يصير الأمر عند دخول المؤمنين إياها إلى ما أخبر الله عنها ، فلا تنافي بين الأمرين .

وأما قولكم : إنها دار جزاءٍ وثوابٍ لا دار تكليف ، وقد كلَّف الله سبحانه آدم بالنهي عن الأكل من تلك الشجرة ، فدل على أن تلك الجنة دار تكليف لا دار خلود . فجوابه من وجهين :

أحدهما : أنه إنما تمتنع أن تكون دار تكليف إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة ، فحينئذ ينقطع التكليف . وأما وقوع التكليف فيها في دار الدنيا ، فلا دليل على امتناعه البتة ، كيف وقد ثبت عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « دخلتُ البارحةَ الجنةَ فرأيتُ امرأةً تَوَضَّأُ إلى جانبِ قصرٍ فقلتْ لمن أنت »[1] الحديث .

وغير ممتنع أن يكون فيها من يعمل بأمر الله ويعبد الله قبل يوم القيامة ، بل هذا هو الواقع ، فإن من فيها الآن مؤتمرون بأوامر الله من قِبل ربهم لا يتعدونها سواء سمّى ذلك تكليفاً أو لم يسم .

الوجه الثاني : أن التكليف فيها لم يكن بالأعمال التي يكلف بها الناس في الدنيا من الصيام والصلاةِ والجهادِ ونحوها ، وإنما كان حَجراً عليهما في شجرة واحدةٍ من جملة أشجارها ، إما واحدة بالعين أو بالنوع ، وهذا القدر لا يمتنع وقوعه في دار الخلد ، كما أن كل واحد محجور عليه أن يقرب أهلَ غيره فيها ، فإن أردتم بكونها ليست دار تكليف امتناع وقوع مثل هذا فيها في وقت من الأوقات ، فلا دليل عليه ، وإن أردتم أن تكاليف الدنيا منتفية عنها ، فهو حقٌّ ، ولكن لا يدل على مطلوبكم .

وأما استدلالكم بنوم آدم فيها ، والجنة لا ينام أهلها ، فهذا إن ثبت النقل بنوم آدم ، فإنما ينفي النوم عن أهلها يوم دخول الخلود ، حيث لا يموتون ، وأما قبل ذلك فلا .

وأما استدلالكم بقصة وسوسة إبليس له بعد إهباطه ، وإخراجه من السماء ، فلعمر الله إنه لمن أقوى الأدلة ، وأظهرها على صحة قولكم ، وتلك التعسفات لدخوله الجنة ، وصعوده إلى السماء بعد إهباط الله له منها لا يرتضيها منصف ، ولكن لا يمتنع أن يصعد إلى هنالك صعوداً عارضاً لتمام الابتلاء والامتحان الذي قدره الله تعالى وقدر أسبابه . وإن لم يكن ذلك المكان مقعداً له مستقراً كما كان ، وقد أخبر الله سبحانه عن الشياطين أنهم كانوا قبل مبعث

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٠) في فضائل الصحابة : باب مناقب عمر بن الخطاب، ومسلم (٢٣٩٥) في فضائل الصحابة : باب من فضائل عمر رضي الله عنه .

رسـول الله ﷺ ، يقعـدون من السمــاء ﴿ مقـاعِـدَ للسَّمْـعِ ﴾ [الجن : ٩] فيستمعون الشيء من الوحي ، وهذا صعود إلى هناك ، ولكنه صعود عارض لا يستقرون في المكان الذي يصعدون إليـه مع قـوله تعـالى : ﴿ اهبطُوا بعضُكُمْ لبعضٍ عدوٌّ ﴾ [البقرة : ٣٦] فلا تنافي بين هذا الصعود، وبين الأمر بالهبوط، فهذا محتمل . والله أعلم .

وأما استدلالكم بأن الله سبحانه أعلم آدم [عليه السـلام] مقدار أجله ، وما ذكرتم من الحديث وتقرير الدلالة منه .

فجوابه : أن إعلامه بذلك لا ينافي إدخالـه جنة الخلد ، وإسكـانه فيهـا مدة . وأما إخباره سبحانه أن داخلها لا يموت ، وأنه لا يُخرج منها ، فهذا يوم القيامة .

وأما احتجاجكم بكونه خلق من الأرض ، فلا ريب في ذلك ، ولكن من أين لكم أنه كمل خلقه فيها ، وقد جاء في بعض الآثار : «أن الله سبحانـه ألقاه على باب الجنة أربعين صبـاحاً ، فجعـل إبليس يطيف بـه ، ويقول : لأمـر ما خُلِقتَ، فلمـا رآه أجوفَ علم أنـه خلق لا يتمالـك، فقال: لئن سلطت عليـه لأهلكنه ، وإن سُلِّطَ عليَّ لأعصينه »[1] ؟ مـع أن قولـه سبحانـه : ﴿ وَعَلَّمَ آدمُ الأسماءَ كلَّها ثُمَّ عَـرَضَهُم على الملائكـةِ فقال أنبئـوني بأسمـاءِ هؤلاءِ إنْ كُنتُم صَادِقِينَ . قالوا سُبحانك لا عِلمَ لنا إلا ما عَلَّمْتَنا إنَّكَ أنتَ العليمُ الحكيمُ . قال يا آدمُ أنبئهم بأسمائِهم فَلمَّا أنبأهُم بأسمـائِهم قال أَلَمْ أَقُـلْ لَكُم إني أعلمُ غيبَ السَّماواتِ والأَرْضِ ﴾ [البقرة : ٣١ ـ ٣٣] ، يدلُّ على أنـه كان في السمـاء معهم بحيث أنبأهم بتلك الأسماء ، وإلا فهم لم ينزلوا كلهم إلى الأرض ، حتى

---

(١) أخـرج مسلم نحوه مختصـراً (٢٦١١) في كتاب البـرّ : باب خلق الإنسـان خلقاً لا يتمـالك . ولفظه : « لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه ، فجعل إبليسُ يُطِفُ به ، ينظر ما هو ، فلما رآه أجْوَفَ عرف أنه خلق لا يتمالك » .
ومعنى يطيف به : استدار حواليه . وأجوف : داخله خال .لا يتمالك :لا يملك نفسه ولا يحبسها عن الشهوات .

سمعوا منه ذلك ، ولو كان خلقه قد كمل في الأرض لم يمتنع أن يصعده سبحانه إلى السماء لأمر دبره وقدره ، ثم يعيده إلى الأرض ، فقد أصعد المسيح عليه السلام إلى السماء ، ثم ينزله إلى الأرض قبل يوم القيامة ، وقد أسرى ببدن رسول الله ﷺ وروحه إلى فوق السماوات . فهذا جواب القائلين بأنّها جنة الخلد لمنازعيهم . والله أعلم .

الباب السابع

في ذكر شبه من زعم أن الجنة لم تخلق بعد

قالوا : لو كانت الجنة مخلوقة الآن لوجب اضطراراً إلى أن تفنى يوم القيامة ، وأن يهلك كل ما فيها ويموت ، لقوله تعالى : ﴿ كُلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] و﴿ كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] ، فتموت الحور العين التي فيها والولدان . وقد أخبر الله سبحانه أن الدار دار خلود، ومن فيها مخلدون لا يموتون فيها ، وخبره سبحانه لا يجوز عليه خلف ولا نسخ .

قالوا : وقد روى الترمذي في « جامعه » من حديث ابن مسعود ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لقيتُ إبراهيمَ ليلةَ أسري بي فقال : يا محمدُ أقرئْ أمتَكَ مني السلام ، وأخبرهمْ أن الجنةَ طيبةُ التربةِ عذبةُ الماءِ ، وأنها قيعانٌ . وأن غِراسَها: سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلهَ إلاَّ الله، والله أكبرُ». قال: هذا الحديث حسن غريب(١).

وفيه أيضاً ، من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال : « من قال : سبحانَ اللهِ وبحمدِه ، غرستُ له نَخلةً في الجنةِ». قال : هذا حديث حسن صحيح(٢) .

قالوا : فلو كانت الجنة مخلوقةً مفروغاً منها ، لم تكن قيعاناً ، ولم يكن لهذا الغرس معنى . قالوا : وقد قال تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت : ﴿ ربِّ ابنِ لي عندَكَ بيتاً في الجَّنةِ ﴾ [التحريم : ١١] ، ومحال أن يقول قائل لمن

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٥٨) في الدعوات : باب رقم (٦٠) .
والقيعان : جمع قاع ، وهو الأرض السهلة المستوية .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٦٠) و(٣٤٦١) في الدعوات : باب رقم (٦١).

نسج له ثوباً ، أو بنى له بيتاً : انسج لي ثوباً ، وابن لي بيتاً . وأصرح من هذا قول النبي ﷺ : « منْ بَنَى لله مَسجداً بنَى الله له بيتاً في الجنة » متفق عليه[١] .

وهذه جملة مركبة من شرط وجزاء تقتضي ، وقوع الجزاء بعد الشرط بإجماع أهل العربية ، وهذا ثابت عن النبي [ﷺ] من رواية عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وجابر بن عبدالله ، وأنس بن مالك ، وعمرو بن عبسة .

قالوا : وقد جاءت آثار بأن الملائكة تغرس فيها ، وتبني للعبد ما دام يعمل، فإذا فتر فتر الملك عن العمل .

قالوا : وقد روى ابن حبان في «صحيحه»، والإمام أحمد بن حنبل في « مسنده » من حديث أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قبض الله ولدَ العبدِ، قال : يا ملكَ الموتِ قبضتَ ولدَ عبدي ، قبضت قُرّة عينهِ وثمرةَ فؤادهِ ، قال : نعم . قال : فما قال ؟ قال : حَمدكَ واسترجعَ . قال : ابنوا له بيتاً في الجنة ، وسمّوه بيت الحمدِ »[٢] .

وفي «المسند» من حديثه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلّى في يومٍ وليلةٍ ثنتي عشْرةَ ركعةً سوى الفريضةِ بنى الله له بيتاً في الجنّةِ »[٣] .

قالوا : وليس هذا من أقوال أهل البدع والاعتزال كما زعمتم ، فهذا ابن مُزين[٤] قد ذكر في « تفسيره » عن ابن نافع ، وهو من أئمة السنة . أنه سئل عن الجنة : أمخلوقة هي ؟ فقال : السكوت عن هذا أفضل . والله أعلم .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٠) في الصلاة : باب من بنى مسجداً ، ومسلم (٥٣٣) في كتاب المساجد : باب فضل بناء المساجد والحث عليها .

(٢) أخرجه أحمد ٤/٤١٥ ، وابن حبان (٧٢٦) في « الموارد » .

(٣) أخرجه أحمد ٤/١٤٣ و٦/٣٢٦ ، ومسلم (٧٢٨) في كتاب صلاة المسافرين : باب فضل السنن الراتبة ، وأبو داود (١٢٥٠) في الصلاة : باب تفريع أبواب التطوع ، والترمذي (٤١٥) في الصلاة : باب ما جاء فيمن صلّى في يوم وليلة ثنتي عشرة ركعة .

(٤) ابن مُزين : هو يحيى بن إبراهيم ، من أهل قرطبة ، عالم بلغه الحديث ورجاله ، من كتبه « تفسير الموطأ » ، و« فضائل القرآن » ، توفي سنة ٢٥٩ هـ .

الباب الثامن

في الجواب عمَّا احتجت به هذه الطائفة

قد تقدم في الباب الأول من ذكر الأدلة الدالة على وجود الجنة الآن ما فيه كفاية ، فنقول : ما تعنون بقولكم : إن الجنة لم تخلق بعد ، أتريدون أنها الآن عدم محض لم تدخل إلى الوجود بعدُ ، بل هي بمنزلة النفخ في الصُّور ، وقيام الناس من القبور ؟ فهذا قول باطل يرده المعلوم بالضرورة من الأحاديث الصريحة الصحيحة التي تقدم بعضها ، وسيأتي بعضها ، وهذا قول لم يقله أحد من السلف ، ولا أهل السنة ، وهو باطل قطعاً . أم تريدون أنها لم تخلق بكمالها ، وجميع ما أعدَّ الله فيها لأهلها ، وأنها لا يزال الله يحدث فيها شيئاً بعد شيء ، وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أموراً أُخر ، فهذا حقٌّ لا يمكن ردّه .

وأدلتكم هذه إنما دلّت على هذا القدر ، وحديث ابن مسعود الذي ذكرتموه ، وحديث أبي الزبير ، عن جابر : صريحان في أن أرضها مخلوقة ، وأن الذِّكْرَ يُنشىء الله سبحانه لقائله منه غراساً في تلك الأرض ، وكذا بناء البيوت فيها بالأعمال المذكورة ، والعبد كلما وسَّع في أعمال البرِّ وسَّع الله له في الجنة ، وكلّما عمل خيراً غُرِسَ له به هناك غِراس ، وبُني له بناء ، وأُنشىء له من عمله أنواع مما يتمتع به ، فهذا القدر لا يدل على أن الجنة لم تخلق بعد ، ولا يسوغ إطلاق ذلك .

وأما احتجاجكم بقوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] . فإنما أتيتم من عدم فهمكم معنى الآية ، واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والنار الآن نظير احتجاج إخوانكم بها على فنائهما ،

وخرابهما وموت أهلهما ، فلا أنتم وفقتم لفهم معناها ولا إخوانكم ، وإنما وفق لفهم معناها السلف ، وأئمة الإسلام ، ونحن نذكر بعض كلامهم في الآية .

قال البخاري في « صحيحه » : يقال ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاّ وجْهَهُ ﴾ : إلا ملكه ، ويقال : إلا ما أريد به وجهه .

وقال الإمام أحمد في رواية ابنه عبدالله : فأما السماء والأرض فقد زالتا ، لأن أهلهما صاروا إلى الجنة وإلى النار، وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب، لأنه سقف الجنة ، والله سبحانه وتعالى ، عليه ، فلا يهلك ولا يبيد .

وأما قوله تعالى : ﴿ كلُّ شَيءٍ هالكٌ إلاَّ وَجْهَهُ ﴾ فذلك أن الله سبحانه وتعالى أنزل : ﴿ كُلُّ منْ عليها فانٍ ﴾ [الرحمن : ٢٩] ، فقالت الملائكة : هلك أهل الأرض ، فطمعوا في البقاء ، فأخبر الله تعالى عن أهل السماوات وأهل الأرض أنهم يموتون فقال : ﴿ كلُّ شيءٍ هالكٌ ﴾ - يعني : ميت - ﴿ إلا وَجْهَهُ ﴾ ، لأنه حيٌّ لا يموت ، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت . انتهى كلامه .

وقال في رواية أبي العباس ، أحمد بن جعفر بن يعقوب الإصطخري ، ذكره أبو الحسين في كتاب « الطبقات» قال : قال أبو عبدالله أحمد بن حنبل : هذه مذاهب أهل العلم ، وأصحاب الأثر ، وأهل السنة المتمسكين بعروتها ، المعروفين بها ، المقتدى بهم فيها ، من لدن أصحاب نبينا ﷺ إلى يومنا هذا ، وأدركتُ من أدركتُ من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها ، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب، أو طعن فيها ، أو عاب قائلها ، فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة ، زائل عن منهج السنة وسبيل الحقِّ .

وساق أقوالهم إلى أن قال : وقد خلقت الجنة وما فيها ، وخلقت النار وما فيها ، خلقهما الله عز وجل ، وخلق الخلق لهما ، وخلق كلَّ شيءٍ انخلق لهما ، ولا يفنيان ، ولا يفنى ما فيهما أبداً.

فإن احتج مبتدع ، أو زنديق بقول الله عز وجل : ﴿ كُلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] وبنحو هذا من متشابه القرآن ، قيل له : كلُّ شيء

ممَّا كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك ، والجنة والنار خلقتا للبقاء ، لا للفناء ولا للهلاك ، وهما من الآخرة لا من الدنيا ، والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة ، ولا عند النفخة ، ولا أبداً ، لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء ، لا للفناء ، ولم يكتب عليهن الموت .

فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع ، وقد ضلّ عن سواء السبيل . وخلق سبع سماوات ، بعضها فوق بعض ، وسبع أرضين ، بعضها أسفل من بعض ، وبين لأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمس مئة عام ، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمس مئة عام ، والماء فوق السماء السابعه ، وعرش الرحمن عزَّ وجلَّ فوق الماء ، والله عزَّ وجلَّ على العرش ، والكرسي موضع قدميه ، وهو يعلم ما في السماوات والأرضين السبع ، وما بينهما ، وما تحت الثرى ، وما في قعر البحر ، ومنبت كل شعرة وشجرة ، وكل زرع وكل نبات ، وسقطة كلّ ورقة ، وعدد كل كلمة ، وعدد الرمل والحصا والتراب ، ومثاقيل الجبال ، وأعمال العباد ، وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ، ويعلم كل شيء لا يخفى عليه من ذلك شيء ، وهو على العرش فوق السماء السابعة ، ودونه حجب من نار ونور وظلمة ، وما هو أعلم بها ، فإن احتج مبتدع ومخالف بقول الله عز وجل : ﴿ ونحنُ أقربُ إليهِ من حَبلِ الورِيدِ ﴾ [ق : ١٦] وقوله : ﴿ وهُوَ معكُمْ أينما كُنْتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] وقوله : ﴿ إلا هو معهمْ أينما كانوا ﴾ [المجادلة : ٧] وقوله : ﴿ ما يكونُ مِنْ نَجوى ثلاثةٍ إلا هو رَابِعُهُمْ ، ولا خَمسةٍ إلا هو سَادِسُهُمْ ﴾ [المجادلة : ٧] ونحو هذا من متشابه القرآن فقل : إنما يعني بذلك العلم ، لأن الله عز وجل على العرش فوق السماء السابعة العليا ، يعلم ذلك كلّه ، وهو بائن من خلقه ، لا يخلو من علمه مكان .

وقال في رواية أبي جعفر الطائي محمد بن عوف بن سفيان الحمصي ، قال الخلالُ : ـ حافظ إمامٌ في زمانه، معروف بالتقدم في العلم والمعرفة ـ كان أحمد بن حنبل يعرف له ذلك ويقبل منه ، ويسأله عن الرجال من أهل بلده .

قال : أملى عليّ أحمد بن حنبل ، فذكر رسالة في « السنة » ثم قال في أثنائها: وإن الجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا كما جاء الخبر . قال النبي ﷺ :

« دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً » ، و« رأيت الكوثر » ، و« اطَّلعتُ في النار فرأيت أكثرَ أهلِها كذا وكذا » فمن زعم أنهما لم يخلقا ؛ فهو مكذِّب برسول الله ﷺ وبالقرآن ، كافر بالجنة والنار ، يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل .

وقال: في رواية عبدوس بن مالك العطار ، وذكر رسالة في « السنة » قال فيها : والجنة والنار مخلوقتان ، قد خلقتا كما جاء عن رسول الله ﷺ : « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا ، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا » .

فمن زعم أنهما لم تخلقا فهو مكذب بالقرآن ، وأحاديث رسول الله ﷺ ، ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار .

فتأمل هذه الأبواب وما تضمنته من النقول ، والمباحث ، والنكت والفوائد التي لا تظفر بها في غير هذا الكتاب البتة. ونحن اختصرنا الكلام في ذلك، ولو بسطناه لقام منه سفر ضخم، والله المستعان، وعليه التكلان، وهو الموفق للصواب.

الباب التاسع

في ذكر عدد أبواب الجنة

قال الله تعالى : ﴿ وسِيقَ الَّذِين اتقَوا ربَّهمْ إلى الجنة زُمَراً حتى إذا جاؤُوها وفُتحتْ أبوابُها وقال لهم خزنتُها سلامٌ عليكم طبتُمْ فادخلُوها خالدينَ ﴾ [الزمر : ٧٣] وقال في صفة النار ﴿ حتَّى إذا جاؤُوها فُتحتْ أبوابُها ﴾ [الزمر : ٧١] بغير واو ، فقالت طائفة : هذه واو الثمانية دخلت في أبواب الجنة ، لكونها ثمانية ، وأبواب النار سبعة ، فلم تدخل الواو .

وهذا قول ضعيف لا دليل عليه، ولا تعرفه العرب ، ولا أئمة العربية ، وإنما هو من استنباط بعض المتأخرين .

وقالت طائفة أخرى : الواو زائدة ، والجواب الفعل الذي بعدها ، كما هو في الآية الثانية ، وهذا أيضاً ضعيف ، فإن زيادة الواو غير معروف في كلامهم ، ولا يليق بأفصح الكلام أن يكون فيه حرف زائد بغير معنى ولا فائدة .

وقالت طائفة ثالثة : الجواب محذوف ، وقوله : ﴿ وفتحت أبوابها ﴾ عطف على قوله : جاؤوها . وهذا اختيار أبي عبيدة ، والمبرد ، والزجاج وغيرهم .

قال المبرد : وحذف الجواب أبلغ عند أهل العلم .

قال أبو الفتح بن جني : وأصحابنا يدفعون زيادة الواو ولا يجيزونه ، ويرون أن الجواب محذوف للعلم به .

بقي أن يقال : فما السر في حذف الجواب في آية أهل الجنة ، وذكره في آية أهل النار ؟ فيقال : هذا أبلغ في الموضعين ، فإن الملائكة تسوق أهل النار

إليها ، وأبوابها مغلقة ، حتى إذا وصلوا[1] إليهـا فتحت في وجوههم ففجـأهم العذاب بغتة ، فحين انتهوا إليها ﴿ فتحت أبوابها ﴾ بلا مهلة ، فإن هـذا شأنُ الجزاء المرتب على الشرط أن يكون عقيبة ، فإنها دار الإهانـة والخزي ، فلم يستأذن لهم في دخولها ، ويطلب إلى خزنتها أن يمكنـوهم من الدخـول، وأمَّا الجنة فإنها دار الله ، ودار كرامته ، ومحل خواصّه وأوليـائه ، فـإذا انتهوا إليهـا صـادفوا أبـوابها مغلقـة ، فيرغبـون إلى صـاحبهـا ومـالكهـا أن يفتحهـا لهم ، ويستشفعـون إليه بـأولي العزم من رسله ، فكلّهم يتـأخر عن ذلـك ، حتى تقع الدلالة على خـاتمهم وسيدهم وأفضلهم، فيقـول : «أنا لها»: فيأتي إلى تحت العرش ويخر ساجداً لربه ، فيدعه ما شاء أن يدعه ، ثم يأذن له في رفع رأسه، وأن يسأل حاجته ، فيشفع إليه سبحانه في فتح أبوابها فيشفعه ، ويفتحها تعظيماً لخطرها ، وإظهاراً لمنزلة رسوله، وكرامته عليه.

وإن[2] مِثْلَ هذه الـدار التي هي دار ملك الملوك رب العـالمين ، إنمـا يُدْخل إليها بعد تلك الأهوال العظيمة التي أولها من حين عقـل العبد في هـذه الدار إلى أن انتهى إليها ، ومـا ركبه من الأطبـاق طبقاً بعـد طبق ، وقاسـاه من الشدائد شدة بعد شدة ، حتى أذن الله [تعالى] لخاتم أنبيائه ورسله ، وأحب خلقه إليه أن يشفع إليه في فتحها لهم .

وهذا أبلغ وأعظم في تمام النعمة وحصـول الفرح والسـرور ، مِمَّا يقـدرُ عليه بخلاف ذلك ، ولئلا يتوهم الجاهـل أنها بمنـزلة الخـان الذي يـدخله من شاء ، فجنة الله عالية غالية ، بين الناس وبينها من العقبات والمفاوز والأخطار ما لا تنال إلا به ، فما لِمَنْ أتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله الأماني ، ولهذه الدار؟ فليَبْعُد عنها إلى ما هو أولى به ، وقد خلق له وهيء له .

وتأمل ما في سوق الفريقين إلى الدارين زمراً من فرحة هؤلاء بإخوانهم ، وسيـرهم معهم كلّ زمـرة على حدة ، مشتـركين في عمل متصـاحبين فيه على

---

(١) في الأصل (دخلوا) وهو خطأ ، وما أثبتناه هو الصحيح .

(٢) في الأصل (وإني) وهو خطأ، وما أثبتناه هو الصحيح.

زمرتهم وجماعتهم ، مستبشرين أقوياء القلوب ، كما كانوا في الدنيا وقت اجتماعهم على الخير ، كذلك يؤنس بعضهم بعضاً ، ويفرح بعضهم ببعض .

وكذلك أصحاب الدار الأخرىٰ يساقون إليها زمراً ، يلعن بعضهم بعضاً ، ويتأذى بعضهم ببعض ، وذلك أبلغ في الخزي والفضيحة والهتيكة ، من أن يساقوا واحداً واحداً ، فلا تُهمل تَدَبُّر قوله : ﴿ زُمَراً ﴾ .

وقال خزنة أهل الجنة لأهلها : ﴿ سلامٌ عَلَيْكُم ﴾ ، فبدؤوهم بالسلام المتضمن للسلامة من كلِّ شرٍّ ومكروه ، أي : سلمتم ، فلا يلحقكم بعد اليوم ما تكرهون، ثمَّ قالوا لهم: ﴿طِبتُمْ فادْخُلُوهَا خَالِدينَ ﴾ أي: سلامتكم ودخولها بطيبكم ، فإن الله حرمها إلا على الطيبين ، فبشروهم بالسلامة والطيب ، والدخول والخلود .

وأما أهل النار ، فإنهم لما انتهوا إليها على تلك الحال من الهمّ والغمّ والحزن ، و﴿ فُتِحَتْ لَهُمْ أبوابها ﴾ ، ووقفوا عليها وزيدوا إلى ما هم عليه توبيخ خزنتها ، وتبكيتهم لهم بقولهم : ﴿ أَلَمْ يأتِكُم رسلٌ مِنكُم يَتلونَ عليكم آياتِ ربِّكم ويُنذِرونَكُمْ لِقَاءَ يَومِكُمْ هَذا ﴾ [الزمر : ٧١] فاعترفوا وقالوا : بلى . فبشروهم بدخولها والخلود فيها ، وأنها بئس المثوى لهم .

وتأمل قول خزنة الجنة لأهلها : ﴿ ادخلوها ﴾ : وقول خزنة النار لأهلها : ﴿ ادخلوا أبوابَ جَهَنَّم ﴾ ، تجد تحته سراً لطيفاً ، ومعنى بديعاً لا يخفى على المتأمل وهو : أنها لما كانت دار العقوبةِ ، وأبوابها أفظعُ شيء ، وأشدّ حرّاً ، وأعظم غماً ، يستقبل فيها الداخل من العذاب ما هو أشدّ منها ، ويدنو من الغم والخزي [والحزن] والكربِ بدخول الأبواب . فقيل : ادخلوا أبوابها صَغَاراً لهم، وإذلالاً وخزياً، ثم قيل لهم : لا يقتصر بكم على مجرد دخول الأبواب الفظيعة ، ولكن وراءها الخلود في النار، وأما الجنة فهي دار الكرامة ، والمنزل الذي أعدّه الله لأوليائه ، فبشروا من أول وهلة بالدخول إلى المقاعد، والمنازل والخلود فيها .

وتأمل قوله سبحانه : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ مفتَّحة لهمُ الأبوابُ، متكئينَ فيها

يَدْعُونَ فيها بفاكهةٍ كثيرةٍ وشرابٍ ﴾ [ص : ٥٠ ـ ٥١] كيف تجد تحته معنى بديعاً ، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق عليهم أبوابها ، بل تبقى مفتحة كما هي .

وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها ، كما قال تعالى : ﴿ إنَّها عَلَيْهِم مؤْصَدَةٌ ﴾ [الهمزة : ٨] أي مطبقة مغلقة ، ومنه سُمي الباب وصيداً وهي : ﴿ مؤصدةٌ في عَمَدٍ مُمَدَّدَة ﴾ قد جعلت العُمُد ممسكة للأبواب من خلفها ، كالحجر العظيم الذي يجعل خلف الباب . قال مقاتل : يعني أبوابها عليهم مطبقة ، فلا يفتح لها باب ، ولا يخرج منها غَمّ ، ولا يدخل فيها روح آخر الأبد .

وأيضاً ، فإن في تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى تصرفهم ، وذهابهم وإيابهم وتبوئهم من الجنة حيث شاؤوا ، ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من ربّهم ، ودخول ما يسرّهم عليهم كل وقت .

وأيضاً إشارة إلى أنها دار أمنٍ لا يحتاجون فيها إلى غلقِ الأبواب ، كما كانوا يحتاجون إلى ذلك في الدنيا .

وقد اختلف أهل العربية في الضمير العائد من الصفة على الموصوف في هذه الجملة .

فقال الكوفيون : التقدير مفتحةً لهم أبوابها ، والعرب تعاقب بين الألف واللام والإضافة ، فيقولون : مررت برجل حسن العين : أي عينه . ومنه قوله تعالى : ﴿ فإنَّ الْجَحِيمَ هِيَ المأوَى ﴾ [النازعات : ٣٩] أي مأواه .

وقال بعض البصريين : التقدير ﴿ مفتحة لهم الأبواب ﴾ منها ، فحذف الضمير وما اتصل به ، قال : وهذا التقدير في العربية أجود من أن تجعل الألف واللام بدلاً من الهاء والألف ، لأن معنى الألف واللام ليس من معنى الهاء والألف في شيء ، لأن الهاء والألف اسم ، والألف واللام دخلتا للتعريف ، ولا يبدل حرف من اسم ، ولا ينوب عنه .

قالوا : وأيضاً لو كانت الألف واللام بدلاً من الضمير لوجب أن يكون في

﴿ مفتحة ﴾ ضمير الجنات ، ويكون المعنى مفتحة هي ، ثم أبدل منها الأبواب ، ولو كان كذلك لوجب نصب الأبواب لكون ﴿ مفتحة ﴾ قد رفع ضمير الفاعل، فلا يجوز أن يرفع به اسم آخر لامتناع ارتفاع فاعلين بفعل واحد، فلما ارتفع ﴿ الأبوابُ ﴾ دلّ على أن مفتحة خالٍ من ضمير، و﴿ الأبواب ﴾ مرتفعة به . وإذا كان في الصفة ضمير تعين نصب الثاني، كما تقول : مررت برجل حسن الوجه، ولو رفعت الوجه ونونت حسناً لم يجز ، فالألف واللام إذاً للتعريف ليس إلا، فلا بد من ضمير يعود على الموصوف ، الذي هو جنات عدن ، ولا ضمير في اللفظ ، فهو محذوف تقديره : الأبواب منها .

وعندي : أن هذا غير مبطل لقول الكوفيين ، فإنهم لم يريدوا بالبدل إلا أن الألف واللام خلف ، وعوض عن الضمير تغني[1] عنه . وإجماع العرب على قولهم : حسن الوجه، وحسن وجهه شاهد بذلك، وقد قالوا : إن التنوين بدل من الألف واللام بمعنى[2] أنهما لا يجتمعان، وكذلك المضاف إليه يكون بدلاً من التنوين ، والتنوين بدل من الإضافة ، بمعنى التعاقب والتوارد، ولا يريدون بقولهم : هذا بدل من هذا، أن معنى البدل معنى المبدل منه، بل قد يكون في كلّ منهما معنى لا يكون في الآخر .

فالكوفيون أرادوا أن الألف واللام في ﴿ الأبواب ﴾ أغنت عن الضمير . لو قيل أبوابها ، وهذا صحيح ، فإن المقصود الربط بين الصفة والموصوف بأمر يجعلها له لا مستقلة ، فلما كان الضمير عائداً على الموصوف نفى[3] توهم الاستقلال ، وكذلك لام التعريف ، فإن كلاً من الضمير واللام يعين صاحبه هذا يعين مفسره ، وهذا يعين ما دخل عليه . وقد قالوا في يزيد نعم الرجل : إن الألف واللام أغنت عن الضمير . والله أعلم .

وقد أعرب الزمخشري هذه الآية إعراباً اعترض عليه فيه ، فقال :

---

(١) في الأصل (يعني) وهو خطأ .

(٢) في هامش الأصل (يعني) وهو خطأ .

(٣) في الأصل (تعين) والصواب ما أثبتناه .

﴿ جنات عدن ﴾ معرفة، كقوله: ﴿جناتُ عدْنٍ التي وَعَدَ الرحمن عبادَهُ بالغيبِ﴾ [مريم: ٦١]، وانتصابها على أنها عطف بيان ﴿لحسن مآب﴾، و ﴿مفتحة﴾، حال، والعامل فيها ما في ﴿للمتَّقِين﴾ من معنى الفعل، وفي ﴿مفتحة﴾: ضمير الجنات، و ﴿الأبواب﴾: بدل من الضمير، تقديره: مفتحة، هي الأبواب، كقولهم: ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال، هذا إعرابه. واعترض عليه بأن ﴿جناتُ عدنٍ﴾ ليس فيها ما يقتضي تعريفها. وأما قوله: ﴿الَّتي وَعَدَ الرحمٰنُ عِبَادَه﴾. فبدل، لا صفة، وبأن ﴿جنات عدن﴾ لا يسهل أن تكون عطف بيان ﴿لحسن مآب﴾ على قوله، لأن جريان المعرفة على النكرة عطف بيان، لا قائل به، فإن القائل قائلان أحدهما: أنه لا يكون إلا في المعارف، كقول البصريين.

والثاني: أنه يكون في المعارف والنكرات بشرط المطابقة، كقول الكوفيين وأبي علي الفارسي.

وقوله: إن في ﴿ مفتحة ﴾ ضمير الجنات، فالظاهر خلافه، وأن ﴿ الأبواب ﴾: مرتفع به، ولا ضمير فيه.

وقوله: إن ﴿ الأبواب ﴾: بدل اشتمال، فبدل الاشتمال قد صرح هو وغيره أنه لا بدّ فيه من الضمير، وإن نازعهم فيه آخرون، ولكن يجوز أن يكون الضمير ملفوظاً به، وأن يكون مقدراً، وهنا لم يلفظ به، فلا بدَّ من تقديره أي: ﴿ الأبواب ﴾ منها، فإذا كان التقدير: مفتحة لهم هي الأبواب منها، كان فيه تكثير للإضمار، وتقليله أولى.

وفي «الصحيحين» من حديث أبي حازم، عن سهل بن سعد أن رسولَ الله ﷺ قال: «في الجنةِ ثمانيةُ أبوابٍ، بابٌ منها يُسَمَّى الرَّيانُ. لا يَدخلُه إلا الصَّائمونَ»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٧) في كتاب بدء الخلق: باب صفة الجنة، ومسلم (١١٥٢) في الصوم: باب فضل الصوم، ولفظه عند مسلم: «إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون، لا يدخل منه غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد».

وفي « الصحيحين » من حديث الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أنفقَ زَوجين من شيء من الأشياءِ في سبيلِ الله ، دُعي مِنْ أبوابِ الْجنَّةِ ، يا عبدَ اللهِ هذا خيرٌ، فمنْ كان من أهلِ الصَّلاةِ دُعي من بابِ الصَّلاةِ، ومنْ كان من أهلِ الْجهادِ دُعي من بابِ الجهادِ، ومنْ كانَ من أهلِ الصَّدقةِ دُعي من باب الصَّدقـةِ، ومنْ كان من أهلِ الصِّيامِ دُعي من بـاب الرَّيـانِ »، فقال أبـو بكر : بـأبي أنتَ وأمي يا رسولَ اللهِ ، ما على من دُعي من تلكَ الأبوابِ من ضَرورةٍ، فهل يُدعى أحدٌ من تلكَ الأبوابِ كلِّها، فقال : « نعم، وأرجُو أنْ تكونَ منهم »[1] .

وفي « صحيح » مسلم عن عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] عن النبي ﷺ قال : « ما منكم من أحدٍ يتوضأ فَيُبَلِّغُ أو فيسبغُ الوضوءَ ثم يقولُ : أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، إلا فُتِحَتْ له أبوابُ الْجنةِ الثمانيةُ يَدخلُ من أيِّها شاء » زاد التـرمذي بعـد التشهد : « اللَّهمَّ اجعلني من التَّوابينَ واجعلني من المتطهرينَ »[2] .

زاد أبو داود، والإمام أحمد : ثم رفع نظره إلى السماءَ فقال[3] :

وعند الإمام أحمد من رواية أنس يرفعه : « من توضأ ، فأحسنَ الوُضُوءَ ، ثم قال ثلاث مرات : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك لـه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فتح له أبواب الجنة الثمانية، من أيها شاء دخل »[4] .

وعن عتبة بن عبد السلمي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٦) في فضائل الصحابة : باب قول النبي ﷺ «لو كنت متخذاً خليلاً» ، ومسلم (١٠٢٧) في الزكاة : باب جمع الصدقة وأعمال البرّ .

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٤) في الطهارة ، باب الذكر المستحب عقب الوضوء . والترمذي (٥٥) في الطهارة : باب ما يقال بعد الوضوء .

(٣) أخرجه أبو داود (١٦٩) و(١٧٠) في الطهارة : باب (٦٥) ما يقول الرجل إذا توضأ من حديث عقبة بن عامر الجهني نحوه ، وأحمد ١/ ١٩ .

(٤) أخرجه أحمد ٣/ ٢٦٥ .

مسلم يُتوفى له ثـلاثةٌ من الـولدِ لم يبلغـوا الحِنْثَ، إلا تلقوه من أبـواب الجنةِ الثمانية، من أيِّها شاء دخل » رواه ابن ماجـه[1] ، وعبدالله بن أحمـد عن ابن نمير، حدثنا إسحاق بن سليمان، حدثنا حريز بن عثمان ،عن شرحبيل بن شفعة ، عن عتبة[2].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٦٠٤) في الجنائز : بـاب ما جـاء في ثواب من أصيب بـولده ، وقـال في الزوائد: شرحبيل ذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال أبو داود: شرحبيل وحريز كلهم ثقات، وباقي رجال الإسناد على شرط البخاري.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «المسند» ٤/١٨٣ عن أبيه، عن إسماعيل بن عمـر، وحسن بن موسى، عن جرير، عن شرحبيل به.
ومعنى الحنث: الذنب والإثم.

الباب العاشر

في ذكر سعة أبوابها

عن أبي هريرة قال : وُضعَتْ بين يديْ رسولِ الله ﷺ قَصْعةٌ من ثَريدٍ ولحم ، فتناولَ الذراعَ ـ وكان أحبَّ الشاةِ إليه ـ فنهشَ نَهْشَة وقال : « أنا سيدُ الناسِ يومَ القيامةِ » ، ثم نهشَ أخرى ، وقال : « أنا سيدُ الناسِ يومَ القيامةِ »، فلما رأى أصحابَه لا يسألونَهُ قال: «ألا تقولونَ كيفَ»؟ قالوا: كيفَ يا رسولَ الله؟ قال: يقومُ الناسُ لربِّ العالمينَ فيُسْمعهمُ الداعي ويَنْفُذُهم البصرُ » فذكر حديث الشفاعة بطوله . وقال في آخره : « فأنطلقُ فآتي تحتَ العرشِ ، فأقعُ ساجداً لربي ، فيقيمني ربُّ العالمين مقاماً لم يقمْهُ أحداً قبلي، ولن يقيمَهُ أحداً بعدي ، فأقول : يا ربِّ أمتي [أمتي] فيقولُ : يا محمد أدخلْ من أمتكَ من لا حسابَ عليهم من البابِ الأيمنِ ، وهم شركاءُ الناسِ فما سوى ذلك من الأبوابِ، والذي نفسُ محمدٍ بيدهِ إن ما بينَ المصراعينِ من مصاريع الجنةِ لكما بين مكةَ وهَجَر، أو هجرَ ومكةَ » .

وفي لفظ : « لَكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى » متفق على صحته(١)

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠) و(٣٣٦١) في الأنبياء : باب (٣) و(٩) ، مختصراً ، و(٤٧١٢) في التفسير : باب (٥) .

معنى : نهش : أخذه بأسنانه وأضراسه جميعاً . وفي البخاري ومسلم : نهس بالسين . ومعناه : أخذه بمقدم أسنانه .

ينفذهم البصر : أي يحيط بهم بصر الرحمن .

مصراعي الباب : جانباه .

هجر : مدينة هي قاعدة بلاد البحرين .

وفي لفظ خارج « الصحيح » بإسناده : « إن ما بينَ عَضَادتي البابِ لَكَما بين مكةَ وهَجرَ »[1] .

وعن خالد بن عمير العدوي قال : خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمَّا بعدُ، فإنَّ الدُّنيا قد آذنتْ بِصُـرْم ، وولَّتْ حَذَّاء ، ولم يبق منها إلا صبابة كصُبابة الإناء. يصْطبُّها صاحبُها ، وإنكم مُنتقلون منها إلى دار لا زوالَ لهـا، فانتقلوا بخيـر ما بحضـرتكم ، ولقـد ذكـر لنـا أنَّ مِصـراعين من مَصاريعِ الجنـةِ بينهما مسيـرةُ أربعينَ سنةً ، وليـأتينَّ عليه يـومُ وهو كَـظِيظ من الزحام[2]. فهذا موقوف، والذي قبله مرفوع، فإن كان رسول الله ﷺ هو الذاكر لهم ذلك كان هذا سعةُ ما بين باب من أبوابها ، ولعله الباب الأعظم، وإن كان الذاكر لهم ذلك غير رسول الله ﷺ لم يقدم على حديث أبي هريرة المتقدم .

ولكن قـد روى الإمام أحمـد في « مسنده » من حـديث حماد بن سلمـة قال : سمعت الجُرَيْرِي يحدث عن حكيم بن معاوية، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « تُوفون سبعينَ أمةً أنتم آخرها وأكرمُها على الله ، وما بينَ مصراعينِ من مصاريع الجنة مسيرةُ أربعينَ عاماً، وليأتينَّ عليه يوم وإنه لكظيظ»[3] .

وقـد رواه ابن أبي داود : أنبأنا إسحاق بن شـاهين، أنبأنـا خالـد، عن

---

(١) بل أخرج مسلم نحوه (١٩٤) و(٣٢٨) في الإيمان ولفظه : « إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة إلى عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر . . » ، وابن كثير في « النهاية » ٢/٣٦٣ ونسبه للبيهقي .
عضادتا الباب : ما يثبت الباب عليهما .

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٦٧) (١٤) مطولاً في الزهد والرقائق وفيه : يتصابها بدل يصطبها .
آذنت بصرم : أعلمت بانقطاع وفناء .
حذاء: مسرعة الانقطاع.
صبابة : الصبابة ما بقي في الإناء من ماء ونحوه .
يتصابها : في القاموس تصاببت الماء شربت صبابته
كظظ : ممتلىء .

(٣) أخرجه أحمد ٥/٣ ورجاله ثقات .

الجريري، عن حكيم بن معاوية، عن أبيه يرفعه «ما بين كلِّ مصراعينِ من مصاريعِ الجنةِ مسيرةُ سبعِ سنينَ»[1].

وروينا في «مسند» عبد بن حميد: أنبأنا الحسن بن موسى، أنبأنا ابن لهيعة، أنبأنا درّاج أبو السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ ما بينَ مِصراعينِ في الجنةِ لمسيرة أربعينَ سنةً»[2].

وحديث أبي هريرة أصحُّ، وهذه النسخة ضعيفة. والله أعلم.

وروى أبو الشيخ، أنبأنا جعفر بن أحمد بن فارس، أنبأنا يعقوب بن حُميد، أنبأنا معن، حدثنا خالد بن أبي بكر، عن سالم بن عبدالله، عن أبيه [رضي الله عنه] أن النبيَّ ﷺ قال: «البابُ الذي يَدخلُ منه أهلُ الجنةِ مسيرةُ الراكبِ المُجودّ ثلاثاً، ثم إنهم ليضطغطُونَ عليه، حتى تكادُ مناكبُهم تزولُ» رواه أبو نعيم عنه[3]، وهذا مطابق للحديث المتفق عليه: «إن ما بين المصارعين كما بين مكة وبصرى»[4]. فإن الراكب المجوِّد غاية الإجادة على أسرع مجْرىً لا يفتر ليلاً ولا نهاراً، يقطع هذه المسافة في هذا المقدار أو قريب منه.

وأما حديث حكيم بن معاوية: فقد اضطرب رواته، فحماد بن سلمة ذكر عن الجُرَيْري التقدير بأربعين عاماً، وخالد ذكر عنه التقدير بسبع سنين، وحديث أبي سعيد المرفوع فيه التقدير بأربعين عاماً، على طريقة درّاج عن أبي الهيثم. قال الإمام أحمد: أحاديث درّاج: مناكير. وقال أبو حاتم الرازي:

---

(١) أخرجه في «البعث النشور»(٦٠)، وذكره ابن كثير في «النهاية» ٢/٣٦٥ - وعزاه إلى البيهقي.

(٢) أخرجه عبد بن حميد (٩٢٦) في «المنتخب»، وأحمد مطولاً ٣/٢٢٩ وأورده في «مجمع الزوائد» ١٠/٣٩٧ وقال: رواه أحمد، وأبو يعلى، ورجاله وثقوا على ضعف فيهم؛ وابن كثير في «النهاية» ٢/٣٦٥ - ٣٦٦.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (١٧٩)، والترمذي نحوه (٢٥٤٨) في صفة الجنة: باب (١٤) ما جاء في صفة أبواب الجنة، وقال: حديث غريب من حديث عبدالله بن عمر أيضاً.

(٤) قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري (٤٧١٢) في التفسير: باب (٥)، ومسلم (١٩٤) (٣٢٧) في الإيمان وتقدم.

ضعيف[1]. وقال النسائي[2]: ليس بالقوي.

فالصحيح المرفوع السالم عن الاضطراب والشذوذ والعلة حديث أبي هريرة المتفق على صحته[3] على أن حديث حكيم بن معاوية ليس التقدير فيه بظاهر الرفع، ويحتمل أنه مدرج في الحديث موقوف، فيكون كحديث عتبة بن غزوان. والله أعلم.

---

(١) «الجرح والتعديل» ٣/٤٤١.

(٢) «الضعفاء والمتروكين» (١٨٧).

(٣) تقدم: ص: ٨٨ ت (١).

الباب الحادي عشر

في صفة أبوابها وأنها ذات حلق

روى الوليد بن مسلم، عن خُلَيْدٍ، عن الحسن: ﴿مُفتَّحةً لَهُمْ الأبوابُ﴾[ص: ٥٠]قال: أبواب ترى. وذكر أيضاً عن خليد عن قتادة قال: أبواب يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، تتكلم وتكلم، وتفهم ما يقال لها، انفتحي انغلقي.

وقال أبو الشيخ : أنبأنا محمد بن عبدالله بن محمد القيسي ، أنبأنا محمد ابن إسحاق، أنبأنا أحمد بن أبي الحواري ، أنبأنا عبدالله بن غياث ، عن الفزاري قال : لكلِّ مؤمن في الجنة أربعة أبواب ، فباب يدخلُ عليه [منه] زواره من الملائكة ، وباب يدخل عليه منه أزواجه من الحور العين ، وباب مقفل فيما بينه وبين أهل النار ، يفتحه إذا شاء ينظر إليهم لتعظم النعمة عليه ، وباب فيما بينه وبين دار السلام ، يدخل منه على ربه إذا شاء .

وقد روى سهيل بن أبي صالح ،عن زياد النُّميري[1]، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر»[2].

وفي حديث الشفاعة الطويل : من رواية ابن عيينة ، عن عليٍّ بن زيد، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها »[3].

وهذا صريح في أنها حلقة حسية تقعقع وتحرك » .

---

(١) في الأصل : المهدي ، وفي هامشه البهزي ، والتصويب من « تهذيب الكمال » .

(٢) قطعة من حديث ـ أخرج الترمذي نحوه (٣٦١٦) في المناقب : باب (١) في فضل النبي ﷺ وقال : حديث غريب من حديث ابن عباس ، ولفظه : « . . وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر . . . » .

(٣) حديث أنس أخرجه الترمذي (٣١٤٨) في التفسير : باب (١٨) ومن سورة بني إسرائيل، وقال: هذا حديث حسن صحيح .

وروى سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال : « آخذ بحلقةِ بابِ الجنَّةِ فيؤذنُ لي »[1]. ويذكر عن علي رضي الله عنه: «من قال: لا إله إلاَّ الله الملكُ الحقُّ المبينُ في كل يوم مئة مرة كان له أمان من الفقر، وأمان من وحشة القبر، واستجلب به الغنى، واستقرع به باب الجنة »[2] .

فصل

ولما كانت الجنان درجات بعضها فوق بعض، كانت أبوابها كذلك، وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التي تحتها، وكلّما علت الجنة اتسعت، فعاليها أوسع مما دونه، وسعة الباب، بحسب وسع الجنة، ولعل هذا وجه الاختلاف الذي جاء في مسافة ما بين مصراعي الباب، فإن أبوابها بعضها أعلىٰ من بعض .

ولهذه الأمة باب مختص [بهم] يدخلون منه دون سائر الأمم، كما في « المسند » من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « بابُ أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرضُه مسيرةُ الراكب [الجواد] ثلاثاً، ثمَّ إنَّهم لَيُضْغَطُون عليه حتَّى تكادُ مناكِبُهم تزولُ »[3] .

وفيه : من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « أتاني جبريلُ، فأخذ بيدي، فأراني بابَ الجنةِ الذي تدخلُ منه أمتي »[4] الحديث. وسيأتي بتمامه إن شاء الله تعالى .

وقال خلف بن هشام البزار : حدثنا أبو شهاب، عن عمرو بن قيس الملائي، عن أبي إسحاق، عن عاصم، عن حمزة، عن علي بن أبي طالب

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (١٨٤) وإسناده حسن في الشواهد.

(٢) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » ١٢/ ٣٨٥ . وهو حديث ضعيف

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٤٨) في صفة الجنة : باب ما جاء في صفة أبواب الجنة . وفي سنده خالد ابن أبي بكر ،وفيه لين ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب ، ولم نجده في « مسند » أحمد .

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٥٢) في السنة : باب (٩) في الخلفاء ، ولم نجده في « المسند » .

قال : إنَّ أبوابَ الجنةِ هكذا بعضُها فوقَ بعض، ثم قرأ : ﴿ حتَّى إذا جاؤُوها وفتحتْ أبوابُها ﴾ [الزمر : ٧٣] إذا هم عندها بشجرة في أصلها عينانِ تجريانِ، فيشربونَ من إحداهما، فلا تترك في بطونهم قذىً ولا أذىً إلا رمته، ويغتسلونَ من الأخرى، فتجري عليهم نضرة النعيم، فلا تَشْعَث رؤوسهم، ولا تغيرُ أبشارُهم بعد هذا أبداً، ثم قرأ : ﴿ طِبْتُمْ فادْخُلُوها خَالِدِينَ ﴾ [الزمر : ٧٣] فيدخل الرجل، وهو يعرف منزله، ويتلقاهم الولدان، فيستبشرونَ برؤيتهم ، كما يستبشر الأهلُ بالحميمِ يقدُمُ من الغيبة، فينطلقون إلى أزواجهم، فيخبرونهم بمعاينتهم ، فتقول : أنت رأيته ؟ فتقوم إلى الباب، فيدخل إلى بيته ، فيتكىءُ على سريره، فينظر إلى أساس بيته ، فإذا هو قد أسس على اللؤلؤ ، ثم ينظر في أخضر وأحمر وأصفر، ثم يرفع رأسه إلى سماء بيته، ولولا أنه خلق له لا لتمع بصره، فيقول : ﴿ الحمدُ لله الَّذي هَدَانا لِهَذا ومَا كُنَّا لنهْتَدِي لَولاَ أنْ هَدَانا الله ﴾[1] [الأعراف: ٤٣]، والله أعلم.

---

(١) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ٥/٣٤٢ ، ونسبه إلى ابن المبارك وغيره .

الباب الثاني عشر

في ذكر مسافة ما بين الباب والباب

روينا في « معجم » الطبراني : أنبأنا مصعب بن إبراهيم بن حمزة الزبيري[1]، وعبدالله بن الصقر العسكري قالا : أنبأنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن بن عبدالله بن خالد بن حزام، حدثني عبد الرحمن بن عياش الأنصاري، حدثنا دلهم بن الأسود بن عبدالله بن حاجب بن المنتفق[2] .

قال دلهم : وحدثنيه أيضاً أبو الأسود، عن عاصم بن لقيط، أن لقيط بن عامر خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ قال : قلت يا رسول الله فما الجنة والنار ؟ قال : «لعمرُ إلهكَ، إنَّ للنارِ سبعةَ أبوابٍ، ما منهنَّ بابان إلا يسيرُ الراكبُ بينهما سبعينَ عاماً، وإن للجنةِ ثمانية أبوابٍ، ما منهن بابانِ إلا يسيرُ الراكبُ بينهما سبعينَ عاماً » وذكر الحديث بطوله[3] .

وهذا؛ الظاهر منه أن هذه المسافة بين الباب والباب، «لأن ما بين مكة وبصرى » لا يحتمل التقدير بـ « سبعين عاماً » ولا يمكن حمله على باب معين، لقوله : « ما منهن بابان » . والله أعلم .

---

(١) في هامش الأصل : الزبري ، وهو خطأ .

(٢) في هامش الأصل : المشفق ، وهو خطأ .

(٣) قطعة من حديث طويل أخرجه الطبراني في « الكبير » ٢١٣/١٩ ، (٤٧٧) ، وعبدالله بن أحمد في « زيادات المسند » ١٣/٤ ـ ١٤ ، وقال في « مجمع الزوائد » : ٣٤٠/١٠ وأحد طريقي عبدالله إسناده متصل، ورجاله ثقات.

الباب الثالث عشر

في مكان الجنة وأين هي ؟

قال الله تعالى : ﴿ ولَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخرَى ، عندَ سِدرَةِ المنتَهى ، عِنْدَها جَنَّةُ المأوى ﴾ [النجم : ١٣ - ١٥] وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء ، وسميت بذلك لأنها[1] ينتهي إليها ما ينزل من عند الله ، فيقبض منها ، وما يصعد إليه فيقبض منها ، وقال تعالى : ﴿ وفي السَّماءِ رزْقُكُم ومَا تُوعَدُون ﴾ [الذّاريات : ٢٢] قال ابن أبي نجيح : عن مجاهد ، هو الجنة . وكذلك تلقّاه الناس عنه : وقد ذكر ابن المنذر في « تفسيره » وغيره أيضاً عن مجاهد قال : هو الجنة والنار ، وهذا يحتاج إلى تفسير ، فإن النار في أسفل سافلين ليست في السماء ، ومعنى هذا ما قاله في رواية ابن أبي نجيح عنه ، وقال أبو صالح عن ابن عباس : الخير والشر كلاهما يأتي من السماء .

وعلى هذا المعنى أسباب الجنة والنار بقدَر[2] ثابت في السماء من عند الله .

وقال الحارث بن أبي أسامة: حدثنا عبد العزيز بن أبان ، حدثنا مهدي ابن ميمون، حدثنا محمد بن عبدالله بن أبي يعقوب،عن بشر بن شغاف قال سمعت عبدالله بن سلام يقول : إن أكرم خليقة الله أبو القاسم ﷺ ، وإن الجنة في السماء،رواه أبو نعيم عنه[3]، وقال: ورواه معمر بن راشد، عن محمد بن أبي يعقوب مرفوعاً ، ثم ساقه من طريق ابن منيع ، قال : حدثنا عمرو الناقد حدثنا

---

(١) في الأصل : (لأنه)

(٢) في الأصل : مُصَدَّر .

(٣) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (١٣١) وسنده ضعيف.

عمرو بن عثمان ، حدثنا موسى بن أعين، عن معمر بـه مرفـوعاً . ثم سـاق من طريق **محمد بن فضيل، حدثنا محمد بن عبيد الله، عن عطية، عن ابن عباس أنه قال: الجنة في السماء السابعة، ويجعلها الله حيث شاء يوم القيامة، وجهنّم في الأرض السابعة**[1].

وقال ابن منده : حدثنا أحمد بن إسحاق قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا محمد بـن عبدالله ، عن سلمة بن كُهيل ، عن أبي الزعراء ، عن عبدالله قال : الجنة فوق السماء الرابعة ، فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء ، والنار في الأرض السابعة ، فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء .

وقال مجاهد : قلت لابن عباس أين الجنة ؟ قال : فوق سبع سماوات ، قلت : فأين النار ؟ قال : تحت سبعة أبحرٍ مطبقة . رواه ابن منده ، عن أحمد ابن إسحاق، عن الزبيري ، عن إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد .

وأما الأثر الذي رواه أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن ثور بـن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن عبدالله بن عمرو ، قال : الجنة مطوية معلقـة بقرون الشمس تنتشـر في كلّ عـام مـرة ، وإن أرواح المؤمنين في طيـر كالزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة[2] .

فهذا قد يظهر منه التناقض بين أول كـلامه وآخـره ولا تناقض فيـه ، فإن الجنة المعلقة بقرون الشمس ما يحدثه الله سبحانه بالشمس في كلِّ سنة مرة من أنواع الثمار والفواكه ، والنبات جعله الله تعالى مذكراً بتلك الجنـة ، وآية دالـة عليها ، كما جعل هذه النار مذكرة بتلك ، وإلا فالجنة التي عرضهـا السماوات والأرض ليست معلقة بقرون الشمس ، وهي فوق الشمس وأكبر منها .

وقد ثبت في « الصحيحين » عنه ﷺ أنه قال : « الجنةَ مئة درجـةٍ ما بينَ كلِّ درجتينِ كما بين السَّماءِ والأرضِ »[3] وهذا يـدل على أنها في غـاية العلوِّ والارتفاع . والله أعلم .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (١٣٢). وهو ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٥٨٢٥)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (١٣٣)، و«الحلية» ١/ ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٢٩) من حديث أبي هريرة وقال : حسن غريب وفيه « مئة عام » وقـال :=

والحديث له لفظان هذا أحدهما ، والثاني : « إن في الجنةِ مئةَ درجةٍ ما بينَ كلِّ درجتينِ كما بينَ السماءِ والأرض أعدَّها الله للمجاهدينَ في سبيلهِ »(١) وشيخنا يرجح هذا اللفظ ، وهو لا ينفي أن يكون دَرَج الجنة أكثر من ذلك ، ونظير هذا قوله في الحديث الصحيح : « إنَّ لله تسعةً وتسعينَ اسماً من أحْصَاها دَخَلَ الجنة »(٢) أي من جملة أسمائه هذا العدد ، فيكون الكلام جملة واحدة في الموضعين .

ويدل على صحة هذا أن منزلة نبينا ﷺ فوق هذا كله ، في درجة في الجنة ليس فوقها درجة ، وتلك المئة ينالها آحاد أمته بالجهاد ، والجنة مقببة أعلاها أوسعها ، ووسطها هو الفردوس ، وسقفه العرش ، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح : « إذا سألتُم الله فاسألوهُ الفِردَوْسَ ، فإنَّهُ وَسَطُ الجنةِ وأعلى الجنةِ ، وفوقهُ عرشُ الرَّحمنِ ، ومنه تُفجرُ أنهارُ الجنةِ »(٣) .

قال شيخنا أبو الحجاج المزِّي : والصواب رواية من رواه « وفوقُه » بضم القاف على أنه اسم لا ظرف ، أي : وسقفه عرش الرحمن .

فإن قيل : فالجنة جميعها تحت العرش ، والعرش سقفها ، فإن الكرسي وسع السماوات والأرض ، والعرش أكبر منه .

قيل : لما كان العرش أقرب إلى الفردوس مما دونه من الجنان ، بحيث لا جنة فوقه دون العرش ، كان سقفاً له دون ما تحته من الجنان ، ولعظم سعة

= حسن صحيح و(٢٥٣١) مطولاً من حديث عبادة وكلاهما في صفة الجنة: باب (٤).

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠) في الجهاد : باب (٤) و(٧٤٢٣) في التوحيد : باب (٢٢) بألفاظ متقاربة من حديث أبي هريرة ، ونحوه عند مسلم من حديث أبي سعيد (١٨٨٤) في الإمارة : باب (٣١)، ولفظه: « وأخرى يرفع بها العبد مئة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٠٦) في الدعوات : باب (٨٣) ، والبخاري (٦٤١٠) في الدعوات : باب (٦٨) لله مئة اسم إلا واحداً ، ولفظه : « لله تسعة وتسعون اسماً مئة إلا واحد لا يحفظها . . » ، ومسلم (٢٦٧٧) في الذكر والدعاء : باب في أسماء الله تعالى ، وفضل من أحصاها بألفاظ متقاربة من حديث أبي هريرة .

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٩٠) في الجهاد : باب درجات المجاهدين في سبيل الله ، من حديث أبي هريرة .

الجنة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من أدناها إلى أعلاها بالتدريج شيئاً فشيئاً ، درجة فوق درجة ، كما ويقالُ لقارِىءِ القرآنِ :«اقرأ وارْقَ . . . فإنَّ منْزِلَتَك عندَ آخرِ آيةٍ تَقْرَؤُها »[1] . وهذا يحتمل شيئين : أن تكون منزلته عند آخـر حفظه ، وأن تكون عند تلاوته لمحفوظه ، والله أعلم .

---

(١) أخـرجه أبـو داود (١٤٦٤) في الصلاة، والتـرمـذي (٢٩١٥) في ثـواب القـرآن ، وقـال حسن صحيح ، وابن ماجه (٣٧٨٠) في الأدب .

الباب الرابع عشر

في مفتاح الجنة

قال الحسن بن عرفة : حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، عن شهر بن حوشب، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مفتاحُ الجنةِ شهادةُ أن لا إلـه إلا الله». رواه الإمام أحمد في « مسنده » ولفظه : « مفتاحُ الجنةِ شهادةُ أن لا إلهَ إلا الله »[1] .

وذكر البخاري في « صحيحه » عن وهب بن منبه ، أنه قيل له : أليس مفتاح الجنة لا إلهَ إلا الله ؟ قال : بلى ، ولكن ليس من مفتاحٍ إلاَّ ولهُ أسنانٌ ، فإن أتيت بمفتاحٍ له أسنان فتح لك ، وإلا لم يفتحْ[2] .

وروى أبو نعيم من حديث أبان، عن أنس قال: قال أعرابي، يا رسول الله، ما مفاتيح الجنة؟ قال: «لا إلهَ إلا الله»[3].

وذكر أبو الشيخ من حديث الأعمش ، عن مجاهد، عن يزيد بن سخبرة قال : « إنَّ السيوفَ مفاتيحُ الجنةِ »[4] .

وفي «المسند» من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألَا أدُلُّكَ على بابٍ من أبوابِ الجنةِ»؟قلتُ: بلى، قال: «لا

(١) أخرجه أحمد ٥/٢٤٢ من حديث معاذ رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً في الجنائز : باب (١) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (١٩٠). وفي الأصل: مفتاح والمثبت من مصدر التخريج وهامش الأصل.

(٤) أورده في « الكنز » (١٠٥٨٠) وعزاه إلى أبي بكر في « الغيلانيات » ، وابن عساكر عن يزيد بن سخبرة .

حولَ ولا قوّة إلاّ باللهِ »[1] وقد جعل الله سبحانه لكل مطلوب مفتاحاً يفتح به، فجعل مفتاح الصلاة: الطهور، كما قال ﷺ: « مفتاحُ الصلاةِ: الطُّهورَ »[2] ومفتاح الحج: الإحرام، ومفتاح البِرّ: الصدق، ومفتاح الجنة: التوحيد، ومفتاح العلم: حسن السؤال وحسن الإصغاء، ومفتاح النصر والظفر: الصبر، ومفتاح المزيد: الشكر، ومفتاح الولاية والمحبة: الذكر، ومفتاح الفلاح: التقوى، ومفتاح التوفيق: الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة: الدعاء، ومفتاح الرغبة في الآخرة: الزهد في الدنيا، ومفتاح الإيمان: التفكر فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه، ومفتاح الدخول على الله: إسلامُ القلب وسلامته لهُ والإخلاص له في الحب والبغض والفعل والترك، ومفتاح حياة القلب: تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب، ومفتاح حصول الرحمة: الإحسان في عبادة الخالق، والسعي في نفع عبيده، ومفتاح الرزق: السعي مع الاستغفار والتقوى، ومفتاح العِزّ: طاعة الله ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة: قِصرُ الأمل، ومفتاحُ كلّ خير: الرغبة في الله والدار الآخرة، ومفتاح كلّ شرٍّ: حبّ الدنيا، وطول الأمل.

وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم، وهو معرفة مفاتيح الخير والشر لا يوفق لمعرفته ومراعاته إلا من عظم[3] حظّه وتوفيقه، فإن الله سبحانه وتعالى جعل لكل خير وشر مفتاحاً، وباباً يدخل منه إليه، كما جعل الشرك والكبر والإعراض عما بعث الله به رسوله، والغفلة عن ذكره والقيام بحقه: مفتاحاً للنار، وكما جعل الخمر: مفتاح كلِّ إثم، وجعل الغنى: مفتاح الزنا، وجعل إطلاق النظر في الصور: مفتاح الطلب والعشق، وجعل الكسل والراحة: مفتاح الخيبة

---

(١) أخرجه أحمد ٣/٤٢٢ و٥/٢٢٨ و ٢٤٢ و ٢٤٤، والترمذي (٣٥٧٦) في الدعوات: باب ما جاء في فضل لا حول ولا قوة إلا بالله، والحاكم ٤/٢٩٠ كلاهما من حديث قيس بن سعد بن عبادة.

(٢) أخرجه الترمذي (٣) في الطهارة: باب (٣) وقال: هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب، وأبو داود (٦١) في الطهارة: باب فرضها فرض الوضوء، عن علي رضي الله عنه.

(٣) في الأصل: عرف، والمثبت من هامش الأصل.

والحرمان ، وجعل المعاصي : مفتاح الكفر، وجعل الكذب : مفتاح النفاق ، وجعل الشحَّ والحرصَ : مفتاح البخل وقطيعة الرَّحِم وأخذ المال من غير حلِّه ، وجعل الإعراض عما جاء به الرسول : مفتاح كلِّ بدعة وضلالة .

وهذه الأمور لا يصدق بها إلا كلُّ من له بصيرة صحيحة ، وعقل يعرف به ما في نفسه ، وما في الوجود من الخير والشر ، فينبغي للعبد أن يعتني كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح ، وما جعلت المفاتيح له ، والله من وراء توفيقه وعدله ، له الملك وله الحمد ، وله النعمة والفضل ، ﴿ **لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وهُمْ يُسألون** ﴾ [الأنبياء : ٢٣] .

الباب الخامس عشر

في توقيع الجنة ومنشورها الذي يوقع به لأصحابها بعد الموت وعند دخولها

قال الله تعالى : ﴿ كَـلَّا إنَّ كِتَابَ الأبـرارِ لَفي عِلِّيِّين[١] . وما أَدْراكَ ما عليُّـونَ . كِتابٌ مَـرْقوم[٢] . يَشْهَـدهُ المقرَّبـونَ ﴾ [المطففين: ١٨ ٢١] . فأخبر تعالى أن كتابهم كتاب مرقوم، تحقيقاً لكـونه مكتـوباً كتـابة[٣] حقيقيـة ، وخصّ تعالى كتاب الأبرار بأنه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربينِ من الملائكة والنبيين ، وسـاداتِ المؤمنينَ ، ولم يذكـر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار تنـويهاً بكتاب الأبرار، وما وقع لهم به ، وإشهاراً [لـه] وإظهاراً بين خـواص خلقه ، كما تكتب الملوك تواقيـع من تعظمـه بين الأمراء ، وخـواصّ أهل المملكـة ، تنويهاً باسم المكتوب له ، وإشادةً بـذكره ، وهـذا نوع من صـلاة الله سبحانـه وتعالى ، وملائكته على عبده .

وروى الإمام أحمد في « مسنده » ، وابن حبان ، وأبو عوانة الإسفرايني في « صحيحيهما » من حديث المنهال، عن زاذان، عن البراء بن عـازب رضي الله عنه قال: خرجنا معَ رسولِ الله ﷺ في جنازةٍ، فجلسَ رسولُ الله ﷺ على القبرِ وجلسنا حوله كأنَّ على رؤوسنا الطيرُ، وهو يُلحدُ له[٤]، فقال: «أعوذُ بالله من عذابِ القبرِ ثلاثَ مراتٍ، ثم قال: إنَّ المؤمنَ إذا كان في إقبالٍ من

---

(١) كتاب جامع لأعمال الخير .

(٢) مختوم لا ينسى ، ولا يمحى .

(٣) في الأصل : كأنه، وهو خطأ.

(٤) لَحَدله : دفنه في اللحد، اللحد: شق يكون في جدار القبر يوضع فيه الميت .

الآخرةِ ، وانقطاعٍ من الدُّنيا ، تَنزلتْ إليه الملائكةُ كأنَّ على وجوهِهم الشمس مَعَ كلِّ واحدٍ منهم كفن وحَنوط(١) ، فجلسـوا منه مـدَّ بصرهِ ، ثم يجيء ملكُ الموتِ حتى يجلسَ عند رأسهِ فيقولُ: أيتها النفسُ الطيبةُ أخرجي إلى مغفرةٍ من الله ورضوانٍ، قال: فتخرجُ تَسيلُ كما تَسيلُ القطرةُ من في السقاءِ فيأخذُها، فإذا أخذها لم يَدَعوها في يدهِ طرفَـةَ عينٍ حتى يأخـذوها ، فيجعلُوهـا في ذلكَ الكفنِ، وذلكَ الحَنوطِ ، ويخرجُ منها كـأطيب نفحةِ مسـكٍ وجدتْ على وجـهِ الأرضِ ، قال : فيصعدونَ بها فلا يَمرونَ بها ـ يعني على ملأ من الملائكة ـ إلا قالوا : ما هذا الروحُ الطيبُ ؟ فيقولونَ : فلانُ ابنُ فلانٍ بـأحسنِ أسمائِـه التي كانوا يُسمونَهُ بها في الدنيا ، حتى ينتهُوا بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحونَ له فيفتحُ لهم ، ويشيعهُ من كلِّ سماءٍ مقربُوها إلى السماء التي تليها ، حتى ينتهيَ بها إلى السماءِ التي فيها الله عزَّ وجلَّ ، فيقولُ الله عز وجل : اكتبُوا كتابَ عبدي في عليينَ ، وأعيـدُوه إلى الأرضِ ، فإني منهـا خلقتُهُم، وفيها أعيـدُهم، ومنها أخرجُهم تارةً أخـرى ، قال : فتعَـاد روحُه في جسـدِه فيأتيـه ملكان فيُجلسانه فيقولانِ لهُ : منْ ربُّكَ ؟ فيقولُ : ربِّي الله ، فيقولانِ لهُ : ما دينُكَ ؟ فيقولُ دينيَ الإسلامُ فيقولانِ له : ما هذا الرجلُ الذي بعثَ فيكم ، فيقولُ : هو رسول الله ﷺ ، فيقولانِ لهُ : وما علمُك؟ فيقولُ : قرأت كتابَ الله فآمنتُ به وصدقتُ ، قال : فينادي منادٍ من السماءِ أن صدقَ عبدي فأفرشُوهُ من الجنةِ، وألبسـوهُ من الجنةِ، وافتحُوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحِها وطيبِها، ويفسحُ له في قبرِهِ مدَّ بصرِهِ ، قال : ويَـأتيهِ رجـلٌ حسنُ الوجـهِ حسنُ الثيابِ طيبُ الـريحِ ، فيقولُ : أبشرْ بالذي يسرُّكَ هذا يومكَ الذي كنتَ توعـدُ، فيقولُ لـه : من أنتَ فوجهك الوجهُ الذي يجيءُ بالخيرِ ؟ فيقول : أنا عملُكَ الصالحُ ، فيقولُ : ربِّ أقم الساعة ، ربِّ أقم الساعةَ حتى أرجعَ إلى أهلي ومالي ، قـال : وإن العبدَ الكافرَ إذَا كانَ في انقطاعٍ من الدنيا وإقبال على الآخرة ، نزلَ إليهِ من السمـاءِ ملائكةٌ سودُ الوجوهِ معهمُ المسوح(٢) ، فيجلسـونَ منهُ مـدَّ البصرِ، ثم يجيءُ

---

(١) هو كل طيب يوضع للميت .

(٢) المِسْحُ : كساء من شعر، والجمع :مُسُوح .

ملكُ الموتِ حتى يجلسَ عندَ رأسِهِ فيقولُ : أيتها النفسُ الخبيثةُ ، أخرجي إلى سخطٍ من اللهِ وغضب،قال: فتفرقُ في جسدِهِ فينتزعُها كما ينتزعُ السفودُ من الصوفِ المبلولِ ، فيأخذُها فإذا أخذهـا لم يَدَعُـوها في يـدِهِ طرفـةَ عينٍ حتى يجعلُوها في تلك المسوح ، وتخرجُ منها كأنتن ريح جيفـةٍ وجدت على وجـهِ الأرض ، فيصعدونَ بها فلا يَمرونَ بها على ملأ من الملائكةِ إلا قالوا : ما هذا الروحُ الخبيثُ ، فيقولونَ : فلانُ ابنُ فلانٍ بأقبحِ أسمائه التي كان يُسمى بها في الدنيا ، حتى ينتهي بها إلى سماء الدنيا فيستفتحُ له فلا يفتحُ لهُ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ لا تُفتَّحُ لهمْ أبوابُ السَّماءِ ولا يَدخلُونَ الجنَّةَ حتَّى يلجَ[1] الجملُ في سَمِّ الخياطِ ﴾ [الأعراف : ٤٠] . فيقولُ الله عزّ وجلّ : اكتبوا كتـابهُ في سِجِّين[2] في الأرضِ السفلى فتطرح روحُهُ طـرحاً ، ثم قـرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَمَنْ يُشرِكْ بِالله فكأنَّما خَرَّ من السَّماءِ فَتخطفُهُ الطيرُ أو تَهـوي به الـريحُ في مكـانٍ سحيقٍ ﴾[3] [الحج : ٣١] . فتعـادُ روحُهُ في جسـدِهِ ، ويأتيـهِ ملكانِ فيجلسانِهِ فيقولانِ لهُ : منْ ربُّكَ؟ فيقولُ : هاهَ هَاهْ ! لا أدري ، فيقولانِ لهُ : ما هذا الرجل الذي بُعثَ فيكم ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدري ، فينادي منادٍ من السماءِ، أن كذب عبدي فافرشُوهُ من النارِ، وافتحُوا له باباً إلى النارِ، فيأتيهِ من حَرِّهَا وسَمومِهَا ، ويضيقُ عليهِ قبرُهُ حتى تختلفَ فيه أضلاعُهُ ، ويأتيهِ رجلٌ قبيحُ الوجهِ ، قبيحُ الثيابِ منتنُ الريحِ ، فيقولُ لهُ : أبشرْ بالذي يسوؤُكَ هذا يومُـكَ الذي كنت توعَدُ ، فيقولُ : من أنت فوجهُكَ الوجهُ [الـذي] يجيءُ بالشرِّ ؟ فيقول أنا عملُكَ الخبيثُ فيقول: ربِّ لا تقم الساعة»[4] رواه أبو داود بطوله بنحوه، فهذا التوقيع، والمنشور الأول.

---

(١) يدخل الجمل، أو الحبل في ثقب الإبرة .

(٢) كتاب جامع لأعمال الكفار من الإنس والجن .

(٣) السحيق : البعيد الغور..

(٤) أخرجه أحمد ٢٨٧/٤ و٢٩٥ ، وأبو داود (٤٧٥٣) في السنة : باب (٢٧) باب في المسألة في القبر، وعذاب القبر، وعن أبي هريرة عند ابن حبان (٧٣١) و (٧٣٣) في «الموارد».

فصل

وأما المنشور الثاني : فقال الطبراني في « معجمه » : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدَّبْري ، عن عبد الرزاق، عن سفيان الثوري، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن عطاء بن يسار، عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخلُ الجنةَ أحدٌ إلا بجوازٍ بسم الله الرحمنِ الرحيمِ ، هذا كتابٌ من اللهِ لفلانِ ابنِ فلانٍ ادخلُوه جنةً عاليةً قَطُوفُهَا دانيةٌ »[1] .

وأخبرنا سليمان بن حمزة الحاكم ، أنبأنا محمد بن عبد الواحد المقدسي، أنبأنا زاهر الثقفي أن عبد السلام بن محمد بن عبدالله أخبرهم ، أنبأنا المطهر بن عبد الواحد البراقي ، حدثنا محمد بن إسحاق بن منده ، أنبأنا محمد بن علي البلخي، حدثنا محمد بن خُشْنَام ، حدثنا العباس بن زياد ثقة ، حدثنا سعدان بن سعيد، حدثنا سليمان التيمي ، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: **«يُعطى المؤمنُ جوازاً على** الصِّراط : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من اللهِ العزيزِ الحكيمِ ، لفلانِ ابنِ فلانِ ، أدخلوه جنةً عاليةً قُطوفها دانيةٌ »[2] .

قلت : وقع المؤمن في قبضة أصحاب اليمين يوم القبضتين ، ثم كتب من أهل الجنة يوم نفخ الروح فيه ، ثم يكتب في ديوان أهل الجنة يوم موته، ثم يعطى هذا المنشور يوم القيامة . فالله المستعان .

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦١٩١)، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم: ضعيف في حفظه

(٢) لم نجده، وتقدم نحوه.

الباب السادس عشر

في توحد طريق الجنة وأنه ليس لها إلا طريق واحد

هذا مما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم. وأما طرق الجحيم: فأكثر من أن تحصى، ولهذا يوحد الله سبحانه سبيل الجنة[1]، ويجمع سبل النار كقوله تعالى: ﴿وأنَّ هذا صِراطِي مُستقيماً فاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُّبلَ فتفرقَ بكم عن سبيلهِ﴾ [الأنعام : ١٥٣] . وقال : ﴿ وعلى اللهِ قَصدُ السَّبيلِ ومنها جَائرٌ ﴾ [النحل : ٩] . أي : ومن السبيل جائر عن القصد، وهي سبيل الغيِّ، وقال :﴿ هذا صِراطٌ عليَّ مُستقيمٌ ﴾ [الحجر : ٤١] .

وقال ابن مسعود: خَطَّ لنا رسولُ الله ﷺ خطّاً [وقال]: «هذا سبيلُ الله، ثم خطَّ خُطوطاً عن يمينهِ وعن يسارهِ ثم قال: هذه سُبُلٌ وعلى كلِّ سَبيلٍ منها شيطانٌ يدعُو إليهِ، ثم قرأ: ﴿وأنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقيماً فاتَّبعُوه ولا تتَّبعوا السُّبُلَ فتفرقَ بكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»[2].

فإن قيل : فقد قال الله تعالى : ﴿ قدْ جاءكُم منَ الله نورٌ وكتابٌ مُبينٌ يهدي به اللهُ من اتبعَ رضوانَهُ سُبلَ السَّلامِ ﴾ [المائدة : ١٥ - ١٦] .

قيل : هي سبل[3] تجتمع في سبيل واحد، وهي بمنزلة الجوادِّ[4] والطرق

---

(١) في هامش الأصل سبيله

(٢) أخرجه ابن حبان (١٧٤١) في تفسير سورة الأنعام في «الموارد»، وذكره في «مجمع الزوائد» ٢٢/٧ وعزاه إلى أحمد والبزار وقال: فيه عاصم ابن بهدلة وهو ثقة، وفيه ضعف.

(٣) في هامش الأصل : سبيل .

(٤) جمع جادة ، وهو الطريق الأعظم ، تتفرع منه الطرق .

في الطريق الأعظم ، فهذه هي شعب الإيمان يجمعها الإيمان ،وهي شعب[1]، كما يجمع ساق الشجرة أغصانها وشعبها .

وهذه السبل هي إجابة داعي الله بتصديق خبره ، وطاعة أمره . فطريق الجنة : هي إجابة الداعي إليها ليس إلَّا .

وروىٰ البخاري في « صحيحه » عن جابر قال : « جاءتْ ملائكةٌ إلى النبيِّ ﷺ ، فقال بعضُهم : إنهُ نائمٌ ، وقال بعضُهم : العينُ نائمةٌ والقلبُ يقظانٌ ، فقالوا : إنَّ لصاحبكم هذا مَثلاً ، فاضربُوا له مَثلاً ، فقالوا : مَثلُه مثلُ رجلٍ بنىٰ داراً وجعل فيها مأدُبةً وبعثَ دَاعياً ، فمن أجاب الدَّاعي دخلَ الدارَ وأكلَ من المأدبةِ ، ومن لم يجب الداعِيَ لم يدخلِ الدارَ ولم يأكلْ من المأدبةِ ، فقالوا : أولوها [له] يفقهُّها ، فقال بعضُهم :إن العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانٌ ، فالدارُ : الجنةُ ، والداعي : محمدٌ ، فمنْ أطاعَ محمداً ﷺ فقد أطاعَ الله ، ومنْ عصَى محمداً فقد عصى الله ، ومحمد فرق بينَ النَّاسِ »[2] .

ورواه الترمذي عنه ولفظه : خرج علينا رسولُ الله ﷺ يوماً فقال : « إني رأيتُ في المنام : كأن جبريلَ عندَ رأسي ، وميكائيلَ عندَ رجلي يقول أحدُهما لصاحبِهِ : اضربْ له مثلاً . فقال : اسمع سمعت أذُنك ، واعقل عقل قلبك ، إنما مثلُكَ ومثلُ أمتك كمثلِ ملكٍ اتخذ داراً ، ثم بنىٰ فيها بيتاً ، ثمَّ جعل مائِدةً ، ثم بعثَ رسولاً يدعُو الناسَ إلى طعامِهِ ، فمنهم من أجابَ الرسولَ ومنهم من تركَهُ ، فالله هو الملكُ ، والدارُ الإسلامُ ، والبيتُ الجنةُ،وأنتَ يا محمدُ رسولٌ ، فمن أجابك دخل الإسلامَ، ومن دخل الإسلامَ دخل الجنةَ ، ومن دخل الجنة أكل ما فيها »[3] .

وصحح الترمذي من حديث عبدالله بن مسعود قال : « صلى بنا رسول الله

---

(١) في هامش الأصل : شعبة .

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨١) مطولاً في الاعتصام : باب (٢) الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ وقول الله تعالى ﴿ واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ . انظر «الفتح» ١٣/ ٢٥٥ .

(٣) أخرجه الترمذي (٢٨٦٠) في الأمثال : باب ما جاء في مثل الله لعباده .

ﷺ العشاءَ ثم انصرف ، فأخذ بيدي حتى خرجَ بي إلى بطْحاءِ مكةَ ، فأجلسني ثم خطَّ عليَّ خطاً ، ثم قال : لا تبرحنَّ خطَّكَ، فإنهُ سَينتهي إليكَ رجال فلا تكلمْهُم فإنهم لا يُكلمونَكَ ، ثم مضى رسولُ الله ﷺ حيثُ أراد ، فبينا أنا جالسٌ في خطِّي ، إذ أتاني رِجالٌ كأنهمُ الزُّطُّ ، أشعارُهم وأجسامُهم، لا أرى عورةً ، ولا أرى قِشْراً وينتهون إليَّ لا يجاوزون الخطّ ، ثم يَصدُرونَ إلى رسولِ الله ﷺ حتَّى إذا كان من آخر الليل، لكنْ رسولُ الله ﷺ قدْ جاءني وأنا جالسٌ فقال : لقد أراني مُنذُ الليلةَ ،ثم دخل عليَّ في خطي فتوسَّدَ فَخذي فرقَدَ،وكان رسولُ الله ﷺ إذا رقدَ نفخَ ، فبينا أنا قاعدٌ، ورسولُ الله ﷺ مُتوسدٌ فخذي إذا برجالٍ عليهم ثيابٌ بيضٌ ، الله أعلمُ ما بهمْ من الجمالِ ، فانتهُوا إليَّ ، فجلس طَائفةٌ منهمْ عندَ رأسِ رسولِ الله ﷺ وطائفة منهم عندَ رِجليهِ . ثم قالوا : ما رأينا عبداً قطُّ أوتي مثلَ ما أوتي هذا النبيُّ ، إن عينيهِ تَنامانِ وقلبُهُ يقظانُ اضربُوا لهُ مثلاً، مَثَلَ سيدٍ بنَى قصراً ، ثم جعلَ مأدُبةً فدعا الناسَ إلى طعامِهِ وشرابِهِ ، فمنْ أجابهُ أكلَ من طعامِهِ وشربَ من شرابِهِ ، ومن لم يُجبْهُ عاقبهُ أو قال عذبهُ، ثم ارتفعُوا واستيقظَ رسولُ الله ﷺ عند ذلك فقال : سمعتَ ما قال هؤلاءِ ؟ وهلْ تدري مَنْ همْ ؟ قلت : اللهُ رسولُه أعلمُ ، قال : هُم الملائكةُ ، فتدْرِي ما المثلُ الذي ضربُوهُ ؟ قلت : اللهُ أعلمُ . قال : الرحمنُ بنى الجنةَ، ودعا إليها عبادَهُ فمنْ أجابهُ دخل الجنةَ ، ومنْ لم يجبْهُ عذبَهُ »(١) .

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٦١) في الأمثال : باب ما جاء في مثل الله لعباده . وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .
ومعنى لا تبرحنَّ خطك : إلزمه ولا تفارقه .
طائفة : جماعة الزُّطُّ : قوم من الهند أو السند، وقيل : جيل من السودان ، الواحد زُطِّيٌّ .
وفلان زُطِّي : لئيم دنيء .

الباب السابع عشر

في درجات الجنة

قال تعالى : ﴿ لا يَستوي القاعِدُونَ منَ المؤمنينَ غيرُ أُولي الضَّرَرِ والمجاهدونَ فِي سبيلِ اللهِ بأموالهِمْ وأنفسهِمْ فضَّلَ اللهُ المجاهدينَ بأموالهِمْ وأنفسهِمْ على القاعدينَ دَرجةً وكُلاًّ وعدَ اللهُ الحُسْنَى وفَضَّلَ اللهُ المجاهدينَ على القاعِدِينَ أجْراً عَظِيماً * دَرجاتٍ منهُ ومغفرةً ورحمةً وكانَ اللهُ غفوراً رحيماً ﴾ [النساء : ٩٥ - ٩٦] .

ذكر [ابن] جرير : عن هشام بن حسان ، عن جبلة بن عطية ، عن ابن محيريز قال : ﴿ وفضلَ اللهُ المجاهدينَ على القاعدينَ أجراً عظيماً درجاتٍ منه ﴾ [النساء: ٩٥] قال: هي سبعون درجةً ما بين الدرجتين عَدْوُ(١) الفرس الجواد المضمّر سبعين عاماً .

وقال ابن المبارك : أنبأنا سلمة بن نبيط، عن الضحاك في قوله تعالى : ﴿ لهمْ دَرجاتٌ عندَ ربِّهمْ ﴾ [الأنفال : ٤] قال : بعضهم أفضل من بعض، فيرى الذي قد فضل به فضله، ولا يرى الذي هو أسفل منه ، أنه فضل عليه أحد من الناس .

وتأمل قوله : كيف أوقع التفضيل أولاً بدرجة . ثم أوقعه ثانياً بدرجات ، فقيل : الأول بين القاعد المعذور والمجاهد، والثاني بين القاعد بلا عذر والمجاهد. وقال تعالى : ﴿ أفمنِ اتَّبعَ رضوانَ اللهِ كمنْ باءَ بِسَخَطٍ منَ اللهِ ومأواهُ جهنَّمُ وبئسَ المصيرُ * هُم درجاتٌ عندَ اللهِ واللهُ بصيرٌ بما يعملونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٢ - ١٦٣] .

---

(١) عَدْوُ الفرس : جَرْي الفرس وسرعته .

وقال تعالى : ﴿ إنَّما المؤمنونَ الـذينَ إذا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قلـوبُهُمْ وإذا تُلِيتْ عليهم آياتُه زادتهمْ إيماناً وعلى ربِّهم يتـوكلونَ * الذينَ يُقيمـونَ الصلاةَ ومِمَّـا رزقناهم يُنفقـونَ * أولئكَ همُ المؤمنـونَ حقـاً لهمْ درجـاتٌ عنـدَ ربِّهم ومغفرةٌ ورزقٌ كريمٌ ﴾ [الأنفال : ٢ ـ ٤] .

وفي « الصحيحين » من حديث مالك ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء ابن يسار، عن أبي سعيد الخُدْريِّ رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « إنَّ أهلَ الجنةِ لَيَتراءَونَ أهلَ الغرفِ من فوقِهِمْ كما يَتراءونَ الكوكبَ الدُّريَّ الغـابرَ منَ الأفقِ، من المغرب أو المشرق لتفاضلِ ما بينهمْ، قالـوا : يا رسـولَ اللهِ، تلك منازلُ الأنبياءِ لا يبلغُها غيرُهمْ ؟ قال : بلى ، والذي نفسي بيدِهِ رجالٌ آمنوا باللهِ وصدَّقُوا المرسلينَ »[1] .

ولفظ البخاري «في الأفق»: وهو أبين، والغـابر: هـو الذاهب المـاضي الذي قد تـدلى للغروب، وفي التمثيـل به ـ دون الكـوكب المسامت للرأس، وهو أعلى ـ فائدتان:

أحدهما: بعده عن العيون.

والثانية: أن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض وإن لم تُسامت العليا السفلى، كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله. والله أعلم.

وفي « الصحيحين » أيضـاً من حديث سهـل بن سعد أن رسـول الله ﷺ قال : « إنَّ أهلَ الجنةِ ليتراءَونَ أهلَ الغرفةِ في الجنةِ ، كما تَرونَ الكوكبَ في أفقِ السماءِ »[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٦) في بدء الخلق : باب ما جاء في صفة الجنة، وأنها مخلوقة ، ومسلم (٢٨٣١) في الجنة: باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء.

الكوكب الدري : الكوكب العظيم . سمي درياً ، لبياضه كالدر، أو لإضاءته .

الغابر : الذاهب .

الأفق : ناحية السماء .

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٥٥) في الرقاق : باب صفة الجنة والنار، ومسلم (٢٨٣٠) في الجنة : باب : ترائي أهل الجنة الغرف كما يُرى الكوكب في السماء .

وقال الإمام أحمد : حدثنا فزارة ، أخبرني فليح ، عن هلال يعني ابن علي ، عن عطاء ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إنَّ أهلَ الجنةِ ليتراءونَ في الجنةِ كما تَرَاءونَ أو ترونَ الكوكبَ الدريَّ الغاربَ في الأفقِ الطالعَ في تفاضلِ الدَّرجاتِ . قالوا يا رسولَ اللهِ أولئكَ النبيونَ ؟ قال : بلى ، والذي نفسي بيدِهِ وأقوامٌ آمنوا باللهِ وصدَّقُوا المرسلينَ »[1] .

ورجال هذا الإسناد احتج بهم البخاري في « صحيحه » ، وفي هذا الحديث : « الغارب » وفي حديث أبي سعيد الخُدْريّ : « الغابر » وقوله : الطالع صفة للكوكب، وصفه بكونه غارباً ، وبكونه طالعاً .

وقد صرح بهذا المعنى في الحديث الذي رواه ابن المبارك : عن فليح ابن سليمان عن هلال بن علي ، عن عطاء ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ [قال] : « إنَّ أهلَ الجنةِ ليتراءونَ في الغرفِ كما يُرى الكوكبُ الشرقيُّ ، [أ] والكوكبُ الغربيُّ في الأفق في تفاضلِ الدرجاتِ . قالوا : يا رسولَ الله أولئكَ النبيونَ ؟ قال : لا ، بل ، والذي نفسي بيدِهِ وأقوامٌ آمنوا باللهِ وصدّقوا المرسلين »[2] وهذا على شرط البخاري أيضاً .

وفي « المسند » من حديث أبي سعيد الخُدْريِّ قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ المتحابينَ لتُرى غرفُهم في الجنةِ كالكوكبِ المطالع الشرقيِّ أو الغربيِّ ، فيقال : من هؤلاءِ ؟ فيقالُ : هؤلاء المتحابُّونَ في اللهِ عزَّ وجلَّ »[3] .

وفي « المسند » من حديث أبي سعيد الخُدْريِّ أيضاً عن النبي ﷺ قال : « إن الجنةَ مئة درجةٍ ، ولو أن العالمينَ اجتمعُوا في إحداهُنَّ لوسعتهم »[4] .

---

(١) أخرجه أحمد ٢ / ٣٣٩ .

(٢) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٤١٨)، والترمذي : (٢٥٥٦) في الجنة : باب ما جاء في ترائي أهل الجنة في الغرف . وقال : حديث حسن صحيح . وعند أحمد ٢ / ٣٣٥، وفيه « بلى » بدل قوله : « لا ، بل » .

(٣) أخرجه أحمد ٣ / ٨٧ .

(٤) أخرجه أحمد ٣ / ٢٩ ولفظه : « إن للجنة » ، والترمذي : (٢٥٣٢) في الجنة : باب ما جاء في صفة درجات الجنة ، وقال حديث غريب . ولفظه : « إن في الجنة . . » .

وفي « المسند » عنه أيضاً عن النبي ﷺ قال : « يقالُ لصاحب القرآن إذا دخلَ الجنةَ : اقرأْ واصعدْ ، فيقرأُ ويصعدُ بكلِّ آيةٍ درجةً ، حتى يقرأَ آخرَ شيءٍ معهُ »[1] وهذا صريح في أن درج الجنةِ تزيد على مئة درجةٍ .

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه البخاري في « صحيحه » عن النبي ﷺ قال : « إنَّ في الجنةِ مئة درجةٍ أعدَّها اللهُ للمجاهدينَ في سبيلِه بينَ كلِّ درجتين كما بينَ السماءِ والأرضِ ، فإذا سألْتُم اللهَ فاسألُوه الفردوسَ، فإنه وسطُ الجنةِ، وأعلى الجنةِ، وفوقَهُ عرشُ الرحمنِ، ومنه تُفجرُ أنهارُ الجنةِ »[2] فإما أن تكون هذه المئة درجة من جُملةِ الدَرَجِ ، وإما أن تكون نهايتها هذه المئة درجة ، وفي ضمن كل درجة درج دونها .

ويدل على المعنى الأول حديث زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ : « مَنْ صلَّى هؤلاء الصلواتِ الخمس، وصام شهرَ رمضانَ كان حقاً على اللهِ أنْ يغفرَ له هاجَرَ أو قعدَ حيثُ ولدتهُ أُمه ، قلتُ : يا رسولَ اللهِ ألا أخرجُ فأوذنُ الناسَّ ؟ قال : لا ، ذرِ الناسَ يعملون ، فإنَّ في الجنةِ مئة درجةٍ بينَ كلِّ درجتين منها مثلُ ما بينَ السماءِ الأرضِ ، وأعلى درجةٍ منها الفردوسُ، وعليها يكونُ العرشُ ، وهي أوسطُ شيء في الجنةِ ، ومنها تُفجرُ أنهارُ الجنةِ ، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوسَ »[3] رواه الترمذي هكذا بلفظة « في » .

وروى أيضاً : من حديث عطاء،عن عبادة بن الصامت ، أن رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٤٠ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٩٠) في الجهاد، باب رقم (٤) .

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٣٠) في صفة الجنة : باب (٤) ما جاء في صفة درجات الجنة ولفظه : « من صام رمضان ، وصلى الصلوات ، وحج البيت لا أدري أذكر الزكاة أم لا إلا كان حقاً . . » قال أبو عيسى : هكذا روي هذا الحديث عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن معاذ، وهذا عندي أصح من حديث همام عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبادة. وعطاء لم يدرك معاذ بن جبل، ومعاذ قديم الموت، مات في خلافة عمر .

قال : « إنَّ في الجنةِ مئةَ درجةٍ »[1] ثم ذكر نحو حديث معاذ .

وفيه أيضاً : من حديث عطاء ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « في الجنةِ مئة درجةٍ ما بينَ كلِّ درجتينِ مئة عامٍ » قال : هذا حديث حسن غريب[2] .

وفيه أيضاً : من حديث أبي سعيد يرفعه : « إنَّ في الجنةِ مئةَ درجةٍ لو أنَّ العالمينَ اجتمعُوا في إحداهن لوسعتهم »[3] ورواه أحمد[4] بدون لفظة : « في » كما تقدم ، وقد رويت هذه الأحاديث بلفظة : « في » وبدونها ، فإن كان المحفوظ ثبوتها فهي من جملة درجها ، وإن كان المحفوظ سقوطها ، فهي الدرج الكبار المتضمنة للدرج الصغار ، والله أعلم .

ولا تناقض بين تقدير ما بين الدرجتين بالمئة وتقديرها بالخمس مئة لاختلاف السير في السرعة والبطء ، والنبي ﷺ ذكر هذا تقريباً للأفهام ، ويدل عليه حديث زيد بن حبَّان: حدثنا عبد الرحمن بن شريح ، حدثني أبو هانىء التجيبي ، سمعت أبا علي التجيبي سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مئة درجة في الجنةِ ما بينَ الدرجتينِ ما بينَ السماءِ والأرض، أو أبعد مِمَّا بين السماءِ والأرضِ » قلتُ: يا رسولَ الله لمن؟ قال: «للمجاهدين في سبيل الله»[5].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٣١) مطولاً في صفة الجنة : باب (٤) .
(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٢٩) في صفة الجنة : باب (٤) .
(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٣٢) في صفة الجنة : باب (٤) وقال : هذا حديث غريب .
(٤) اخرجه أحمد ٣/٢٩ ولفظه : « إن للجنة . . . » من حديث أبي سعيد .
(٥) أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (٩٢٢).

الباب الثامن عشر

في ذكر أعلى درجاتها واسم تلك الدرجة

روى مسلم في « صحيحه » من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إذا سمعتُم المؤذنَ فقولُوا مثلَ ما يقولُ، ثم صلُّوا عليَّ، فإنهُ من صلَّى عليَّ صلاةً [واحدة] صلَّى اللهُ عليهِ عشْراً ، ثمّ سَلُوا ليَ الوسيلةَ ، فإنها منزلةٌ في الجنةِ لا تَنبغي إلا لعبدٍ من عِبادِ اللهِ وأرجُو أن أكونَ أنا هُوَ ، فمنْ سأل ليَ الوسيلةَ حلتْ عليه الشفاعة »[1] .

وقال أحمد : أنبأنا عبد الرزاق ، أنبأنا سفيان ، عن ليث ، عن كعب، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا صليتمْ عليَّ فسألوا اللهَ ليَ الوسيلةَ . قيلَ : يا رسولَ اللهِ، وما الوسيلةُ ؟ قال : أعلى درجةٍ في الجنةِ لا ينالها إلا رجلٌ واحدٌ، وأرجُو أنْ أكونَ أنا هُوَ »[2] هكذا الرواية : « أن أكون أنا هو » ووجهها أن تكون الجملة خبراً عن اسم كان المستتر فيها ، ولا تكون أنا فصلاً، ولا توكيداً ، بل مبتدأ .

وفي « الصحيحين » من حديث جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال حينَ يسمعُ النّداءَ : اللَّهُمَّ رَبَّ هذهِ الدعوةِ التامةِ، والصّلاةِ القائمةِ، آتِ محمداً

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨٤) في الصلاة : باب استحباب القول مثل قول المؤذن ، وأبو داود (٥٢٣) في الصلاة : باب ما يقول إذا سمع المؤذن ، والترمذي (٣٦١٢) في المناقب، باب فضل النبي ﷺ . الوسيلة : ما يتقرب به إلى الله تعالى من صالح القول والعمل، وقد جاء في الحديث أنها منزلة من منازل الجنة .

(٢) أخرجه أحمد ٢/٢٦٥ .

الوسيلةَ والفضيلةَ ، وابعثْهُ مقاماً محموداً الذي وعدتَهُ ، إلا حلتْ له الشفاعة يومَ القيامة »[1] .

هكذا لفظ الحديث : « مقاماً » بالتنكير ليوافق لفظ الآية . ولأنه لما تعيّن وانحصر نوعه في شخصه جرى مجرى المعرفة، فوصف بما توصف به المعارف، وهذا ألطف[2] من جعل «الذي وعدته» بدلاً، فتأمله.

وفي « المسند » من حديث عمارة بن غزية ، عن موسى بن وردان، عن أبي سعيد الخُدْريِّ قال : قال رسول الله ﷺ : « الوسيلةُ درجةٌ عندَ اللهِ عزَّ وجلّ ، ليسَ فوقَها درجةٌ ، فسلوا اللهَ لِيَ الوسيلةَ»[3] .

وذكره ابن أبي الدنيا وقال فيه : « درجةٌ في الجنةِ ليس في الجنةِ درجةٌ أعلى منها ، فسلُوا الله أنْ يؤتَينيها على رؤوس الخلائقِ » .

وقال أبو نعيم ، أنبأنا سليمان بن أحمد : حدثنا أحمد بن عمرو بن سلم الخلال ، حدثنا عبدالله بن عمران العبادي ، حدثنا فضيل بن عياض، عن منصور، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال : يا رسولَ الله، واللهِ إنك لأحبُّ إليَّ من نفسي ، وإنك لأحبُّ إليَّ من أهلي ، وأحبُّ إليَّ من ولدي ، وأحبُّ إلي من كذا ، وإني لأكون في البيت ، فأذكرك فما أصبر حتى آتيكَ، فأنظرَ إليكَ ، وإذا ذكرتُ موتي وموتَكَ ؛ عرفتُ أنكَ إذا دخلتَ الجنةَ رُفعتَ مع النبيين ، وإني إذا دخلتُ الجنةَ خشيتُ أن لا أراك ، فلم يردَّ عليه النبيُّ ﷺ حتى نزل جبريلُ بهذه الآيةِ : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ الله والرسولَ فأولئكَ معَ الذينَ أنعمَ اللهُ عليهم مِنَ النبيينَ

---

(1) أخرجه البخاري: (٦١٤) في الأذان: باب الدعاء عند النداء، والذي في مسلم الحديث السابق (٣٨٤)، وأبو داود (٥٢٩) في الصلاة: باب ما جاء في الدعاء عند الأذان، والترمذي (٢١١) في الصلاة: باب (١٥٧).

المقام المحمود: هو الشفاعة العظمى يوم القيامة، لأن الخلائق يحمدون ذلك المقام.

(2) في هامش الأصل : لفظ

(3) أخرجه أحمد ٣/٨٣

والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ والصَّالحينَ وحسنَ أولئكَ رفيقاً ﴾[1] [النساء : ٦٩] .

قال الحافظ أبو عبدالله المقدسي : لا أعلم بإسناد هذا الحديث بأساً .

وسميت درجة النبي ﷺ الوسيلة ، لأنها أقربُ الدرجات إلى عرش الرحمن تبارك وتعالى ، وهي أقرب الدرجات إلى الله ، وأصل اشتقاق لفظ : « الوسيلة » من القرب، وهي فعيلة : من وسل إليه : إذا تقرب إليه .

قال لبيد :

بلى كلُّ ذي رأي إلى الله واسلُ [2]

ومعنى الوسيلة : من الوصلة، ولهذا كانت أفضل الجنة وأشرفها ، وأعظمها نوراً .

قال صالح بن عبد الكريم: قال لنا فضيل بن عياض: تدرون لِمَ حسنت الجنة؟ لأن عرش رب العالمين سقفها، وقال الحكم بن أبان: عن عكرمة، عن ابن عباس: نوَّر سقفَ مساكنهم نورُ عرشه.

وقال بكر، عن أشعث، عن الحسن : إنما سميت عَدَن ، لأن فوقها العرش، ومنه تفجر أنهار الجنة، وللحور العدنية الفضل على سائر الحور، والقُربى والزُّلفى : واحد ، وإن كان في الوسيلة معنى التقرب إليه بأنواع الوسائل .

قال الكلبي : واطلبوا إليه القربة بالأعمال الصالحة ، وقد كشف سبحانه عن هذا المعنى كلّ الكشف بقوله : ﴿ أولئكَ الذينَ يَدْعونَ يَبتغُون إلى رَبِّهم الوسيلةَ أيُّهمْ أقربُ ﴾ [الإسراء : ٥٧] فقوله : أيهم أقرب، هو تفسير للوسيلة

---

(١) أخرجه الطبراني في «الصغير» ١/٢٦، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/٧ وقال: رجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن عمران العابدي وهو ثقة، وزاد نسبته للطبراني في «الأوسط»، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٢/١٨٢ ونسبه إلى ابن مردويه، وأبي نعيم في «الحلية»، والضياء في «صفة الجنة» وحسنه.

(٢) عجز بيت في «ديوانه» ص: ١٣٢ وفيه: لب، بدل: رأي.

التي يبتغيها هؤلاء الذين يدعوهم المشركون من دون الله، فيتنافسون في القرب منه .

ولما كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق عبوديةً لربه ، وأعلمهم به ، وأشدهم له خشية ، وأعظمهم له محبة؛ كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله ، وهي أعلى درجة في الجنة، وأمر [النبي] ﷺ أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء الزلفى من الله ، وزيادة الإيمان .

وأيضاً فإن الله سبحانه قدرها له بأسباب، منها : دعاء أمته له[1] بما نالوه على يده من الإيمان والهدى، صلوات الله وسلامه عليه .

فقوله: «حلت عليه[2]» يروى: «عليه» و« له » فمن رواه باللام : فمعناه حصلت له ، ومن رواه بعلى ، فمعناه وقعت عليه شفاعتي . والله أعلم .

---

(١) في هامش الأصل : لربها .

(٢) أي في ص ١١٥ أول الباب.

الباب التاسع عشر

في عرض الرّبِّ تعالى سلعة الجنة على عباده، وثمنها الذي طلبه منهم وعقد التبايع الذي وقع بين المؤمنين وبين ربهم

قال تعالى : ﴿ إنَّ الله اشتَرىٰ من المؤمنينَ أنفسَهم وأموالَهم بأنَّ لَهُم الجنةَ يُقاتلونَ في سبيلِ الله فَيقتُلونَ ويُقتَلون وعْداً عليهِ حقاً في التوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ ومن أوفَى بعهدِهِ مِنَ الله فاستبشرُوا ببيعكم الذي بايعتمْ بهِ وذلكَ هو الفَوزُ العظيمُ ﴾ [التوبة : ١١١] . فجعل سبحانه ها هنا الجنة ثمناً لنفوس المؤمنين وأموالهم، بحيث إذا بذلوها فيه استحقوا الثمن، وعقد معهم هذا العقد، وأكّده بأنواع من التأكيد .

أحدها : إخباره به سبحانه بصيغة الخبر المؤكد بأداة إنَّ .

الثاني : الإخبار بذلك بصيغة الفعل الماضي، الذي قد وقع وثبت واستقر .

الثالث : إضافة هذا العقد إلى نفسه سبحانه وأنه هو الذي اشترى هذا المبيع .

الرابع : أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن وعداً لا يخلفه ولا يتركه .

الخامس : أنه أتى بصيغةِ [على] التي للوجوب، إعلاماً لعباده ، بأن ذلك حق عليه ، أحقه هو على نفسه .

السادس : أنه أكّد ذلك بكونه حقاً عليه .

السابع : أنه أخبر عن محل هذا الوعد، وأنه في أفضل كتبه المنزلة من السماء ، وهي التوراة ، والإنجيل، والقرآن .

الثامن : إعلامه لعباده بصيغة استفهام الإنكار، وأنه لا أحد أوفى بعهده منه سبحانه .

التاسع : أنه سبحانه أمرهم أن يستبشروا[1] بهذا العقد، ويبشر به بعضهم بعضاً بشارة من قد تَمَّ له العقد ولزم ، بحيث لا يثبت فيه خيار، ولا يعرض له ما يفسخه .

العاشر : أنه أخبرهم إخباراً مؤكّداً يؤكد بأن ذلك البيع الذي بايعوا به هو الفوز العظيم ، والبيع هاهنا : بمعنى المبيع الذي أخذوه بهذا الثمن، وهو الجنة .

وقوله : ﴿ بايعتُم به ﴾ أي : عاوضتم وثامنتم به .

ثمّ ذكر سبحانه أهل هذا العقد الذين وقع لهم العقد، وتمّ لهم دون غيرهم ، وهم التائبون مما يكره ، العابدون له بما يحبّ ، الحامدونَ له على ما يحبون وما يكرهون ، ﴿ السَّائحون ﴾ فسرت السياحة : بالصيام ، وفسرت : بالسفر في طلب العلم، وفسرت : بالجهاد، وفسرت : بدوام الطاعة . والتحقيق فيها أنها سياحة القلب في ذكر الله ومحبته ، والإنابة إليه ، والشوق إلى لقائه ، ويترتب عليها كلّ ما ذكر من الأفعال. ولذلك وصف [الله سبحانه] نساء النبي ﷺ اللاتي لو طلق أزواجه بدّله بهن ، بأنهن ﴿ سائحات ﴾، وليست سياحتهن جهاداً، ولا سفراً في طلب علم، ولا إدامة صيام، وإنما هي سياحة قلوبهن في محبة الله [تعالى] وخشيته، والإنابة إليه وذكره .

وتأمل كيف جعل الله سبحانه التوبة والعبادة قرينتين : هذه ترك ما يكره، وهذه فعل ما يحب، والحمد والسياحة قرينين هذا الثناء عليه بأوصاف كماله، وسياحة اللسان في أفضل ذكره، وهذه سياحة القلب في حبه وذكره وإجلاله .

كما جعل سبحانه العبادة والسياحة قرينين في صفة الأزواج فهذه عبادة البدن، وهذه عبادة القلب .

---

(١) في الأصل : يبشروا .

وجعل الإسلام والإيمان قرينين فهذا علانية، وهذا في القلب، كما في «المسند» عنه ﷺ : « الإسلامُ علانية، والإيمان في القلبِ »[1] .

وجعل القنوت والتوبة قرينين ، فهذا فعل ما يحب، وهذا ترك ما يكره .

وجعل الثيوبة والبكارة قرينين ، فهذه قد وطئت وارتاضت وذللت صعوبتها، وهذه روضة أُنُفٌ[2] لم يُرتع فيها بعد .

وجعل الركوع والسجود قرينين ، وجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قرينين ، وأدخل بينهما الواو دون ما تقدم إعلاماً بأن أحدهما لا يكفي حتى يكون مع الآخر، وجعل ذلك قريناً لحفظِ حدوده، فهذا حفظها في نفس الإنسان وذلك[3] أمر غيره بحفظها . وأفهمت الآية : خطر النفس الإنسانية وشرفها، وعظم مقدارها ، فإن السِّلعة إذا خفي عليك قدرها فانظر إلى المشتري لها من هو، وانظر إلى الثمن المبذول فيها ما هو ؟ وانظر إلى من جرى على يده عقد التبايع ، فالسِّلعة النفس، والله سبحانه المشتري لها ، والثمن جنات النعيم ، والسفير في هذا العقد خير خلقه من الملائكة، وأكرمهم عليه، وخيرهم من البشر، وأكرمهم عليه .

قَدْ هيؤوكَ لأمْرٍ لَوْ فَطِنتَ لَه فارْبأْ بنفسِكَ أنْ تَرْعَىٰ مَعَ الهَمَلِ

وفي « جامع » الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ خافَ أدْلجَ ، ومَنَ أدْلجَ بلغَ المنزِلَ، ألا إنَّ سلعةَ اللهِ غاليةٌ ، ألا إنَّ سلعةَ اللهِ الجنةُ » [4] قال : هذا حديث حسن غريب.

---

(١) أخرجه أحمد ٣/١٣٥ ، ولفظه : « الإسلام علانية ، والإيمان في القلب، قال : ثم يشير إلى صدره ثلاث مرات، قال : ثم يقول : التقوى هاهنا ، التقوى هاهنا » ، وعزاه في « الكنز » (١٩) إلى ابن أبي شيبة، و (٤٤) وزاد نسبته إلى النسائي، وأبي يعلى وصحح، كلهم من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) الأُنُف : من الرياض التي لم يرعها ، أو لم يطأها أحد .

(٣) في هامش الأصل : وذاك .

(٤) أخرجه الترمذي (٢٤٦٠) في صفة القيامة : باب (١٨) وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر .

وفي كتاب «صفة الجنة» لأبي نعيم من حديث أبان، عن أنس قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: ما ثمن الجنة؟ قال: «لا إله إلا الله»(١). وشواهد هذا الحديث كثيرة جداً.

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « أنَّ أعرابياً جاء إلى رسول اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ، دُلني على عملٍ إذا عملتُه دخلتُ الجنةَ. فقال : «تعبدُ الله [ولا] تشركُ به شيئاً ، وتقيمُ الصلاةَ المكتوبة، وتؤتي الزكاةَ المفروضَة ، وتصومُ رمضانَ»قال : والذي نفسي بيده لا أزيدُ على هذا شيئاً أبداً ولا أنقصُ منه، فلما وَلَّى قال : « من سَرَّهُ أن ينظرَ إلى رجلٍ من أهلِ الجنةِ فلينظرْ إلى هذا »(٢) .

وفي « صحيح » مسلم عن جابر رضي الله عنه : أتـى النعمانُ بنُ قوقلٍ إلى رسولِ اللهِ ﷺ ، فقال : يا رسولَ اللهِ أرأيتَ إذا صليتُ المكتوبة، وحرَّمتُ الحَرامَ، وأحللتُ الحلالَ، أدخلُ الجنةَ ؟ فقال النبيُّ ﷺ : «نعمْ»(٣).

وفي «صحيح» مسلم عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «منْ ماتَ وهو يعلمُ، أن لا إلهَ إلا الله دخلَ الجنةَ»(٤).

وفي « سنن » أبي داود ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : « سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : منْ كانَ آخرُ كلامِهِ : لا إلهَ إلَّا الله ، دخلَ الجنةَ »(٥)

---

(١) في «صفة الجنة» (٥١)،وأخرجه ابن عدي في «كامله» ٢٣٤٧/٦ وقال: وهو بيِّن الضعف، لضعف رواية موسى بن إبراهيم المروزي، وعزاه في «الكنز» (١٥٧) للديلمي مطولاً و (١٧٩٠) إلى ابن مردويه كلهم عن أنس، وعبد بن حميد في «تفسيره» عن الحسن مرسلاً.

(٢) أخرجه البخاري ٢١٠/٣ في الزكاة : باب وجوب الزكاة ، ومسلم (١٤) في الإيمان : باب (٤) بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة .

(٣) أخرجه مسلم (١٥) (١٦) و(١٨) في الإيمان : باب (٤) بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة .

(٤) أخرجه مسلم (٢٦) (٤٣) في الإيمان باب (١٠) الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة.

(٥) أخرجه أبو داود (٣١١٦) في الجنائز : باب التلقين ، والحاكم ٣٥١/١ وصححه ووافقه الذهبي

وفي « الصحيحين » عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أتاني آتٍ منْ ربي فأخبرني - أو قال - فبشرني : أنهُ منْ ماتَ من أمتكَ لا يشركُ باللهِ شيئاً دخلَ الجنةَ، قلتُ: وإن زنى وإن سرقَ؟ قال: وإنْ زنى وإنْ سرقَ»[١].

وفي « الصحيحين » من حديث عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : « منْ قال : أشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، وأنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، وأنَّ عيسى عبدُ اللهِ ورسولُه ، وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه، وأنَّ الجنةَ حقٌّ، وأنَّ النارَ حقٌّ، أدخلهُ اللهُ من أيِّ أبوابِ الجنةِ الثمانيةِ شاءَ »[٢] .

وفي لفظٍ : « أدخلَهُ الله الجنَّةَ على ما كانَ مِنْ عَمَلٍ »[٣]

وفي « صحيح » مسلم : « أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أعطى أبا هريرةَ نعليه فقال : «اذهبْ بنعليَّ هاتين، فمنْ لقيتَ من وراءِ هذا الحائطِ يشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللّه مستيقناً بها قلبُهُ، فبشرْهُ بالجنَّةِ»[٤].

وقال روح بن عبادة، عن حبيب بن الشهيد، عن الحسن قال : « ثمنُ الجنةِ لا إله إلا الله »[٥] .

وروى أبو نعيم: من حديث أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لا يدخلُ أحداً منكم عملُه الجنة ، ولا يجيرُهُ من النارِ، ولا أنا إلا بتوحيدِ الله [تعالى] »[٦] وإسناده على شرط مسلم، وأصل الحديث في الصحيح .

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٣٧) في الجنائز : باب (١) من كان آخر كلامه لا إله إلاّ الله ، ومسلم (٩٤) (١٥٣) في الإيمان باب (٤٠) من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة .

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣٥) في الأنبياء : باب (٤٧) ، ومسلم (٢٨) في الإيمان : باب (١٠) .

(٣) أخرجه مسلم (٢٨) (٤٦) ولم يذكر: « من أي أبواب الجنة شاء » .

(٤) أخرجه مسلم (٣١) (٥٢) في الإيمان : باب (١٠) مطولاً .

(٥) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٥٠).

(٦) أخرجه في «صفة الجنة» (٥٢)، ومسلم (٢٨١٧). في صفة المنافقين: باب لن يدخل أحد الجنة بعمله وفيه: «إلا برحمة من الله».

فصل

هـا هنا أمـر يجب التنبيه عليـه وهو : أن الجنـة إنما تـدخل بـرحمة الله [تعالى]، وليس عمل العبد مستقلاً بدخولها، وإن كان سبباً . ولهذا أثبت الله تعالى دخولها بالأعمال في قوله : ﴿ بما كنتُم تعملونَ ﴾، ونفىٰ رسول الله ﷺ دخولها : بالأعمال في قوله : « لنْ يدخلَ أحدٌ منكم الجنةَ بعملهِ » ولا تنافي بين الأمرين لوجهين :

أحدهما : ما ذكره سفيان وغيره قال : كانوا يقولون : النجاة من النار بعفو الله ، ودخول الجنة برحمته. واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال، ويدل على هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي سيأتي إن شاء الله [تعالى]،«أنَّ أهل الجنةِ إذا دخلوها ، نزلوا فيها بفضلِ أعمالِهم»[1] ، رواه الترمذي .

والثاني : أن الباء التي نفت الدخول هي باء المعاوضـة التي يكون فيهـا أحد العوضين مقابلاً للآخر ، والبـاء التي أثبتت الدخـول هي باء السببيـة التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره ، وإن لم يكن مستقلاً بحصوله . وقد جمع النبي ﷺ بين الأمرين في قوله :« سَدِّدُوا وقاربُوا وابشرُوا، واعلموا أنَّ أحداً منكم لنْ ينجوَ بعمله قالوا : ولا أنتَ يا رسولَ الله ؟ قال : ولا أنا إلا أنْ يَتغمدَني اللهُ برحمتهِ »[2] .

ومن عـرف الله [تعالى] ، وشهـد مشهد حقـه عليـه، ومشهـد تقصيـره وذنوبه، وأبصر هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وخبره وجزم به . والله سبحانه وتعالى المستعان .

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٤٩) في الجنة : باب في سوق الجنة .

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٧) في الرقاق : باب القصد والمداومـة على العمل ، ومسلم (٢٨١٨) في المنافقين : باب لن يدخل أحد الجنة بعمله ، كلاهما عن عائشة رضي الله عنها .

الباب العشرون

في طلب أهل الجنة لها من ربِّهم وطلبها لهم وشفاعتِها فيهم إلى ربها عزَّ وجلَّ

قال [الله] تعالى حكايةً عن أولي الألباب من عباده قولهم : ﴿ ربَّنا إنَّنا سمِعنا مُنادياً ينادِي للإيمانِ أنْ آمِنُوا بِرَبِّكُم فآمَنا ، ربَّنا فأغْفِرْ لنا ذُنُوبَنا وكَفِّر عَنَّا سَيِّئاتِنا وتوفنا مع الأبَرارِ . رَبَّنا وآتِنا ما وعدتَنا على رُسُلِكَ ولا تخزِنَا يومَ القِيامةِ إنَّكَ لا تخلفُ الميعادَ ﴾ [آل عمران : ١٩٣ ـ ١٩٤] .

والمعنى : وآتنا ما وعدتنا على ألسنةِ رُسُلِكَ من دخول الجنة .

وقالت طائفة : معناه ، وآتنا ما وعدتنا على الإيمان برسلك ، وليس يسهل حذف الاسم والحرف معاً ، إلا أن يقدر على تصديق رسلك وطاعة رسلك . وحينئذ فيتكافأ التقديران ، ويترجح الأول بأنه قد تقدم قولهم : ﴿ ربنا إنَّنا سمعنا منادياً ينادي للإيمانِ أنْ آمنوا بربكم فآمنا ﴾ [آل عمران : ١٩٣] . وهذا صريح في الإيمان بالرسول والمرسل، ثم توسلوا إليه بإيمانهم أن يؤتيهم ما وعدهم على ألسنة رسله ، فإنهم إنما سمعوا وعده لهم بذلك من الرسل، وذلك أيضاً يتضمن التصديق بهم ، وأنهم بلّغوهم وعده فصدقوا به ، وسألوه أن يؤتيهم إياه ، وهذا هو الذي ذكره السلف والخلف في الآية .

وقيل : المعنى آتنا ما وعدتنا من النصر والظفر على ألسنة الرسل . والأول أعمّ وأكمل .

وتأمل : كيف تضمن إيمانهم به الإيمان بأمره ونهيه ، ورسله ووعده ووعيده ، وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وصدق وعده ، والخوف من وعيده واستجابتهم لأمره . فبمجموع ذلك صاروا مؤمنين بربهم تعالى . فبذلك صحّ لهم التوسل إلى سؤال ما وعدهم به والنجاة من عذابه .

وقد أشكل على بعض الناس سؤالهم أن ينجز لهم ما وعدهم[1]، مع أنه فاعل لذلك ولا بدَّ.

وأجاب : بأن هذا تعبّد محضٌ، كقوله : ﴿ رَبِّ احكمْ بالحقِّ ﴾ [الأنبياء: ١١٢]، وقول الملائكة: ﴿فاغْفِرْ للَّذِين تابُوا واتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ [غافر: ٧]، وخفي على هؤلاء أن الوعد معلق بشروط منها: الرغبة إليه سبحانه [وتعالى] وسؤاله أن ينجزه لهم، كما أنه معلق بالإيمان وموافاتهم به. وأن لا يلحقه ما يحبطه. فإذا سألوه سبحانه أن ينجز لهم ما وعدهم تضمن ذلك توفيقهم، وتثبيتهم وإعانتهم على الأسباب التي ينجز لهم بها وعده، كان هذا الدعاء من أهم الأدعية وأنفعها، وهم أحوج إليه من كثير من الأدعية.

وأما قوله : ﴿ ربِّ احكمْ بالحقِّ ﴾ ، فهذا سؤال له سبحانه [وتعالى] أن ينصرَهم على أعدائهم ، فيحكم لهم عليهم بالنصر والغلبة .

وكذلك سؤال الملائكة ربّهم أن يغفر للتائبين ، هو من الأسباب التي يوجب بها لهم المغفرة ، فهو سبحانه نصب الأسباب التي يفعل بها ما يريده بأوليائه وأعدائه ، وجعلها أسباباً لإرادته ، كما جعلها أسباباً لوقوع مراده فمنه السبب والمسبب . وإن أشكل عليك ذلك ، فانظر إلى خلقه الأسباب التي توجب محبته وغضبه ، فهو يحب ويرضى ويغضب ويسخط عبر الأسباب التي خلقها وشاءها ، فالكل منه وبه، فهو مبتدأ من مشيئته وعائد إلى حكمته وحده . وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد لا يلجه إلا العالمون بالله . ونظير هذه الآية في سؤاله ما وعد به في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أذلكَ خيرٌ أَمْ جنةُ الخُلْدِ التي وُعِدَ المتقونَ ، كانَتْ لهم جَزَاءً ومصيراً * لهم فيها ما يشاؤونَ خالدينَ كانَ على رَبِّكَ وعداً مسؤولاً ﴾ [الفرقان : ١٥ ـ ١٦] ، يسأله إياه عباده المؤمنون ، ويسأله إياه ملائكته لهم ، فالجنة تسأل ربّها أهلها ، وأهلها يسألونه إياها، والملائكة تسألها لهم ، والرسل يسألونه إياها لهم ولأتباعهم ، ويوم القيامة يقيمهم سبحانه بين يديه يشفعون فيها لعباده المؤمنين ، وفي هذا من تمام ملكه

(١) في هامش الأصل : وعده

وإظهار رحمته وإحسانه وجوده وكرمه وإعطائه سئل ما ما هو من لوازم أسمائه وصفاته ، واقتضائها لآثارها ومتعلقاتها ، فلا يجوز تعطيلها عن آثارها وأحكامها ، فالرب تعالى جواد له الجود كله ، يحب أن يسأل ويطلب منه ويرغب إليه ، فخلق من يسأله وألهمه سؤاله وخلق له ما يسأله إياه فهو خالق السائل وسؤاله ومسؤوله ، وذلك لمحبته لسؤال عباده له ، ورغبتهم إليه ، وطلبهم منه ، وهو يغضب إذا لم يسئل[1] .

وأحب خلقه إليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالاً ، وهو يحب الملحين في الدعاء ، وكلّما ألحّ العبد عليه في السؤال أحبه وقربه وأعطاه .

وفي الحديث : «مَنْ لم يسألِ الله يَغْضَبْ عليه»[2] فلا إله إلا الله[3] ، أي جناية جنت القواعد الفاسدة على الإيمان ، وحالتَ بين القلوب وبين معرفة ربِّها وأسمائه ، وصفات كماله ونعوت جلاله و﴿ الحمدُ لله الَّذي هَدَانا لِهَذا ومَا كُنَّا لنَهْتَدي لولا أنْ هَدَانا الله ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

قال أبو نعيم الفضل : حدثنا يونس، هو ابن أبي إسحاق ، حدثنا بُرَيْد ابن أبي مريم قال : قال أنس بن مالك : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلمٍ يسألُ اللهَ الجنةَ ثلاثاً إلا قالت الجنةُ : اللَّهم أدخلهُ الجنةَ ، ومن استجار بالله من النارِ ثلاثاً قالتْ النارُ : اللَّهُم أجرهُ من النارِ »[4] رواه الترمذي، والنسائي، وابن

---

(١) وفي هذا المعنى قال الشاعر :

لا تسألنّ بُنيَّ آدم حاجةً وسَلِ الذي أبوابه لا تحجبُ
الله يغضبُ إنْ تركتَ سؤاله وبنيّ آدم حين يُسألُ يغضبُ

(٢) حديث حسن أخرجه ـ البخاري في « الأدب المفرد » (٦٥٨) ، والترمذي (٣٣٧٣) في الدعاء : باب (٢)، وابن ماجه (٣٨٢٧) في الدعاء : باب (١) كلهم بألفاظ متقاربة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) في هامش الأصل : هو

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٧٢) في صفة الجنة : باب (٢٧) وقال : هكذا روى يونس، عن أبي إسحاق هذا الحديث ، عن بُريد بن أبي مريم، عن أنس عن النبي ﷺ نحوه، والنسائي (٥٥٢١) في الاستعاذة : باب (٥٦)، وابن ماجه (٤٣٤٠) في الزهد : باب صفة الجنة، وابن حبّان (٢٤٢٢) في « الموارد » .

ماجه، عن هناد بن السري، عن أبي الأحوص، عن أبي إسحاق، عن بُرَيْد به .

وقال الحسن بن سفيان : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن يونس بن خباب، عن أبي حازم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما سأل الله عبدٌ الجنة في يوم سبعَ مراتٍ إلا قالتْ الجنةُ : يا ربِّ إنَّ عبدكَ فلاناً سألني فأدخله الجنة »(١) .

وقال أبو يعلى الموصلي : حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب، حدثنا جرير ، عن يونس، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « ما استجارَ عبدٌ من النارِ سَبْعَ مَرَاتٍ إلا قالت النارُ : يا ربّ إنَّ عبدكَ فلاناً استجارَ مني فأجْرهُ ، ولا يسألُ عبدُ الجنةَ سبعَ مراتٍ إلا قالت الجنةُ : يا ربِّ إنَّ عبدَكَ فلاناً سألني فأدخلْهُ الجنةَ »(٢) ، وإسناده على شرط الصحيحين .

وقال أبو داود في « مسنده » : حدثنا شعبة : حدثني يونس بن خباب : سمع أبا علقمة عن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال : أسأل اللهَ الجنةَ سبعاً ، قالتِ الجنةُ : اللَّهم أدخلْه الجنةَ »(٣) .

وقال الحسن بن سفيان : حدثنا المقدمي حدثنا غُمير بن علي ، عن يحيى بن عبيد ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « أكثرُوا مسألةَ اللهِ الجنةَ واستعيذُوا به من النارِ ؛ فإنهما شافعتانِ مشفعتانِ ، وإنَّ العبدَ إذا أكثرَ مسألةَ اللهِ الجنةَ قالتِ الجنةُ : يا ربِّ عبدُك هذا الذي سألنيكَ فأسكنْهُ إيايَّ . وتقولُ النارُ : يا ربِّ عبدُكَ هذا الذي استعاذَ بكَ مني فأعذْهُ»(٤).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٦٨)،وأورده ابن كثير في «النهاية» ٢/٥٠٠. وهو حديث ضعيف.

(٢) أورده ابن كثير في « النهاية » ٢/٥٠٠ ، وقال : على شرط مسلم .

(٣) أخرجه الطيالسي (٢٥٧٩) وتمامه : « ومن استعاذ من النار سبعاً قالت النار اللهم أعذه من النار » .

(٤) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٧٠)، وأخرج الديلمي نحوه في «الفردوس» (٢١٣) وفيه «أكثر مسألة الله الجنة، والاستعاذة به من النار فإنهما شافعتان مشفعتان».

وقد كان جماعة من السلف لا يسألون الله الجنةَ ويقولون : حسبنا أن يجيرنا من النار.

فمنهم أبو الصهباء صلة بن أشيم صلّى ليلة إلى السحر، ثم رفع يديه وقال: اللّهم أجرني من النار: أو مثلي يجتريء [أن] يسألك الجنة؟

ومنهم عطاء السلمي، كان لا يسأل الجنة، فقال له صالحِ المري: إن أبان حدثني عن أنس أن النبي ﷺ قال: « يقولُ الله عزَّ وجلَّ: انظرُوا في ديوانِ عبدي، فمنْ رأيتمُوه سألني الجنةَ أعطيتُهُ، ومنْ استعاذني من النار أعذْتَه[1] فقال عطاء: كفاني أن يجيرني من النار، ذكرها أبو نُعيم.

وقد روى أبو داود في « سننه » من حديث جابر في قصة صلاة معاذ وتطويله بهم، أن النبيَّ ﷺ قال للفتى ـ يعني الذي شكاه ـ « كيفَ تصنعُ يا ابن أخي إذا صليتَ؟ قال: أقرأُ بفاتحةِ الكتابِ وأسألُ اللهَ الجنةَ وأعوذُ به من النارِ، وإني لا أدري ما دندنتُكَ ودندنَةَ معاذٍ؟ فقال النبي ﷺ: إني ومعاذاً حولها ندندنُ »[2].

وفي « سنن » أبي داود من حديث محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يسألُ بوجهِ اللهِ إلا الجنةَ »[3] رواه عن أحمد بن عمرو العصفري، حدثنا يعقوب بن إسحاق، حدثنا سليمان بن معاذ، عن محمد، فذكره.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » ٦/١٧٥ ـ ١٧٦، و٢٢٦ وقال: غريب من حديث صالح لم نكتبه إلا من حديث إسماعيل بن نصر، وأخرجه في «صفة الجنة» (١٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٧٩٣) في الصلاة: باب (١٢٧) في التخفيف في الصلاة، وله شاهد عند أحمد ٣/٤٧٤ عن بعض اصحاب النبي ﷺ، وابن ماجة (٩١٠) في إقامة الصلاة: باب (٢٦) ما يقال في التشهد.. وقال في « الزوائد »: إسناده صحيح، ورجاله ثقات.
قال الخطابي الدندنة: قراءة مبهمة غير مفهومة.

(٣) أخرجه أبو داود في « سننه » (١٦٧٢) في الزكاة: باب (٣٧) كراهية المسألة بوجه الله تعالى، والديلمي في «الفردوس» (٧٩٨٦)، والسخاوي في « المقاصد الحسنة » (١٣٢٣) وقال: والظاهر أن النهي فيه للتنزيه، ولا يمنع استحباب الإجابة لمن سئل به.

وقد تقدم في أول الكتاب حديث الليث، عن معاوية بن صالح، عن عبد الملك بن أبي بشير يرفع الحديث: «ما من يومٍ إلا والجنةُ والنارُ تسألانِ. تقولُ الجنةُ: يا ربِّ قد طابتْ ثماري، واطردتْ أنهاري، واشتقتُ إلى أوليائي، فعجلْ إليَّ بأهلي»[1] الحديث.

فالجنة تطلب أهلها بالذات، وتجذبهم إليها جذباً، والنار كذلك، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نزال نذكرهما ولا ننساهما.

كما روى أبو يعلى الموصلي في «مسنده»: حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل، حدثنا أيوب بن شبيب الصنعاني قال: كان فيما عرضنا على رباح بن زيد، حدثني عبد الله بن تجِير[2] سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول: سمعت عبدالله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تنسُوا العظيمتين» قلنا: وما العظيمتانِ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «الجنةُ والنارُ»[3].

وذكر أبو بكر الشافعي من حديث كليب بن حزن قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اطلبُوا الجنةَ جُهدكُم، واهربُوا من النارِ جهدَكُم، فإنَّ الجنةَ لا ينامُ طالبُها، وإنَّ النارَ لا ينامُ هاربُها، وإن الآخرةَ اليومَ محفوفةٌ بالمكاره، وإن الدنيا محفوفةٌ باللذاتِ والشهواتِ، فلا تلهينَّكم عنِ الآخرة»[4].

(١) سبق تخريجه ص ٤٦ ت(٣).
(٢) في الأصل: نمير، والتصويب من «التقريب».
(٣) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» ١/٤١٧، ولفظه: «لا تنسوا العظيمين. الجنة والنار»، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٦٦).
(٤) أورده ابن كثير في «النهاية» ٢/٥٠٢.

الباب الحادي والعشرون

في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقاتها

ولها عِدَّة أسماء باعتبار صفاتها، ومسمّاها واحد باعتبار الذات ، فهي مترادفة من هذا الوجه ، وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه، وهكذا أسماء الرب [سبحانه] وتعالى ، وأسماء كتابه ، وأسماء رسوله ، وأسماء اليوم الآخر ، وأسماء النار .

الاسم الأول : الجنة . وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار ، وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللَّذة والبهجة ، والسرور وقرة الأعين . وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية ، ومنه الجنين لاستتاره في البطن ، والجان لاستتاره عن العيون، والمجن لستره، ووقايته الوجه، والمجنون لاستتار عقله وتواريه عنه، والجانّ : وهي الحية الصغيرة الدقيقة، ومنه قول الشاعر :

فَدَقّت وجلت واسبكرتْ وأكملتْ ... فلو جُنَّ إنسانٌ من الحُسن جَنَّتِ[1]

أي لو غطي وستر عن العيون لفعل بها ذلك . ومنه سمي البستان جنة ؛ لأنه يستر داخله بالأشجار ويغطيه ، فلا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير الشجر مختلف الأنواع ، والجنة ـ بالضم ـ ما يستجَنُّ به من ترس أو غيره .

ومنه قوله تعالى: **﴿اتخذوا أَيْمانَهم جُنَّة فصدُّوا عن سبيل الله﴾** [المجادلة: ١٦] أي يستترون بها من إنكار المؤمنين عليهم.

---

(١) البيت للشنفرى كما في « اللسان » جنن. اسبكرت: طالت واستقامت وامتدت ، وفي الأصل بدل الحسن : الجِنِّ .

ومنه صفة الجِنّـة ـ بالكسـر ـ وهم الجِنُّ كما قـال تعالى : ﴿ مِنَ الجِنَّـةِ والنَّـاسِ ﴾ [الناس : ٦] ، وذهبت طـائفة من المفسـرين إلى أن المـلائكـة يسمَّـون جِنّة ، واحتجـوا بقولـه تعـالى : ﴿ وجعلُوا بينَـهُ وبينَ الجِنّـةِ نسَبـاً ﴾ [الصافات : ١٥٨] قالوا : وهذا النسب قولهم : الملائكة بنات الله ، ورجحوا هذا القول بوجهين :

أحدهما : أن النسب الذي جعلوه إنما زعموا أنه بين الملائكة وبينه، لا بين الجِنّ وبينه .

الثـاني : قـولـه تعـالى : ﴿ ولَقَـدْ عَلِمَتِ الْجِنَّـةُ إنّهم لمحضَـرُونَ ﴾ [الصـافات : ١٥٨] . أي قـد علمت الملائكـة أن الذين قـالـوا هـذا القـول محضرون للعذاب[١] . والصحيح خلاف ما ذهب إليه هؤلاء ، وأن الجِنـة هم الجن أنفسهم كما قال تعالى : ﴿ من الجِنّةِ والنّاسِ ﴾ [الناس : ٦] . وعلى هذا ففي الآية قولان :

أحدهما : قول مجاهد، قال : قالت كفار قريش : الملائكة بنات الله ، فقال لهم أبو بكر : فمن أمهاتهم ؟ فقالوا : سروات[٢] الجن . وقال الكلبي : قالوا تزوج من الجن فخرج من بينهما الملائكة . وقال قتادة : قالـوا : صاهـر الجِنّ .

والقول الثاني قول الحسن قال : أشـركوا الشيـاطين في عبادة الله، فهـو النسب الذي جعلوه . والصحيح قـول مجاهـد وغيره، ومـا احتج بـه أصحاب القول الأول ليس بمسلتزم لصحة قولهم ، فإنهم لما قالوا : الملائكة بنات الله ، وهم من الجِنِّ عقـدوا بينه وبين الجِنّ نسبـاً بهذا الإيـلاد، وجعلوا هذا النسب متولداً بينه وبين الجِنَّة ، وأما قوله : ﴿ ولَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّـةُ إنّهم لمُحْضَرُونَ ﴾ فالضمير يرجع إلى الجِنّة أي قد علمت الجنة أنهم محضرون الحسـاب. قالـه مجاهد أي لـو كان بينـه وبينهم نسب لم يحضروا للحسـاب كما قـال تعالى :

---

(١) في الأصل : العذاب .

(٢) أي : أشراف «نهاية».

﴿ وقالتِ اليهودُ والنَّصارَى نحنُ أبنَاءُ الله وأحباؤُهُ قُلْ فَلِمَ يعذبُكُمْ بذنوبِكُم بلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَنْ خلَقَ ﴾ [المائدة : ١٨] ، فجعل سبحانه وتعالى عقوبتهم بذنوبهم وإحضارهم للعذاب مبطلاً لدعواهم الكاذبة، وهذا التقدير في الآية أبلغ في إبطال قولهم من التقدير الأول، فتأمله ، والمقصود ذكر أسماء الجنة .

فصل

الاسم الثاني : دار السلام وقد سمّاها الله بهذا الاسم في قوله : ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [الأنعام : ١٢٧] ، وقوله : ﴿ واللهُ يَدعُو إلى دَارِ السَّلامِ ﴾ [يونس : ٢٥] ، وهي أحقّ بهذا الاسم، فإنها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه ، وهي دار الله ، واسمه سبحانه [وتعالى] السَّلامُ الذي سلّمها ، وسلّم أهلها : ﴿ وتحيتهمْ فيها سلامٌ ﴾ [يونس : ١٠] ، ﴿ والملائكةُ يَدخُلُونَ عليهمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ [الرعد : ٢٣ ـ ٢٤] ، والرب تعالى يسلم علّيهم من فوقهم ، كما قال تعالى : ﴿ لهمْ فيها فاكهةٌ ولهمْ ما يدَّعونَ * سلامٌ قَولاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ﴾ [يسن : ٥٧ ـ ٥٨] وسيأتي حديث جابر في سلام الرب تبارك وتعالى عليهم في الجنة، وكلامهم كلُّه فيها سلام ، أي لا لغوٌ فيها ولا فحش ولا باطل، كما قال تعالى : ﴿ لا يَسْمَعُونَ فيها لغواً إلا سَلاماً ﴾ [مريم : ٦٢] .

وأما قوله تعالى : ﴿ وأمّا إنْ كانَ مِنْ أصحابِ اليمينِ * فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أصحابِ اليمينِ ﴾ [الواقعة: ٩٠ ـ ٩١] فأكثر المفسرين حاموا حول المعنى وما وردوه، وقالوا أقوالاً لا يخفى بُعدها عن المقصود.

وإنما معنى الآية والله أعلم: فسلام لك أيها الراحِل عن الدنيا حال كونك من أصحاب اليمين، أي فسلامه لك كائناً من أصحاب اليمين الذين سلموا من الدنيا وأنكادها، ومن النار وعذابها، فبشر بالسّلامة عند ارتحاله من الدنيا، وقدومه على الله، كما يبشر الملك روحه عند أخذها بقوله: «أبشري بروح وريحان وربّ غير غضبان». وهذا أول البشرىٰ التي للمؤمن في الآخرة.

فصل

الاسم الثالث : دار الخلد . وسميت بذلك، لأن أهلها لا يظعنون عنها أبداً كما قال تعالى : ﴿ عطاءً غيرَ مجذُوذٍ ﴾ [هود : ١٠٨] وقال : ﴿ إنَّ هذا لرزقُنا مَالهُ مِنْ نَفادٍ ﴾ [ص : ٥٤] وقال : ﴿ أُكُلُها دَائمٌ وظِلُّها ﴾ [الرعد : ٣٥] . وقال : ﴿ وما هُمْ مِنهَا بمُخْرجِينَ ﴾ [الحجر : ٤٨] . وسيأتي إبطال قول من قال من الجهمية والمعتزلة بفنائِها، أو فناء حركاتِ أهلها إن شاء الله [تعالى] .

فصل

الاسم الرابع : دار المقامة، قال تعالى حكاية عن أهلها : ﴿ وقَالُوا الحمدُ لله الَّذِي اذهَبَ عَنَّا الحزَنَ إنَّ رَبَّنا لغفورٌ شَكُورٌ * الذي أحلَّنا دَارَ المُقامَةِ مِنْ فضلِهِ لا يَمُسنَا فيها نَصَبٌ ﴾ [فاطر : ٣٤ - ٣٥] .

قال مقاتل : أنزلنا دار الخلود، أقاموا فيها أبداً ، لا يموتون ، ولا يتحولون منها أبداً .

قال الفراء والزجاج : المقامة مثل الإقامة ، يقال : أقمت بالمكان إقامة ، ومقامة ، ومقاماً .

فصل

الاسم الخامس : جنّة المأوىٰ ، قال تعالى : ﴿ عِندَها جَنَّةُ المأْوىٰ ﴾ [النجم : ١٥] والمأوى : مفعل من أوى يأوي، إذا انضم إلى المكان، وصار إليه واستقر به .

وقال عطاء عن ابن عباس : هي الجنة التي يأوي إليها جبريل والملائكة .

وقال مقاتل والكلبي : هي جنة تأوي إليها أرواح الشهداء .

وقال كعب : جنة المأوى : جنة فيها طير خضر ترتعي فيها أرواح الشهداء .

وقالت عائشة [رضي الله عنها] ، وزر بن حبيش : هي جنة من الجنان .

والصحيح أنه اسم من أسماء الجنة كما قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خافَ مقَامَ رَبِّهِ ونهَى النَّفسَ عَنِ الهَوى * فإنَّ الجنَّةَ هي المأوى ﴾ [النازعات : ٤٠ - ٤١] . وقال في النار : ﴿ فإنَّ الجحيمَ هي المأوَى ﴾ [النازعات : ٣٩] . وقال : ﴿ مأواكُم النَّارُ ﴾ [الحديد : ١٥] .

فصل

الاسم السادس : جنات عدن ، فقيل : هو اسم جنةٍ من جملةِ الجنات ، والصحيح أنه اسم لجملة الجنان ، وكلّها جنات عَدْن . قال تعالى : ﴿ جناتُ عَدْنٍ التي وَعَدَ الرحمْنُ عبادَهُ بالغيبِ ﴾ [مريم : ٦١] ، وقال تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عدنٍ يَدخلونَها يحلُّونَ فيها من أساورَ من ذهبٍ ولؤلؤاً ولباسُهم فيها حريرٌ ﴾ [فاطر : ٣٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَساكِنَ طَيِّبَةً في جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ [الصف : ١٢] والاشتقاق يدل على أن جميعها جناتُ عَدْن ، فإنه من الإقامة والدوام . يقال : عَدَن بالمكان ، إذا أقام به ، وعدنت البلد توطنته ، وعدنت الإبل مكان كذا لزمته ، فلم تبرح منه .

قال الجوهري : ومنه جنات عدن أي جنات إقامة . ومنه سُمِّي المعدِن - بكسر الدال -، لأن الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء ، ومركز كلّ شيءٍ معدنه . والعادن : الناقة المقيمة في المرعى .

فصل

الاسم السابع : دار الحيوان ، قال تعالى : ﴿ وإنَّ الدّارَ الآخِرَةَ لَهِي الحيَوانُ ﴾ [العنكبوت : ٦٤] والمراد الجنة عند أهل التفسير، قالوا : وإن

الآخرة يعني الجنة لهي الحيوان : لهي دار الحياة التي لا موت فيها . فقال الكلبي : هي حياة لا موت فيها . وقال الزجاج : هي دار الحياة الدائمة . وأهل اللغة على أن الحيوان بمعنى الحياة . وقال أبو عبيدة ، وابن قتيبة : الحياةُ: الحيوان. قال أبو عبيدة : الحياة والحيوان والحِي - بكسر الحاء - واحد. قال أبو علي : بمعنى أنها مصادر، فالحياة فَعْلة كالحَلْبة، والحيوان : كالنزوان والغليان ، والحِيُّ : كالعِيِّ قال العجاج :

كنَّا بِها إذا الحياةُ حِيّ [1]

أي : إذا الحياة حياة . أما أبو زيد فخالفهما وقال : الحيوان ما فيه روح . والموتان والموات ما لا روح فيه . والصواب : أن الحيوان يقع على ضربين : أحدهما : مصدر، كما حكاه أبو عبيدة، والثاني : وصف كما حكاه أبو زيد، وعلى قول أبي زيد : الحيوان مثل الحي ، خلاف الميت، ورجح القول الأول، بأن الفعلان بابه المصادر كالنزوان والغليان ، بخلاف الصفات، فإن بابها فعلان كسكران وغضبان، وأجاب من رجح القول الثاني ، بأن فعلان قد جاء في الصفات أيضاً قالوا، رجل ضميان : للسريع الخفيف، وزفيان قال في « الصحاح » : ناقة زفيان : سريعة. وقوس زفيان : سريعة الإرسال للسّهم . فيحتمل قوله [تعالى] : ﴿ وإنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوانُ ﴾ [العنكبوت : ٦٤] معنيين :

أحدهما : أن حياة الآخرة هي الحياة، لأنها لا تنغيص فيها ولا نفاد لها : أي لا يشوبها ما يشوب الحياة في هذه الدار، فيكون الحيوان مصدراً على هذا .

والثاني : أن يكون المعنى : أنها الدار التي لا تفنى ولا تنقطع ، ولا تبيد كما يفنى الأحياء في هذه الدنيا، فهي أحقّ بهذا الاسم من الحيوان الذي يفنى ويموت .

---

(١) في «الديوان» ص ٣١٣ وفيه: وقد ترى إذا الحياة حِيّ.

فصل

الاسم الثامن : الفردوس قال الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوسَ هُمْ فيها خَالِدُونَ﴾[المؤمنون: ١٠ - ١١]، وقال تعالى :﴿إنَّ الذينَ آمنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كانتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِردوسِ نُزُلاً﴾ [الكهف: ١٠٧] . والفردوس : اسم يقال على جميع الجنة، ويقال على أفضلها وأعلاها ، كأنه أحقّ بهذا الاسم من غيره من الجنان . وأصل الفردوس : البستان . والفراديس البساتين. قال كعب : هو البستان الذي فيه الأعناب. وقال الليث : الفردوس: جنة ذات كروم. يقال : كرم مفردس : أي معرش . وقال الضحاك : هي الجنة الملتفة بالاشجار، وهو اختيار المبرد. وقال : الفردوس فيما سمعت من كلام العرب : الشجر الملتف، والأغلب عليه العنب، وجمعه : الفراديس : قال : وبهذا سمي : باب الفراديس بالشام ، وأنشد لجريرٍ :

فقلت للرَّكْبِ إذْ جدَّ المسيرُ بنَا ... يا بُعدَ يبرينَ من باب الفراديسِ [1]

وقال مجاهد : هو البستان بالرومية . واختاره الزجاج، فقال : هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية . قال : وحقيقته أنه البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين . قال حسان :

وإنَّ ثوابَ اللهِ كلَّ مخلَّدٍ ... جنانٌ منَ الفِرْدَوسِ فيها مُخلَّد[2]

فصل

الاسم التاسع : جنات النعيم. قال تعالى : ﴿ إنَّ الذينَ آمنوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ لَهمْ جَنَّاتُ النَّعيمِ ﴾ [لقمان : ٨] ، وهذا أيضاً اسم جامع لجميع

---

(١) «ديوانه» ص: ٢٥٠. وفيه: الرحيل بدل المسير، ويبرين: من بلاد بني سعد، وباب الفراديس من أبواب دمشق القديمة، يقع شمال شرق الجامع الأموي.

(٢) «ديوانه» ص : ٩٢ ، ولفظه هو : لأن ثواب الله كل مُوَحِّدٍ ... جنانٌ من الفردوس فيها يخلَّدُ .

الجنات ، لما تضمنته من الأنواع التي يتنعم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصُّور، والرائحة الطيبة والمنظر البهيج ، والمساكن الواسعة . وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن .

فصل

الاسم العاشر : المقام الأمين . قال تعالى : ﴿ إنَّ المتقينَ في مَقامٍ أمينٍ. في جناتٍ وعُيونٍ﴾[الدخان: ٥١ ـ ٥٢]، والمقام: موضع الإقامة، والأمين: الآمن [من] كل سوء وآفة ومكروه، وهو الذي قد جمع صفات الأمن كلّها ، فهو آمن من الزوال والخراب، وأنواع النقص، وأهله آمنون فيه من الخروج والنقص والنّكد و﴿ البَلَدِ الأَمِينِ ﴾ [التين : ٣] الذي قد أمن أهله فيه مما يخاف منه سواهم، وتأمل كيف ذكر سبحانه الأمن في قوله [تعالى] : ﴿ إنَّ المتقينَ في مَقَامٍ أمينٍ ﴾ وفي قوله [تعالى] : ﴿ يَدعُونَ فِيهَا بكلِّ فاكهةٍ آمنينَ ﴾ [الدخان : ٥٥] فجمع لهم بين أمنِ المكانِ وأمن الطعام، فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها ، وأمن الخروج منها ، فلا يخافون ذلك ، وأمن الموت فلا يخافون فيها موتاً .

فصل

الاسم الحادي عشر والثاني عشر : مقعد الصدق، وقدم الصدق، قال تعالى : ﴿ إنَّ المتقينَ في جَنَّاتٍ وَنَهرٍ . في مَقْعدِ صِدْقٍ ﴾ [القمر : ٥٤ ـ ٥٥] ، فسمَّى الجنة مقعد صدق، لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها، كما يقال : مودَّة صادقة : إذا كانت ثابتة تامّة ، وحلاوة صادقة، وجملة صادقة، ومنه الكلام الصّدق، لحصول مقصوده منه، وموضع هذه اللفظة في كلامهم الصّحَة والكمال، ومنه الصّدق في الحديث، والصّدق في العمل، والصِّديق الذي يصدِّق قوله بالعمل، والصَدَق ـ بالفتح ـ الصُّلْب من الرِّماح، ويقال للرجل الشجاع : إنه لذو تصدق أي صادق الجملة. وهذا مصداق هذا : أي ما يصدقه ، ومنه الصداقة لصفاء الموَدَّة والمخالَّة، ومنه صدقني القتال ، وصدقني

المودّة، ومنه قدم الصدق، ولسان الصدق، ومدخل الصدق، ومخرج الصدق، وذلك كلّه للحقِّ الثابت المقصود الذي يرغب فيه ، بخلاف الكذب الباطل، الذي لا شيء تحته، ولا يتضمن أمراً ثابتاً، وفسَّر قوم قدمَ صدق : بالجنة، وفسِّر : بالأعمال التي تنال بها الجنة، وفسر بالسابقة التي سبقت لهم من الله، وفسر : بالرسول الذي على يده وهدايته نالوا ذلك، والتحقيق أن الجميع حقٌّ فإنهم سبقت لهم من الله [الحسنى] بتلك[1] السابقة [أي] بالأسباب التي قدرها لهم على يد رسوله، وادخر لهم جزاءها يوم لقائه، ولسان الصدق هو لسان الثناء الصادق بمحاسن الأفعال، وجميل الطرائق، وفي كونه لسان صدق إشارة إلى مطابقته للواقع، وأنه ثناء بحقٍّ لا بباطل، ومدخل الصدق ومخرج الصدق، وهو المدخل والمخرج الذي يكون صاحبه فيه ضامناً على الله، وهو دخوله وخروجه بالله ولله ، وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد، فإنه لا يزال داخلاً في أمر وخارجاً من أمر، فمتى كان دخوله بالله ولله وخروجه كذلك، كان قد أدخل مدخل صدق وأخرج مخرج صدق .

---

(١) في الأصل : بذلك .

الباب الثاني والعشرون

في عدد الجنات وأنها نوعان : جنتان من ذهب، وجنتان من فضة

الجنة : اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين والمساكن والقصور وهي جنات كثيرة جداً ، كما روى البخاري في « صحيحه » عن أنس بن مالك : أن أم الربيع بنت البراء: وهي أم حارثة بن سراقة أتت رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسولَ الله ألا تحدِّثني عنْ حارثةَ ؟ وكان قُتلَ يومَ بدرٍ أصابَه سهمٌ غَرْبٌ . فإنْ كانَ في الجنةِ صبرتُ، وإنْ كان غيرَ ذَلكَ اجتهدتُ عليهِ في البكاءِ ، قال : «يا أمَّ حارثةَ، إنها جنان في الجنةِ، وإن ابنَكِ أصابَ الفردوسَ الأعلى »(١) .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي موسى الأشعري، عن رسول الله ﷺ قال : « جنّتانِ من ذهبٍ آنيتُهما، وحليتهُما وما فيهما، وجنتانِ من فضةٍ آنيتُهما وحليتُهما وما فيهما، وما بينَ القومِ وبينَ أن ينظرُوا إلى ربِّهمْ إلا رداءُ الكبرياءِ على وجهِهِ في جنَّةِ عَدْنٍ »(٢) . وقد قال تعالى : ﴿ ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّه

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٩) في الجهاد : باب (١٤) من أتاه سهم غرب فقتله .
سَهمٌ غَرْبٌ : أي لا يعرف راميه، ولا من أين أتى، أو جاء على غير قصد .

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٧٨) (٤٨٨٠) في التفسير : باب (١) و(٢) ﴿ ومِنْ دُونهما جنّتان ﴾ ، و﴿ حور مقصورات في الخيام ﴾ ، ومسلم (١٨٠) في الإيمان : باب (٨٠) إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى .
ولفظه عندهما : « جنتان من فضة. آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب. آنيتهما وما فيهما . . . »
قال الإمام النووي : قال العلماء : كان النبي ﷺ يخاطب العرب بما يفهمونه، ويقرب الكلام إلى أفهامهم ، ويستعمل الاستعارة وغيرها من أنواع المجاز ليقرب متناولها، فعبر ﷺ عن زوال المانع، ورفعه عن الأبصار بإزالة الرداء .

جنتانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦] فذكرهما ثم قال : ﴿ ومِنْ دُونِهما جَنَّتانِ ﴾ [الرحمن : ٦٢] فهذه أربع، وقد اختلف في قوله : ﴿ ومِنْ دونِهما ﴾ هل المراد به أنهما فوقهما ، أو تحتهما على قولين :

فقالت طائفة : من دونهما أي ، أقرب منهما إلى العرش، فيكونان فوقهما .

وقالت طائفة : بل معنى من دونهما : تحتهما . قالوا : وهذا المنقول في لغة العرب، إذا قالوا : هذا دون هذا، أي دونه في المنزلة. كما قال بعضهم لمن بالغ في مدحه : أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك : وفي « الصحاح » دون : نقيض فوق، وهو تقصير عن الغاية ، ثم قال : ويقال : هذا دون هذا أي أقرب منه، والسياق يدل على تفضيل الجنتين الأولين من عشرة أوجه :

أحدهما : قوله : ﴿ ذَواتَا أفنانٍ ﴾ [الرحمن : ٤٨] وفيه قولان : أحدهما : أنه جمع فَنَن ، وهو الغصن . والثاني : أنه جمع فَنٍّ ، وهو الصنف : أي ذواتا أصناف شتّى من الفواكه وغيرها ، ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما .

الثاني : قوله : ﴿ فيهما عَينانِ تَجريانِ ﴾ [الرحمن : ٥٠] وفي الأخريين : ﴿ فيهما عينانِ نَضَّاختانِ ﴾ [الرحمن : ٦٦] والنضَّاخة : هي الفوّارة ، والجارية : السارحة، وهي أحسن من الفوارة، فإنها تضمن الفوران والجريان .

الثالث : أنه قال : ﴿ فيهما منْ كلِّ فاكهةٍ زوجانِ ﴾ [الرحمن : ٥٢] ، وفي الأخريين : ﴿ فيهما فاكهةٌ ونخلٌ ورُمانٌ ﴾ [الرحمن : ٦٨] ، ولا ريب أن وصف الأولين أكمل، واختلف في هذين الزوجين بعد الاتفاق على أنهما صنفان . فقالت طائفة : الزوجان : الرطب واليابس الذي لا يقصر في فضله وجودته عن الرطب، وهو متمتع به كما يتمتع باليابس، وفيه نظر لا يخفى . وقالت طائفة : الزوجان صنف معروف، وصنف من شكله غريب . وقالت طائفة : نوعان ولم تزد. والظاهر والله أعلم : أنه الحلو والحامض، والأبيض

والأحمـر، وذلك لأن اختـلاف أصناف الفـاكهـة أعجب وأشهى ، وألـذّ للعين والفم .

الـرابع : أنـه قـال : ﴿ مُتكئينَ على فُرُشٍ بطائِنُها من إسْتبرقٍ ﴾[1] [الرحمن : ٥٤] ، وهذا تنبيه عن فضل الظهائر وخطرها، وفي الأخريين قال : ﴿ مُتكئينَ على رفْرفٍ خُضْرٍ وعَبقَريٍّ حِسانٍ ﴾[2] [الـرحمن : ٧٦] وفسـر الرفرف : بالمحابس[3] والبسط، وفسر : بالفرش، وفسر : بالمحابس فوقها . وعلى كل قول فلم يصفه بما وصف به فرش الجنتين الأوليين .

الخـامس : أنـه قـال : ﴿ وجَنَى الجنتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الـرحمن : ٥٤] أي قريب سهل يتناولونه كيف شاؤوا، ولم يذكر ذلك في الأخريين .

السادس : أنه قال : ﴿ فيهنَّ قاصراتُ الطَّرفِ ﴾[4] [الـرحمن : ٥٦] أي قد قصرنَ طرفهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم لرضاهن بهم، ومحبتهن لهم، وذلك يتضمن قصرهنَّ لـطرف أزواجهِنَّ عليهن، فلا يـدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن،وقال في الأخريين : ﴿ حُورٌ مقصوراتٌ في الخيامِ ﴾[5] [الـرحمن : ٧٢] ، ومن قصرت طـرفها على زوجهـا باختيـارهـا أكمـل ممن قصرت بغيرها .

السابع : أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون ، وإشراقه وحسنه ، ولم يذكر ذلك في التي بعدها .

الثامن : أنه سبحانه قـال في الجنتين الأوليين : ﴿ هَلْ جَزاءُ الإحسانِ

---

(١) الإستبرق : الحرير الغليظ السميك .

(٢) الرفرف: جمع رفرفة ، أي بسط ووسائـد. والعبقري : البسط الحسنـة ، قال في القـاموس : العبقري : الكامل من كل شيء ، والسيد والذي ليس فوقه شيء ، وضرب من البسط .

(٣) كذا في «القاموس» واحدها محبس كمنبر: ثوب يحبس به الفراش.

(٤) الطرف : العين .

(٥) حـور : شديـدات سواد العيـون وبياضهـا ، جمع حـوراء ، وهذا وصف لعيـونهن بـالجمـال، مقصورات : مستورات. الخيام : جمع خيمة . وهي البيت يتخذ من النسيج ، وهي في الآخرة دُرٌّ مجوف .

إلا الإحسانُ ﴾ [الرحمن : ٦٠] وهذا يقتضي أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل، فكان جزاؤهم بإحسان كامل .

التاسع : أنه بدأ بوصف الجنتين الأوليين ، وجعلهما جزاءً لمن خاف مقامه، وهذا يدل على أنهما أعلى جزاء الخائف لمقامه، فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه، ولما كان الخائفون نوعين : مقربين وأصحاب يمين، ذكر جنتي المقربين، ثم ذكر جنتي أصحاب اليمين .

العاشر : أنه قال : ﴿ ومنْ دُونهِمَا جنتانِ ﴾ [الرحمن : ٦٢] والسياق يدل على أنه نقيض فوق . كما قال الجوهري، فإن قيل : فكيف انقسمت هذه الجنان الأربع على من خاف مقام ربه ؟ قيل : لما كان الخائفون نوعين كما ذكرنا، كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان، ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما، فإن قيل : فهل الجنتان لمجموع الخائفين يشتركون فيهما، أم لكل واحد جنتان وهما البستانان ؟ قيل : هذا فيه قولان للمفسرين . ورجح القول الثاني بوجهين : أحدهما : من جهة النقل. والثاني : من جهة المعنى، فأما الذي من جهة النقل فإن أصحاب هذا القول رووا عن رسول الله ﷺ أنه قال : «هما بستانان في رياض الجنة» وأما الذي من جهة المعنى فإن إحدى الجنتين جزاء أداء الأوامر، والثانية : جزاء اجتناب المحارم .

فإن قيل : فكيف قال في ذكر النساء ﴿ فيهن ﴾ في الموضعين، ولما ذكر غيرهن قال ﴿ فيهما ﴾ ؟

قيل : لما ذكر الفرش قال بعدها : ﴿ فيهنَّ خيراتٌ حِسَانٌ ﴾ [الرحمن : ٧٠] ثم أعاده في الجنتين الأخريين بهذا اللفظ، ليتشاكل اللفظ والمعنى. والله أعلم .

الباب الثالث والعشرون

في خلق الرَّبِّ تبارك وتعالى بعض الجنان بيده وغرسها بيده تفضيلاً لها على سائر الجنان

وقد اتخذ الرب تعالى من الجنان داراً اصطفاها لنفسه، وخصّها بالقرب من عرشه، وغرسها بيده، فهي سيدة الجنان، والله سبحانه [وتعالى] يختار من كلِّ نوع أعلاه وأفضله، كما اختار من الملائكة جبريل، ومن البشر محمداً ﷺ، ومن السماوات العليا، ومن البلاد مكة، ومن الأشهر الأشهر الحرم، ومن الليالي ليلة القدر، ومن الأيام يوم الجمعة، ومن الليل وسطه، ومن الأوقات أوقات الصلوات إلى غير ذلك، فهو سبحانه [وتعالى] : ﴿ يخلقُ ما يشاءُ ويختارُ ﴾ [القصص : ٦٨] .

قال الطبراني في « معجمه » : حدثنا مطلب بن شعيب الأزدي، حدثنا عبدالله بن صالح، حدثني الليث. قال الطبراني : وحدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج، حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن زيادة بن محمد الأنصاري، عن محمد بن كعب القرظي، عن فضالة بن عبيد، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ينزلُ الله تعالى في آخرِ ثلاثِ ساعاتٍ بقينَ من الليلِ، فينظرُ الله في الساعةِ الأولى منهنَّ في الكِتاب الذي لا ينظرُ فيه غيرُهُ، فيمحُو ما يشاءُ ويثبتُ، ثم ينظرُ في الساعةِ الثانية في جنَّةِ عَدْنٍ وهي مسكنُهُ الذي يسكنُ فيهِ، لا يكون معه فيها أحدٌ إلا الأنبياءُ والشهداءُ والصدّيقونَ، وفيها ما لم يره أحد، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ، ثم يهبطُ آخرَ ساعةِ من الليلِ، فيقولُ : ألا مستغفر يستغفرني فأغفرَ لهُ ؟ ألا سائلٌ يسألني فأعطيَهُ ؟ ألا داعٍ يَدعوني فأستجيبَ لهُ ؟ حتَّىٰ يطلعَ الفجرُ»(١) قال تعالى : ﴿ وقرآنَ الفجرِ إنَّ

---

(١) أخرجه ابن جرير في «التفسير» ١٥/١٣٩، وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/١٥٤، ١٥٥ =

قرآنَ الفَجرِ كانَ مشهُوداً ﴾ [الإسراء : ٧٨] فيشهده الله [تعالى] وملائكته .

وقال الحسن بن سفيان : حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح قال : حدثني خالي عبد الرحمن بن عبد الحميد بن سالم ، حدثنا يحيى بن أيوب، عن داود بن أبي هند، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الله بَنى الفردوسَ بيدِهِ، وحظَّرَها على كلِّ مُشركٍ، وكلِّ مُدمنِ خمرٍ سكِّيرٍ »[١] وقد ذكر الدارمي والنجاد[٢] وغيرهما من حديث أبي معشر : نجيح بن عبد الرحمن - متكلم فيه - عن عون بن عبدالله بن الحارث بن نوفل، عن أخيه عبدالله بن عبدالله ، عن أبيه ، عبدالله بن الحارث قال : قال رسول الله ﷺ : « خلق الله تبارك وتعالى ثلاثة أشياء بيده : خلق آدمَ بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده»[٣] ثم قال: «وعزتي وجلالي لا يدخلُها مُدمنُ خمرٍ ولا الدُّيوثُ». قالوا: يا رسول الله، قد عرفنا مدمنَ الخمر، فما الديوث؟ قال: «الذي يُقِرُّ السُّوء في أهله»[٤] قلت: المحفوظ أنه موقوف.

قال الدارمي : حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا عبيد بن مهران، حدثنا مجاهد، قال : قال عبدالله بن عمر : « خَلَقَ الله أربعةَ أشياءَ بيدِهِ : العرشَ ، والقلمَ، وعدَنَ، وآدمَ ، ثم قال لسائرِ الخلقِ كُنْ فكانَ »[٥] .

= وقال: رواه الطبراني في «الكبير» و «الأوسط»، والبزار بنحوه وقال: وفيه زيادة بن محمد الأنصاري وهو منكر الحديث. و «كنز العمال» (٣٤٠٨) ونسبه إلى ابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه عن أبي الدرداء بألفاظ متقاربة. ومسكنه: أي مسكن يليق بذاته هو أعلم به.

(١) أخرجه الديلمي في «الفردوس» (٦٠٣)، وأبو نعيم في «الحلية» ٣/ ٩٥،وذكره في «كنز العمال» (١٣١٨٥) ونسبه للبيهقي في «الشعب»، وابن عساكر.

(٢) النجاد : هو أبو بكر أحمد بن سلمان بن الحسن البغدادي الحنبلي توفي ـ ٣٤٨ هـ .

(٣) ذكره في «كنز العمال» (١٥١٣٨) وعزاه إلى الديلمي، ولم نجده فيه،ونحوه عند عبدالله بن أحمد في « السنة » (١١٣٧) عن عكرمة ولفظه : « إن الله لم يمس بيده إلا ثلاثاً : خلق آدم بيده، وغرس الجنة بيده، وكتب التوراة بيده » .

(٤) ذكره في « كنز العمال » (١٥١٣٧) ونسبه إلى الخرائطي في « مساوىء الأخلاق » عن عبدالله ابن الحارث بن نوفل

(٥) أخرج الحاكم نحوه ٢/ ٣١٩ عن ابن عمر ولفظه : « خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش وجنات =

وحدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة عن عطاء بن السائب، عن ميسرة قال : إنَّ الله لم يمسَّ شيئاً من خلقهِ غيرَ ثلاثٍ : خلقَ آدم بيدِهِ، وكتبَ التوراةَ بيدِهِ، وغرسَ جنة عدنٍ بيدِهِ[1] . حدثنا محمد بن المنهال، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس، عن كعب قال : لم يخلقِ اللهُ بيدِهِ غيرَ ثلاث : خَلقَ آدمَ بيده، وكتبَ التوراةَ بيده، وغرسَ جَنَّةَ عَدْنٍ بيدِهِ . ثم قال لها : تكلمي، قالت ﴿ قَدْ أفلحَ المؤمنونَ ﴾ .

وقال أبو الشيخ : حدثنا أبو يعلى ، حدثنا الربيع ، حدثنا يعقوب القمي ، حدثنا حفص بن حميد، عن شمّر بن عطية قال : خلق الله جنة الفردوس بيده، فهو يفتحها كلّ يوم خميس ، فيقول : ازدادي طيباً لأوليائي . ازدادي حسناً لأوليائي .

وذكر الحاكم عن مجاهد قال : إنَّ اللهَ تعالى غرسَ جناتِ عدنٍ بيده ، فلمّا تكاملتْ أُغلقتْ فهي تفتحُ في كلِّ سَحَرٍ ، فينظر الله إليها فيقول : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ . وذكر البيهقي من حديث البغوي، حدثنا يونس بن عبيد الله البصري، حدثنا عدي بن الفضل، عن الجُرَيْري، عن أبي نَضْرةَ، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول اللهِ ﷺ : « إنَّ اللهَ أحاطَ حائطَ الجنةِ لبنةً من ذهبٍ ولَبنةً من فضةٍ ، وغرسَ غرسها بيده ، وقال لها تكلمي : فقالت ﴿ قد أفْلَحَ المُؤْمِنونَ ﴾ فقال : طوبى لك منزلَ الملوكِ »[2] .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن أبي المثنى البزاز ، حدثنا محمد ابن زياد الكلبي ، حدثنا بشير بن حسين، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خَلَقَ الله جنةَ عدْنٍ بيده،

= عدن، وآدمَ، والقلم . . . » مطولاً وصححه ووافقه الذهبي .

(١) تقدم نحوه .

(٢) أخرجه الديلمي في «الفردوس» (٦٦٤)، وفيه معمر ابن يونس حافظ متهم بالوضع، وأورده السيوطي مطولاً في «الدر المنثور» ٣٧/١ ونسبه إلى البزار، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث».

لبنَةً من درَّةٍ بيضاءَ ، ولبنةً من ياقوتة حمراء، ولبنةً من زَبرجَدةٍ خضـراءَ مِلاطُهـا المسكُ، وحصباؤها اللؤلؤُ وحشيشُها الزّعفرانُ. ثم قال لها . انطقي. فقالت : ﴿قد أفلح المؤمنون﴾. فقال الله عز وجل: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل، ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ ومَنْ يُوقَ شُحَّ نفسِهِ فأُولئكَ هم المُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩](١) وتأمل هذه العناية كيف [جعل هذه] الجنة التي غرسها بيديه(٢) لمن خلقه بيديه، ولأفضل ذريته اعتناء وتشريفاً وإظهاراً لفضل مـا خلقه بيديه، وشرّفه وميَّزه(٣) بذلك عن غيره. وبالله التوفيق، فهذه الجنة في الجنان، كآدم في نوع الحيوان.

وقـد روى مسلم في « صحيحه » عن المغيـرة بن شعبـة، عن النبي ﷺ قال : « سأل موسى [عليه السلام] ، ربَّه : ما أدنى أهلِ الجنةِ منزلةً ؟ قال : رجلٌ يجيءُ بعدما دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ، فيقال لـه: ادخلِ الجنـةَ، فيقولُ: رَبِّ، كيفَ وقد نزلَ الناسُ منازلَهم، وأخذُوا أخذاتِهمْ؟! فيقالُ له: أترضى أن يكـونَ لكَ مثـلُ ملكٍ من ملوكِ الدُّنيـا؟ فيقولُ: رضيت رَبِّ فيقـول لـه: لـك ذلك، ومثله، ومثله، ومثله، فقال في الخامسة: رضيتُ ربّي، قال: ربِّ، فأعلاهُمْ منزلةً، قال أولئكَ الذين أردت، غرستُ كرامتهم بيديَّ وختمتُ عليها، فلم تَرَ عينٌ، ولم تسمـعْ أذنٌ، ولم يخطرْ على قلبِ بشـرٍ» ومصداقـه من كتاب الله : ﴿فـلا تَعْلَمُ نفسٌ ما أخفيَ لَهُمْ مِنْ قُـرّةِ أعينٍ جـزاءً بمـا كـانـوا يعملون﴾(٤) [السجدة: ١٧].

---

(١) أخرجه السيوطي في « الدر المنثور » ١٩٦/٦ وعزاه لابن أبي الدنيا في كتاب « ذم البخل » . والملاط: الطين يجعل بين طبقتي البناء، وما يطلي به الحائط.

(٢) في هامش الأصل : بيده .

(٣) في الأصل : وتمييزه .

(٤) أخرجه مسلم (١٨٩) (٣١٢) في الإيمان :(٨٤) أدنى أهل الجنة منزلة فيها، والترمذي (٣١٩٦) في التفسير : باب سورة السجدة :
أخذوا أخذاتهم : أخذوا كرامة مولاهم ، وحصلوا عليها .

الباب الرابع والعشرون

في ذكر بوابي الجنة وخزنتها واسم مقدمهم ورئيسهم

قال تعالى : ﴿ وسِيقَ الذينَ اتقَوا ربَّهم إلى الجنةِ زُمَراً ، حتى إذا جاؤوها وفتحتْ أبوابُها وقال لهم خزنتُها سلامٌ عليكم طِبْتم فادْخُلُوها خالِدين﴾ [الزمر: ٧٣].

والخزنة جمع خازن: مثل حفظة وحافظ، وهو المؤتمن على الشيء الذي قد استحفظه.

وروى مسلم في « صحيحه » من حديث سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « آتي بابَ الجنةِ يومَ القيامةِ فأستفتحُ فيقولُ الخازنُ : من أنتَ ؟ فأقولُ محمدٌ، فيقولُ : بك أمرتُ [أن] لا أفتحَ لأحدٍ قبلَكَ »(١) . وقد تقدم حديث أبي هريرة المتفق عليه : « منْ أنفقَ زوجين في سبيلِ الله دعاهُ خزنةُ الجنةِ كلُّ خزنةِ بابٍ: أيْ فُلُ هلُمَّ». قال أبو بكر : يا رسول الله ، ذاك الذي لا تَوَىٰ عليهِ، فقال النبيُّ ﷺ :«إني لأرجُو أنْ تكونَ منهم»(٢). وفي لفظ: هل يِدعى أحدٌ من تلكَ الأبوابِ كلِّها؟ قال: «نعم، وأرجُو أن تكونَ منهم»(٣).

لما سمت همة الصديق إلى تكميل مراتب الإيمان، وطمعت نفسه أن يدعى من تلك الأبواب كلّها ، فسأل رسول الله ﷺ هل يحصل ذلك لأحد من

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧) في الإيمان: باب (٨٥) «أنا أول الناس يشفع في الجنة...»، وأحمد ١٣٦/٣.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٤١) في الجهاد : باب (٣٧) فضل النفقة في سبيل الله ، ومسلم (١٠٢٧) (٨٦) في الزكاة : باب (٢٧) من جمع الصدقة وأعمال البر.
فُلُ : منادى مرخم أي : يا فلان . لا توى : لا هلاك .

(٣) أخرجه مسلم (١٠٢٧) (٨٥) في الزكاة .

الناس، ليسعى في العمل الذي ينال به ذلك ، فأخبره بحصوله[1] وبشره بأنه من أهله . فكأنه قال : هل يكمـل لأحد[2] هـذه المراتب فيـدعى يوم القيـامة من أبوابها كلها ؟

فلله مـا أعلى هذه الهمـة، وأكبـر هـذه النفس.

قد سمَّى الله سبحانه [وتعالى] كبير الخزنة رضوان. وهو اسم مشتق من الرِّضا، وسمَّى خازن النار مالكاً، وهو اسم مشتق من الملك، وهو القوة والشدة حيث تصرفت حروفه.

---

(١) في الأصل : بمحصوله .

(٢) في الأصل : أحد .

الباب الخامس والعشرون

في ذكر أول من يقرع باب الجنة

قد تقدم حديث أنس، ورواه الطبراني بزيادة فيه قال : « فيقومُ الخازنُ، فيقولُ : لا أفتحُ لأحدٍ قبلَك، ولا أقوم لأحـد بعدك »(١) وذلـك أن قيامـه إليه - ﷺ - خاصة إظهار لمزيته ومرتبته،ولا يقوم في خدمة أحد بعده ، بل خزنة الجنة يقومون في خدمته، وهو كالملك عليهم، وقد أقامه الله في خدمة عبده ورسوله حتى مشى إليه، وفتح له الباب .

وقد روى أبو هريرة [رضي الله تعالى عنه] ، عنه ﷺ أنه قال : « أنا أولُ من يُفتحُ له باب الجنة، إلا أن امـرأة تبادرني ، فـأقولُ لهـا مالَـكِ أو ما أنت ؟ فتقول : أنا امرأةٌ قعدتُ على يتاماي »(٢) .

وفي الترمذي من حديث ابن عباس قال : جلس ناسٌ من أصحاب النبي ﷺ ينتـظرونـه قـال : فخـرج حتَّى إذا دنـا منهم سمعهم يَتَـذاكـرُونَ، فسمـع حديثهم، فقال بعضُهم : عَجباً إن الله من خلقهِ خليـلاً، اتخذ إبـراهيم خليلاً، وقال آخر : ما ذلك(٣) بأعجب من كليمه موسى كلّمه تكليماً، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر : آدم اصطفاه الله، فخـرج عليهم، فسلَّم وقال :

---

(١) تقـدم ص ١٤٨ ت(١) ، والزيـادة لم نجدهـا في الطبـراني، لكن أخرج في « كنـز العمال » (٣٢٠٤٧) « فيقول أقوم فأفتح لك، ولم أقم لأحد قبلك، ولا أقوم لأحد بعدك » ونسبه للخليلي في « مشيخته » .

(٢) أخرج أحمد عن عوف بن مالك ٥/ ٢٩ نحوه ، ولفظه : « أنا وامـرأة سفعاء في الجنة كهاتين: امرأة آمت من زوجها فحبست نفسها على يتاماها حتى بانوا أو ماتوا » .

(٣) في الأصل : ماذا .

«سمعت كلامَكُم وعجَبَكم، إن إبراهيم خليلُ الله وهو كذلكَ، وموسى نجيُّ الله، وهو كذلك، وعيسى روحُه وكلمتُه، وهو كذلك، وآدمُ اصطفاه الله، وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حاملُ لواء الحمدِ يومَ القيامةِ ولا فخرَ، وأنا أولُ شافعٍ، وأول مشفَّع يومَ القيامةِ ولا فخرَ، وأنا أولُ من يُحركُ حِلَقَ الجنَّةِ فيفتح لي فأدخلها، ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر »[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أنا أولُ الناسِ خروجاً إذا بعثوا، وأنا خطيبُهم إذا أنصتُوا، وقائدُهم إذا وفَدُوا، وشافعُهم إذا حُبسوا، وأنا مبشرُهم إذا أيسوا[2]، لواءُ الحمدِ بيدي، [ومفاتيحُ الجنةِ يومئذٍ بيدي]، وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر، [يطوف عليَّ ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون»]، رواه الترمذي[3]، والبيهقي واللفظ له.

وفي « صحيح » مسلم من حديث المختار بن فلفل، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أنا أكثرُ الناسِ تبعاً يوم القيامة، وأنا أولُ من يقرعُ بابَ الجنةِ »[4].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦١٦) في المناقب: باب (١) في فضل النبي ﷺ، وقال حديث غريب، وفيه زمعة بن أبي صالح وهو ضعيف.

(٢) في الأصل: يئسوا.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦١٠) في المناقب: باب (١) وقال هذا حديث حسن غريب، والدارمي مطولاً ١/٢٦ ـ ٢٧، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٥/٤٨٤، وما بين المعكوفتين منه.

(٤) أخرجه مسلم (١٩٦) (٣٣١) في الإيمان: باب (٨٥) في قول النبي ﷺ: « أنا أول الناس يشفع في الجنة ... ».

الباب السادس والعشرون

في ذكر أول الأمم دخولاً الجنة

في « الصحيحين » من حديث همام بن منبه، عن أبي هريـرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « نحنُ السابقونَ الأولونَ يومَ القيامةِ، بَيْدَ أنَّهم أوتُوا الكتابَ من قبلنا، وأوتيناهُ من بعدِهم »[1] أي : لم يسبقونا إلا بهذا القدر، فمعنى ، بَيْدَ : معنى سوى، وغير، وإلا أنه، ونحوها.

وفي « صحيح » مسلم من حديث أبي صالح، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « نحنُ الآخرونَ الأولـونَ يومَ القيـامةِ، ونحنُ أولُ من يـدخلُ الجنةَ، بيدَ أنهمْ أوتوا الكتابَ من قبلِنا، وأوتيناه من بعدِهم، فاختلفُوا فهدانا الله لما اختلفُوا فِيه من الحق[2] .

وفي « الصحيحين » من حديث طاوس، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال : « نحنُ الآخرونَ الأولـونَ يومَ القيـامةِ ، ونَحْنُ أولُ النـاسِ دخولاً الجنةَ، بيد أنهم أوتُوا الكتابَ من قبلنا، وأوتيناهُ من بعدِهم »[3] .

---

(١) أخرجه البخاري (٨٧٦) في الجمعة : باب (١) فرض الجمعة، ومسلم (٨٥٥) (٢١) في الجمعة : باب (٦) هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، والنسائي (١٣٦٧) في الجمعة كلهم بـألفاظ متقاربة ، ولفظه : « نحن الأخرون السابقون . . . » .

بَيْدَ : مثل غير وزناً ومعنى، وعن الشافعي معنى بيد : من أجل، وتأتي بمعنى على أيضاً.

(٢) أخرجه مسلم (٨٥٥) (٢٠) في الجمعة : باب (٦)، وفيه زيادة: « فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له ـ قال يوم الجمعة ـ فاليوم لنا . وغداً لليهود، وبعد غدٍ للنّصارى » .

(٣) أخرجه البخاري، (٨٩٦) في الجمعة : باب (١٢) هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان ، ومسلم (٨٥٥) (. . .) في الجمعة : باب (٦) ، مختصراً بلفظ : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة . . . » .

وروى الدارقطني من حديث زهير بن محمد، عن عبدالله بن محمد بن عقيل، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: «إنَّ الجنَّةَ حرمتْ على الأنبياءِ كلِّهمْ، حتى أدخلَها، وحرمتْ على الأممِ حتى تدخلَها أمتي»(1) قال الدارقطني: غريب عن الزهري، ولا أعلم روي عن عبدالله بن محمد بن عقيل، عن الزهري غير هذا الحديث، ولا رواه إلا عمرو بن أبي سلمة، عن زهير.

فهذه الأمة أسبق الأمم خروجاً من الأرض، وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف، واسبقهم إلى ظل العرش، وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم، وأسبقهم إلى الجواز على الصّراط المستقيم، وأسبقهم إلى دخول الجنة، فالجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها محمد ﷺ، ومحرمة على الأمم حتى تدخلها أمته.

وأما أول الأمة دخولاً فقال أبو داود في «سننه»: حدثنا هنّاد بن السريِّ، عن عبد الرحمن بن محمد المُحاربي، عن عبد السلام بن حرب، عن أبي خالد الدالاني، عن أبي خالد مولى آل جَعْدة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريلُ فأخذ بيدي، فأراني بابَ الجنةِ الذي تدخلُ منه أمتي». فقال أبو بكر: يا رسولَ الله، وددتُ أني كنتُ معك حتى أنظرَ إليه، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنك يا أبا بكر أولُ من يدخلُ الجنة من أمتي»(2).

وقوله: وددت أني كنت معك حرصاً منه على زيادة اليقين، وأن يصير الخبر عنده عياناً. كما قال إبراهيم الخليل ﴿رَبِّ أَرِنِي كيفَ تُحْيي المَوْتَى. قالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قلبي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وأما الحديث الذي رواه ابن ماجه في «سننه»: حدثنا إسماعيل بن عمر الطلحي، أنبأنا داود بن عطاء المديني، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب،

(١) ذكره في «كنز العمال» (٣١٩٥٣) ونسبه لابن النجار.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٥٢) في السنة: باب (٩) في الخلفاء، وفيه أبو خالد الدالاني وثقه أبو حاتم الرازي، وقال ابن معين: لا بأس به.

عن سعيد بن المسيب، عن أبيٍّ بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أولُ من يصافحهُ الحقُّ عمرُ، وأولُ من يسلِّمُ عليه، وأولُ من يأخذُ بيده فيدخلُه الجنةَ »[1] فهو حديث منكر جداً، قال الإمام أحمد : داود بن عطاء : ليس بشيء[2] ، وقال البخاري : منكر الحديث[3] .

---

(1) أخرجه ابن ماجه (١٠٤) في المقدمة : باب (١١) في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ قال في « الزوائد » : إسناده ضعيف. فيه داود بن عطاء ، وقد اتفقوا على ضعفه وباقي رجاله ثقات ، وقال السيوطي : قال الحافظ ابن كثير في « جامع المسانيد » هذا الحديث منكر جداً ، وما هو أبعد من أن يكون موضوعاً، والحاكم ٨٤/٣ في «معرفة الصحابة»، قال الذهبي : موضوع، وفي إسناده كذاب .

(2) في « العلل ومعرفة الرجال » ٢٢٧/١ رقم (١٤٢٦) .

(3) في « الضعفاء الصغير » (١٠٩) .

الباب السابع والعشرون

في ذكر السابقين من هذه الأمة إلى الجنة وصفاتهم

في « الصحيحين » من حديث همّام بن منبه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أولُ زُمرة تَلجُ الجنةَ صورُهم على صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ، لا يبصقونَ فيها ولا يمتخطُونَ، ولا يتغوطونَ فيها، آنيتُهم وأمشاطُهمْ الذهبُ والفضةُ، ومجامرُهم الألوةُ، ورشحُهم المسكُ، ولكلِّ واحدٍ منهم زوجتانِ يُرى مخُّ ساقهما من وراءِ اللحمِ من الحسنِ، لا اختلافَ بينهم ولا تباغضَ ، قلوبُهم قلب واحد، يسبحونَ الله بكرةً وعشياً »[1] .

وفي « الصحيحين » أيضاً من حديث أبي زرعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أولُ زُمرة يدخلونَ الجنَّةَ على صُورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ، والذينَ يلونهم على ضوء أشدِّ كوكبٍ دُريٍّ في السماءِ إضاءةً ، لا يبولونَ ولا يتغوطونَ، ولا يَتفلونَ ولا يمتخطونَ، أمشاطهم الذهبُ، ورشحُهم المسكُ، ومجامرُهم الأُلُوَّةُ، وأزواجُهم الحورُ العينُ، أخلاقُهم على خلقِ رجلٍ واحدٍ، على صورةِ أبيهم آدمَ ستونَ ذراعاً في السماءِ »[2] .

وروى شعبة وقيس، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أولُ من يُدعى إلى

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٥) في بدء الخلق : باب (٨) ، ومسلم (٢٨٣٤) (١٧) في الجنة : باب (٧) في صفات الجنة وأهلها ، وتسبيحهم فيها بكرة وعشياً .

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٢٧) في الأنبياء : باب (١) ، ومسلم (٢٨٣٤) (١٥) في الجنة وصفة نعيمها : باب (٦) أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، وصفاتهم وأزواجهم .

الجنةِ يومَ القيامةِ الحمَّادون الذين يحمدونَ اللهَ في السرَّاء والضَّراءِ »[1] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا هشام الدستوائي ، عن يحيى بن أبي كثير، عن عامر العقيلي ، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عُرِضَ عليَّ أولُ ثلاثةٍ من أمتي يدخلونَ الجنةَ، وأولُ ثلاثةٍ يدخلونَ النارَ، فأما أولُ ثلاثةٍ يدخلونَ الجنَّةَ: فالشهيدُ، وعبدٌ مملوكٌ لم يشغلْه رِقّ الدنيا عن طاعة ربه، وفقير متعفف ذو عيال، وأولُ ثلاثة يدخلون النار: فأميرٌ مُسلطٌ، وذو ثروةٍ من مالٍ لا يؤدي حقَّ الله في ماله، وفقيرٌ فخورٌ»[2].

وروى الإمام أحمد في «مسنده». والطبراني في « معجمه » واللفظ له من حديث أبي عُشَّانَة المعافري أنه سمع عبدالله بن عمرو يقول : قال رسول الله ﷺ : « هَلْ تَدرونَ أوَّل منْ يدخلُ الجنةَ ؟ قالوا : الله ورسولُه أعلمُ، قال : فقراء المُهاجرينَ الذين تُتَّقى بهمُ المكارهُ، ويموتُ أحدُهم وحاجتُه في صدرهِ لا يستطيع لها قضاءً ، تقول الملائكة : ربَّنا نحنُ ملائكتُكَ وخزنَتُك، وسكان سماواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا، فيقول : عبادي لا يشركون بي شيئاً ، تُتَّقى بهمُ المكارهُ، يموتُ أحدُهم وحاجتُه في صدرِهِ لم يستطعْ لها قضاءً، فعند ذلكَ تدخلُ عليهم الملائكةُ من كلِّ بابٍ، سلامٌ عليكم بما صبرتُم فنعمَ عُقبى الدَّارُ »[3] .

ولما ذكر الله تعالى أصناف بني آدم سعيدهم وشقيهم ، قسم سعداءهم إلى قسمين : سابقين ، وأصحاب يمين، فقال : ﴿**والسابقُونَ السابقُونَ**﴾

---

(١) أخرجه الطبراني في « الصغير » ١٠٣/١ ، والحاكم ٥٠٢/١ بدون لفظ « الحمادون » وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وزاد نسبته في « كنز العمال » (٦٤١٠) إلى البيهقي في « الشعب » .

(٢) أخرجه أحمد ٤٢٥/٢ بألفاظ متقاربة .

(٣) أخرجه أحمد ١٦٨/٢ ، والبزار (٣٦٦٥) وقال: في الصحيح طرف منه، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢٥٩/١٠ ، وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني، وأورد رواية أخرى وقال: ورجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي عشانة وهو ثقة.

[الواقعة : ١٠] واختلف في تقديرها على ثلاثة أقوال : أحدها : أنه من باب التوكيد اللفظي ، ويكون خبره قوله : ﴿ **أولئكَ المقربونَ** ﴾ [الواقعة : ١١] والثاني : أن يكون السابقون الأول مبتدأ ، والثاني خبر له على حدِّ قولك : زيد زيد أي زيد الذي سمعت به هو زيد كما قال :

أنا أبو النَّجْمِ وشِعْري شِعْري[١]

وكقول الآخر :

إذ النَّاسُ ناسٌ والزَّمَانُ زَمَانُ[٢]

قال ابن عطية : وهذا قول سيبويه ، والثالث : أن يكون السبق الأول غير الثاني ، ويكون المعنى : السابقون في الدنيا إلى الخيرات هم السابقون يوم القيامة إلى الجناتِ[٣] ، والسابقون إلى الإيمان هم السابقون إلى الجنان ، وهذا أظهر ، والله أعلم .

فإن قيل : فما تقولون في الحديث الذي رواه الإمام أحمد ، والترمذي وصححه من حديث بريدة بن الحُصيب قال : أصبح رسولُ الله ﷺ فدعا بلالاً ، فقال :«يا بلالُ ، بِمَ سبقتني إلى الجنةِ ، فما دخلتُ الجنةَ قطُّ إلا سمعتُ خشخشتكَ أمامي . دخلتُ البارحةَ فسمعتْ خشخشتكَ أمامي ، فأتيت على قصر مربع مشرفٍ من ذهبٍ ، فقلتُ : لمنْ هذا القصرُ قالوا : لرجلٍ عربي قلتُ : أنا عربي ، لمن هذا القصرُ ؟ قالوا : لرجل من قريش ، قلت أنا قرشي ، لمن هذا القصر ؟ قالوا : لرجل من أمة محمدٍ ، قلتُ : أنا محمد . لمن هذا القصرُ؟ قالوا لعمرَ بن الخطاب» فقال بلال : يا رسول الله ما أذنتُ قطّ إلا صليتُ ركعتين ، وما أصابني حدَثٌ قطُّ إلا توضأت عندها ، ورأيت أن للَّهِ عليَّ

(١) البيت لأبي النجم العجلي في « ديوانه » ص ٩٩ رقم (١٩١) وهو من شواهد العربية ذكره المبرد في « الكامل » ، وابن الشجري في « الأمالي » ، وابن يعيش في «المفصل» ، والسيوطي في « شواهد المغني » (٨٣٨) .

(٢) من شواهد العربية أيضاً ذكره السيوطي في « شواهد المغني » (٨٣٧) .

(٣) في هامش الأصل : جنة .

ركعتين» فقال رسول الله ﷺ: «بهما»[1] .

قيل : تتلقاه بالقبول والتصديق، ولا يدل على أن أحداً يسبق رسول الله ﷺ إلى الجنة ، وأما تقدم بلال بين يديه ﷺ في الجنة، فلأن بلالاً كان يدعو إلى الله أولاً في الأذان فيتقدم أذانه بين يدي رسول الله ﷺ ، فيتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم .

وقد روي في حديث : « أَنَّ النبيَّ ﷺ يبعثُ يومَ القيامة وبلالٌ بينَ يديه ينادي بالأذانِ »[2] فيُقدمُه بين يديه ﷺ كرامة لرسول الله ﷺ وإظهاراً لشرفه وفضله، لا سبقاً من بلالٍ لهُ، بل هذا السبق من جنس سبقه إلى الوضوء ، ودخول المسجد ونحوه. والله تعالى أعلم .

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٣٥٤ و٣٦٠ ، والترمذي (٣٦٨٩) في المناقب : باب (١٨) في مناقب عمر بن الخطاب قال : وفي الباب عن جابر ومعاذ وأنس وأبي هريرة ، وهذا حديث صحيح غريب ، وابن حبان (٧٠٤٤) في المناقب : ذكر البيان بأن بلالاً كان لا تصيبه حالة حدث إلا توضأ بعقبها وصلّى ، والطبراني في « الكبير » (١٠١٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » ١/١٥٠ ، والحاكم ٣/٢٨٥ وصححه ووافقه الذهبي . ومعنى الحديث : أني دخلت البارحة الجنة يعني رأيت ذلك في المنام ، كما جاء في بعض الروايات .

(٢) لم نجده.

الباب الثامن والعشرون

في سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يدخلُ فقراءُ المسلمينَ الجنةَ قبلَ أغنيائهم بنصفِ يومٍ ، وهو خمسُ مِئةِ عام »(١) [و] قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح، ورجال إسناده احتج بهم مسلم في « صحيحه » .

وروى الترمذي من حديث عباس الدوري، عن المقبري، عن سعيد بن أبي أيوب، عن عمرو بن جابر الحضرمي، عن جابر بن عبدالله، عن النبي ﷺ أنه قال : « يدخلُ فقراءُ أمتي الجنةَ قبلَ الأغنياءِ بأربعين خريفاً »(٢) .

وفي « صحيح » مسلم من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ فقراءَ المهاجرينَ يسبقونَ الأغنياء يومَ القيامة [إلى الجنة] بأربعينَ خريفاً »(٣)

وقال الإمام أحمد :حدثنا حسين بن محمد، حدثنا دويد، عن سَلْم(٤) بن

---

(١) أخرجه أحمد ٢٩٦/٢ ، والترمذي (٢٣٥٤) في الزهد : باب (٣٧) ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم وقال : هذا حديث صحيح ، وابن ماجه (٤١٢٢)، وابن حبان (٢٥٦٧) في « الموارد » .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٥٥) في الزهد : باب (٣٧) وقال : حديث حسن، ولفظه : « يدخل فقراء المسلمين الجنة . . » .

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٧٩) (٣٧) في الزهد والرقائق، والزيادة منه .

(٤) في الأصل : سُليم ، وفي هامش الأصل : سالم، والتصويب من « تعجيل المنفعة » ، و« المسند » .

بشير، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: « التقى مؤمنانِ على بابِ الجنةِ، مؤمنٌ فقير، ومؤمن غني، كانا في الدنيا، فأدخلَ الفقيرُ الجنةَ، وحبسَ الغنيّ ما شاء الله أن يحبسَ، ثمّ أدخلَ الجنةَ، فلقيه الفقيرُ فقال: أي أخي، وماذا حبسك؟ والله لقد احتبستَ[1] حتى خُفْتُ عليك، فيقول: أي أخي إني حبستُ بعدكَ محبساً فظيعاً كريهاً، وما وصلت إليكَ حتى سالَ مني من العَرَقِ، ما لو ورَدَهُ ألفُ بعيرٍ كلّها آكلة حمضٍ لصدرتْ عنه رواء »[2].

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، وعلي بن سعيد الرازي قالا: حدثنا علي بن مهران العطار، حدثنا عبد الملك بن أبي كريمة، عن سفيان الثوري، عن محمد بن زيد، عن أبي حازم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إنّ فقراءَ المؤمنينَ يدخلون الجنة قبلَ أغنيائِهم بنصفِ يومٍ، وذلك خمس مئة عام »[3] وذكر الحديث بطوله.

والذي في الصحيح أن سبقهم لهم « بأربعين خريفاً »[4]. فإمّا أن يكون هو المحفوظ، وإما أن يكون كلاهما محفوظان، وتختلف مدة السّبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء، فمنهم من يسبق بأربعين، ومنهم من يسبق بخمس مئة كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين في النار بحسب جرائمهم والله أعلم.

ولكن ها هنا أمر يجب التنبيه عليه، وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة، وإن سبقه غيره في الدخول، والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب، وهم السبعون ألفاً، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم، والغني

---

(١) في الأصل: حبست، وفي الهامش: خشيت، والتصويب من « المسند ».

(٢) أخرجه أحمد ١/٣٠٤. ومعنى: حمض: كل نبت حامض أو ملح يقوم على ساق، وهو للماشية كالفاكهة للإنسان. صدرت عنه رواء: أي رجعت وانصرفت مرتوية.

(٣) أخرجه الطبراني في « الأوسط » كما في « مجمع الزوائد » ١٠/٢٦٠ وقال: وفيه عدي بن الفضل التيمي مولاهم، وهو ضعيف.

(٤) تقدم في ص ١٥٩ ت (٢) و(٣).

إذا حوسب على غناه، فوجد قد شكر الله تعالى فيه ،وتقرب ـ إليه ـ بأنواع البِـرِّ والخيـر والصدقـة والمعـروف، كـان أعلى درجـة من الفقيـر الـذي سبقـه في الدخول، ولم تكن له تلك الأعمال، ولاسيما إذا شاركـه الغني في أعمالـه هو وزاد عليه فيها، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

فالمزية : مزيتان، مزيـة سبق، ومزيـة رفعة، وقـد يجتمعان وينفـردان، فيحصـل لواحـد السبق والرفعـة، ويعدمهمـا آخر، ويحصـل لآخر السبق دون الـرفعة . ولآخـر الرفعـة دون السبق، وهـذا بحسب المقتضي لـلأمـرين ، أو لأحدهما وعدمه، وبالله التوفيق .

الباب التاسع والعشرون

في ذكر أصناف أهل الجنة الذين ضمنت لهم دون غيرهم

قال تعالى : ﴿ وسَارِعُوا إلى مغفرةٍ من رَبكُم ، وجنَّةٍ عرضُها السماوات والأرضُ أعدتْ للمتقينَ . الذينَ ينفقونَ في السَّراءِ والضَّراءِ والكاظِمِينَ الغيظَ والعافينَ عن الناس واللهُ يحبُّ المحسنينَ. والـذينَ إذا فَعلُوا فاحشـةً أو ظَلموا أنفسَهم ذكرُوا اللهَ فاستَغفَرُوا لذنوبهم ومنْ يغفرُ الذُّنوبَ إلاّ اللهُ ولم يُصِرُّوا على مـا فعلوا وهم يعلَمونَ . أولٰـئكَ جزاؤهم مغفـرةٌ منْ رَبِّهم وجنات تجـري من تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها ونِعْمَ أجرُ العاملينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣ ـ ١٣٦] .

فأخبر أنه أعدّ الجنة للمتقين دون غيرهم، ثم ذكر أوصاف المتقين، فذكر بذلهم للإحسان في حالة العسر واليسـر، والشّدة والـرّخاء، فـإن من الناس من يبذل في حال اليسر والرّخـاء، ولا يبذل في حـال العسر والشّـدة، ثم ذكر كف أذاهم عن[1] النـاس بحبس الغيظ بالكـظم، وحبس الانتقام بـالعفـو. ثم ذكـر حالهم بينهم وبين ربهم في ذنوبهم، وأنها إذا صدرت منهم قابلوها بذكر الله، والتوبة والاستغفار، وترك الإصرار، فهذا حالهم مع الله، وذاك حالهم مع خلقه، وقال تعالى: ﴿والسَّابِقونَ الأولونَ من المهاجِـرينَ والأنصار والـذين اتّبعوهُمْ بإحسانٍ رضي اللَّهُ عنهم ورضـوا عنه وأعَـدَّ لهم جناتٍ تجـري تحتها الأنهـارُ خالدين فيها أبداً ذلـكَ الفوزُ العـظيمُ﴾ [التوبـة: ١٠٠]، فأخبـر [تعالى] أنـه أعدّها للمهـاجرين والأنصـار، وأتباعهم بـإحسان، فـلا مطمـع لمن خرج عن طريقهم فيها. وقال تعالى :﴿ إنَّما المؤْمِنُونَ الَّذينَ إذا ذُكِـرَ اللَّهُ وجِلَتْ قُلُوبُهم وإذا تُليتْ عليهم آيـاتُه زادتهم إيمـاناً وعلىٰ ربّهم يتـوكلون. الَّـذِينَ يقيمـونَ

---

(١) في الأصل : للناس .

الصَّلَاةَ ومِمَّا رزَقْنَاهُم ينفقونَ•أولئكَ هُم المؤمنون حقاً لهم درجاتٌ عند ربهم ومغفرةٌ ورزقٌ كَرِيم﴾ [الأنفال: ٢ - ٤] فوصفهم بإقامة حقّه باطناً وظاهراً، وبأداء حقّ عباده.

وفي « صحيح » مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما كان يومُ خيبر أقبل نفر من صحابة النبي ﷺ فقالوا : فلان شهيد، وفلان شهيد، وفلان شهيد، حتى مروا على رجال فقالوا : فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ : «كلَّا إنّي رأيته في النَّار في بردةٍ غلَّها أو عباءةٍ ثم قال رسول الله ﷺ: يا ابنَ الخطابِ، اذهْب فنادِ في الناسِ إنَّه لا يدخلُ الجنةَ إلا المؤمنونَ، قال: فخرجتُ فناديتُ: إنَّه لا يدخلُ الجنةَ إلَّا المؤمنون»[١] وللبخاري معناه.

وفي « الصحيحين » من حديث[٢] أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أمر بلالاً أن يناديَ في الناسِ : « أنه لا يدخلُ الجنةَ إلا نفسٌ مسلمةٌ »[٣] وفي بعض طرقه « ومؤمنة »[٤] وفي الحديث قصة .

وفي « صحيح » مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعي[٥] أن رسولَ اللهِ ﷺ قال ذات يوم في خطبته : « ألا إنَّ ربي أمرني أنْ أعلمَكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كلُّ مالٍ نحلتُه عبداً حلالٌ ، وإنيْ خلقتُ عبادِي حُنفاءَ كلَّهم، وإنهم أتتهم الشياطينُ فاجتالتهمْ عن دينهم، وحرَّمتْ عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أنْ يُشركوا بي ما لم أنزلْ به سُلطاناً ، وإن الله نظرَ إلى أهل الأرض فمقتهم عربَهم وعجمَهم إلا بقايا من أهلِ الكتابِ. وقال : إنما

---

(١) أخرجه مسلم (١١٤) في الإيمان: باب (٤٨) غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، وبمعناه عند البخاري (٤٢٣٤) في المغازي : باب (٣٨) غزوة خيبر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . والغلول: الخيانة، والسرقة من الغنائم .

(٢) في هامش الأصل : عن أبي .

(٣) أخرجه أحمد ٣٠٩/٢، وقطعة من حديث عند النسائي (٢٩٥٨) في مناسك الحج : باب (١٦١) قوله عز وجل ﴿ خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ ، ومن حديث كعب بن مالك عند مسلم (١١٤٢) في الصيام :

(٤) قطعة من حديث أخرجه الترمذي (٣٠٩٢) في تفسير القرآن : باب (١٠) ومن سورة التوبة قال أبو عيسى : هذا حديث حسن . من حديث علي رضي الله عنه .

(٥) في الأصل : عياض بن حماد المشاجعي، وهو خطأ ظاهر .

بعثتُكَ لأبتليكَ، وأبتليَ بـكَ. وأنزلتُ عليـك كتاباً لا يغسلُه الماءُ، تقرأه نائمـاً ويقـظانَ . وإنَّ الله أمرني أن أحـرق قـريشـاً، فقلتُ : ربِّ إذاً يثلغـوا رأسي، فيدعُوه خُبزةً ، قال : استخـرجْهم كما استخـرجُوك واغـزهـمْ نغزكَ(١) ، وأنفق فسننفق عليـك ، وابعث جيشـاً نبعثْ خمسـةً مثلَه، وقـاتـلْ بمن أطـاعـكَ من عصاكَ، قال وأهلُ الجنةِ ثلاثةٌ : ذو سلطانٍ مقسطٌ متصدقٌ موفقٌ ، ورجلٌ رحيمٌ رقيقُ القلبِ لكـلِّ ذي قـربىٰ ومسلمٍ ، وعفيفٌ متعففٌ ذو عيـال، وأهـلُ النـارِ خمسةٌ : الضعيفُ الذي لا زبرَ له الذين هم فيكم تَبَعاً ، لا يبغـون أهلاً ولا مالاً، والخائنُ الذي لا يخفى له طمعٌ وإن دَقَّ إلا خانَهُ ، ورجلٌ لا يصبـحُ ولا يمسي إلا وهو يخادُعكَ عن أهلكَ ومالكَ، وذكر البخلَ، أو الكذبَ. والشِّنظيرُ الفحَّاشُ. وإنَّ اللّهَ أوحىٰ إليَّ أنْ تواضعوا حتى لا يفخرَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ(٢).

وفي « الصحيحين » من حـديث حارثـة بن وهب رضي الله عنـه قـال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ألاَ أُخبرُكم بأهلِ الجنةِ، كلُّ ضعيفٍ مُتضَعَّفٍ لو أقسمَ على الله لأبرَّهُ ، ألا أخبرُكم بأهلِ النارِ؟ كلُّ عُتُلٍّ جَواظٍ مُتكبرٍ »(٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن إسحاق قـال : أنبأنـا عبدالله، أنبـأنا

---

(١) في الأصل : نعينك والتصويب من مسلم .

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) (٦٣) و(٦٤) في الجنة وصفة نعيمها : باب (١٦) الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار .
نحلته : أعـطيتـه ، حنفـاء : طـاهـرين مستقيمين منيبين ، اجتـالتهم : ذهبت بهم ، مقتهم : أبغضهم، ابتلى : أمتحن ، لا يغسله المـاء : محفوظ في الصـدور لا يتطرق إليـه الذهـاب ، يثلغوا : يشدخوا ويشجّوا ، نغزك : نعنك ، لا زبر له : لا عقل له ، لا يبغون : لا يطلبون ، لا يخفى : لا يظهر، الشنظير الفحاش : هو السيء الخلق .

(٣) أخرجه أحمد ٣٠٦/٤ ، والبخاري ٥٠٨/٨ في تفسير سورة ن : باب ﴿عُتُلٍّ بعد ذلك زنيم﴾ و٤٠٨/١٠ في الإيمان : باب ﴿ وأقسمـوا بالله جهـد أيمانهم ﴾ ، ومسلم (٢٨٥٣) (٤٦) في صفة الجنة : باب (١٣) ، والترمذي (٢٦٠٥) في صفة جهنم : باب (١٣) ، ومن حديث أنس عند أحمد ١٤٥/٣ . مُتضعَّف : يستضعفه الناس لضعف حاله في الدنيا : لـو أقسم على الله لأبره : معناه لو حلف طمعاً في كرم الله تعالى بإبراره لأبره وقيل : لو دعاه لأجابه، عُتُلّ : جافٍ شديد الخصومة بالباطل، جوّاظ : الجموع المنوع .

موسى بن علي بن رباح قال : سمعت أبي يحدث عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « إنَّ أهلَ النارِ كلُّ جعظَرِّي جَوّاظٍ مُسْتَكْبر، جمَّاع منّاع، وأهلَ الجنةِ الضعفاءُ المغلوبون »(١) .

وذكر خلف بن خليفة، عن أبي هاشم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ألَا أخبرُكم بِرِجالكم من أهلِ الجنةِ : النبيُّ في الجنةِ، والصّديقُ في الجنةِ، والشهيدُ في الجنة، والرجل يزورُ أخاه في ناحيةِ المصرِ لا يزورُه إلا للهِ في الجنةِ. ونساؤكم من أهلِ الجنةِ : الودودُ الولودُ التي إذا غضبَ زوجها أو غضبتْ جاءت حتى تضعَ يدَها في يدِ زوجِها ، ثم تقولُ : لا أذوقُ غمضاً حتى ترضى » أخرج النسائي من هذا الحديث فضل النساء خاصة، وباقي الحديث على شرطه(٢) .

وروى الإمام أحمد في « مسنده » بإسناده صحيح عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « إنَّ أهلَ النارِ كلُّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ مُستكبرٍ، جَمَّاعٍ مَنَّاعٍ ، وأهلُ الجنةِ الضعفاءَ المغلوبونَ »(٣) .

وقال ابن ماجه في « سننه » : حدثنا محمد بن يحيى، وزيد بن أخزم قالا : حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا أبو هلال الراسبي ، حدثنا عقبة بن أبي

(١) أخرجه أحمد ٢/٢١٤ الجَعْظَرِيُّ : الفظُّ الغليظ، أو الأكول الغليظ، والقصير المنتفخ . المستكبر : صاحب الكبر وهو بَطَرُ الحقِّ وغمطُ الناس .

(٢) أخرجه النسائي في « عشرة النساء » (٢٥٧) ولفظه : « ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة الولود الودود العؤود على زوجها، التي إذا آذت، أو أوذيت جاءت حتى تأخذ بيد زوجها ثم تقول : «والله لا أذوق غمضاً حتى ترضى » ، وله شاهد من حديث علي رضي الله عنه عند ابن عدي في « الكامل » ٥/١٧٧٥ نحوه . أما القسم الأول من الحديث فأورده في « كنز العمال » (٢٤٧٢٠) ونسبه لابن النجار، وتمامة عند الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٤/٣١٢ - ٣١٣ وقال : رواه الطبراني وفيه عمرو بن خالد الواسطي وهو كذاب، وله شاهد من حديث أنس عند الطبراني في « الصغير » (١١٨) وقال عنه الهيثمي : فيه زياد بن إبراهيم القرشي قال البخاري : لا يصح حديثه. وعن كعب بن عُجرة عند الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » قال في«المجمع» : فيه السري بن إسماعيل وهو متروك، وذكره في «الكنز» (٤٣٥٠٥) ونسبه للدارقطني في «الأفراد».

(٣) أخرجه أحمد ٢/٢١٤ وتقدم .

ثابت الراسبي، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « إنَّ أهلَ الجنةِ من ملأ أذنيهِ من ثناءِ الناسِ خيراً وهو يسمعُ، وأهلَ النارِ من ملأ أذنيه من ثناءِ الناسِ شراً وهو يسمعُ »[1].

وفي « الصحيحين » عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « مُرَّ بجنازة فأُثنيَ عليها خيرٌ، فقال نبيُّ الله ﷺ وجبتْ وجبتْ وجبتْ، ومُرَّ بجنازة فأُثنيَ عليها شرٌّ فقال نبي الله ﷺ: وجبتْ وجبتْ وجبتْ، فقال عمر رضي الله عنه: فداك أبي وأمي، مُرَّ بجنازةٍ فأُثني عليها خيرٌ فقلتَ: وجبتْ وجبتْ وجبتْ: ومُرَّ بجنازةٍ فأُثني عليها شرٌّ، فقلتَ: وجبتْ وجبتْ وجبتْ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: مَنْ أثنيتم عليه خيراً وجبتْ له الجنة، ومن أثنيتمْ عليهِ شراً وجبتْ له النارُ، أنتم شهداءُ اللهِ في الأرضِ »[2].

وفي الحديث الآخر: « يُوشكُ أنْ تَعلموا أهلَ الجنةِ من أهلِ النارِ، قالوا: كيفَ يا رسولَ الله؟ قال: بالثناءِ الحسنِ والثناء السَّيِّءِ »[3] وبالجملة فأهل الجنة أربعة أصناف، ذكرهم [الله] سبحانه [وتعالى] في قَوله: ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللهَ والرَّسُولَ فأولَئِكَ مع الذينَ أنعم الله عليهم من النبيينَ والصديقينَ والشهداءِ والصالحينَ وَحُسنَ أولئكَ رفيقاً** ﴾ [النساء: ٩٩] فنسأل الله أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٢٤) في الزهد: باب (٢٥) الثناء الحسن. قال في « الزوائد »: إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٧) في الجنائز: باب (٨٥) ثناء الناس على الميت، ومسلم (٩٤٩) (٦٠) في الجنائز: باب (٢٠) فيمن يثنى عليه خير أو شر من الموتى واللفظ له، والبيهقي ١٠/١٢٣.

(٣) أخرجه أحمد ٣/٤١٦ و٦/٤٦٦، وابن ماجه (٤٢٢١) في الزهد قال في « الزوائد »: إسناده صحيح، والحاكم ١/١٢٠ وصححه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في « السنن الكبرى » ١٠/١٢٣ في آداب القاضي، والديلمي في «الفردوس» (٨٩٦٨)، وفي «كنز العمال»(٣٠٧٩١) ونسبه الى ابن أبي شيبة، والطبراني، والبغوي، والحاكم في « الكنى »، والدارقطني في « الأفراد » كلهم من حديث أبي زهير الثقفي بألفاظ متقاربة، وله شاهد عند البزار (٣٦٠١) من حديث سعد قال في « مجمع الزوائد » ١٠/١٢٧ ورجاله رجال الصحيح غير الحسن بن عرفة، وهو ثقة.

الباب الثلاثون

في أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد ﷺ

في « الصحيحين » من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لنا رسول الله ﷺ : « أما تَرضونَ أن تكونُوا رُبُعَ أهلِ الجنةِ ؟ فكبَّرنَا، ثم قال : أما ترضونَ أن تكونُوا ثلثَ أهلِ الجنةِ ؟ فكبرنا، ثم قال : إني لأرجُو أنْ تكونوا شطرَ أهلِ الجنةِ، وسأخبـرُكم عنْ ذلكَ، مـا المسلمونَ في الكفـارِ إلا كشعرةٍ بيضاءَ في ثورٍ أسودَ، أو كشعرةٍ سوداءَ في ثورٍ أبيضَ »[1] هذا لفظ مسلم .

وعند البخاري : « وكشعرةٍ بيضاء في ثور أسود »[2] بغير ألف[3] .

وعن بريدة بن الحصيب قال : قال رسول الله ﷺ : « أهلُ الجنةِ عشرونَ ومئةُ صفٍ، هذه الأمـةُ منها ثمـانونَ صفـاً »[4] رواه الإمام أحمـد والترمـذي، وإسناده على شرط الصحيح، ورواه الطبراني في « معجمه » من حديث عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما ، وفي إسنـاده خالـد بن يزيـد البجلي . وقد تكلم فيه[5] .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢١) (٣٧٦) في الإيمـان : باب (٩٥) كـون هذه الأمـة نصف أهل الجنـة . الشطر : النصف .

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٢٨) في الرقاق : باب (٤٥) الحشر و(٦٦٤٢) في الأيمان والنذور : باب (٣) ولفظه : « أترضون . . . » بألفاظ متقاربة ، والترمذي (٢٥٤٧) في صفة الجنة باب (١٣) وقال: حسن صحيح.

(٣) الذي في البخاري : « كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود » .

(٤) أخـرجه أحمـد ٥/٣٤٧ ، والترمـذي (٢٥٤٦) في الجنة، بـاب (١٣) ما جاء في صف أهـل الجنة . وقال : حديث حسن .

(٥) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٠٦٨٢) قال في « مجمع الزوائد » : ١٠/٤٠٣ وفيه خالد بن يزيد الدمشقي ، وهو ضعيف ، وقد وثق .

ورواه أيضاً من حديث القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ وربُعُ الجنةِ لكم، ولسائرِ الناسِ ثلاثةُ أرباعِها؟ قالوا: الله ورسولُهُ أعلمُ، قال: كيف أنتمْ وثلُثها؟ قالوا: ذاك أكثرُ، قال: كيف أنتم والشطرُ لكم؟ قالوا: ذاك أكثرُ، فقال رسول الله ﷺ: أهلُ الجنةِ عشرونَ ومئةُ صف، لكم منها ثمانون صفاً»[1] قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن القاسم بن عبد الرحمن، إلا الحارث ابن حُصيرة، تفرد به عبد الواحد بن زياد.

وقال عبدالله بن أحمد: حدثنا موسى بن غيلان بن هاشم بن مخلد، حدثنا عبدالله بن المبارك، عن سفيان، عن أبي عمرو، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لما نزلت ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأولينَ. وثُلَّةٌ من الآخرينَ﴾ [الواقعة: ٣٩ - ٤٠]. قال رسول الله ﷺ: أنتم رُبُعُ أهلِ الجنةِ، أنتمْ ثُلُثُ أهلِ الجنةِ، أنتم نصْفُ أهلِ الجنةِ. أنتم ثلثا أهلِ الجنةِ»[2] قال الطبراني: تفرد برفعه ابن المبارك، عن الثوري.

وقال خيثمة بن سليمان القرشي: حدثنا أبو قلابة هو عبد الملك بن محمد، حدثنا محمد بن بكار الصيرفي[3]، حدثنا حماد بن عيسى، حدثنا سفيان الثوري، عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال:

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٣٩٨)، و«الأوسط» ٤٨١ كما في «مجمع البحرين»، و«الصغير» (٨٢) وقال: لم يروه عن القاسم إلا الحارث تفرد به ابن زياد، وأحمد (٤٣٢٨)، وأبو يعلى خ ٢/٢٤٩، والبزار (٣٥٣٤) وقال الهيثمي: هو في الصحيح خلا ذكر الصفوف، و«مجمع الزوائد» ١٠/٤٠٣ وقال: رجالهم رجال الصحيح غير الحارث وقد وثق.

(٢) أخرجه أحمد ٢/٣٩١ ولفظه: «أنتم ثلث أهل الجنة بل أنتم نصف أهل الجنة وتقاسمونهم النصف الباقي»، والسيوطي في «الدر المنثور» ٦/١٥٤ وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه قال: لما نزلت ﴿ثلّةٌ من الأولين. وقليل من الآخرين﴾ شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فنزلت ﴿ثلّة من الأولين. وثلّةٌ من الآخرين﴾ فقال رسول الله ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا ربُع أهل الجنة ...».

(٣) في الطبراني: العيشي.

« أهلُ الجنةِ عشرونَ ومئة صفٍ، أنتم منها ثمانونَ صفاً»[1].

وهذه الأحاديث قد تعددت طرقها، واختلفت مخارجها، وصحّ سند بعضها، ولا تنافي بينها وبين حديث الشطر، لأنه ﷺ رجا أولاً أن يكونوا شطر أهل الجنة، فأعطاه الله [سبحانه] رجاءه، وزاده عليه سدساً[2] آخر.

وقد روى أحمد في « مسنده » من حديث أبي الزبير أنه سمع جابراً يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أرجو أن يكون من يتبعني من أمتي يومَ القيامةِ رُبُعَ أهلِ الجنةِ، قال : فكبرنا، قال : فأرجو أن تكونوا الشطْرَ »[3] وإسناده على شرط مسلم .

---

(1) أخرجه الطبراني في « الكبير » ٤١٩/١٩ (١٠١٢) مطولاً وفي سنده حماد بن عيسى وهو ضعيف، وأحمد ٤٤٧/٤ و ٣/٥ و ٥ وأخرجه نعيم بن حماد في زيادات «الزهد» لابن المبارك (٣٨٢) مختصراً.

(2) في الأصل : شيئاً ، وفي هامشه : ثلثاً ؟.

(3) أخرجه أحمد ٣٤٦/٣ و٣٨٣ .

الباب الحادي والثلاثون

في أن النساء في الجنة أكثر من الرجال وكذلك هم في النار

ثبت في « الصحيحين » من حديث أيوب، عن محمد بن سيرين قال : إمَّا تَفاخَرُوا ، وإمَّا تَذاكروا : الرجال في الجنة أكثر أم النساء ؟ فقال أبو هريرة رضي الله عنه : ألم يقل أبو القاسم ﷺ :«إن أوَّلَ زُمرةٍ تَدخلُ الجنةَ على صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ، والتي تليها على أضواء كوكبٍ دُريٍّ في السماء ، لِكلِّ امرئٍ منهم زوجتان اثنتانِ، يُرى مُخُّ سُوقِهما من وراءِ اللَّحمِ »[1] ، وما في الجنة أعزبُ ، فإن كنَّ من نساء الدنيا فالنساء في الدنيا أكثر من الرجال، وإنْ كُنَّ من الحور العين لم يلزم أن يكُنَّ في الدنيا أكثر .

والظاهر أنّهن من الحور العين، لما رواه الإمام أحمد : حدثنا عفان[2] ، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا يونس، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة [عن] النبي ﷺ [قال]: «للرَّجُل من أهلِ الجنةِ زوجتانِ من الحُورِ العِينِ، على كل واحدةٍ سبعونَ حُلَّةً يرى مُخ ساقِهَا من وراءِ الثيابِ»[3] .

فإن قيل : فكيف تجمعون بين هذا الحديث، وبين حديث جابر المتفق عليه : شهدت مع رسول الله ﷺ العيد، فصلّى قبل أن يخطب بغير أذان ولا إقامة، ثم خطب بعد ما صلى، فوعظ النَّاسَ وذكرهمْ ، ثم أتى النساءَ

---

(١) أخرجه البخاري بألفاظ متقاربة (٣٢٤٥) و(٣٢٤٦) و(٣٢٥٤) في بدء الخلق : باب (٨) و(٣٣٢٧) في الأنبياء : باب (١) ، ومسلم (٢٨٣٤) في الجنة وصفة نعيمها : باب (٦) أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر، واللفظ له.

(٢) في هامش الأصل : سفيان وهو خطأ .

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ٣٤٥ ، والمثبت من «المسند».

فوعظهنَّ ، ومعه بلال، فذكرهنَّ وأمرهنَّ بالصَّدقة . قال : فجعلت المرأة تلقي خاتمَها ، وخُرْصَها ، والشيء كذلك، فأمر النبي ﷺ بلالاً فجمعَ ما هناكَ ، ثمَّ قال: «إن منكنَّ في الجنةِ ليسيرٌ». فقالت امرأةٌ: يا رسول الله لِمَ؟ قال: «إنكنَّ تُكثرنَ اللعنَ، وتكفُرْنَ العشيرَ»[1].

وفي الحديث الآخر : « إنَّ أقلَّ ساكني الجنةِ النساءُ »[2] .

قيل : هذا يدل على أنهن إنما كن في الجنة أكثر بالحور العين اللاتي خلقن في الجنة، وأقلّ ساكنيها نساء الدنيا، فنساء الدنيا أقل أهل الجنة، وأكثر أهل النار .

وأما كونهن أكثر أهل النار، فلمَّا روى البخاري في « صحيحه » من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال : بلغني أن رسولَ الله ﷺ قال : « اطَّلعتُ في النَّارِ فرأيتُ أكثرَ أهلها النساءَ ، واطَّلعتُ في الجنةِ فرأيتُ أكثرَ أهلِها الفقراءَ »[3] .

وفي «صحيح» مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أطَّلعتُ في الجنةِ فرأيتُ أكثرَ أهلها من الفقراء، واطَّلعتُ في النار فرأيتُ أكثرَ أهلها النساء»[4].

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اطَّلعتُ في النارِ فرأيتُ أكثرَ أهلها النساءَ ، واطَّلعتُ في الجنةِ فرأيتُ أكثرَ أهلها الفقراءَ »[5] .

---

(١) أخرجه مسلم (٨٨٥) (٣) و(٤) في صلاة العيدين ، والبخاري من حديث أبي سعيد (٣٠٤) في الحيض باب (٦) و(١٤٦٢) في الزكاة : باب (٤٤) نحوه .
تكفرن العشير : تجحدن فضل الزوج ، العشير : المخالط والمعاشر .

(٢) أخرجه أحمد ٤/٤٢٧ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، وسيأتي قريباً.

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٤١) في بدء الخلق باب : (٨) و(٥١٩٨) في النكاح : باب (٨٨) و(٦٤٤٩) في الرقاق : باب (١٦) و(٦٥٤٦) في الرقاق : (٥١)، ولفظه : « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء . . . » .

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٣٧) (٩٤) في الذكر والدعاء : باب (٢٦) الرقاق ، وأحمد ١/٢٣٤ و٣٥٩ .

(٥) أخرجه أحمد ٢/٢٩٧ .

وفي « المسند » أيضاً من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « اطَّلعتُ في الجنةِ فرأيتُ أكثرَ أهلها الفقراءَ، واطَّلعتُ في النار فرأيتُ أكثرَ أهلها الأغنياءَ والنساءَ »[1] .

وفي الصحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « يا معشرَ النساءِ تصدقْنَ، وأكثِرْنَ الاستغفارَ، فإني رأيتكنَّ أكثرَ أهلِ النار» فقالت امرأةٌ منهنَّ جَزْلَةٌ: وما لنا يا رسولَ الله أكثرُ أهلِ النارِ؟ قال: «تُكثِرْنَ اللَّعنَ، وتكفُرْنَ العشيرَ، ما رأيت من ناقصات عقلٍ ودينٍ أغلبَ لذي لُبٍّ منكنَّ»، قالت: يا رسول الله وما نقصانُ العقلِ والدينِ؟ قال: «أما نقصانُ العقلِ فشهادةُ امرأتين تعدلُ بشهادةِ رجلٍ ، فهذا نقصانُ العقلِ ، وتمكثُ الأيامَ لا تصلي، وتفطرُ، فهذا نقصان الدينِ»[2].

وأما كونهن أقل أهل الجنة، ففي « أفراد » مسلم عن مطرف بن عبدالله : أنه كانت له امرأتانِ، فجاء من عندِ إحداهُما، فقالتِ الأخرى : جئتَ من عندِ فلانةٍ ، فقال : جئتُ من عندِ عمرانَ بنِ حصينٍ ، فحدثنا أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ أقلَّ ساكني الجنةِ النساءُ »[3] .

فإن قيل : فما تصنعون بالحديث الذي رواه أبو يعلى الموصلي، حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد، حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد، حدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع، عن محمد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: [قال] رسولُ اللهِ ﷺ، وهو في طائفةٍ من أصحابه، فذكر حديثاً طويلاً وفيه : « فيدخلُ الرجلُ منهمْ على ثنتينِ وسبعينَ زوجةً مما ينشيءُ اللهُ تعالى، وثنتينِ منْ ولدِ آدمَ، لهما فضلٌ على من أنشأ الله، بعبادتهما في الدنيا »[4] وذكر الحديث .

---

(١) أخرجه أحمد ٢/١٧٣ .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٠٣) في الفتن : باب (١٩) . جزلة : أي ذات رأي .

(٣) أخرجه أحمد ٤/٤٢٧، ومسلم (٢٧٣٨) (٩٥) في الذكر والدعاء باب (٢٦).

(٤) ذكره ابن كثير في « النهاية » ٢/٤٥٥ .

قيل : هذا قطعة من حديث الصور الطويل، ولا يعرف إلا من حديث إسماعيل بن رافع، وقد ضعفه أحمد، ويحيىٰ، وجماعة، وقال الدارقطني[1] وغيره : متروك الحديث. وقال ابن عدي : أحاديثه كلّها مما فيه نظر[2] .

وأما البخاري، فقال فيه : ما حكاه الترمذي عنه قال : سمعت محمداً يقول [فيه] : هو ثقة، مقارب الحديث[3] .

قلت : ولكن إذا روى مثل هذا ما يخالف الأحاديث الصحيحة لم يلتفت إلى روايته ، وأيضاً فالرجل الذي رواه عنه القرظي لا يدرى من هو ؟ .

وقد روى عنه أحمد في « مسنده » من حديث عمارة بن خزيمة بن ثابت قال : كنا مع عمرو بن العاص رضي الله عنهما في حج أو عمرة، حتى إذا كنا بمرِّ الظَّهْرانِ، فإذا امرأة في هَودَجِها . قال : فمال فدخل الشِّعْبَ فدخلنا معه فقال : كنا مع رسول الله ﷺ في هذا المكان، فإذا نحن بغُربانٍ كثيرةٍ فيها غُرابٌ أعصَمُ أحمرُ المنقارِ والرجلينِ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « لا يدخلُ الجنةَ من النساء إلا مثلُ هذا الغرابِ في هذه الغربان »[4] والأعصم من الغربان : الذي في جناحه ريشة بيضاء ، قال الجوهري[5] : ويقال هذا كقولهم : الأبلق[6] العقوق، وبيض الأنوق، لكل شيء يعزُّ[7] وجوده.

وفي « النهاية » : الغرابُ الأعصم : هو الأبيض الجناحين، وقيل الأبيض الرجلين ، أراد : قلة من يدخل الجنة من النساء ، لأن هذا الوصف في الغربان قليل عزيز .

---

(١) ذكره الدارقطني في « الضعفاء والمتروكين » (٧٩) .
(٢) أي في « الكامل » ١/٢٧٩ .
(٣) انظر « تهذيب الكمال » ٣/٨٨ .
(٤) أخرجه أحمد ٤/١٩٧ و٢٠٥ ، والهروي في « الغريب » ٣/١٠١ ، و«الفائق» ٢/٤٣٨ .
(٥) في « الصحاح » مادة : عصم .
(٦) في الأصل : الأبيض والتصويب من «الصحاح»، والبلق: سواد وبياض، والأنوق : طائر وهو الرخمة .
(٧) في هامش الأصل : يعسر، وهذا مثل يضرب لما ذكر .

وفي حديث آخر : « المرأةُ الصالحةُ مثلُ الغـرابِ الأعصمِ »، قيل : يـا رسول الله وما الغرابُ الأعصم ؟ قال : « الذي إحدى رجليه بيضاء » .

وفي حـديث آخـر : « عـائشـةُ في النســاءِ ، كـالغُـرابِ الأعْصَمِ في الغربانِ »[1] .

---

(١) الحـديثان في « النهـاية » : عصم، وفي « الفـائق » حديث « عـائشة » ٢/٤٣٨ ، وفي هـامش الأصل بين: بدل في .

الباب الثاني والثلاثون

فيمن يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب وذكر أوصافهم

ثبت في «الصحيحين» من حديث الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخلُ الجنةَ من أمتي زمرةٌ هم سبعون ألفاً، تضيءُ وجوهُهُم إضاءَة القمرِ ليلةَ البدرِ» فقام عكاشة بن محصن الأسدي[1] يرفع نمرة عليه، فقال: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ اجعلْه منهم»، ثم قام رجل من الأنصار فقال: يا رسولَ اللهِ، ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ»[2].

وفي «الصحيحين» من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «ليدخُلنَّ الجَنَّة من أمتي سبعونَ ألفاً أو قال: سبع مئة ألف آخذٌ بعضهم ببعض حتى يدخلَ أولُهم وآخرُهم الجنّة، وجوهُهُم على صُورَةِ القَمَرِ ليلةَ البدرِ»[3] فهذه هي الزمرة الأولى، وهم يدخلونها بغير حساب.

والدليل عليه ما ثبت في «الصحيحين» والسِّياقُ لمسلم، حدثنا سعيد بن

---

(١) في هامش الأصل: الأسعري وهو خطأ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٤٢) في الرقاق: باب (٥٠) يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، ومسلم (٢١٦) (٣٦٩) في الإيمان: باب (٩٤) الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب.

نمرة: كساء فيه خطوط بيض وسود كأنها أخذت من جلد النمر لاشتراكهما في التلون.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٤٣) في الرقاق: باب (٥٠)، ومسلم (٢١٩) (٣٧٣) في الإيمان باب (٩٤) بألفاظ متقاربة.

منصور، حدثنا هشيم ، أخبرنا حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير، فقال : أيُّكم رأى الكوكبَ الذي انقضَّ البارحةَ، قلت : أنا ، ثم قلت : أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لُدغت قال : فما صنعت ؟ قلت : استرقيت. قال : فما حملك على ذلك ؟ قلت : حديث حدثناه الشعبي . قال : وما حدثكم الشعبي؟ قلت : حدثنا عن بريدة بن حُصيب الأسلمي أنه قال : لا رقيةَ إلا من عينٍ أو حُمَّة ، فقال : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ، ولكن حدثنا ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « عُرضت عليَّ الأممُ فرأيت النبيَ ومعه الرهيط ، والنبيَ ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سوادٌ عظيمٌ ، فظننتُ أنهم أمتي، فقيل لي : هذا موسى وقومُه ، ولكن انظرْ إلى الأفقِ ، فنظرتُ، فإذا سوادٌ عظيمٌ ، فقيل لي : [انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي :] هذه أمتك ، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنةَ بغير حساب ولا عذابٍ، فقال بعضُهم : فلعلهم الذينَ صحبوا رسولَ الله ﷺ . وقال بعضُهم : فلعلَهم الذينَ ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله ، وذكروا أشياء ، فخرج عليهم رسولُ الله ﷺ فقال : « ما الذي تخوضون فيه » ؟ فأخبروه، فقال : « هُم الَّذين لا يرقونَ ولا يَسترقُونَ ، ولا يتطيرُونَ، وعلى ربهم يتوكلون » ، فقام عُكاشةُ بنُ محصنٍ فقال : ادعُ اللهَ أن يجعلني منهم، فقال : « انت منهم » ثم قام رجلٌ آخرُ فقالَ : ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال : « سبقكَ بها عُكاشةُ » ، وليس عند البخاري « ولا يَرْقُونَ »[1] .

قال شيخنا وهو الصواب، وهذه اللفظة وقعت مقحمة[2] في الحديث، وهو غلط من بعض الرواة، فإن النبي ﷺ جعل الوصف الذي استحق به هؤلاء

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠) (٣٧٤) في الإيمان : باب (٩٤) ، والبخاري نحوه (٦٥٤١) في الرقاق : باب (٥٠).

انقض: سقط. لدغت: أصبتُ بِسمّ. عين: إصابة العائن غيره بعينه. حمّة: سمُّ العقرب. الرهيط: تصغير الرهط، وهي جماعة دون العشرة. فخاض الناس: فتكلموا وتناظروا. يسترقون: الاسترقاء طلب الرقية.

(٢) في الأصل : معجمة وهو خطأ .

دخول الجنة بغير حساب، وهو تحقيق التوحيد وتجريده، فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم، ولا يتطيرون، [وعلى ربهم يتوكلون]، والطِيَرةُ : نـوع من الشرك، ويتوكلون على الله وحده لا على غيره، وتركهم الاسترقاء والتطير. هو من تمام التوكل على الله كما في الحديث « الطيرة شرك »[1] . قال ابن مسعود : وما مِنَّا إلا من تطير، ولكن الله يذهبه بالتوكل .

فالتوكل ينافي التطير، وأما رقية الغير، فهي إحسان من الراقي، وقد رقى رسولَ الله ﷺ جبريلُ[2] وأذن له في الرُّقا، وقال : لا بأس بها ما لم يكن فيها شرك، واستأذنوه فيها فقال : « من استطاعَ مِنكُم أن ينفعَ أخاه فلينفعه »[3]، وهذا يدل على أنها نفع وإحسان، وذلك مستحب مطلوب لله ورسولِهِ ، فالراقي محسنٌ ، والمسترقي سائلٍ راجٍ نفع الغير، وتحقيق التوكّل ينافي ذلك[4] .

فإن قيل : فعائشة قد رقت رسول الله ﷺ وجبريلُ قد رقاه، قيل: أجل، ولكن هو لم يسترقِ، وهو ﷺ لم يقل : لا يرقيهم راقٍ، وإنما قال : لا يطلبون مِنْ أحدٍ أن يَرْقيهم ، وفي امتناعِه ﷺ أن يدعوَ للرجل سداً لباب الطلب، فإنه لو دعا لكلٍّ من سأله ذلك ، فربما طلبه من ليس من أهله . والله أعلم .

وفي « صحيح » مسلم من حديث محمد بن سيرين، عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يدخلُ الجنةَ من أمتي سبعونَ ألفاً بغيرِ حسابٍ ولا عذاب » قيل : من هم ؟ قال : « هُم الَّذِينَ لا

---

(١) أخرجه أحمد ٣٨٩/١ ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٩٠٩) ، وأبو داود (٣٩١٠) في الطب باب (٢٤) في الطيرة، والترمذي (١٦١٤) في السير باب (٤٧) ما جاء في الطيرة وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه (٣٥٣٨) في الطب : باب من كان يعجبه الفأل ، والحاكم ١٧/١ - ١٨ وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) لحديث: «أتاني جبريل فقال: يا محمد اشتكيت؟ قلت:نعم.قال:بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك. أخرجه أحمد، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه من حديث أبي سعيد. كما في «الكنز» (٢٨٣٥٣) .

(٣) أخرجه أحمد ٣١٥/٣ و ٣٣٤ و ٣٨٢، ٣٩٣، ومسلم (٢١٩٩) (٦١) و (٦٢) وغيرهم من حديث جابر بن عبدالله.

(٤) أي ينافي الاسترقاء على رأيه، الذي تابع فيه شيخه ابن تيمية، وفي هذا بحث ونظر. راجع =

يَكتَوونَ، ولا يسترقُونَ، ولا يتطيَّرون، وعلى ربهم يتوكلون »[1] .

وفي « صحيحه » أيضاً من حديث أبي الزبير، أنه سمع جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : سمعتُ النبيَّ ﷺ يذكر حديثاً ، وفيه : « فتنجو أولَ زمرةٍ وجوهُهُم كالقمرِ ليلةَ البدرِ، سبعون ألفاً لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء ، ثم كذلك »[2] ، وذكر تمام الحديث .

وقال أحمد بن منيع في « مسنده » حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز، حدثنا حمَّاد، عن عاصم، عن زِرٍّ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عُرِضَتْ عليَّ الأممُ بالموسمِ فراثتْ عليَّ أمتي، ثم رأيتهم فأعجبتني كثرتهم، وهيئتهم قد ملؤوا السهلَ والجبل، فقال : أرضيت يا محمد فقلت : نعم فقال : فإن [لك] مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلونَ الجنةَ بغير حساب . وهم الذين لا يَسترقونَ ، [ولا يتطيرون] ولا يكتوونَ، وعلى ربِّهم يتوكلون» فقام عُكاشةُ بنُ محصنٍ فقال : يا رسولَ اللهِ ، ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال النبي ﷺ : « أنتَ منهم » ، فقام رجل آخر، فقال : « سبقك بها عُكاشةُ »[3] ، وإسناده على شرط مسلم .

= « فتح الباري » ١١/٤٠٨ـ٤١٠ .

(١) أخرجه مسلم (٢١٨) (٣٧٢) في الإيمان : باب (٩٤) وليس فيه لفظ : « ولا عذاب » .

(٢) قطعة من حديث طويل أخرجه مسلم (١٩١) في الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

(٣) أخرجه أحمد ١/٤٥٤ وفيه «فدعا له» بدل «أنت منهم»، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/٣٠٤ وزاد نسبته أيضاً لأبي يعلى ومنهما الزيادة.

راثت: أبطأت. يتطيرون: يتشاءمون. يكتوون: أي يحرقون الجلد موضع المرض بحديدة ونحوها.

الباب الثالث والثلاثون

في ذكر حثيات الرَّب تبارك وتعالى الذين يدخلهم الجنة

قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا إسماعيل بن عياش، عن محمد بن زياد قال : سمعت أبا أمامة الباهلي يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « وعدني ربي أنْ يدخلَ الجنةَ من أمتي سبعينَ ألفاً ، معَ كلِّ ألفٍ سبعونَ ألفاً لا حسابَ عليهم ، ولا عذابَ، وثلاثَ حَثَياتٍ من حَثياتِ ربي »[1] .

قلت : وإسماعيل بن عياش، إنما يخاف من تدليسه وضعفه، فأما تدليسه فقد قال الطبراني : حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقي، والحسين بن إسحاق التستري، قالا : حدثنا هشام بن عمار قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، قال : أخبرني محمد بن زياد الألهاني قال : سمعت أبا أمامة يقول : فذكره، وأما ضعفه فإنما هو في غير حديث الشاميين ، وهذا من روايته عن الشاميين[2] ، وأيضاً فقد جاء من غير طريقه .

قال أبو بكر بن أبي عاصم : حدثنا دحيم، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر، عن أبي اليمان الهوزني، عن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الله وعدني أن يدخلَ الجنةَ من أمتي سبعينَ ألفاً بغيرِ حساب» قال يزيد بن الأخنس : والله ما أولئك في أمتك يا رسول الله إلا مثل الذباب الأصهب في الذِّبانِ، قال رسول الله ﷺ : « فإنَّ الله

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٢٦٨ ، والترمذي (٢٤٣٧) في صفة القيامة : باب (١٢) وقال : هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه (٤٢٨٦) في الزهد : باب (٣٤) صفة أمة محمد ﷺ ثلاث حثيات : أي ثلاث غُرَف والله أعلم بحقيقتها . ﴿ وليس كمثله شيء ﴾ تنزه سبحانه في ذاته وصفاته .

(٢) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٧٥٢٠) مختصراً .

وعدني سبعينَ ألفاً معَ كلِّ ألفٍ سبعون ألفاً، وزداني ثلاثَ حَثَياتٍ»[1].

قال أبو عبد الله المقدسي : أبو اليمان اسمه : عامر بن عبدالله بن لحي، ودحيم لقب، واسمه : عبد الرحمن بن إبراهيم القاضي، شيخ البخاري، ومن فوقه إلى أبي أمامة من رجال الصحيح إلا الهوزني، وما علمت فيه جرحاً.

قال الطبراني : حدثنا أحمد بن خليد، حدثنا أبو توبة، حدثنا معاوية بن سلَّام، عن زيد بن سلَّام، أنه سمع أبا سلَّام يقول : حدثني عامر بن يزيد بن البكالي، أنه سمع عتبة بن عبد السلمي، قال : قال رسول الله ﷺ : «إنَّ ربي عزَّ وجلَّ وعدني أنْ يُدخلَ الجنةَ من أمتي سبعينَ ألفاً بغيرِ حسابٍ، ثم يشفعُ كلُّ ألفٍ لسبعينَ ألفاً، ثُمَّ يحثي ربي تباركَ وتعالى بكفيه ثلاثَ حثياتٍ[2]»فكبَّرَ عمرُ، وقال : إن السبعينَ الأولَ يُشفعهم الله في آبائِهم وأمهاتهم وأبنائِهم، وعشائِرهم وأرجو أن يجعلني الله في أحدِ الحثَياتِ الأواخِرِ. قال الحافظ أبو عبدالله محمد بن عبد الواحد : لا أعلم لهذا الإسناد علة.

قال الطبراني : وحدثنا أحمد بن خُليد، حدثنا أبو توبة، حدثنا معاوية بن سلَّام، عن زيد بن سلَّام، أنه سمع أبا سلَّام يقول : حدثني عبدالله بن عامر بن قيس الكندي، أن أبا سعيد الأنماري رضي الله عنه حدثه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ ربي عزَّ وجلَّ وعدني أنْ يُدخلَ الجنةَ من أمتي سبعينَ ألفاً بغيرِ حسابٍ، ويَشفع كلُّ ألفٍ لسبعينَ ألفاً، ثمَّ يحثي ربي ثلاثَ حثياتٍ بكفيه». قال [ابن]قيس: فقلت لأبي سعيد: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم بأذني، ووعاه قلبي. قال أبو سعيد : فقال رسول اللهِ ﷺ : «وذلكَ إنْ شاء الله يستوعبُ مهاجري أمتي، ويوفي الله عزَّ وجلَّ بقيتَهُ من أعرابنا[3]». قال الطبراني : لم يُروَ هذا الحديث عن أبي سعيد الأنماري إلا بهذا الإسناد، وتفرد به معاوية ابن سلَّام، وقد رواه محمد بن سهل بن عسكر، عن أبي توبة الربيع بن نافع بإسناده، وفيه قال أبو سعيد : فحسب ذلك عند رسول الله ﷺ فبلغ أربع مئة

(1) أخرجه أحمد ٥/٢٥٠ مطولاً، والطبراني في «الكبير» (٧٦٦٥) وفيه : «كالذباب الأزرق في الذِّبان».

(2) أخرجه الطبراني ١٢٦/١٧ (٣١٢). وفي الأصل: «إحدى» وفي هامشه: أحد من الحثيات.

(3) أخرجه الطبراني في «الكبير» بتمامه ٢٢/٣٠٤ ـ ٣٠٥ وسيرد في التعليق الآتي.

ألفِ ألفٍ وتسع مئة ألفٍ، فقال رسول الله ﷺ : « إنَّ ذلكَ يستوعبُ إن شاء الله مهاجري أمتي »[1] .

قال الطبراني : حدثنا محمد بن صالح بن الوليد النَّرسي[2] ، ومحمد بن يحيى بن منده الأصبهاني، قالا : أخبرنا أبو حفص عمرو بن علي ، حدثنا معاذ ابن هشام ، حدثني أبي ، عن قتادة ، عن أبي بكر بن أنس، عن أبي بكر بن عمير، عن أبيه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إنَّ الله وعدني أنْ يدخلَ من أمتي ثلاث مئة ألفٍ الجنة » فقال عمير : يا رسول الله ، زدنا فقال : « هكذا بيدِهِ » ، فقال عميرٌ : يا رسولَ الله ، زِدْنا، فقال عمرُ : حسبكَ يا عميرُ، فقال : ما لنا ولكَ يا ابنَ الخطابِ، وما عليكَ أن يدخلنَا الله الجنةَ، فقال عمرُ : إنَّ الله عزَّ وجلَّ إنْ شاء أدخلَ الناسَ الجنةَ بحفنةٍ أو بحثيةٍ واحدةٍ، فقال نبيُّ الله ﷺ : « صدقَ عمرُ » قال محمد بن عبد الواحد : لا أعرف لعمير حديثاً غيره[3] .

وفي « الحلية » من حديث سليمان بن حرب، حدثنا أبو هلال، عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ قال : « وعدني ربي عزَّ وجلَّ أنْ يُدخلَ من أمتي الجنةَ مئة ألفٍ » فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسولَ اللهِ زِدْنا، قال : « وهكذا » وأشار سليمان بنُ حربٍ بيده كذلك ، قال : يا رسولَ اللهِ زِدْنَا ، فقالَ عمر: إن الله عزَّ وجلَّ قادرٌ أن يُدخلَ الناسَ الجنة بحفنةٍ واحدةٍ، فقال رسول الله ﷺ: «صدقَ عمرُ»[4] رواه عنه إبراهيم بن الهيثم البلدي، وفيه

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٢٢/ (٧٧١) وتقدم من حديث أبي سعد الخير الأنصاري الأنماري ويقال له أيضاً: أبو سعيد و«مسند الشاميين» (٢٨٦١)، و«الأوسط» ٤١٨ كما في «مجمع البحرين»، وذكره في «مجمع الزوائد» ١٠/٤٠٩ - ٤١٠ مختصراً. وقال: ورجاله ثقات. وفيه «ذاك» بدل «ذلك» و«مستوعب» بدل «يستوعب».

وابن أبي عاصم في «السنة» (٨١٤) عن أبي سعيد الحبراني الأنماري ، وابن حجر في « الإصابة » ٤/٨٩ ت (٥٣٣) وقال في « التقريب » وقد وهم من خلطه بالذي قبله .

في هامش الأصل : سبع مئة ألف .

(٢) في الأصل : القرشي والتصويب من : « معجم الطبراني » .

(٣) أخرجه الطبراني ١٧/٦٤ (١٢٣)، وذكره «مجمع الزوائد» ١٠/٤٠٥ وقال: أبو بكر بن عمير لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » ٢/٣٤٤ - ٣٤٥ وقال هذا حديث غريب من حديث قتادة عن =

ضعف تفرد به، أبو هلال الراسي: بصري واسمه محمد بن سُليم.

وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر، عن قِتادة، عن النضر بن أنس، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله وعدني أنْ يُدخلَ الجنةَ من أمتي أربعَ مئةِ ألفٍ» قال أبو بكر: زدْنا يا رسولَ الله، قال: «وهكذا»، وجمعَ بينَ يديهِ، قال: زدْنا يا رسولَ الله قال: «وهكذا» [وجمع كفيه]، فقال عمرُ: حسبُكَ يا أبا بكر، فقال أبو بكرٍ: دَعني يا عمر ما عليكَ أنْ يدخلَنا الله الجنةَ كلَّنا!! فقال عمر: إن [الله إنْ] شاءَ أدخلَ خلقهُ الجنة بكفٍ واحدةٍ، فقال النبي ﷺ: «صدق عمر»[1] تفرد به عبد الرزاق.

وقال أبو يعلى الموصلي في «مسنده»: حدثنا محمد بن أبي بكر، حدثنا عبد القاهر بن السري السلمي، حدثنا حميد، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يَدخلُ الجنةَ من أمتي سبعونَ ألفاً» قالوا: زدنا يا رسول الله [قال: «لكلِ رجلٍ سبعون ألفاً». قالوا: زدْنا يا رسولَ الله وكان على كثيب «فحثا بيده» قالوا. زدنا يا رسول الله] فقال: «هكذا» وحثى بيدِهِ، قالوا: يا نبيَّ اللّهِ، أبعدَ الله منْ دخلَ النارَ بعدَ هذا[2]. قال محمد بن عبد الواحد: لا أعلمه، روى عن أنس إلا بهذا الطريق. وسئل يحيى بن معين عن عبد القاهر فقال: صالح، وأصحاب هذه الحثيات هم الذين وقعوا في قبضته الأولى سبحانه يوم القبضتين.

فإن قيل: فكيف كانوا أولاً قبضة واحدة، ثم صاروا ثلاث حثيات مع العدد المذكور؟ قيل: الرَّبُّ سبحانه وتعالى أخرج يوم القبضتين صورهم وأشباحههم، وقد روي أنهم كانوا كالذَّر، وأما يوم الحثيات، فيكونون أتمَّ ما كانوا خلقة، وأكمل أجساماً، فناسب أن تتعدد الحثيات بكلتا اليدين. والله أعلم

أنس، وذكره «مجمع الزوائد» ١٠/٤٠٤ وقال: رواه أحمد، والطبراني في «الأوسط» وإسناده حسن.

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٥٦) وذكره في «مجمع الزوائد»: ١/٤٠٤ وقال: رواه أحمد والطبراني في «الأوسط» ورجالهما رجال الصحيح.

(٢) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٣٧٨٣)، وذكره في «مجمع الزوائد» ١٠/٤٠٤، وابن حجر في «المطالب العالية» (٤٦٩٩) وقال محققه: قال البوصيري: رواه أبو يعلى ورواته ثقات.

الباب الرابع والثلاثون

في ذكر تربة الجنة وطينها وحصبائها وبنائها

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر، وأبو كامل قالا : أنبأنا زهير ، حدثنا سعيد الطائي ، حدثنا أبو المُدَلَّه مولى أم المؤمنين سمع أبا هريرة يقول : قلنا : يا رسولَ الله ، إذا رأيناكَ رقَّتْ قلوبُنا ، وكنا من أهلِ الآخرة، وإذا فارقناكَ أعجبتنا الدنيا، وشممنا النِّساءَ والأولادَ ، قال : « لو تكونونَ على كلِّ حالٍ على الحالِ التي أنتمُ عليها عندي لصافحتكُم الملائكةُ بأكفهِمْ، ولزارتْكُم في بيوتِكم ، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقومٍ يُذنبونَ كي يغفرَ لَهمْ » . قال: قلنا: يا رسولَ الله ، حدثنا عن الجنةِ ما بناؤُها ؟ قال : « لبنةُ ذهبٍ ، ولبنةُ فضةٍ ، ومِلاطُها المسكُ ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوتُ ، وترابُها الزعفرانُ ، من يدخلُها ينعمُ لا يَبْؤس ، ويخلدُ لا يموتُ، لا تَبلى ثيابُه، ولا يفنى شبابُهُ، ثلاثةٌ لا تُردُّ دعوتُهم : الإمامُ العادلُ، والصائمُ حتى يفطرَ، ودعوةُ المظلومِ تُحملُ على الغمام ، وتفتحُ لها أبوابَ السماواتِ ، ويقولُ الربُّ : وعزتي لأنصرَنَّكِ ولو بعدَ حينٍ »[1] .

وروى أبو بكر بن مردويه من حديث الحسن، عن ابن عمر قال : سئل رسولُ اللهِ ﷺ ، عن الجنة فقال : « مَنْ يدخلُ الجنةَ يَحيا لا يموتُ، وينعمُ لا يبأسُ، لا تبلى ثيابُه ، ولا يفنى شبابُه » ، قيل : يا رسولَ الله كيف بناؤُها؟ قال : « لبنةٌ من ذهبٍ، ولبنةٌ من فضةٍ ، وملاطُها مسكٌ أذفرُ ، وحصباؤُها اللؤلؤُ والياقوتُ، وترابُها الزعفرانُ»[2] هكذا جاء في هذه الأحاديث أن ترابها الزعفران .

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٣٠٤ ـ ٣٠٥ .

(٢) أورده في « كنز العمال » (٣٩٣٨٩) ، ونسبه للطبراني .

وكذلك روى يزيد بن زريع، حدثنا سعيد عن قتادة، عن العلاء بن زياد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « الجَنَّةُ لبنةٌ من ذهبٍ، ولبنةٌ من فضةٍ، ترابُها الزعفرانُ وطينُها المسكُ »(١).

وفي « الصحيحين » من حديث الزهري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: « أدخلتُ الجنةَ فإذا فيها جَنابذُ اللؤلؤ، وإذا ترابُها المسكُ »(٢) وهو قطعة من حديث المعراج.

وروى مسلم في « صحيحه » من حديث حماد بن سلمة، عن الجُريْري عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ: سأل ابن صائد عن تربة الجنة، فقال: دَرمَكةٌ بيضاءُ، مسكٌ خالصٌ، فقال رسول الله ﷺ: « صَدقَ »(٣) ثم رواه عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي أسامة، عن الجُريري، عن أبي نضرة [عن أبي سعيد]: أن ابن صياد سأل النبيَّ ﷺ عن تربة الجنة فقال: « دَرمكُةٌ بيضاءُ مسكٌ خالصٌ »(٤).

وقال سفيان بن عيينة، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، قد غُلب على أصحابك اليوم، قال: وبأيِّ شيء غُلبوا؟ قال: سألهم اليهود: كم عدد خزنة النار فقالوا: لا ندري، حتى نسأل نبينا، فقال رسول الله ﷺ: « أيغلبُ قومٌ سُئلوا عما لا يعلمونَ. فقالوا: حتى نسأل نبينا؟ ولكنْ هم أعداءُ الله سألوا

---

(١) أخرجه البزار (٣٥٠٩).

(٢) أخرجه أحمد ١٤٤/٥، والبخاري (٣٤٩) في الصلاة: باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، ومسلم (١٦٣) في الإيمان: باب (٧٤) الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلاة.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٢٨) عن نصر بن علي الجهضمي، حدثنا بشر يعني ابن مفضل، عن أبي مسلمة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: لابن صائد « ما تربة الجنة » فقال: درمكة بيضاء مسك يا أبا القاسم قال: « صدقت ».

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » ٩٦/١٣ (١٥٨٠٣)، ومسلم (١٩٢٨) (٩٣) في الفتن: باب (١٩) ذكر ابن صياد، ونقل القاضي عياض عن بعض أهل النظر: أن هذه الرواية أظهر. الدرمكة: الدقيق الحوارى الخالص البياض.

نبيِّهم أنْ يربهمَ الله جهرةً ، عليَّ بأعداءِ الله ، فإني سائلُهم عن تربةِ الجنةِ وأنها دَرْمَكَـةٌ»، فلمَّا أنْ جـاؤوه قالـوا: يا أبـا القاسم كم عـدد خـزنـةِ النـار؟ فقـال رسولُ الله بيديهِ كلتيهِما: هكذا وهكذا، وقبض واحدة، أي: تسعة عشرَ، فقال لهم رسولُ اللهِ ﷺ : « ما تربةُ الجنة ؟ فنظر بعضهم إلى بعض، وقالوا : خبزة يا أبا القاسم، فقال النبي ﷺ الخبزة من الدرمكةِ »[1] .

فهـذه ثلاث صفـات في تربتهـا ، لا تعارض بينهـا، فذهبت طـائفـة من السلف : إلى أن تربتها متضمنة للنوعين : المسك والزعفران ، قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا محمد بن أبي عبيدة، عن أبيه، عن الأعمش، عن مالك بن الحارث قال : قال مغيث بن سُميّ : الجنة ترابها المسك والزعفران، ويحتمل معنيين آخرين :

أحدهما : أن يكون التراب من زعفران، فإذا عجن بالماء صـار مسكاً ، والـطين يسمى ترابـاً[2] ، ويدل على هـذا قـولـه في اللفظ الآخـر : مِـلاطهـا المسك، والملاط : الطين، ويدل عليه أن في حديث العلاء بن زياد : « ترابُها الزعفرانُ، وطينُها المسك »[3] . فلما كانت تربتها طيبة، وماؤها طيباً ، فانضم احدهما إلى الآخر حدث لهما طيب آخر فصارا[4] مسكاً .

المعنى الثاني : أن يكون زعفراناً باعتبار اللون، مسكاً باعتبار الرائحـة، وهذا من أحسن شيء: تكون البهجة والإشراق في لون الزعفران، والرائحـة في رائحة المسك، وكذلك تشبيهها بالدرمك، وهو الخبز الصافي الذي يضرب لونه إلى صفرة مع لينها ونعومتها، وهذا معنى ما ذكره سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : أرض الجنة من فضة، وترابها مسك، فاللون في البياض

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٢٧) في تفسير القرآن : باب (٧١) ومن سورة المدثر وقال : هذا حديث غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث مجالد . وفي هامش الأصل: عدة بدل عدد.

(٢) في هامش الأصل : والتراب يسمى طيناً .

(٣) تقدم قريباً ص ١٨٤ ت(١).

(٤) في هامش الأصل : فصاروا .

لون الفضة، والرائحة رائحة المسك . وقد ذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي بكر بن أبي سبرة[(١)] ، عن عمر بن عطاء بن وَراز، عن سالم أبي الغيث عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال : « أرضُ الجنةِ بيضاءُ ، عرصتُهـا صخورُ الكـافورِ، وقد أحاطَ به المسكُ مثلَ كثبانِ الرملِ ، فيها أنهارٌ مـطردَةٌ ، فيجتمعُ فيهـا أهلُ الجنةِ أدناهُم وآخرهُم ، فيتعارفونَ، فيبعثُ الله ريحَ الرحمةِ، فتهيجُ عليهم ريحَ المسكِ، فيرجـعُ الرجـلُ إلى زوجتِهِ، وقـد ازدادَ حسناً وطيبـاً ، فتقولُ : لقـد خرجتَ من عندي، وأنا بكَ معجبةٌ، وأنا بك الآن أشدُّ إعجاباً »[(٢)]

وقال ابن أبي شيبة : حدثنا معاوية بن هشام ، حدثنـا علي بن صالـح ، عن عمر بن ربيعة ، عن الحسن، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قيـل : يا رسول الله ، كيف بناء الجنة ؟ قال : «لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، ملاطها مسك أذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران »[(٣)] .

وقال أبو الشيخ : حدثنا الوليد بن أبان ، حدثنا أسيد بن عاصم، حـدثنا الحوضي، حدثنا عدي بن الفضل، حدثنا سعيد الجُرَيْري ، عن أبي نضـرة ، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله عزَّ وجلّ بنى جناتِ عدنٍ بيده ، وبناؤها لبنةٌ من ذهبٍ ولبنةٌ من فضةٍ ، وجعل مِلاطَها المسكَ الأذْفَر ، وترابها الزعفرانَ ، وحصباءها اللؤلؤ، ثم قال لهـا : تكلمي، فقالتْ : قد أفلحَ المؤمنونَ، فقالت الملائكةُ : طُوبى لك منزلَ الملوكِ »[(٤)] .

وقال أبو الشيخ : حدثنا عمرو بن الحسين، حدثنا أبو علاثة ، حدثنا ابن

---

(١) في هامش الأصل : شيبة وهو خطأ، والتصويب من « التهذيب » .

(٢) حديث ضعيف، لضعف أبي بكر بن أبي سبرة وعمر بن عطاء .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٩٥/١٣ (١٥٨٠٢) وفيه عمرو بن ربيعة، والتصويب من «التقريب»، ولـه شاهد عنـد أحمد ٤٤٥/٣ ، والـدارمي ٣٣٣/٢ في الرقـاق : باب (١٠٠) في بنـاء الجنة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « صفة الجنة » (١٤٠) ، و« الحلية » ٢٠٤/٦ وقال : تفرد به الجريـري ، عن أبي نضرة، والبزار (٣٥٠٧) و(٣٥٠٨) في صفة الجنة، وعزاه في « الدر المنثور » ٣٧/١ لابن مردويه أيضاً .

جُريج ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير، عن أبيٍّ بن كعبٍ قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : «قلت ليلة أُسريَ بي يا جبريلُ، إنَّهم سيسألوني عن الجنةِ، قال: فأخبرهم أنها من دُرَّةٍ بيضاءَ، وأنَّ أرضَها عِقيانٌ»(١) والعقيان: الذهبُ، فإن كان ابن علاثة حفظه، فهي أرض الجنتين الذهبيتين، ويكون جبريـل أخبره بـأعلى الجنتين وأفضلهما . والله أعلم .

---

(١) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ١٥٣/٤ ونسبه لابن مردويه بألفاظ متقاربة .

الباب الخامس والثلاثون

في ذكر نورها وبياضها

قال أحمد بن منصور الرمادي : حدثنا كثير بن هشام، حدثنا هشام بن زياد أبو المقدام ،عن حبيب بن الشهيد، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « خَلَقَ اللهُ الجنةَ بيضاءَ ، وأحبُّ الزِّيِّ إلى اللهِ البياضُ ، فليلْبسهُ أحياؤُكم، وكفنُوا فيه موتَاكم»،ثم أمرَ برعاءِ الشاءِ فجمعتْ ، فقال:«من كان ذا غَنمٍ سودٍ فليخلطْ بها بيضاء » فجاءت[1] امرأة فقالت : يا رسول الله ، إني اتخذتُ غنماً سوداً فلا أراها تنمو ، قال : « عفِّري »[2] وقوله : « عَفِّري » أي بَيِّضي .

وذكر أبو نعيم من حديث عباد بن عباد، حدثنا هشام بن زياد، عن يحيى ابن عبد الرحمن، عن عطاء ، عن ابن عباس يرفعه : « إنَّ اللهَ خَلَقَ الجنةَ بيضاءَ ، وإنَّ أحبَّ اللَّون إلى اللهِ البياضُ، فَلْيلبْسه أحياؤُكم، وكفِنُوا فيهِ مَوتاكُمْ »[3] .

وذكر من طريق عبد الحميد بن صالح ، حدثنا أبو شهاب، عن حمزة، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) في هامش الأصل : فجاءته .

(٢) قطعة من حديث أخرجه الآجُري في «الشريعة» ص ٣٩٣،والبزار (٣٥١٠)في صفة الجنة: باب بناء الجنة و(٢٩٤٠) في اللباس : باب ما جاء في البياض مختصراً ، وأخرجه ابن عدي بتمامه في « الكامل » ٧/٢٥٦٥ في ترجمة هشام بن زياد وقال : الضعف بيِّن على رواياته .

(٣) حديث ضعيف،أخرجه أبو نعيم في « صفة الجنة » (١٢٩)،لضعف هشام بن زياد .

« عَليكُمْ بالبياضِ ، فإنَّ اللهَ خَلَقَ الجنةَ بيضاءَ ، فليلْبسهُ أحياؤكُم ، وكفِنُوا فيه مَوْتَاكم »[1] .

وروينا من طريق النجاد، حدثنا عبدالله بن محمد[2] ، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا عبد ربه الحنفي، عن خاله الزميل بن السماك أنه سمع أباه يحدث أنه لقي عبدالله بن عباس بالمدينة بعدما كفَّ بصره فقال : يا ابن عباس، ما أرض الجنة ؟ قال : هي مَرْمَرةٌ بيضاءُ من فضةٍ كأنَّها مرآةٌ ، قلت : ما نورُها ؟ قال : ما رأيت الساعةَ التي تكونُ فيها قبل طلوعِ الشمسِ ، فذلكَ نُورُها إلا أنَّهُ[3] ليس فيها شمسٌ ولا زَمْهَريرٌ . وذكر الحديث. وسيأتي إن شاء الله [تعالى] .

وفي حديث لقيط بن عامر الطويل الذي رواه عبدالله بن أحمد في « مسند » أبيه عن النبي ﷺ، فذكر الحديث، وقال : « وتحبس الشمسُ والقمرُ فلا يرونَ منهما واحداً ، قال : قلتُ يا رسولَ اللهِ فَبِمَ نبصرُ ؟ قال : بمثل بصرك في عينيكَ هذه، وذلك معَ طلوعِ الشمسِ في يوم أشرقته الأرض، وواجهته الجبالُ »[4] .

وفي « سنن » ابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم، عن محمد بن مهاجر، عن الضحاك المعافري، عن سليمان بن موسى، حدثني كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول : قال رسول الله ﷺ : « ألَا هلْ مُشمِّرٌ للجنةِ، فإنَّ الجنَّةَ لا خطرَ لها ، هي وربِّ الكعبةِ نورٌ يتلألأ ، وريحانةٌ تهتزُّ ، وقصرٌ مشيدٌ ،

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « صفة الجنة » (١٣٠) ، وابن عدي في « الكامل » ٧٨٦/٢ مطولاً في ترجمة حمزة وقال : وكل ما يرويه أو عامته مناكير موضوعة .

(٢) في هامش الأصل : حجر .

(٣) في الأصل : أنها، والمثبت من الهامش .

(٤) قطعة من حديث طويل أخرجه عبدالله بن أحمد ١٣/٤ ، ١٤ في « المسند » وفيه « بمثل بصرك ساعتك هذه، وذلك قبل طلوع الشمس في يوم أشرقت الأرض واجهت به الجبال » ، والطبراني في « الكبير » ٢١٣/١٩ (٤٧٧) .

ونهرٌ مطردٌ ، وثمرةٌ نَضيجةٌ ، وزوجةٌ حسناءُ جميلةٌ ، وحُلَلٌ كثيـرةٌ ، ومقامٌ في أبدٍ في دور سليمةٍ ، وفاكهةٍ وخضـرةٍ، وحَبرة ونَعمـةٍ، في محلةٍ عاليـةٍ بَهيةٍ » قالوا : نَعَم يا رسولَ اللهِ ، نحنُ المشمرونَ لها . قال : « قُولُوا إنْ شَاءَ الله » ، قال القومُ : إنْ شاءَ الله[1] .

---

(١) أخرجه ابن ماجة (٤٣٣٢) في الزهد : باب (٣٩) صفة الجنة . قال في « الزوائد » : في إسناده مقال ، والضحاك المعافري ذكره ابن حبان في « الثقات » قال الذهبي في « طبقات التهذيب » : مجهول، وسليمان : مختلف فيه، وباقي رجال الإسناد ثقـات ، وابن حبان (٧٣٣٧) في وصف الجنة .

لا خطر : أي لا مثل لها ، تهتز : تتحرك ، مـطرد : جار ، حبـرة : نعمة ، نضـرة : حسنة .

الباب السادس والثلاثون

في ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها وخيامها

قال الله تعالى : ﴿ لَكِنِ الَّذينَ اتقوا رَبَّهم لَهُم غُرفٌ من فوقِهَا غُرفٌ مبنيةٌ ﴾ [الزمر : ٢٠] فأخبر تعالى أنها غرف فوق غرف، وأنها مبنية بناء حقيقة، لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل، وأن ليس هناك بناء ، بل تتصور النفوس غرفاً مبنية كالعَلالي بعضها فوق بعض، حتى كأنها ننظر إليها عياناً ، ومبنيةٌ : صفة للغرف الأولى والثانية، أي لهم منازل مرتفعة ، وفوقها منازل أرفع منها، وقال تعالى : ﴿ أولئكَ يُجزونَ الغُرفةَ بما صَبَرُوا ﴾ [الفرقان : ٧٥] ، والغرفة جنس كالجنة، وتأمل كيف جعل جزاءهم ـ على هذه الأفعال المتضمنة للخضوع، والذلِّ والاستكانة لله ـ الغرفَ والتحيةَ والسلام، في مقابلةِ صبرهم على سوء خطابِ الجاهلين لهم ، فبُدِّلُوا بذلك سلام الله وملائكته عليهم .

وقال تعالى : ﴿ وما أموالُكم ولا أولادُكم بالتي تقرِّبكم عندَنا زُلْفى إلا من آمنَ وعملَ صالحاً فأولئكَ لهم جَزَاءُ الضِّعفِ بما عملوا وهم في الغُرفاتِ آمنونَ ﴾ [سبأ : ٣٧] ، وقال تعالى : ﴿ يَغفرْ لكُم ذُنوبَكم ويدخلْكُم جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ، ومساكِنَ طيبةً في جناتِ عَدْنٍ ﴾ [الصف : ١٢] ، وقال تعالى عن امرأة فرعون إنها قالت : ﴿ رَبِّ ابْنِ لي عِندَك بيتاً في الجنَّةِ ﴾ [التحريم : ١١] .

وروى الترمذي في « جامعه » من حديث عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن علي قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ في الجنةِ لغُرفاً يُرى ظهورُها من بطونها، وبطونُها من ظهورها » فقام أعرابيٌّ فقال : يا رسول الله ، لمن هي؟ قال: «لمن طيبَّ الكلامَ، وأطعمَ الطعام، وأدامَ الصيامَ، وصلَّى

باللّيل والناسُ نيامٌ»[1] قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق.

وقال الطبراني: حدثنا عبدان بن أحمد، حدثنا هشام بن عمار، [قالا] حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا معاوية بن سلام، عن زيد بن سلّام، [قال]: حدثني أبو سلام، حدثني أبو معانق الأشعري، حدثني أبو مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنةِ غُرفاً يُرى ظاهرُها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها، أعدَّها اللهُ لمن أطعم الطعامَ، وأدام الصيامَ، وصلّى بالليل والناسُ نيامٌ»[2].

وقال ابن وهب: حدثني حيي، عن أبي عبد الرحمن، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ في الجنةِ غُرفة يُرى ظاهرُها من باطنها، وبطنها من ظاهرها»: قال أبو مالك الأشعري: لمن هي يا رسولَ الله؟ قال: «لمنْ أطابَ الكلامَ، وأطعم الطعامَ، وبات قائماً والناسُ نيامٌ»[3].

قال محمد بن عبد الواحد: وهذا عندي إسناد حسن، وذكر أبي مالك فيه ممّا يدل على صحته، لأن أبا مالك قد رواه، وإسناده أيضاً حسن، وقد تقدم حديث أبي سعيد المتفق على صحته: «إنَّ اهلَ الجنةِ ليتراءونَ أهلَ الغرفِ كما يتراءون الكوكَب الغابرَ من الأفق»[4].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ للمؤمن في الجنة لخيمةً من لؤلؤةٍ واحدةٍ مجوفةٍ، طولُها ستونَ ميلاً،

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٤) في البر والصلة: باب (٥٣) ما جاء في قول المعروف، وفيه: «أطاب»، «غرفاً» و(٢٥٢٧) في صفة الجنة باب (٣) ما جاء في صفة غرف الجنة وقال: وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد الرحمن بن إسحاق.

(٢) أخرجه الطبراني (٣٤٦٧)، وأحمد ٥/٣٤٣ وفيه: «وألان الكلام»، وذكره «مجمع الزوائد» ٢/٢٥٤. وقال: ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه أحمد ٢/١٧٣، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢/٢٥٤، ونسبه للطبراني في «الكبير» وقال: إسناده حسن.

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٥٦) في بدء الخلق: باب صفة الجنة، ومسلم (٢٨٣١) في الجنة: باب (٣) ترائي أهل الجنة.

للمؤمن فيها أهلونَ يطوف عليهمُ المؤمنُ ، فلا يَرى بعضُهم بعضاً »[1] ، وقد تقدم قوله ﷺ في الحديث الصحيح : « من بنى لله مسجداً بنىٰ الله له بيتاً في الجنَّةِ »[2] ، وقوله في حديث أبي موسى : يقول عزّ وجلّ لمن حمده واسترجع عند موت ولده : « ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسمّوه بيتَ الحمدِ »[3] .

وفي « الصحيحين » من حديث عبدالله بن أبي أوفى ، وأبي هريرة، وعائشة رضي الله عنهم أن جبريلَ قال للنبي ﷺ : « هذه خديجةُ أقرئها السلامَ من ربِّها ، وأمرهُ أن يبشرَها ببيت في الجنة من قَصَب، لا صخَبَ فيه ولا نَصَب »[4] والقصب ها هنا : قصب اللؤلؤ المجوف .

وقد روى ابن أبي الدنيا من حديث يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن عكرمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ : قال « إنَّ في الجنةِ لقصراً من لؤلؤ ليس فيه صَدْعٌ ، ولا وهن، أعدَّه الله عزّ وجلّ لخليلهِ إبراهيمَ »[5].

وفي « الصحيحين » من حديث حميد، عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « دخلتُ الجنةَ فإذا أنا بقصرٍ من ذهبٍ، فقلت: لمن هذا القصرُ ؟ قالوا : لشابٍ من قريشٍ ، فظننتُ أني أنا هو ، فقلت : ومن هو ؟ قالوا : لعمر ابن الخطابِ»[6] وهو فيهما من حديث جابر، ولفظه: «فأتيت على قصرٍ مُرَبَّع مشرفٍ من ذهبٍ»[7] وقد تقدم .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٣) في بدء الخلق : باب (٨) ، ومسلم (٢٨٣٨) في الجنة : باب (٩) في صفة خيام الجنة .

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٣) في المساجد : باب (٤)، وفي الزهد والرقائق : باب (٣) ولفظه : « من بنى مسجداً لله بنى الله له بيتاً في الجنة » .

(٣) أخرجه أحمد ٤/٤١٥ ، والترمذي (١٠٢١) في الجنائز، باب (٣٦) فضل المصيبة إذا احتسب، وقال : حديث حسن غريب .

(٤) أخرجه البخاري ٧/١٠٥ ، ومسلم (٢٤٣٢) من حديث أبي هريرة .
الصخب : الصياح ، النصب : التعب .

(٥) لم نجده.

(٦) أخرجه الترمذي (٣٦٨٨) في المناقب : باب (١٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٧) أخرجه البخاري (٧٠٢٤) في التعبير: باب (٣١) ، ومسلم (٢٣٩٤) في فضائل الصحابة : باب

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا شجاع بن الأشرس قال : سمعت عبد العزيز ابن أبي سلمة الماجشون، عن حميد،عن أنس بن مالك رضي الله عنه،عن النبي ﷺ قال : « دخلتُ الجنةَ فإذا فيها قصرٌ أبيضُ قال : قلتُ لجبريلَ : لمن هذا القصرُ ؟ قال : لرجل من قريش، فرجوتُ أن أكونَ أنا . فقلت : لأيِّ قريش ؟ قال : لعمر بن الخطاب »(١)وهذا إن كان محفوظاً فبياضُه : نورُه وإشراقه وضياؤه . والله أعلم .

وقال الحسن : قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل يرفع بها صوته .

وقال الأعمش: حدثنا مالك بن الحارث،عن مغيث بن سُميّ قال: إنَّ في الجنةِ قصوراً من ذهبٍ، وقصوراً من فضةٍ، وقصوراً من لؤلؤ ، وقصوراً من ياقوت،وقصوراً من زبرجد . وقال الأعمش: عن مجاهد عن عبيد بن عمير، قال : إن أدنى أهل الجنة منزلةً مَن له دار مِن لؤلؤة واحدةٍ، منها غرفها وأبوابها .

وروى البيهقي من حديث حفص بن عمر، حدثنا عمرو بن قيس الملائي، عن عطاء ابن أبي رباح ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :«إنَّ في الجنةِ لغرفاً ، فإذا كان ساكنها فيها لم يَخفَ عليه ما خلفَها ، وإذا كان خلفَها لم يخفَ عليه ما فيها » قيل : لمن هي يا رسولَ اللهِ ؟ قال : « لمن أطابَ الكلامَ، وواصل الصيامَ، وأطعمَ الطعامَ، وأفشى السَّلامَ، وصلّى والناسُ نيامٌ » قيل : وما طيبُ الكلامِ ؟ قال : « سبحانَ الله ، والحمدُ لله، ولا إلهَ إلا الله ، والله أكبرُ [ولا أكبر إلا الله] ، فإنها تأتي يومَ القيامةِ، ولها مقدماتٌ ومُجنباتٌ ومُعقباتٌ » قيل : وما وصالُ الصيام ؟ قال :«من صام شهرَ رمضانَ ، ثم أدرك شهر رمضان فصامه » قيل : وما إطعامُ الطعامِ ؟ قال : « من قات عياله وأطعمهم » قيل : فما إفشاءُ السلام ؟ قال : « مصافحةُ أخيك وتحيتُه » قيل : وما الصلاةُ والناسُ نيامٌ ؟ قال : « صلاة العشاءِ الآخرة » قال

(٢) وقطعة من حديث عند الترمذي (٣٦٨٩) في المناقب: باب (١٨) من حديث بريدة رضي الله عنه، وأحمد ٣٥٤/٥، ٣٦٠. تقدم ص١٥٨ ت (١).

(١) لم نجده بهذا اللفظ. وانظر التعليق السابق.

حفص بن عمر : إن هذا مجهول ، لم يروِهِ عنه غير علي بن حرب . والله أعلم[1] .

قلت : هذا يلقب بالكفرِ[2] - بفتح الكاف وسكون الفاء - وقد روى عنه محمد بن غالب تمتام، وعلي بن حرب، وهما ثقتان، ولكن ضعفة ابن عدي، وابن حبان، وحديثه هذا له شواهد. والله أعلم .

وفي « فوائد » ابن السماك : حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور، حدثنا أبي ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد المؤمن ، قال : سمعت محمد بن واسع يذكر عن الحسن، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : « ألا أحدثُكم بغُرفِ الجنةِ ؟ » قال : قلنا : بلى يا رسولَ الله - بأبينا أنت وأمِّنا، قال : « إنَّ في الجنةِ غُرفاً من أصناف الجوهرِ كله ، يُرى ظاهرُها من باطنها، وباطنُها من ظاهرِها، فيها من النعيم واللذَّات ما لا عينٌ رأتْ ، ولا أذنٌ سمعتْ » قال : قلنا : يا رسول الله ، لمن هذه الغرفُ ؟ قال : «لمن أفشى السلامَ، وأطعم الطعامَ، وأدام الصيامَ، وصلَّى بالليلِ والناسُ نيامٌ » قال : قلنا : يا رسولَ الله ، ومن يطيقُ ذلك ؟ قال : « أمتي تطيقُ ذلكَ، وسأخبركم عن ذلكَ : من لقي أخاه، فسلم عليه، أو ردَّ عليه فقد أفشى السلامَ، ومن أطعم أهله وعيالَه من الطعام حتى يشبعَهم، فقد أطعم الطعامَ، ومن صام رمضانَ، ومن كل شهر ثلاثةَ أيامٍ ، فقد أدام[3] الصيامَ ، ومن صلى صلاةَ العشاءِ الآخرة في جماعة ، فقد صلَّى الليل والناس نيامٌ : اليهودُ والنصارى والمجوسُ »[4] وهذا الإسناد وإن كان لا يحتج به وحده ، فإذا انضم إليه ما تقدم استفاد قوة مع أنه قد روي بإسنادين آخرين .

---

(١) أخرجه البيهقي في « البعث والنشور » (٢٨٠) ، وابن عدي ٢/ ٧٩٥ ، والخطيب البغدادي في « التاريخ » ٤/١٧٨ - ١٧٩ وفيه زيادة : « ولله الحمد » وألفاظه متقاربة . وقال : هكذا رواه العباداني عن على بن حرب وأخطأ فيه والصواب ما أخبرنا البرقاني .
المجنَّبات: ما على الميمنة والميسرة والمعقبات ، من الوراء.

(٢) في الأصل : الكفْد ، والتصويب من « ميزان الاعتدال » ١/ ٥٦٣ (٣) في هامش الأصل : أدمن.

(٤) أخرجه البيهقي في « البعث والنشور » (٢٧٩) وقال : وهذا الإسناد غير قوي ، وأبو نعيم في « الحلية » ٢/ ٣٥٦ ، مطولاً ، والعراقي في تخريج « الإحياء » ٤/ ٥٣٧ .

الباب السابع والثلاثون

في ذكر معرفتهم لمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة وإن لم يروها قبل ذلك

قال تعالى : ﴿ والَّذِينَ قُتلوا في سبيل الله فَلَنْ يُضِلَّ أعمالَهُمْ * سَيْهدِيهمْ ويُصلِحُ بالَهُم * ويدخلُهُم الجنةَ عرَّفها لَهُم﴾ [محمد : ٤ - ٦] ، قال مجاهد : يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم، لا يخطئون، كأنهم ساكنوها منذ خلقوا، لا يستدلون عليها أحداً(١) .

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح : لهُمْ أعْرفُ بمنازِلهم مِنْ أهلِ الجمعةِ إذا انصرفوا إلىٰ منازِلهم.

وقال محمد بن كعب : يعرفونها كما تعرفونَ بيوتكم في الدنيا، إذا انصرفتم من يوم الجمعة. هذا قول جمهور المفسرين وتلخيص أقوالهم ما قاله أبوعبيدة :﴿ عرَّفها لهم ﴾ أي : بيَّنها لهم، حتى عرفوها من غير استدلال .

وقال مقاتل بن حيان : بلغنا أن المَلَك الموكل بحفظ عمل بني آدم يمشي في الجنة، ويتبعه ابن آدم حتى يأتي أقصىٰ منزل هو له، فيعرفه. كلّ شيءٍ أعطاه الله في الجنة، فإذا دخل إلى منزله وأزواجه انصرف الملك عنه.

وقال سلمة بن كهيل : طَرَّقها لهم . ومعنى هذا : أنه طرقها لهم حتى يهتدوا إليها .

وقال الحسن : وصف الله الجنة في الدنيا لهم، فإذا دخلوها عرفوها بصفتها، وعلى هذا القول، فالتعريف وقع في الدنيا، ويكون المعنى : يدخلهم

---

(١) ذكر في « تفسير مجاهد » ٢/٥٩٨ مطولاً .

الجنة التي عرفها لهم، وعلى القول الأول : يكون التعريف واقعاً في الآخرة، هذا كلُّه إذا قيل : إنه من التعريف .

وفيها قول آخر : إنها من الْعَرْف ، وهو الرائحة الطَّيبة، وهذا اختيار الزجاج، أي طيبها . ومنه طعام مُعرَّف أي مُطيَّب .

وقيل : هو من العُرف، وهو التتابع : أي تابع لهم طيباتها وملاذها ، والقول هو الأول، وأنه سبحانه أعلمها وبيَّنها بما يعلم به كل أحد منزله، وداره، فلا يتعداه إلى غيره .

وفي « صحيح » البخاري من حديث قتادة، عن أبي المتوكل الناجي، عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال : « إذا خلص المؤمنونَ من النارِ حُبسوا بقنطرةٍ بين الجنة والنار، يتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقُّوا أُذنَ لهم بدخول الجنةِ، والذي نفسي بيده، إن أحدهم بمنزله في الجنة أدلُّ منه بمسكنه كان في الدنيا »[1] .

وفي « مسند » إسحاق من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي بعثني بالحقِّ، ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنَّة »[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٠) في المظالم : باب قصاص المظالم .

(٢) قطعة من حديث الصور الطويل . أخرجه البيهقي في « البعث والنشور » (٦٦٩) ص ٣٣٣ .

الباب الثامن والثلاثون

في كيفية دخولهم الجنة وما يَستقبلون به عند دخولها

وقد تقدم قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الذين اتَّقَوا رَبَّهم إلى الجنَّةِ زُمَراً ﴾ [الزمر : ٧٣] وقال تعالى : ﴿ يومَ نحشرُ المتقينَ إلى الرحمن وَفْدَاً ﴾ [مريم : ٨٥] .

قال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن عباد بن موسى العُكلي ، حدثنا يحيى بن سليم الطائفي ، حدثنا إسماعيل بن عبدالله المكي ، حدثني أبو عبدالله أنه سمع الضحاك بن مزاحم يحدث ، عن الحارث ، عن عليٍّ رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية : ﴿ يومَ نَحشُر المتقينَ إلى الرحمنِ وَفْداً ﴾ قال : قلت يا رسولَ الله ، ما الوفدُ إلا ركبٌ؟ قال النبيُّ ﷺ : « والذي نفسي بيدِهِ ، إنهم إذا خرجُوا من قبورِهم استُقبلُوا بنوقٍ بيضٍ ، لها أجنحةٌ عليها رحالُ الذهبِ ، شِراكُ نعالِهم نورٌ يتلألأُ ، كلُّ خُطوةٍ منها مثلُ مدِّ البصرِ ، وينتهونَ إلى باب الجنةِ ، فإذا حَلْقةٌ من ياقوتةٍ حمراءَ على صفائحِ الذَّهبِ ، وإذا شجرةٌ على باب الجنةِ ينبعُ من أصلِها عَينانِ ، فإذا شربُوا من إحداهما جرتْ في وجوههم نَضْرَةُ النعيم ، وإذا توضؤوا من الأخرى لم تَشْعثْ أشعارُهم أبداً ، فيضربونَ الحلْقَةَ بالصَّفيحةِ ، فلو سمعتَ طنينَ الحلْقة ، فيبلغُ كل حوْرَاءَ ، أن زوجَها قد أقبل ، فَتستخِفُّها العجلةُ ، فتبعثُ قيمها فيفتح له الباب ، فلولا أن الله عزَّ وجلَّ عرَّفه نفسهُ لخرَّ له ساجداً مما يرى من النور والبهاء ، فيقول : أنا قيِّمك الذي وُكلتُ بأمرِكَ ، فيتبُعه فيقفوا أثرَهُ ، فيأتي زوجته ، فتستخفُّها العجلة ، فتخرج من الخيمة فتعانقه ، وتقول : أنت حبي وأنا حِبُّكَ ، وأنا الراضيةُ ، فلا أسخطُ أبداً ، وأنا الناعمةُ ، فلا أبأسُ أبداً ، والخالدةُ فلا أظعنُ أبداً ، فيدخل بيتاً من أساسهِ إلى سقفهِ مئة ذراعٍ مبنيٌّ على جنْدلِ اللؤلؤ والياقوتِ ، طرائقَ حمرٍ ،

وطرائقَ خُضر، وطرائِقَ صفرٍ، ما منها طريقةٌ تُشاكِلُ صاحبتَها ، فيأتي الأريكةَ ، فإذا عليها سريرٌ على السَّريرِ سبعونَ فراشاً ، عليها سبعونَ زوجةً ، على كلِّ زوجةٍ سبعونَ حُلةً يرى مُخُّ ساقها من باطن الجلد، يقضي جماعهنَّ في مقدار ليلة، تجري من تحتهم أنهارٌ مُطَّردةٌ : أنهار من ماءٍ غير آسن صافٍ، ليس فيه كدَرٌ، وأنهارٌ من عسل مصفًى، لم يخرج من بطون[1] النحل، وأنهارٌ من خمرٍ لذَّةٍ للشاربينَ، لم تعصرْه الرجالُ بأقدامها، وأنهارٌ من لبنٍ لم يتغيرْ طعمُهُ، لم يخرج من بطونِ الماشيةِ، فإذا اشتهوا الطعامَ، جاءتهم طيرٌ بيضٌ، فترفعُ أجنحتَها، فيأكلونَ من جنوبها من أي الألوان شاؤوا ، ثم تطيرُ فتذهبُ ، فيها ثمار مُتدليةٌ ، إذا اشتهوها انبعث الغصنُ إليهم، فيأكلون من أيِّ الثمارِ شاؤوا ، إن شاء قائماً ، وإن شاء متكئاً ، وذلك قوله [عز وجل] : ﴿ وجنَى الجنتينِ دانٍ ﴾ [الرحمن : ٥٤] وبينَ أيديهم خدمٌ كاللؤلؤ »[2] هذا حديث غريب، وفي إسناده ضعف وفي رفعه نظر، والمعروف أنه موقوف على عليّ .

قال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن عمرو بن سليمان، حدثنا محمد بن فضيل، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد في هذه الآية : ﴿ يومَ نَحشُرُ المتقينَ إلى الرَّحمٰنِ وَفْداً ﴾ [مريم : ٨٥] . قال : أمَا[3] والله ما يحشر الوفد على أرجلهم، ولكن يؤتون بنوقٍ لم ترَ الخلائقُ مثلها ، عليها رِحالُ الذهب، وأزمتُها الزبرجدُ، فيركبون عليها حتى يضربوا باب الجنة [4] .

وقال علي بن أبي الجعد في « الجعديات » : أخبرنا زهير بن معاوية، عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضمرة، عن علي رضي الله عنه قال : يُساق الذينَ اتقوا ربَّهم إلى الجنة زُمَراً ، حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها، وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان ، فعدوا إلى إحداهما كأنما أمروا

---

(١) في هامش الأصل : بطونها .

(٢) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ٤/٢٨٥ ونسبه إلى ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة »، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه من طرق .

(٣) في الأصل : أم

(٤) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ٤/٢٨٥ ونسبه إلى ابن مردويه .

بها، فشربوا منها، فأذهبت ما في بطونهم من أذى أو قذى أو بـأس، ثم عمدوا إلى الأخرى، فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تغير أبشارهم، أو تغير بعدها أبداً، ولن تَشعثَ أشعارُهم كأنما دهنوا بالدِّهان ، ثم انتهوا إلى خزنة الجنة فقالوا : ﴿ سَلامٌ عَلَيكُم طِبتُمْ فَادْخُلوها خَالِدينَ ﴾ [الزمر : ٧٣] قال : ثم تتلقاهم الولدانُ يطيفون بهم، كما يُطيف ولدانَ أهل الدنيا بالحميم يقدمُ من غيبته، فيقولون: ابشرْ بما أعدَّ الله لكَ من الكرامةِ. كذا قال، ثم ينطلقُ غلامٌ من أولئك الولدانِ إلى بعض أزواجه من الحورِ العين، فيقولُ: قد جاء فلانٌ باسمهِ الذي يُدعى بـه في الدنيـا، فتقول : أنتَ رأيتَـهُ ؟ فيقول : أنـا رأيتُه ، وهـو ذا بأثَري ، فيستخفُّ إحداهنَّ الفرحُ، حتى تقومَ على أسكُفَّةِ بابها ، فإذا انتهى إلى منزلة نظر إلى أساس بنيانه، فإذا جندلُ اللؤلؤ فوقَه صرحٌ أخضرُ وأصفرُ وأحمرُ، ومن كلِّ لونٍ، ثم رفعَ رأسه، فنظر إلى سقفه، فإذا مثلُ البرقِ، فلولا أنَّ الله قدَّره له لألمَّ أن يذهبَ ببصره، ثم طأطأ رأسهُ فنظرَ إلى أزواجه، وأكوابٍ موضوعة، ونَمارقَ مصفوفةٍ، وزرابيَّ مبثوثةٍ، فنظروا إلى تلك النعمةِ، ثم اتكئوا ﴿ وقالوا الحمدُ للهِ الذي هدانا لهذا وما كنَّا لنهتديَ لولا أنْ هدانا الله ﴾ [الأعراف : ٤٣] ثم ينادي منادٍ : تحيوْن فلا تموتُون أبداً، وتُقيمون فلا تَظنعونَ أبداً، وتصحُّونَ فلا تَمرضونَ أبداً[١] .

وقـال عبدالله بن المبـارك : أخبرنـا سليمان بن المغيـرة، عن حميد بن هلال، قال : ذكر لنا أن الرجل إذا دخل الجنة صُوِّر صورة أهل الجنة، وألبس لباسهم، وحلِّي حليتهم ، وأري أزواجه وخـدمه، ويـأخذه سـوار فرحٍ لـو كان ينبغي أن يموت لمات من سوار فرحه، فيقال له : أرأيت سوار فـرحتك هـذه، فإنها قائمة لك أبداً[٢] .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٥٨٥١)، والبيهقي في « البعث » (٢٧٢) ، وابن المبارك في « الـزهد » (١٤٥٠) ، والطبري في « التفسيـر » ٢٢/٢٤ ، والسيوطي في « الـدر المنثور » ٣٤٢/٥ وزاد نسبته إلى عبد الرزاق، وابن راهويه، وعبد بن حميـد، وابن أبي الدنيـا في « صفة الجنـة » ، والضياء في « المختارة » .

(٢) أخرجه في زوائد « الزهـد » (٤٢٩).

السُّوار بضم السين دبيب الشراب في الراس أي دبّ فيـه الفرح .

قال ابن المبارك، وأخبرنا رشدين بن سعد: أنبأنا زهرة بن معبد القرشي، عن أبي عبد الرحمن الجيلي قال: إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم، كأنهم اللؤلؤ[1].

قال ابن المبارك، وأنبأنا يحيى بن أيوب، حدثني عبيد الله بن زَحْر، عن محمد بن أبي أيوب المخزومي، عن أبي عبد الرحمن المعافري قال: إنه لَيُصفُّ للرجل من أهل الجنة سِمَاطان، لا يرى طرفَاهما من غلمانه، حتى إذا مرَّ مشوا وراءه[2].

وقال أبو نعيم: حدثنا سلمة، عن الضحاك قال: إذا دخل المؤمن الجنة، دخل أمامه ملك فأخذ به في سككِها، فيقول له: انظر ما ترى[3]؟ قال: أرى أكثر قصور رأيتها من ذهبٍ وفضةٍ، وأكثرَ أنيسٍ. فيقولُ له الملكُ: فإن هذا أجمعَ لك. حتى إذا رُفع إليهم[4] استقبلوهُ من كلِّ باب، ومن كلِّ مكانٍ [يقولون] نحن لك، نحن لك، ثم يقول له: امشِ، فيقولُ: ماذا ترى، فيقولُ: أرى أكثرَ مساكنَ رأيتها من خيام، وأكثرَ أنيسٍ، قال: فإن هذا أجمعَ لك، قال: فإذا رُفع إليهم استقبلوهُ يقولون: نحنُ لك، نحنُ لك.

وفي «الصحيحين» من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليدخلنَّ الجنةَ من أمتي سبعونَ ألفاً، أو سبع مئةِ ألفٍ مُتماسكونَ آخذٌ بعضُهم ببعض، لا يَدخلُ أولُهم حتى يدخلَ آخرُهم، وجُوهُهم على صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ»[5].

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «زوائد الزهد» (٤٢٧).

(٢) أخرجه في زوائد «الزهد» (٤١٥)، والسماطان مثنى سماط: وهو الشيء المصطف، وسماط القوم: صفهم.

(٣) في هامش الأصل: ماذا ترى.

(٤) في هامش الأصل: لهم.

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٤٣) في الرقاق: باب (٥٠) يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، ومسلم (٢١٩) في الإيمان: باب (٩٤) الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب.

الباب التاسع والثلاثون

في ذكر صفة أهل الجنة في خَلْقِهِم وخُلُقِهِم وطولهم وعرضهم ومقدار أسنانهم

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن همام، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خلقَ الله [عزَّ وجلَّ] آدمَ على صورته، طولُه ستونَ ذِراعاً، فلما خلقهُ قال له : اذهبْ فسلم على أولئكَ النفرِ، وهمْ نَفرٌ من الملائكةِ جُلوسٌ، فاستمعْ ما يحيونَك، فإنها تحيتُك وتحيةُ ذرِّيتك، قال : فذهبَ فقال : السلامُ عليكم، فقالوا : السلامُ عليكَ ورحمةُ الله وبركاته. فزادوه ورحمة الله قال : فكلُّ من يدخلُ الجنةَ على صورةِ آدمَ، طولُه ستونِ ذراعاً ، فلم يزلْ ينقصُ الخلقُ بعدَهُ حتى الآن » متفق على صحته[1] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون، وعفان بن مسلم، قالا : حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يدخلُ أهلُ الجنةِ الجنةَ جُرداً مُرداً بيضاً جُعاداً مكحلينَ أبناءَ ثلاثٍ وثلاثين، وهم على خَلْقِ آدمَ ستونَ ذراعاً في عَرْضِ سبعةِ أذرُعٍ »[2] قيل : تفرد به حماد، عن علي بن زيد.

وفي « جامع » الترمذي : من حديث شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن ابن غنم، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال : « يدخلُ أهلُ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق ١٠/٣٨٤ (١٩٤٣٥) ، وأحمد ٢/٣١٥ ، والبخاري (٣٣٢٦) في الأنبياء : باب (١) خلق آدم وذريته ، ومسلم (٢٨٤١) في الجنة : باب (١١) يدخل الجنة أقوام .

(٢) أخرجه أحمد ٢/٢٩٥، وفي «كنز العمال» (٣٩٣٨١) نسبه إلى أبي الشيخ في «العظمة».

الجنةِ الجنةَ جُرداً مُرداً مكحلين بني [ثلاثين أو] ثلاثٍ وثلاثينَ »[1] قال : هذا حديث حسن غريب .

وقال أبو بكر بن أبي داود : حدثنا محمود بن خالد، وعباس بن الوليد قال : حدثنا عمر، عن الأوزاعي، عن هارون بن رباب، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُبعثُ أهلُ الجنةِ على صورةِ آدمَ في ميلادِ ثلاثِ وثلاثينِ سنةً جُرداً مُرداً مكحلينَ، ثم يذهبُ بهم إلى شجرةٍ في الجنة، فيكسونَ منها لا تبلى ثيابُهم، ولا يفنى شبابُهم »[2] .

وقال الترمذي : حدثنا سويد بن نصر، حدثنا عبدالله بن المبارك، عن رشدين بن سعد، عن عمرو بن الحارث أن دارجاً أبا السمح، يحدثه، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « منْ مات من أهلِ الجنةِ من صغيرٍ أو كبيرٍ يُردُّونَ بني ثلاثين [سنة] في الجنةِ لا يزيدون عليها أبداً، وكذلك أهلُ النارِ »[3] فإن كان هذا محفوظاً لم يناقض ما قبله، فإن العرب إذا قدرت بعدد له نيف فإن لهم طريقين، تارة يذكرون النيف للتحرير، وتارة يحذفونه، وهذا معروف في كلامهم، وخطاب غيرهم من الأمم .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا القاسم بن هاشم، حدثنا صفوان بن صالح، حدثنا روّاد بن الجراح العسقلاني، حدثنا الأوزاعي، عن هارون بن رباب، عن أنسِ بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يدخلُ أهلُ الجنةِ الجنةَ على طولِ آدمَ ستينَ ذراعاً بذراعِ الملكِ، على حُسْن يوسف، وعلى

---

(١) أخرجه أحمد ٢٤٣/٥ ، والترمذي (٢٥٤٥) في صفة الجنة : باب (١٢) ما جاء في سن أهل الجنة، والزيادة منهما .

(٢) أخرجه ابن أبي داود «في البعث والنشور» (٦٤)،وأورده في «كنز العمال» (٢٩٣٨٣) ونسبه إلى أبي الشيخ في «العظمة»، وتمام، وابن عساكر، وابن النجار.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٦٢) في صفة الجنة : باب (٢٣) وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين .

ميلادِ عيسى، ثلاثٍ وثلاثينَ سنةً ، وعلى لسانِ محمدٍ، جرد مُردٌ مُكحلونَ»(١).

وقال ابن وهب : حدثني معاوية(٢) بن صالح، عن عبد الوهاب بن بخت، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ أهلَ الجنةِ يدخلونَ الجنَّةَ على قَدْر آدمَ ستونَ ذراعاً، وعلى ذلك قطعتْ سُررُهمْ »(٣) .

وقد تقدم أن أول زمرة صورهم على صورة القمر ليلة البدر، وأن الذين يلونهم على ضوءِ أشدِّ كوكبٍ في السماء إضاءةً . وأما الأخلاق فقد قال تعالى : ﴿ ونزعنا ما في صُدورِهمْ من غِلٍّ إخواناً على سُرُرٍ مُتقابلينَ ﴾ [الحجر : ٤٧] ، فأخبر عن [تلاقي] قلوبهم وتلاقي وجوههم.

وفي « الصحيحين » : « أخلاقُهم على خلقِ رجلٍ واحدٍ، على صُورةِ أبيهم آدم ستونَ ذِراعاً في السماءِ »(٤) الرواية على خَلْق ـ بفتح الخاء وسكون اللام ـ والأخلاق كما تكون جمعاً للخُلُق بالضم، فهي جمع للخَلْق بالفتح، والمراد : تساويهم في الطول والعرض والسِّن، وإن تفاوتوا في الحسن والجمال، ولهذا فسره بقوله : على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء ، وأما أخلاقهم وقلوبهم ففي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « أولُ زُمرةٍ تَلجُ الجنَّةَ »(٥) الحديث .

وقد تقدم وفيه : « لا اختلافَ بينهمْ ولا تباغضَ، قلوبهم على قلْبِ [رجل] واحدٍ، يُسبحونَ الله بكرةً وعشياً»(٦).

وكذلك وصف [الله] سبحانه وتعالى نساءهم بأنهنَّ أتراب. أي : في

---

(١) ذكره ابن كثير في « النهاية » ٢/٥٣١ ، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا .
(٢) في هامش الأصل : يعقوب بدل معاوية، ويحيى بدل: بخت.
(٣) لم نجده.
(٤) سبق تخريجه ص ١٥٥ ت (٢) .
(٥) تقدم تخريجه ص ١٥٥ ت(١) .
(٦) تابع للحديث السابق، وتقدم تخريجه.

سن واحدة، ليس فيهن العجائز والشواب، وفي هـذا الطول والعـرض والسن من الحكمة ما لا يخفى، فإنه أبلغ وأكمـل في استيفاء اللذة؛ لأنـه أكمل سنّ القـوة مع عـظم آلات اللذة، وباجتمـاع الأمرين يكـون كمـال اللّذة وقـوتهـا، بحيث يصل في اليوم الواحد إلى مئة عذراء، كمـا سيأتي إن شـاء الله تعالى، ولا يخفى التناسب الذي بين هذا الطول والعرض، وأنه لـو زاد أحدهمـا على الآخـر فات الاعتـدال، وتناسب الخلقـة، يصير طـولاً مع دقـة، أو غلظاً مـع قصر، وكلاهما غير مناسب، والله أعلم.

الباب الأربعون

في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم ، أعلاهم منزلة سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه

قال تعالى : ﴿ تلكَ الرسلُ فضَّلْنا بعضَهم على بَعْضٍ منهم مَنْ كلَّم الله وَرَفَعَ بعضَهُم دَرَجاتٍ ، وآتينا عيسى ابنَ مريمَ البيِّناتِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٣] ، قال مجاهد وغيره ﴿ منهم مَنْ كلم الله ﴾ : موسى ﴿ورَفَعَ بعضَهم دَرَجاتٍ ﴾ هو محمد ﷺ ، وفي حديث الإسراء المتفق على صحته : أنه ﷺ ، لما جاوز موسى قال : « ربِّ لَمْ أظنَّ أن يُرفعَ عليَّ أحَد »[١] ، ثمَّ علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله ، حتى[٢] جاوز سدرة المنتهى .

وفي «صحيح» مسلم من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إذا سمعتُم المؤذنَ فقولوا مثلَ ما يقولُ، ثم صلّوا عليَّ ، فإنهُ من صلَّى عليَّ صلاة صلَّى الله عليه [بها] عشراً ، ثم سلوا ليَ الوسيلة ، فإنها منزلةٌ في الجنةِ لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله[٣] ، وأرجو أنْ أكونَ أنا هو ، فمن سأل ليَ الوسيلةَ حلت له[٤] الشفاعةُ »[٥] .

وفي « صحيح » مسلم : من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « أن موسى سألَ ربَّهُ : ما أدنى أهل الجنة منزلةً ؟ فقال : رجلٌ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٧) في التوحيد : باب (٣٧) ما جاء في قوله عز وجل ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾ .

(٢) في هامش الأصل : حين .

(٣) في هامش الأصل : عباده .

(٤) في هامش الأصل :عليه،والمثبت من «الصحيح».

(٥) أخرجه مسلم (٣٨٤) في الصلاة : باب (٧) استحباب القول مثل قول المؤذن .
الوسيلة : فسرها النبي ﷺ بأنها منزلة في الجنة . حلت : وجبت .

يجيءُ بعد ما دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ، فيقال له: ادخـلِ الجنَّةَ، فيقـول: ربِّ كيف، وقـد نزلَ النـاسُ منازلَهم، وأخـذوا أخذاتهم؟ فيقـال لـه: أتـرضى أن يكونَ لكَ مثلُ [مُلْكِ] ملكٍ من ملوكِ الدنيا، فيقول: رضيتُ ربِّ، فيقول له: لـك ذلـك، ومثله، مثله، ومثله، ومثله، فقـال في الخـامسـة: [رضيت ربِّ فيقـول: هذا لـك وعشـرة أمثـالـه. ولـك مـا اشتهت نفسـك ولـذت عينـك. فيقول]: رَضيتُ ربِّ، قال: ربِّ فأعلاهم منزلةً؟ قـال: أولئك الـذينَ أردت، غـرستُ كرامَتهم بيـديَّ، وختمتُ عليهـا فلم تَـرَ عينٌ، ولم تسمعْ أذنٌ، ولم يخطرْ على قلبِ بشرٍ»[1]:

وقال الترمذي: حدثنا عبد بن حُميد، أخبرنا شَبابة، عن إسرائيل، عن ثُوير قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أدنى أهلِ الجنةِ منزلةً لمن يَنـظرُ إلى جنانـه وأزواجهِ ونعيمـه، وخدمـهِ وسُررهِ مسيرةَ ألفِ سنة، وأكرمُهم على الله من ينظرُ إلى وجههِ غُدوةً وعَشيـةً، ثم قرأ رسولُ اللهِ ﷺ: ﴿وجُوهٌ يومئِذٍ ناضرةٌ. إلى رَبِّهـا ناظـرةٌ﴾ [القيامـة: ٢٢ - ٢٣]»[2]. قال: وقد روي هذا الحديث من غير وجه، عن إسرائيل، عن ثُوير، عن ابن عمر مرفوعاً. قال: ورواه عبد الملك بن أبجر، عن ثويـر، عن ابن عمر موقوفاً، ورواه عبيدالله الأشجعي، عن سفيان، عن ثوير، عن مجاهد، عن ابن عمر نحوه، ولم يرفعه.

قلت: ورواه الطبراني في «معجمه» من حديث أبي معاوية، عن عبـد الملك بن أبجر، عن ثوير، عن ابن عمر مرفوعاً: «إنَّ أدنى أهلِ الجنةِ منزلةً لرجل ينظرُ في ملكهِ ألفي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينـظر إلى أزواجه وسرره وخدمه»[3] الحديث.

ورواه أبو نعيم، عن إسرائيل، عن ثوير قال: سمعت ابن عمر. قال إسرائيل: لا أعلم ثويراً إلا رفعه إلى النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٩) في الإيمان: باب (٨٤) أدنى أهل الجنة منزلة،وما بين المعكوفتين منه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٥٣) في صفة الجنة: باب (١٧)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٨١٩).

(٣) أخرجه أحمـد ١٣/٢، وذكـره الهيثمي في «المجمـع» ١٠/٤٠١ وقـال: رواه أبـو يعلى، والطبراني وفي إسناده ثوير بن أبي فاخته وهو مجمع على ضعفه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن، هو ابن موسى، حدثنا سكين بن عبد العزيز، حدثنا أبو الأشعث الضرير، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أدنى أهلِ الجنةِ منزلة من له سبع درج، وهو على السادسة، وفوقه السابعة، وإن له ثلاث مئة خادم، ويُغدى عليه ويراح كل يوم بثلاث مئة صحفة، ولا أعلمه إلا قال: من ذهبٍ، في كلِّ صَحْفَةٍ لونٌ ليس في الآخرِ، وإنه ليلذُّ أولـه كما يلذُّ آخرُه، وإنه ليقولُ: يا ربِّ لو أذنت لي لأطعمتُ أهل الجنةِ وسقيتهم، لم ينقص مما عندي شيء، وإنَّ له من الحورِ العِينِ لاثنتينِ وسبعينَ زوجةً سِوى أزواجِهِ من الدنيا، وإنَّ الواحدة منهن ليأخذُ مقعدها قدر ميلٍ من الأرض»[1].. قلت: سكين بن عبد العزيز: ضعفه النسائي[2]، وشهر بن حوشب، ضعفه مشهور، والحديث منكر مخالف للأحاديث الصحيحة، فإن طول ستين ذراعاً لا يحتمل أن يكون مقعدة صاحبه بقدر ميل من الأرض. والذي في «الصحيحين»، في «أول زُمرةٍ تلجُ الجنةَ: لكلِّ امرىءٍ منهم زوجتانِ من الحورِ العينِ»[3] فكيف يكون لأدناهم اثنتان وسبعون؟ وأقل ساكني الجنة نساء الدنيا، فكيف يكون لأدنى أهل الجنة جماعة منهنَّ؟ وأيضاً فإن الجنتين الذهبيتين أعلى من الفضيتين؟ فكيف يكون أدناهم في الذهبيتين؟

قال الدولابي: شهر بن حوشب لا يشبه حديثه حديث الناس، وقال ابن عون: إنَّ شهراً تركوه، وقال النسائي[4]، وابن عدي[5]: ليس بالقوي، وقال أبو حاتم[6]: لا يحتج به، وتركه شعبة ويحيى بن سعيد، وهذان من أعلم الناس بالحديث، ورواته وعلله، وإن كان غير هؤلاء، قد وثقه، وحسن حديثه، فلا ريب أنه إذا تفرَّد بما يخالف ما رواه الثقات لم يقبل. والله أعلم.

(١) أخرجه أحمد ٥٣٧/٢، وذكره في «المجمع» ٤٠٠/١٠ وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات على ضعف في بعضهم.

(٢) في «الكامل» لابن عدي ١٣٠١/٣، والنسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٢٨٧).

(٣) تقدم ص ١٥٥ ت (١).

(٤) في «الضعفاء والمتروكين» (٢٩٤).

(٥) في «الكامل» ١٣٥٤/٤ ـ ١٣٥٨.

(٦) في «الجرح والتعديل» ٣٨٢/٤ ـ ٣٨٣.

الباب الحادي والأربعون

في تحفة أهل الجنة إذا دخلوها

روى مسلم في «صحيحه» من حديث ثوبان قال: كنتُ قائماً عندَ رسولِ اللهِ ﷺ، فجاء حَبْرٌ من أحبارِ اليهودِ فقال: السلامُ عليكَ يا محمدُ، فدفعتُه دفعةً كادَ يُصرعُ منها، فقال: لِمَ تدفعُني؟ فقلتُ: ألا تقولُ يا رسولَ الله؟ فقال اليهوديُّ: إنما ندعُوه باسمه الذي سمَّاه به أهلُه، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اسمي محمد الذي سماني به أهلي»، فقال اليهوديُّ: جئتُ أسألك، فقال لهُ رسولُ الله ﷺ: «أينفعك شيءٌ إن حدثتكَ»؟ فقال: أسمعُ بأذنيَّ، فنكث رسول الله ﷺ بعودٍ معه في الأرض، فقال: «سَلْ»؟ فقال اليهوديُّ: أين يكون الناسُ يومَ تبدلُ الأرضُ غيرَ الأرض والسماواتُ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «هم في الظلمة دُونَ الجسرِ»، قال: فمنْ أوَّلُ الناسِ إجازةً يومَ القيامةِ؟ قال: «فقراءُ المهاجرينَ»، قال اليهوديُّ: فما تحفتُهم حين يدخلونَ الجنةَ؟ قال: «زيادةُ كَبِد النُّونِ»، قال: فما غِذاؤُهم على إثْرها؟ قال: «ينحرُ لهم ثورُ الجنةِ الذي كان يأكلُ من أطرافها»، قال: فما شرابُهم عليه؟ قال «من عين فيها تُسمى سلسبيلاً»، قال: صدقت، قال: وجئتُ أسألكَ عن شيء لا يعلمه أحدٌ من أهلِ الأرضِ إلا نبي، أو رجل أو رجلانِ، قال: «ينفعك إن حدثتك»؟ قال: أسمع بأذنيَّ، قال: جئتُ أسألك عن الولد؟ قال: «ماءُ الرجلِ أبيضُ وماءُ المرأةِ أصفرُ، فإذا اجتمعا فعلا منيُّ الرجل منيَّ المرأة أذكرا بإذن الله [تعالى]، وإن علا منيُّ المرأة منيَّ الرجلِ آنثا بإذن الله [تعالى]»، فقال اليهوديُّ: لقد صدقتَ وإنك لنبيٌّ، ثم انصرف. فقال رسولِ الله ﷺ: «لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه ومالي علمٌ بشيءٍ منه، حتى آتانيَ الله به عزَّ وجلَّ»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٣١٥) في الحيض: باب صفة مني الرجل والمرأة.

وفي « صحيح » البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : سمعَ عبدُ اللهِ ابنُ سلامٍ مَقْدَمَ النبيِّ ﷺ المدينة، وهو في أرض يخترفُ، فأتى النبيَّ ﷺ فقال : إنّي سائلكَ عن ثلاثٍ لا يعلمهنَّ إلا نبيٌّ : فما أولُ أشراطِ الساعةِ ؟ وما أولُ طعامِ أهلِ الجنةِ ؟ وما ينزعُ الولدُ إلى أبيهِ أو أمهِ ؟ قال :«أخبرني بهنَّ جبريلُ آنفاً»، قال: جبريلُ؟قال: «نعم»، قال ذاك عدوُّ اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: « ﴿ قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبريلَ فإنَّهُ نزَّلهُ على قلْبِك بإذن اللهِ ﴾ [البقرة : ٩٧] . أمَّا أولُ أشراطِ الساعةِ : فنارٌ تحشرُ الناسَ من المشرقِ إلى المغربِ، وأما أول طعام يأكلُه أهلُ الجنة : فزيادةُ كبدِ الحوتِ، وإذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نزع الولدُ، وإذا سبق ماءُ المرأةِ ماءَ الرجل نزعتِ [الْوَلد]»، قال : أشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهدُ أنك رسولُ اللهِ ، يا رسولَ اللهِ ، إن اليهود قوم بُهتٌ ، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبلَ أن تسألهم بهتوني، فجاءتِ اليهودُ فقال: «أيُّ رجلٍ عبدُالله فيكم»؟ قالوا: خيرُنا، وابن خيرِنا، وسيدُنا وابنُ سيدِنا، قال: «أفرأيتمْ إن أسلم عبدُالله»؟ فقالوا: أعاذهُ الله من ذلك، فخرجَ عبدُالله فقال : أشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وأشهدُ أن محمداً رسولُ الله ، فقالوا : شرُّنا وابن شرِّنا وانتقصوه، فقال : هذا الذي كنتُ أخاف يا رسولَ الله »[1] .

وفي « الصحيحين » من حديث عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تكونُ الأرضُ يومَ القيامة خُبزةً واحدةً يتكفؤها الجبارُ بيدهِ كما يتكفأ أحدُكم خُبزتَهُ في السفر نُزُلاً لأهلِ الجنةِ»، فأتى رجلٌ من اليهود فقال : بارك الرحمنُ عليك يا أبا القاسمِ ، ألا أخبرُك بنزل أهل الجنة يومَ القيامةِ؟قال: «بلى»، قال: تكونُ الأرضُ خُبزَةً واحدةً، كما قال النبيُّ ﷺ ، فنظر النبيُّ ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذُهُ ، ثم قال : «ألا أخبرُك بإدامهم»؟ قال: بلى ، قال: «إدامهم بالام ونون» قال: وما هذا؟ قال: «ثور ونون يأكل من زيادة كبدهما سبعون ألفاً»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٣٨) في مناقب الأنصار : باب (٥١) بألفاظ متقاربة .

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٢٠) في الرقاق : باب (٤٤) يقبض الله الأرض يوم القيامة ، ومسلم =

قال عبدالله بن المبارك : أخبرنا ابن لهيعة ، حدثني يزيد بن أبي حبيب ، أن أبا الخير أخبره [أن أبا العوام أخبره] أنه سمع كعباً يقول : « إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقولُ لأهلِ الجنةِ إذا دخلُوها: إن لِكُلِّ ضيفٍ جَزوراً ، وإني أجزَرُكُم اليومَ ، فيؤتى بثور وحوت ، فيُجزَرُ لأهلِ الجنةِ »[1] .

= (٢٧٩٢) في صفات المنافقين : باب (٣) نزل أهل الجنة.

خبزة: عجين يوضع في الرماد الحار حتى ينضج. يكفؤها: يميلها. نزلاً: أي ضيافة. بـالام: لفظة عبرانية معناها ثور. نون: حوت. زيادة كبدهمـا: القطعـة المنفردة المعلقـة في الكبد، وهي أطيبها.

(١) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٤٣٢)، والزيادة منه، وفيه: «وإني أجزركم اليوم حوتاً وثوراً » .

الباب الثاني والأربعون

في ذكرى ريح الجنة، ومن مسيرة كم ينشق

قال الطبراني : حدثنا موسى بن حازم الأصبهاني، حدثنا محمد بن بُكير الحضرمي، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن الحسن بن عمرو، عن مجاهد، عن جنادة بن أبي أمية، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال : « من قتلَ قتيلاً من أهلِ الذِّمةِ لم يَرَحْ رائحةَ الجنةِ، وإنَّ ريحَها ليوجدُ من مسيرةِ مئةِ عام »[1] ورواه البخاري في « الصحيح »، عن قيس بن حفص، عن عبد الواحد بن زياد، عن الحسن بن عمرو الفُقيمي، عن مجاهد، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما ولم يذكر بينهما جنادة . وقال : « لَيوجدُ من مسيرةِ أربعينَ عاماً »[2] .

وقال الترمذي : حدثنا محمد بن بشار، حدثنا معدي بن سليمان هو البصري . عن ابن عجلان، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ألا مَنْ قتلَ نفْساً معاهداً له ذمةُ الله وذمةُ رسولِه، فقد أخْفَرَ بذِمَّةِ الله، فلا يَرَح رائحةَ الجنةِ، وإنَّ ريحَها ليوجدُ من مسيرةِ سبعينَ خَرِيفاً »[3] . قال : وفي الباب عن أبي بكرة[4]، وحديث أبي هريرة حديث حسن صحيح قال محمد بن عبد الواحد: وإسناده عندي على شرط الصحيح .

---

(١) أخرجه أحمد ١٨٦/٢، وفيه « وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً» . وليس في سنده مجاهد بين الحسن بن عمرو وجنادة .

(٢) أخرجه البخاري (٣١٦٦) في الجزية : باب (٥) إثم من قتل معاهداً بغير جرم .

(٣) أخرجه الترمذي (١٤٠٣) في الديات : باب (١١) ما جاء فيمن يقتل نفساً معاهدة .

(٤) حديث أبي بكرة أخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (١٨٥٢١)، وابن حبان في « الموارد » (١٥٣١) وفيهما « من مسيرة مئة عام » .

قلت : وقد رواه الطبراني من حديث عيسى بن يونس، عن عوف الأعرابي، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة يرفعه : « مَنْ قتلَ نفساً مُعاهدةً بغيرِ حقِها لم يَرَحْ رائحةَ الجنةِ، وإن رِيحَ الجنةِ يوجدُ مِنْ مسيرةِ مئة عامٍ »[1] .

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن الحسن أو غيره، عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ريحُ الجنةِ يوجدُ منْ مسيرةِ مئةِ عامٍ»[2]، وهذه الألفاظ لا تعارض بينها بوجه.

وقد أخرجا في « الصحيحين » من حديث أنس قال : لم يشهدْ عمي مع رسول الله ﷺ بدراً ، قال : فشَقَّ عليه ، قال : أولُ مَشهدٍ شهدهُ رسولُ اللهِ ﷺ غبتُ عنه ، فإن أراني الله مشهداً فيما بعدُ معَ رسولِ اللهِ ﷺ ليرينَّ الله ما أصنعُ، قال : فهابَ أن يقولَ غيرَها ، قال : فشهد مع رسول الله ﷺ يومَ أحدٍ ، قال فاستقبل سعدَ بن معاذٍ فقال له : أين ؟ فقال : واهاً لريحِ الجنةِ أجدُه دونَ أحدٍ ، قال : فقاتلَهمْ حتى قُتلَ، قال : فوُجدَ في جسدِهِ بِضْع وثمانُونَ من بينِ ضربة وطعنة ورمية . فقالت أختهُ عمةُ الربيعِ بنتُ النضرِ : فما عرفتُ أخي إلا ببنانهِ ، ونزلت هذه الآية : ﴿ منَ المؤمِنينَ رِجَالٌ صَدَقُوا ما عَاهَدُوا الله عَلَيهِ ﴾ [الأحزاب : ٢٣] . قالوا : فكانوا يَرونَ أنَّها نزلتْ فيه وفي أصحابه[3] .

وريح الجنة نوعان : ريحٌ يوجد في الدنيا تَشَمُهُ الأرواحُ أحياناً ولا تدركهُ العبارة ، وريح يدْرَك بحاسة الشّم للأبدان ، كما تشم روائح الأزهار وغيرها،

---

(١) أورده الهيثمي في « المجمع » ٥/٢٩٤ وقال : رواه الطبراني في « الأوسط » عن شيخه أحمد ابن القاسم ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح غير معلل بن نفيل، وهو ثقة .

(٢) أورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١/٢٩٣ وقال : رواه الطبراني وفيه : محمد بن عبد الرحمن العلاف ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات، والحاكم في « المستدرك » ٢/١٢٦ .

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٤٨) في المغازي : باب غزوة أحد، ومسلم (١٩٠٣) في الإمارة : باب (٤١) ثبوت الجنة للشهيد، وذكره السيوطي في «الد ر المنثور» ٥/١٩١ وزاد نسبته إلى ابن سعد، وأحمد، والترمذي، والنسائي، والبغوي في «مجمعه»، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الحلية»، والبيهقي في «الدلائل».

وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قرب وبُعد، وأما في الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله، وهذا الذي وجده أنس بن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم، وأن يكون من الأول. والله أعلم .

وقال أبو نعيم : حدثنا محمد بن مَعْمَر، حدثنا محمد بن أحمد المؤدب، حدثنا عبد الواحد بن غياث، أخبرنا الربيع بن بدر، حدثنا هارون بن رِيَاب، عن مجاهد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: «رائحةُ الجنةِ [تُراحُ] من مسيرةِ خمس مئة عامٍ»(١).

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، حدثنا محمد بن أحمد بن محمد بن طريف، حدثنا أبي، حدثنا محمد بن كثير، حدثني جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي، عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ريحُ الجنةِ يُوجد منْ مسيرةِ ألف عامٍ ، واللهِ لا يجدُها عاق، ولا قاطعُ رَحِمٍ »(٢) .

وقال أبو داود الطيالسي في « مسنده » : حدثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « من ادَّعى إلى غير أبيهِ لم يَـرَحْ رائحةَ الجنـةِ، وإنَّ ريحَها ليـوجدُ من مسيـرةِ خمسين عاماً »(٣) . وقد أشهد الله سبحانه عباده في هذه الدار آثاراً من آثار الجنة ، وأنموذجاً منها من الرائحة الطيبة، واللذات المشتهاة، والمناظر البهية، والفاكهة الحسنة. والنعيم والسرور، وقرة العين .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (١٩٤)، و«الحلية» ٣٠٧/٣، والزيادة منه، وفي الأصل زيادة لفظ: توجد، وذكره ابن كثير في «النهاية» ٢٩٤/٤ وهو حديث ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «المجمع» ١٤٨/٨ - ١٤٩، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (١٩٥) والديلمي في «الفردوس» (٣٢٦٠) مطولاً، وذكره ابن كثير في «النهاية» ٤٩٥/٢.

(٣) أخرجه الطيالسي (٢٢٧٤) وفيه : « فلن يَرَحَ رائحة الجنة ، وإن ريحها يوجد من مسيرة سبعين عاماً » .

وقد روى أبو نعيم من حديث الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقولُ الله عزَّ وجلَّ للجنةِ: طِيبي لأهلِكِ فتزدادُ طيباً فذلك البردُ الذي يجدُه الناسُ بالسَّحَرِ من ذلكَ»[1]، كما جعل سبحانه نارَ الدنيا وآلامَها وغمومَها وأحزانَها تذكرةً بنارِ الآخرةِ، قال تعالى في هذه النار: ﴿نحنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ [الواقعة: ٧٣]. وأخبر النبي ﷺ: أنَّ شدة الحرِّ والبردِ من أنفاس جهنّم[2]. فلا بدَّ أن يشهدَ عباده أنفاس جنته، وما يذكرهم بها. والله المستعان.

(١) أخرجه في «صفة الجنة» (١٩٩).

(٢) كما في حديث أبي هريرة عند مسلم (٦١٧) في المساجد: باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر ولفظه: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف فهو أشد ما تجدون من الحرِّ. وأشد ما تجدون من الزمهرير».

الباب الثالث والأبعون

في الأذان الذي يؤذن به مؤذن الجنة فيها

روى مسلم في « صحيحه » من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وأبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « ينادي منادٍ : إنَّ لكم أنْ تَصِحُّوا فلا تَسقَموا أبداً ، وإنَّ لكم أنْ تَحيوا فلا تموتُوا أبداً ، وإن لكم أنْ تَشبُّوا فلا تَهرمُوا أبداً ، وإن لكم أن تنعمُوا فلا تبأسُوا أبداً » ، وذلك قول الله عز وجل: ﴿ونودُوا أن تِلْكُمُ الجنةُ أورثتمُوها بِمَا كُنتُم تعمَلونَ﴾(١) [الأعراف: ٤٣] .

قال عثمان بن أبي شيبة: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا حمزة الزيات، عن أبي إسحاق، عن الأغر، عن أبي هريرة، وأبي سعيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ « ﴿ ونُودُوا أنْ تِلْكُمُ الجنةُ أورثتُموها بما كُنتُم تعملونَ ﴾ قال : نُودوا أن صِحُّوا فلا تسقمُوا أبداً، واخلُدوا فلا تموتُوا أبداً، وانعمُوا فلا تبأسوا أبداً »(٢) .

وفي «صحيح» مسلم من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النارِ النارَ، نادى منادٍ، يا أهلَ الجنةِ، إنَّ لكم عندَ الله موعداً، فيقولونَ: ما هو؟ ألم يُثَقِّلْ موازينَنَا، ويبيضْ وجوهَنا،

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٧) في الجنة باب (٨)، والترمذي (٣٣٤٦) في التفسير : باب (٤١) ، والنسائي في « الكبرى » كما أورده المزي في « تحفة الأشراف» (٣٩٦٣) .

(٢) أخرجه أحمد ٣/٩٥،والدارمي ٢/٣٣٤ في الرقاق: باب ما يقال لأهل الجنة، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» وزاد نسبته إلى أحمد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

ويدخلْنا الجنةَ، وينجنا من النـار؟ فيكشفُ الحجاب فينـظرونَ إلى الله، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً هو أحبُّ إليهمْ من النظرِ إليهِ»[1].

وقال عبدالله بن المبارك : حدثنـا أبو بكـر الألهاني، أخبـرني أبو تميمـة الهجيني ، قال : سمعت أبا موسى الأشعري يخطب على منبر البصرة، يقول : إنَّ الله عزَّ وجلَّ يبعثُ يوم القيامةِ ملكاً إلى أهل الجنةِ، فيقولُ : يا أهلَ الجنةِ ، هَلْ أنجزكم الله ما وعدَكم ؟ فينظرونَ فيرونَ الحليَّ والحللَ والأنهارَ، والأزواجَ المطهرة، فيقولونَ : نعمْ، قد أنجزنـا ما وعـدَنا ، قـالوا ذلـكَ ثلاثَ مـراتٍ ، فينـظرونَ فلا يَفتقـدُونَ شيئاً ممـا وعدُوا ، فيقـولونَ : نعم ، فيقـولُ : قد بقي شيء ، إن اللهَ يقولُ : ﴿ للذينَ أحسنُوا الحسنى وزِيـادةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] : ألا إنَّ الحسنى : الجنَّة ، والزيادةَ : النظرُ إلى وجهِ اللهِ »[2] .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه قال : قـال رسول الله ﷺ : « إنَّ اللهَ عـزَّ وجلَّ يقـولُ لأهلِ الجنـةِ، يا أهـلَ الجنةِ، فيقولون : لبيـكَ ربَّنا وسعـدَيْك، فيقـولُ : هل رضيتمْ ؟ فيقـولونَ : ومـالنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من خلقك ، فيقولُ : أنا أعطيكم أفضلَ من ذلك، قالوا : ربَّنا وأيُّ شيء أفضلُ من ذلك ؟ قال : أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخطُ عليكم بعـده أبـداً»[3] ومن أفضـلُ من ذلـك؟.

ومن تـراجم البخـاري عليه: باب كلام الرب مع أهل الجنة.

وسيأتي في هذا أحاديث نذكرها في باب معقود لذلك إن شاء الله.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨١) في الإيمان : بابٍ (٨٠) إثبات رؤية المؤمنين ، وأحمد ٣٣٢/٤ و١٥/٦ - ١٦ ، وابن ماجة (١٨٧) في المقدمة.

(٢) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٤١٩)، والطبري ٦٧/١١ من طريق سويـد عن ابن المبارك .

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٤٩) في الرقاق : باب (٥١) صفـة الجنة و(٧٥١٨) في التـوحيد : بـاب (٣٨) كلام الرب مع أهل الجنـة، ومسلم (٢٨٢٩) في الجنة : بـاب (٢) إحلال الـرضوان ، والنسائي في « الكبرى » كما في « تحفة الاشراف » (٤١٦٢) .

وفي «الصحيحين» من حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يُدخلُ الله أهلَ الجنةِ الجنةَ، وأهلَ النارِ النارَ، ثمّ يقومُ مُؤذنٌ بينهم فيقولُ: يا أهل الجنةِ لا موتَ ويا أهلَ النارِ لا موتَ، كل خالد فيما هو فيه»(١).

وهذا الأذان وإن كان بين الجنة والنار فهو يبلغ جميع أهلِ الجنة والنار، ولهم نداء آخر يوم زيارتهم ربّهم تبارك وتعالى، يرسل إليهم ملكاً، فيؤذن فيهم بذلك فيسارعون إلى الزيارة، كما يؤذن مؤذن الجمعة إليها، وذلك في مقدار يوم الجمعة، كما سيأتي مبيناً في باب: زيارتهم الرَّب عز وجل(٢) والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٤) في الرقاق: باب (٥٠) يدخل سبعون ألفاً بغير حساب و(٦٥٤٨) باب (٥١) صفة الجنة والنار، ومسلم (٢٨٥٠) في الجنة ونعيمها: باب (١٣) النار يدخلها الجبارون.

(٢) أي ص ٣٤١.

الباب الرابع والأربعون

في أشجار الجنة، وبساتينها وظلالها

قال تعالى : ﴿ وأصحابُ اليمينِ ما أصحابُ اليمينِ. في سِدرٍ مَخضودٍ وطَلحٍ منضُودٍ. وظلٍّ مَمدودٍ. وماءٍ مَسكوبٍ. وفاكهةٍ كثيرةٍ. لا مَقطوعةٍ ولا مَمنوعةٍ ﴾ [الواقعة : ٢٧ - ٣٣] ، وقال تعالى : ﴿ ذواتا أفنانٍ ﴾ [الرحمن : ٤٨] وهو جمع فَنَن : وهو الغصن، وقال : ﴿ فيهما فاكهةٌ ونخلٌ ورُمانٌ ﴾ [الرحمن : ٦٨] .

والمخضود : الذي قد خضد شوكه :أي نزع وقطع، فلا شوك فيه . هذا قول ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل، وقتادة، وأبي الأحوص، وقسامة بن زهير، وجماعة . واحتج هؤلاء بحجتين :

إحداهما : أن الخضد في اللغة : القطعُ ، وكلُّ رطب قضبته فقد خضدته، وخضدت الشجر : إذا قطعت شوكه ، فهو خضيد ومخضود، ومنه الخضد، على مثال الثمر، وهو كل ما قطع من عود رطب، خضد بمعنى مخضود كقبض وسلب، والخَضاد شجر : رخو،لا شوك له .

الحجة الثانية : قال ابن أبي داود : حدثنا موسى بن مصفى، حدثنا محمد بن المبارك، حدثنا يحيى بن حمزة، حدثني ثور بن يزيد، حدثني حبيب ابن عبيد، عن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه قال :كنتُ جالساً مع رسول الله ﷺ، فجاء أعرابي فقال : يا رسول الله ، أسمعكَ تذكر في الجنةِ شجرةً لا أعلمُ شجرةً أكثرَ شوكاً منها - يعني الطلحَ - فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « إن الله يجعل مكانَ كلِّ شوكةٍ منها ثمرةً مثلَ خُصوةِ التيسِ الملبودِ، فيها سبعون لوناً من

الطعام، لا يشبه لون آخر »[1] . « الملبود » : الذي قد اجتمع شعره بعضه على بعض .

وقال عبدالله بن المبارك : أخبرنا صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : إنَّ الله لينفعنا بالأعرابِ ومسائلهم، أقبلَ أعرابيٌّ يوماً ، فقال : يا رسولَ اللهِ ، ذكر الله في الجنةِ شجرةً مؤذيةً ، وما كنتُ أرى في الجنةِ شجرةً تُؤذي صاحبَها، قال رسول الله ﷺ : « وما هي » ؟ قال : السدْرُ، فإنَّ له شوكاً مؤذياً . قال : « أليس الله يقول : ﴿ في سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾؟![و]خَضَدَ الله شوكَهُ فجعلَ مكانَ كلِّ شوكةٍ ثمرةً»[2]وقالت طائفة : المخضود هو : الموقر حملاً. وأنكر عليهم هذا القول، وقالوا : لا يعرف في اللغة الخضد بمعنى الحمل،[و]لم يصب هؤلاء الذين أنكروا هذا القول، بل هو قول صحيح ، وأربابه ذهبوا إلى أن الله سبحانه [وتعالى] لما خضد شوكه وأذهبه، وجعل مكان كلِّ شوكة ثمرة أوقره حملاً. والحديثان المذكوران يجمعان القولين.

وكذلك قول من قال : المخضود الذي لا يعقر اليد، ولا يرد اليد منه شوك ولا أذى فيه، فسره بلازم المعنى، وهكذا غالب المفسرين يذكرون لازم المعنى المقصود تارة، وفرداً من أفراده [تارة] ، ومثالاً من أمثلته فيحكيها الجمّاعون للغثِ والسمين أقوالاً مختلفة، ولا اختلاف بينها .

فصل

وأما الطَّلحُ، فأكثر المفسرين قالوا : إنه شجر الموز. قال مجاهد :

---

(١) أخرجه في «البعث والنشور» (٦٩)، وأبو نعيم في «الحلية» ١٠٣/٦، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ١٥٦/٦ ونسبه إلى الطبراني وابن مردويه، والهيثمي في «المجمع» ٤١٤/١٠ وقال:رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٦٣) ، وعن أبي أُمامة الحاكم ٤٧٦/٢ وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في « البعث » (٣٠٢) ،وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ١٥٦/٦ .

أعجبهم طلح وجٍّ وحسنه ، فقيل لهم : ﴿ **وطلح منضود** ﴾ وهذا قول علي بن أبي طالب، وابن عبَّاس، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخُدْري رضي الله عنهم .

وقالت طائفة أخرى : بل هو شجر عظام طوال، وهو من شجر البوادي الكثير الشوك عند العرب، قال حاديهم :

بَشَّرها دَليلُها وقالا غداً ترين الطَّلحَ والجِبالا

ولهذا الشجر نَور ورائحة طيبة ، وظلٌّ ظليل، وقد نضد بالحمل والثمر مكان الشوك . قال ابن قتيبة : هو الذي نضد بالحمل أو بالورق والحمل من أوله إلى آخره، فليس له ساق بارز وقال مسروق : ورق الجنة نضد من أسفلها إلى أعلاها ، وأنهارها تجري في غير أخدود .

وقال الليث : الطلح : شجر أم غيلان[1] له شوك أحجن ، من أعظم العضاه شوكاً ، وأصلبه عوداً ، وأجوده صمغاً . قال أبو إسحاق : يجوز أن يعني به شجر أم غيلان ، لأن له نوراً طيبَ الرائحة جداً ، فوعدوا بما يحبون مثله، إلا أن فضله علي ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على سائر ما في الدنيا، فإنه ليس ما في الجنة مما في الدنيا إلا الأسامي ، والظاهر أن من فسر ﴿ **الطلح المنضود** ﴾ : بالموز، إنما أراد التمثيل به لحسن نضده ، وإلا فالطلح في اللغة : هو الشجر العظام من شجر البوادي والله أعلم .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنةِ شجرةً يسيرُ الراكبُ في **ظلها مئة عام لا يقطعها فاقرؤوا إن شئتم ﴿وظِلٍّ مَمدُودٍ﴾**[2] »[الواقعة: ٣٠] .

---

(١) أم غيلان : شجر السَّمُر .

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٥٢) في بدء الخلق : باب (٨) ما جاء في صفة الجنة، ومسلم (٢٨٢٦) (٧) في الجنة : باب (١) . في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها ، والبيهقي في « البعث » (٢٩٤) .

وفي « الصحيحين » أيضاً : من حديث أبي حازم، عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة لشجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلها مئة عام لا يقطعها »(١) .

قال أبوحازم : فحدثنا به النعمان بن أبي عياش الزرقي فقال : حدثني أبو سعيد الخُدْري ، عن النبي ﷺ قال : « إنَّ في الجنةِ لشجرةً يَسيرُ الراكبُ الجوادُ المضمَّرُ السريعُ في ظِلّها مئة عام ما يقطعها »(٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا شعبة ، عن أبي الضحاك، سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ في الجنةِ شجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلها سبعينَ أو مئة سنة ، هي شجرةُ الخلدِ »(٣) .

وقال وكيع : حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن زياد مولى بني مخزوم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه : إن في الجنةِ شجرةً يَسيرُ الراكبُ في ظلها مئة عام اقرؤوا إنْ شئتم﴿ وظِلٍّ مَمدُود ﴾ فبلغ ذلك كعباً فقال : صدق، والذي أنزل التوراة على لسان موسى، والفرقان على لسان محمد ﷺ ، لو أن رجلاً ركب جَذَعةَ أو جذَعاً ، ثم دار بأصل تلك الشجرةِ ما بلغها حتى يسقط هرماً ، إنَّ اللهَ غرسها بيده ونفخَ فيها [من روحه]، وإن أفنانها من وراء سورِ الجنة، ما في الجنة نهر إلا وهو يخرجُ من أصل تلك الشجرة »(٤) .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا أبو عامر العقدي، حدثنا زمعة بن صالح ، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : الظل الممدود : شجرةٌ في الجنة على ساق قدر ما

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٥٢) في الرقاق باب (٥٠) صفة الجنة والنار، ومسلم (٢٨٢٧) في الجنة : باب (١) في الجنة شجرة .

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٥٣) في الرقاق، باب (٥١) صفة الجنة والنار، ومسلم (٢٨٢٨) في صفة الجنة ، باب (١) إن في الجنة شجرة، والبيهقي في « البعث » (٢٩٧) .

(٣) أخرجه أحمد ٢/٤٥٥ ، وابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٦٦) .

(٤) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٦٧) .

يسير الراكب المجد في ظِلّها مئة عام في كل نواحيها ، فيخرج إليها أهل الجنة : أهل الغرف وغيرهم يتحدثون في ظلها ، قال : فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهوٍ كان في الدنيا[1] .

وفي « جامع » الترمذي من حديث أبي حازم، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب » قال : هذا حديث حسن [غريب][2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله : أعددتُ لعبادي الصالحينَ ما لا عينٌ رأتْ ، ولا أذنٌ سمعتْ ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ ، واقرؤوا إن شئتم: ﴿ **فلا تعلَمُ نفسٌ ما أخفيَ لَهُمْ من قُرَّةِ أعيُنٍ جزاءً بما كانوا يعملون** ﴾ [السجدة : ١٧] ، وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عامٍ لا يقطعها، واقرؤوا إنْ شئتم ﴿ **وظِلٍّ ممدودٍ** ﴾ . [الواقعة : ٣٠] ، وموضعُ سَوطٍ من الجنةِ خيرٌ من الدنيا وما فيها ،واقرؤوا إن شئتم ﴿ **فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وأُدْخِلَ الجنَّةَ فَقَد فازَ** ﴾[3] [آل عمران: ١٨٥]» ، رواه بهذا اللفظ والسياق الترمذي والنسائي وابن ماجه ، وصدره في « الصحيحين » .

وفي « صحيح » البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ في الجنةِ لشجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلِّها مئة عام لا يقطعها، وإن شئتم فاقرؤوا : ﴿ **وظِلٍّ ممدودٍ. وماءٍ مَسْكوبٍ** ﴾ »[4][الواقعة : ٣١ - ٣٢] » .

وقال ابن وهب: حدثنا عمرو بن الحارث أن دَرَّاجاً أبا السَّمح حدثه،

---

(١) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ١٥٧/١ ونسبه إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٢٥) في صفة الجنة : باب (١) ما جاء في شجرة الجنة .

(٣) أخرجه الترمذي (٣٢٩٢) في التفسير : باب (٥٧) من سورة الواقعة وقال : حسن صحيح ، ومختصراً عند البخاري (٤٧٧٩) في التفسير : باب (٣٢) سورة السجدة،ومسلم (٢٨٢٤) في الجنة ، وابن ماجة (٤٣٢٨) في الزهد : باب (٣٩) صفة الجنة .

(٤) أخرجه البخاري (٤٨٨١) في التفسير : باب (٥٦) سورة الواقعة من حديث أبي هريرة، و(٦٥٥٢) في الرقاق : باب (٥١) صفة الجنة من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه .

عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه قال : قال رجلٌ : يا رسول الله، ما طُوبى؟ قال: «شَجرةٌ في الجنةِ مسيرةُ مئة سنة، ثيابُ أهلِ الجنةِ تَخرجُ من أكمامها»[1]، وقد رواه عنه حرملة بزيادة، فقال: أخبرني ابن وهب، أخبرني عمرو، أن درّاجاً حدثه، أن أبا الهيثم حدثه، عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسولَ اللهِ، طوبى لمن رآك وآمنَ بكَ؟ فقال : «طُوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طوبى، ثم طُوبى، ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني»، فقال رجلٌ : يا رسول الله، ما طُوبى؟ قال : «شجرة في الجنة مسيرة مئة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»[2].

قلت : وأول هذا الحديث في «المسند»، ولفظه : «طوبى لمن رآني وآمن بي، وطُوبى لمن آمنَ بي، ولم يرني سبعَ مراتٍ»[3].

وقال ابن المبارك : حدثنا سفيان، عن حماد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «نخلُ الجنةِ جذوعُها من زُمرد أخضرَ، وكَرَبُها ذهبٌ أحمرُ، وسَعَفُها كسوة لأهلِ الجنة، منها مُقطَّعاتهم وحُللهم[4]، وثمرها أمثال القِلال والدِّلاءِ، أشدّ بياضاً من اللَّبن، وأحلَى من العسلِ، وألينُ من الزُّبد، ليس فيه عجمٌ»[5].

وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن بحر، حدثنا هشام بن يوسف، حدثنا معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن عامر بن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد

---

(١) قطعة من حديث أخرجه أحمد ٣/٧١ .

(٢) أخرجه أحمد ٣/٧١ بلفظه، وابن حبان (٧١٨٦) في «صحيحه» مختصراً .

(٣) أخرجه أحمد ٥/٢٤٨، ٢٥٧، ٢٦٤ من حديث أبي أمامة بألفاظ متقاربة .

(٤) في الأصل : حلاهم، والتصويب في «الزهد» .

(٥) أورده المنذري في «الترغيب والترهيب» ٤/٥٢٣ بلفظه وقال : رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً بإسناد جيد، وأخرجه البيهقي في «البعث» (٣١١)، والحاكم ٢/٤٧٥ ـ ٤٧٦، وقال: صحيح على شرط مسلم، وابن المبارك في «الزهد» (١٤٨٨) عن سعيد بن جبير بألفاظ متقاربة.
الكَرَب: أصول السعف الغلاظ العراض. السعف: أغصان النخيل. القلال جمع قلة: وهي الجرة العظيمة. عجَم: نوى التمر أو ما أشبهه.

السلمي رضي الله عنه يقول : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسأله عن الحوض، وذكر الجنة ، ثم قال الأعرابي : فيها فاكهةٌ ، قال : « نعم وفيها شجرةٌ تُدعَى طُوبى، فذكر شيئاً لا أدري ما هو؟» فقال: أي[1] شجرِ أرضنا تشبهه؟، قال: «ليست تشبهُ شيئاً من شجر أرضك»، فقال النبي ﷺ: «أتيت الشام»؟ قال: لا، قال: «تشبه شجرة بالشام تُدعى الجوزة، تُنبتُ على ساقٍ واحدٍ، وينفرشُ[2] أعلاها» قال: ما عِظَمُ أصلِها؟ قال: «لو ارتحلتَ جذعةً من إبل أهلك ما أحاطت بأصلِها، حتى تنكسر ترقوتها هرماً». قال: فيها عنبٌ؟ قال: «نعم» قال: فما عِظَمُ العنقود؟. قال: ««مسيرةُ شهر للغراب الأبقع لا يفتر[3]» قال: فما عظمُ الحبةِ. قال: «هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قَطُّ عظيماً؟» قال: نعم، قال: «فسلخ أهابَهَ فأعطاهُ أمَّك، فقال: اتخذي لنا منه دَلْواً؟» قال: نعم، قال الأعرابي: فإن تلك الحبة لتشبعني وأهلَ بيتي، قال: «نعم وعامة عشيرتكَ»[4].

وقال أبو يعلى الموصلي في « مسنده » : حدثنا عبد الرحمن بن صالح، حدثنا يونس بن بكير، عن محمد بن اسحاق، عن يحيى بن عباد، عن عبدالله ابن الزبير، عن أبيه، عن اسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : سمعت رسولَ الله ﷺ، وذكر سدرة المنتهى فقال : « يسيرُ في ظلِّ الفَنَنِ منها الراكبُ مئة سنة، أو قال : يَستظِلُّ في الفَنَنِ منها مئةُ راكب، فيها فراشُ الذهبِ كأنَّ ثمرَها القلالُ » . ورواه الترمذي وقال : شك يحيى، وهو حديث حسن غريب[5] .

---

(١) في الأصل : إن .

(٢) في الأصل : ويفترش .

(٣) وفي « المسند » لا يعتر : وهو خطأ .

(٤) أخرجه أحمد ٤/١٨٤ .

أخرجه الترمذي (٢٥٤١) في صفة الجنة : باب (٩) ما جاء في صفة ثمار أهل الجنة،

(٥) أخرجه الترمذي (٢٥٤١) في صفة الجنة: باب (٩) ما جاء في صفة ثمار أهل الجنة، وأبو يعلى كما في «النهاية» ٢/٤٢١، والطبراني ٢٤/٨٧ـ٨٨، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٣٥)، والحاكم في «المستدرك» ٢/٤٦٩ وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

وقال عبدالله بن المبارك : أنبأنا ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال : [إن] أرض الجنةِ من ورَق، وترابها مسكٌ ، وأصول أشجارها ذهبٌ وورق وأفنانها لؤلؤ وزبرجدٌ وياقوتٌ، والورقُ والثمرُ تحتَ ذلك، فمن أكلَ قائماً لم يؤذه، ومن أكلَ جالساً لم يؤذه، ومن أكل مضطجعاً لم يؤذه، ﴿وذُلِّلَتْ قُطوفها تذليلاً﴾[1] [الإنسان: ١٤].

وقال أبو معاوية : حدثنا الأعمش، عن أبي ظبيان عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال : نزلنا الصِّفاحَ، فإذا رجلٌ نائمٌ تحتَ شجرةٍ قد كادتِ الشمسُ أن تبلغَهُ، قال : فقلتُ للغلامِ : انطلقْ بهذا النِّطع فأظلَّهُ، قال : فانطلقَ فأظلَّهُ، فلما استيقظَ إذا هو سلمان فأتيته أُسلِمُ عليه، فقال : يَا جريرُ، تواضعْ لله، فإنه من تواضعَ لله رفعهُ الله يومَ القيامةِ، يا جريرُ، هلْ تدري ما الظلماتُ يومَ القيامةِ ؟ قلتُ : لا أدري . قال : ظلمُ الناسِ بينهَم ، ثم أخذ عُويداً، لا أكاد أراه بين أصبعيهِ ، فقال : يا جريرُ، لو طلبت مثلَ هذا في الجنةِ لم تجدْه، قلتُ يا أبا عبد الله، فأينَ النخلُ والشجرُ ؟ قال : أصولها اللؤلؤ والذهبُ وأعلاها الثمرُ[2] .

---

(١) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٢٩)،وابن أبي شيبة ١٣/٩٥ ، والبيهقي في «البعث» (٣١٤)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٦/٣٠٠ ونسبه إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.

(٢) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (٣١٦)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٦/١٥٠ ونسبه إلى ابن أبي شيبة، وهناد بن السري.

الباب الخامس والأربعون

في ثمارها وتعداد أنواعها وصفاتها وريحانها

قال الله تعالى : ﴿ وبَشِّرِ الَّذِينَ آمنوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ أنَّ لهم جناتٍ تَجْرِي مِنْ تحتِها الأنهارُ كلَّما رُزقوا منها من ثَمَرَةٍ رِزْقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبلُ وأُوتُوا به مُتشابهاً ولهم فيها أزواجٌ مُطهرةٌ ﴾ [البقرة : ٢٥] .

وقولهم هذا الذي رزقنا من قبل : أي شبيهه ونظيره لا عينه، وهل المراد أن هذا الذي رزقنا في الدنيا نظيره من الفواكه والثمار [و] هذا نظير الذي رزقناه قبل في الجنة ؟

قيل : فيه قولان : ففي « تفسير » السُّدي عن أبي مالك، وأبي صالح : عن ابن عباس، وعن مرَّة ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿ قالوا هذا الذي رزقنا منْ قَبلُ ﴾ أنهم أتوا بالثمرة في الجنة، فلمَّا نظروا إليها قالوا : هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا . قال مجاهد : ما أشبهه به،وقال ابن زيد: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا، ﴿وأتوا به متشابهاً﴾ يعرفونه، وقال آخرون : هذا الذي رزقنا من قبل من ثمار الجنّة ، من قبل هذا، لشدة مشابهة بعضه بعضاً في اللون والطعم . واحتج أصحاب هذا القول بحجج :

إحداها : أن المشابهة التي بين ثمار الجنة بعضها لبعض أعظم من المشابهة التي بينها وبين ثمار الدنيا، ولشدة المشابهة قالوا : هذا هو .

الحجة الثانية : ما حكاه ابن جرير عنهم قال : ومن علة قائلي هذا القول أن ثمار الجنة كلما نزع منها شيء عاد مكانه آخر مثله كما [كان] . حدثنا ابن بشار ، حدثنا ابن مهدي، حدثنا سفيان سمعت عمرو بن مرة يحدث عن أبي عبيدة، وذكر ثمر الجنة، قال : كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى .

الحجة الثالثة : قوله : ﴿ وأتوا به متشابهاً ﴾ وهذا كالتعليل والسبب الموجب لقولهم ﴿ هذا الذي رزقنا من قبل ﴾ .

الحجة الرابعة : أن من المعلوم أنه ليس كلّ ما في الجنة[1] من الثمار قد رزقوه في الدنيا، وكثير من أهلها لا يعرفون ثمار الدنيا ولا رأوها ، ورجحت طائفة، منهم : ابن جرير وغيره القول الآخر، واحتجت بوجوه.

قال ابن جرير: والذي يحقق صحة قول القائلين: أن معنى ذلك ﴿هذا الذي رزقنا من قبل﴾ في الدنيا، أن الله جلَّ ثناؤه قال: ﴿كلّما رُزِقُوا منها من ثَمَرةٍ رِزْقاً﴾ يقولون: ﴿هذا الذي رزقنا من قبلُ﴾ ولم يخصص أن ذلك من قيلهم في بعض دون بعض، فإن كان قد أخبر جلَّ ذكره عنهم أن ذلك من قيلهم كلّما رزقوا ثمرة، فلا شكَّ أن ذلك من قيلهم في أول رزق رزقوه من ثمارها أتوا به بعد دخولهم الجنة، واستقرارهم فيها ، الذي لم يتقدمه عندهم من ثمارها ثمرة، فإذا[2] كان لا شك أن ذلك من قيلهم في أوله، كما هو من قيلهم في وسطه، وما يتلوه، فمعلوم أنه محال أن يقولوا لأول رزق رزقوه من ثمار الجنة : هذا الذي رزقنا من قبل، هذا من ثمار الجنة، وكيف يجوز أن يقولوا لأول رزق [رزقوه] من ثمارها، ولما يتقدمه عندهم غيره منها : هذا هو الذي رزقناه [من] قبل، إلا أن ينسبهم ذو غَيَّة[3] وضلال إلى قيل الكذب، الذي قد طهرهم الله منه ، أو يدفع دافع أن يكون ذلك من قيلهم، لأول رزق يرزقونه من ثمارها، فيدفع صحة ما أوجب الله صحته من غير نصب، دلالة على أن ذلك في حال من أحوالهم دون حال، فقد تبين أن معنى الآية : كلما رزقوا من ثمرة من ثمار الجنة في الجنة رزقاً ، قالوا : هذا الذي رزقنا من قبل هذا في الدنيا[4] .

---

(١) في الأصل : الحجة .

(٢) في الطبري : فإذ .

(٣) في الطبري : ذو غِرَّة . قال في « القاموس » . ولد غَيَّة ، ويكسر : زنية . والغِرُّ : الذي لا تجربة له .

(٤) انظر الطبري ١/١٧١ ـ ١٧٢ .

قلت : أصحاب القول الأول يُخصُّون هذا العام بما عـدا الرزق الأول، لدلالة العقل والسياق عليه، وليس هذا ببدع من طريقة القرآن، وأنت مضطر إلى تخصيصه، ولا بدَّ بأنواع من التخصيصات :

أحدها : أن كثيراً من ثمار الجنة وهي التي لا نظير لها في الدنيا، لا يقال فيها ذلك .

الثاني : أن كثيراً من أهلها لم يرزقوا جميع ثمرات الدنيا التي لها نظير في الجنة .

الثالث : أنه من المعلوم أنهم لا يستمرون على هذا القـول أبد الآبـاد، كلَّما أكلوا ثمرة واحدة قالوا : هذا الذي رزقناه في الدنيا، ويستمرون على هذا الكلام دائماً إلى غير نهاية، والقرآن العزيز لم يقصد إلى هذا المعنى، ولا هو ممـا يعتنى به من نعيمهم ولـذتهم، وإنما هـو كـلام مبين خـارج على المعتـاد المفهوم من المخاطب .

ومعناه : أنه يشبه بعضه بعضـاً ، ليس أوله خيـراً من آخره، ولا هـو مما يعرض له ما يعرض لثمر الدنيا عند تقادم الشجر، وكبرها من نقصـان حملها، وصغر ثمرها وغير ذلك، بل أوله مثل آخره، وآخره مثل أوله، وهو خيار كله يشبه بعضه بعضاً ، فهذا وجه قولهم، ولا يلزم مخالفة ما نصه الله سبحانـه وتعالى، ولا نسبة أهل الجنة إلى الكذب بـوجه، والـذي يلزمهم من التخصيص يلزمك نظيره، وأكثر منه ، والله أعلم .

وأما قوله عز وجل : ﴿ وأُتوا به مُتَشابهاً ﴾ [فقال الحسن : خيار كلّه لا رَذْل فيه ، ألم تروا إلى ثمر الدنيـا كيف يسترذلـون بعضه، وأن ذلـك ليس فيه رذل ؟ وقال قتادة : خيارٌ لا رَذْل فيه، فإن ثمار الدنيا ينقى منها، ويُرذل منهـا، وكـذلك قـال ابن جريـج وجماعـة ، وعلى هذا، فـالمراد بـالمتشابـه المتوافق والمتماثل .

وقالت طائفة أخرى ، منها ابن مسعود، وابن عباس، وناس من أصحاب رسول الله ﷺ : متشابهاً في اللون والمرأى، وليس يشبـه الطعم الـطعم ، قال

مجاهد: متشابهاً لونه مختلفاً طعمه، وكذلك قال الربيع بن أنس، وقال يحيى بن أبي كثير: عشب الجنة الزعفران، وكثبانها المسك، ويطوف عليهم ولدان بالفاكهة، فيأكلونها، ثم يأتونهم بمثلها فيقولون: هذا الذي جئتمونا به آنفاً، فيقول لهم الخدم: كلوا فإن اللون واحد، والطعم مختلف، فهو قوله عز وجل: **﴿ كُلَّما رُزِقُوا مِنْها مِنْ ثَمَرةٍ رِزْقاً قَالوا هذا الذي رُزِقْنَا مِنْ قَبلُ وأُتوا به مُتشابِهاً ﴾** [البقرة: ٢٥].

وقالت طائفة: معنى الآية: أن يشبه ثمر الدنيا، غير أن ثمر الجنة أفضل وأطيب. قال ابن وهب: قال عبد الرحمن بن زيد: يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا: التفاح بالتفاح، والرمان بالرمان قالوا في الجنة: هذا الذي رزقنا من قبل، وأتوا به متشابهاً يعرفونه، وليس هو مثله في الطعم، واختار ابن جرير هذا القول، قال: وقد دللّنا على فساد قول من قال: إن معنى الآية: هذا الذي رزقنا من قبل، أي في الجنة، وتلك الدلالة على فساد ذلك القول، هي الدلالة على فساد قول من خالف قولنا في تأويل قوله: **﴿ وأُتوا بهِ متشابهاً ﴾** أن الله سبحانه [وتعالى] أخبر عن المعنى الذي من أجله قال القوم هذا الذي رزقنا من قبل، وأتوا به متشابهاً.

قلت: وهذا لا يدل على فساد قولهم لما تقدم، وقال تعالى: **﴿ جناتُ عَدْنٍ مُفَتَّحةً لَهُمُ الأبوابُ * مُتَّكئينَ فيها يَدْعونَ فيها بِفَاكِهَةٍ كثيرةٍ وشرابٍ ﴾** [ص: ٥٠ - ٥١] وقال تعالى: **﴿ يَدْعونَ فيها بِكلِّ فاكهةٍ آمنينَ ﴾** [الدخان: ٥٥]، وهذا يدل على أمنهم من انقطاعها ومضرتها، وقال تعالى: **﴿وَتِلْكَ الجَنَّةُ التي أُورِثْتُموها بما كُنتُمْ تَعْمَلُون * لَكُم فِيها، فاكِهةٌ كثيرةٌ مِنها تأكلون ﴾** [الزخرف: ٧٣]. وقال تعالى: **﴿ وفَاكِهةٍ كثيرةٍ. لا مَقطوعةٍ ولا مَمنُوعَةٍ﴾** [الواقعة: ٣٢ - ٣٣] أي لا تكون في وقت دون [وقت]، ولا تمنع ممن أرادها، وقال تعالى: **﴿ فَهُوَ في عِيشَةٍ راضِيَةٍ * في جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُها دانيةٌ ﴾** [الحاقة: ٢١ - ٢٣] والقُطوف: جمع قطف، وهو ما يقطف، والقَطف، - بالفتح - الفعل، أي ثمارها دانية: قريبة ممن يتناولها، فيأخذها كيف يشاء، قال البراء بن عازب: يتناول الثمرة وهو نائم. وقال تعالى:

﴿ ودانيةً عَلَيهم ظِلالُها وذُلِّلَتْ قُطوفُها تَذْلِيلاً ﴾ [الدهر ١٣ - ١٤] قال ابن عباس : إذ همَّ أن يتناول من ثمارها نزلت إليه حتى يتناول ما يريد، وقال غيره : قربت إليهم مذللة كيف شاؤوا، فهم يتناولونها قياماً وقعوداً ومضطجعين، فيكون كقوله : ﴿ قُطُوفها دَانِيةٌ ﴾ . ومعنى تذليل القطف : تسهيل تناوله، وأهل المدينة يقولون: ذَلَّلَ النخلَ، أي سوَّى عذوقه وأخرجها من السعف، حتى يسهل تناولها، وفي نصب دانية وجهان:

أحدهما : أنه على الحال عطفاً على قوله متكئين .

والثاني : أنه صفة لجنة، وقال تعالى : ﴿ فِيهما مِنْ كُلِّ فاكهةٍ زوجانِ ﴾ [الرحمن : ٥٢] ، وفي الجنتين الأخريين ﴿ فِيهما فاكِهةٌ ونَخْلٌ ورُمَّانٌ ﴾ [الرحمن : ٦٨] وخص النخل والرمان من بين الفاكهة بالذكر لفضلهما ، وشرفهما، كما نص على حدائق النخل والأعناب في سورة النبأ ، إذ هما من أفضل أنواع الفواكه ، وأطيبها وأحلاها . وقال تعالى : ﴿ وَلَهُمْ فيها مِنْ كلِّ الثمراتِ ومغفرةٌ مِنْ رَبِّهِم ﴾ [محمد : ١٥] .

وقال الطبراني : حدثنا معاذ بن المثنى، حدثنا علي ابن المديني، حدثنا ريحان بن سعيد، عن عبّاد بن منصور، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الرجلَ إذا نزع ثمرةً من الجنةِ عادتْ مكانَها أخرى»(١).

وقال عبدالله بن الإمام أحمد : حدثني عقبة بن مكرم العمي، حدثنا ربعي بن إبراهيم ابن عُلَيَّة، حدثنا عوف، عن قسامة بن زهير، عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اهبطَ الله آدمَ [عليه السلام] من الجنةِ، وعلمه صنعةَ كلِّ شيءٍ ، وزودَهُ من ثمارِ الجنةِ، فثماركم هذه من ثمار

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٤٤٩)، والبزار (٣٥٣٠) و(٣٥٣١) في ثمار الجنة: إلا أنه قال: «عيد في مكانها مثلاها»، وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/٤١٤ وقال: رواه الطبراني والبزار ورجال الطبراني وأحد إسنادي البزار ثقات.

الجنةِ، غيرَ أنها تغير، وتلك لا تغيرُ »[١] . وقد تقدم : أن سدرة المنتهى نبقها مثل [القلال][٢].

وفي « صحيح » مسلم من حديث أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « عُرضتْ عليَّ الجنةُ حتى لو تناولتُ منها قِطفاً أخذتُهُ » ، وفي لفظ : « فتناولتُ منها قِطفاً فقصرتْ عنه يدي »[٣] .

وقال أبو خيثمة : حدثنا عبدالله بن جعفر، حدثنا عبد الله ، حدثنا ابن عقيل، عن جابر رضي الله عنه قال: بينما نحنُ في صلاةِ الظهرِ إذ تقدمَ رسولُ الله ﷺ فتقدَّمنا، ثم تناول شيئاً ليأخذه، ثم تأخرَ، فلما قضى الصلاةَ قالِ له أبيُّ بن كعبٍ: يا رسولَ الله، صنعتَ اليومَ في الصلاةِ شيئاً، ما كنتَ تصنعُهُ؟ قال: «إنه عرضتْ عليَّ الجنةُ وما فيها من الزهرةِ والنضرةِ، فتناولت منها قِطفاً من عنب لآتيكم بـه ، فحيل بيني وبينـه، ولو أتيتكم بـه لأكل منـه من بينَ السماءِ والأرضِ لا ينقصونَهُ »[٤] .

وقال ابن المبارك : أنبأنا سفيان، عن حماد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال : « ثمرُ الجنةِ أمثالُ القلالِ والدلاءِ ، أشدُّ بياضاً من اللبنِ، وأحلى من العسل، وألينُ من الزُّبْدِ، ليس فيه عَجَم »[٥] .

وقال سعيد بن منصور : حدثنا شريك، عن أبي إسحاق البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : « إنَّ أهـلَ الجنةِ يـأكلونَ من ثمارِ الجنـةِ قيامـاً وقعوداً، ومضطجعينَ على أيِّ حالٍ شاؤوا »[٦] .

---

(١) ذكره ابن كثير في « النهاية » ٢/ ٤٢٧ ، ونسبه إلى الطبراني .

(٢) انظر «مصنف» ابن أبي شيبة ١٣/ ٩٨ (١٥٨١٢) وفيه عن أنس مرفوعاً: «لما انتهيت إلى السدرة إذ أورقها مثل آذان الفيلة، وإذا بنقها أمثال القلال. . .».

(٣) قطعة من حديث أخرجه مسلم (٩٠٤) في الكسوف : باب (٣) ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار .

(٤) أخرجه أحمد ٣/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣ مطولاً.

(٥) قطعة من حديث أخرجه ابن المبارك (١٤٨٨) مطولاً، والبيهقي في « البعث » (٣١١) وقد تقدم ص ٢٢٤ ت (٥).

(٦) أخرجه البيهقي في «البعث» (٣١٣)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٦/ ٣٠٠ وزاد نسبته =

وقال البزار في « مسنده » : حدثنا أحمد بن الفرج الحمصي، حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي، حدثنا محمد بن المهاجر، عن الضحاك المعافري ، عن سليمان بن موسى قال : حدثني كريب أنه سمع أسامة ابن زيد رضي الله عنهما يقول : قال رسول الله ﷺ : « ألا مُشمرٌ للجنةِ، فإنَّ الجنةَ لا خطر لها، هي وربِّ الكعبةِ نورٌ يتلألأ، وريحانةٌ تهتزُّ، وقصرٌ مشيدٌ، ونهرٌ مُطّردٌ ، وثمرةٌ نضيجةٌ ، وزوجةٌ حسناءُ جميلة، وحللٌ كثيرةٌ في مقام أبدٍ، في دارٍ سليمةٍ، وفاكهة وخِضرةٍ، وحِبَرةٍ ونَعْمَةٍ في مَحَلَّةٍ غالية بهية » ، قالوا : نعم يا رسولَ الله، نحنُ المشمرون لها : قال : « قولوا : إن شاء الله»، قال القوم: إنْ شاءَ الله[1].

قال البزار : وهذا الحديث لا نعلم من رواه عن النبي ﷺ إلا أسامة، ولا نعلم له طريقاً عن أسامة إلا هذا الطريق، ولا نعلم رواه عن الضحاك المعافري إلا هذا الرجل محمد بن مهاجر .

وفي حديث لقيط بن صبرة الذي رواه عبدالله بن أحمد في « مسند » أبيه وغيرِهِ : قلت : يا رسولَ اللهِ على ما نطّلع من الجنةِ ؟ قال : « على أنهارٍ من عَسلٍ مُصفًى ، وأنهارٍ من كأسٍ ما بها صُداع، ولا نَدامةٌ ، وأنهار من لبنٍ لم يتغيرْ طعمُهُ ، وماءٍ غيرِ آسنٍ ، وبفاكهة لعمرُ إلهكَ مما تعلمون ، وخير من مثله معه»[2] وأما الريحان: فهو كل نبت طيب الرائحة، قال الحسن وأبو العالية: هو ريحاننا هذا، يؤتى بغصن من ريحان الجنة فنشمه.

= إلى الفريابي، وابن أبي شيبة، وهناد، وعبد بن حميد، وعبدالله بن أحمد في زوائد «الزهد»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه.

(١) أخرجه ابن ماجة (٤٣٣٢) في الزهد : باب (٣٩) صفة الجنة، والأصبهاني في « الترغيب » (٩٧٦)، وابن حبان (٢٦٢٠) في «الموارد»، والبيهقي في «البعث» (٤٣٣)، وذكره السيوطي في «الدر» ١/٣٦. ولم نجده في المطبوع من «كشف الأستار».

(٢) قطعة من حديث طويل أخرجه أحمد (١٤/٤) وتقدم .

الباب السادس والأربعون

في زرع الجنة

قال تعالى: ﴿وَفِيها ما تشتهيهِ الأنفسُ وتلذُّ الأعينُ﴾[الزخرف: ٧١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يوماً يحدثُ وعنده رجل من أهل البادية: «أنَّ رجلاً من أهلِ الجنةِ استأذنَ ربَّهُ عزّ وجلّ في الزرعِ فقال له: أولستَ فيما اشتهيتَ؟ فقال: بلى، ولكني أحبُّ أنْ أزرعَ فأسرعَ، وبَذرَ فبادرَ الطَّرفَ نباتُه واستواؤُهُ واستحصادُه وتكويرُهُ أمثالَ الجبالِ فيقولُ الله عزَّ وجلّ: دونَكَ يا ابنَ آدمَ، فإنهُ لا يشبعكَ شيءٌ». فقال الأعرابيُّ: يا رسولَ الله لا نجدُ هذا إلا قرشياً أو أنصارياً، فإنهم أصحابُ زرعٍ، فأما نحنُ فلسنا بأصحابِ زرعٍ فضحك رسولُ اللهِ ﷺ رواه البخاري في كتاب التوحيد في باب كلام الربِّ تعالى مع أهل الجنة، وخرَّجه في غيره أيضاً[1] وهذا يدل على أن في الجنة زرعاً، وذلك البذر منه، وهذا أحسن أن تكون الأرض معمورةً بالشجر والزرع.

فإن قيل: فكيف استأذن هذا الرجل ربه في الزرع، فأخبره أنه في غنية عنه؟

قيل: لعله استأذن في زرع يباشره [ويزرعه] بيده، وقد كان في غنية عن ذلك وقد كفي مؤونته، ولا أعلم ذكر الزرع في الجنة إلا في هذا الحديث. والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٩) في التوحيد: باب (٣٨) و(٢٣٤٨) في الحرث والمزارعة: باب (٢٠).

الطرف: امتداد لحظ الإنسان إلى أقصى ما يراه. تكويرهُ: جمعه.

وروى إبراهيم بن الحكم، عن أبيه، عن عكـرمة قـال : بينما رجـل في الجنة، فقال في نفسه : لو أنَّ اللهَ يأذنُ لي لزرعتُ، فلا يعلم إلا والملائكة على أبوابه فيقولون : سلام عليك، يقولُ لك ربُّك : تمنيتَ في نفسك [شيئاً] فقد علمتُه ، وقد بعث [الله] معنا البَذْرَ، فيقولُ : ابذروا فيخـرجُ أمثالَ الجبـالِ ، فيقولُ له الـربُّ من فوقِ عـرشِهِ : كـلْ يا ابنَ آدمَ فـإنَّ ابنَ آدم لا يشبعُ . والله أعلم .

الباب السابع والأربعون

في ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجراها الذي تجري عليه

وقد تكرر في القرآن في عدة مواضع قوله [تعالى] : ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تحتِها الأنهارُ ﴾ [البقرة : ٢٥] ، وفي موضع : ﴿ تجري تحتها الأنهار ﴾ [التوبة : ١٠٠] ، وفي موضع : ﴿ تجري مِنْ تحتهم الأنهار ﴾ [يونس : ٦] وهذا يدل على أمور :

أحدها : وجود الأنهار فيها حقيقة . الثاني : أنها جارية لا واقفة . الثالث : أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم، كما هو المعهود في أنهار الدنيا، وقد ظن بعض المفسرين أن معنى ذلك جريانها بأمرهم، وتصريفهم لها كيف شاؤوا ، وكأن الذي حملهم على ذلك أنه لما سمعوا أن أنهارها تجري في غير أخدود، فهي جارية على وجه الأرض حملوا قوله : ﴿ تجرِي مِنْ تحتِها الأنهار ﴾ على أنها تجري بأمرهم، إذ لا يكون فوق المكان تحته، وهؤلاء أتوا من ضعف الفهم، فإن أنهار الجنة ـ وإن جرت في غير أخدود ـ فهي تحت القصورِ والمنازلِ والغرف، وتحت الأشجار، وهو سبحانه لم يقل : من تحت أرضها ، وقد أخبر سبحانه عن جريان الأنهار تحت الناس في الدنيا، فقال : ﴿ أَلَمْ يَرُوا كَمْ أهلَكْنَا مِنْ قَبلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ في الأَرْضِ ما لَمْ نمكِّنْ لَكُم ، وأرسَلْنا السَّماءَ عليهم مِدْراراً ، وجَعَلْنَا الأنهارَ تجري من تحتهم ﴾ [الأنعام : ٦] ، فهذا على المعهود المتعارف، وكذلك ما حكاه من قول فرعون : ﴿ وهذهِ الأنهارُ تجري من تحتي ﴾ [الزخرف : ٥١] ، وقال تعالى : ﴿ فيهما عينَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ [الرحمن : ٦٦] قال ابن أبي شيبة : حدثنا يحيى ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد قال: نضاختان بالماء والفواكه.

وحـدثنـا ابن يمـان، عن أبي إسحـاق، عن أبـان، عن أنس قـال: نضاختان: بالمسك والعنبر تنضخان على دور أهل الجنة، كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا.

وحدثنا عبد الله بن إدريس، عن أبيه، عن أبي إسحاق، عن البراء رضي الله عنه قال: اللتان تجريان أفضل من النضاختين وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ الجنةِ التي وُعِدَ المتَّقونَ فيها أنهارٌ مِنْ مَـاءٍ غيرِ آسنٍ وأنهـارٌ من لبنٍ لم يتغيرْ طعمُه، وأنهارٌ من خَمْرٍ لذَّةٍ للشارِبينَ، وأنهارٌ من عسلٍ مُصَفًّى ولهمْ فيها من كُلِّ الثمراتِ ومغفرةٌ مِنْ رَبِّهم ﴾ [محمد: ١٥].

فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة، ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا، فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة، وأن يصير قارصاً، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها، وآفة العسل عدم تصفيته.

وهذا من آيات الرب تعالى أن يُجري أنهاراً من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها، ويجريها في غير أخدود، وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بهـا، كما نفى عن خمـر الجنة جميـع آفات خمـر الدنيـا، من الصداع والغَوْل واللَّغوِ والإنزاف، وعدم اللذة، فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا، يغتال العقل، ويكثر اللغو على شربها، بل لا يطيب لشرابها ذلك إلا باللغـو، وتنـزف المال، وتصـدع الرأس، وهي كـريهة المـذاق، وهي رجس من عمـل الشيطان، توقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة، وتدعو إلى الزنا، وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم، وتذهب الغيرة، وتورث الخزي والندامة والفضيحة، ويلحق شاربها بأنقص نوع الإنسـان، وهم المجانين، وتسلبـه أحسن الأسماء والسمـات، وتكسـوه أقبح الأسماء والصفات، وتسهل قتل النفس، وإفشاء السر الذي في إفشائه مضرته أو إهلاكه، ومؤاخاة الشياطين في تبذير المـال، الذي جعله الله قيـاماً لـه، ولمن تلزمه مؤنته، وتهتـك الأستار، وتـظهر الأسـرار، وتدل على العـورات، وتهون ارتكاب القبائح والمآثم، وتخرج من القلب تعظيم المحارم، ومدمنهـا كعابـد

وثن، وكم أهاجت من حرب، وأفقرت من غني، وأذلَّت من عزيز، ووضعت من شريف، وسلبت من نعمة، وجلبت من نقمة، ونسخت مودة، ونسجت عداوة، وكم فرقت بين رجل وحبِّهِ فذهبت بقلبه، وراحت بلبه، وكم أورثت من حسرةٍ وأجرت من عبرة، وكم أغلقت في وجه شاربها باباً من الخير، وفتحت له باباً من الشر، وكم أوقعت في بلية، وعجلت من منية، وكم أورثت من خزية، وجرت على شاربها من محنة، وجرأت عليه من سَفِلة، فهي جِماع الإثم، ومفتاح الشر، وسلاَّبة [النِّعم]، وجالبة النقم، ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هي وخمرة الجنة في جوف عبد، كما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ شَرِبَ الخمرَ في الدنيا لم يشربْها في الآخرة»(١). [لكفى].

وآفات الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرنا، وكلها منتفية عن خمر الجنة.

فإن قيل: فقد وصف سبحانه الأنهار بأنها جارية، ومعلوم أن الماء الجاري لا يأسَن، فما فائدة قوله: ﴿ غير آسنٍ ﴾؟

قيل: الماء الجاري وإن كان لا يأسن، فإنه إذا أخذ منه شيء وطال مكثه أسن، وماء الجنة لا يعرض له ذلك، ولو طال مكثه ما طال.

فتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة، التي هي أفضل أشربة الناس، فهذا لشربهم وطهورهم، وهذا لقوتهم وغذائهم، وهذا للذتهم وسرورهم، وهذا لشفائهم ومنفعتهم. والله أعلم.

فصل

وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها، ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها، كما روى البخاري في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ في الجنة مئةُ درجةٍ أعدَّها اللَّهُ عزَّ وجلَّ للمجاهدين في سبيله بينَ كلِّ درجتينِ كما بينَ السماءِ والأرضِ، فإذا سألتم اللَّهَ فاسألوه

(١) أخرجه احمد ٢/٢٢، ٢٨، ١٠٦، ١٢٣، ١٤٢ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الفردوسَ، فإنه وسَطُ الجنة، وأعلى الجنةِ، وفوقَهُ عرشُ الرحمنِ، ومنه تُفجّر أنهار الجنةِ(١).

وروى الترمذي نحوه من حديث معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، ولفظ حديث عبادة: « الجنـةُ مِئةُ درجـةٍ ما بينَ كـلِّ درجتينِ مسيرةُ مئـةِ عام، والفردوسُ أعلاها درجة، ومنها الأنهارُ الأربعةُ، والعرشُ فوقها، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوسَ الأعلى »(٢).

وفي « المعجم » للطبراني من حديث الحسن، عن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « الفردوسُ رَبوةُ الجنَّةِ، وأعلاها وأوسطُها، ومنها تفجّرُ أنهارُ الجنةِ »(٣).

وفي « صحيح » البخاري من حديث شعبة، عن قتادة قال: أخبرني أنس ابن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « رفعتْ إليَّ سدرة المنتهى في السماء السابعة، نبقها مثلُ قلالِ هجرَ، وورقُها مثلُ آذانِ الفِيَلَةِ، ويخرج من أصلها نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلت: يا جبريل، ما هذا؟ قال: أما النهرانِ الباطنانِ ففي الجنة، وأما النهران الظاهران، فالنيل والفرات »(٤).

وفي «صحيحه» أيضاً من حديث همام، عن قتادة، عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «بينَا أنا أسيرُ في الجنةِ، إذا أنا بنهرٍ حافتاهُ قِبابُ اللؤلؤِ المجوَّفِ، فقلت: ما هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا الكوثرُ الذي أعطاكَ ربُّكَ، قال: فضرب الملكُ بيده، فإذا طينُه مسكٌ أذفرُ»(٥).

وفي « صحيح » مسلم من حديث المختار بن فلفل، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: « الكوثرُ نهرٌ في الجنة وعدنيه ربي عزَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠) في الجهاد: باب (٤) درجات المجاهدين في سبيل الله.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٣٠) من حديث معاذ و(٢٥٣١) من حديث عبادة في صفة الجنة: باب (٤) ما جاء في صفة درجات الجنة، وليس فيه لفظ « الأعلى ».

(٣) أخرجه الطبراني في « الكبير » ٢١٣/٧ (٦٨٨٦)، وفي« مسند الشاميين » (٢٦٤٨) له أيضاً.

(٤) أخرج البخاري نحوه (٥٦١٠) في الأشربة: باب (١٢) شرب اللبن، بألفاظ متقاربة.

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٨١) في الرقاق: باب (٥٣) في الحوض، والترمذي (٣٣٦٠) في التفسير: باب (٩٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وجلَّ »[1] . وقال محمد بن عبدالله الأنصاري : حدثنا حميد الطويل، عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « دخلت الجنة فإذا بنهر يجري حافتاه خِيامُ اللؤلؤ ، فضربتُ يدي إلى ما يجري فيه من الماء ، فإذا أنا بمسكٍ أذْفرَ. فقلتُ : لمن هذا يا جبريلُ ؟ قال : هذا الكوثرُ الذي أعطاكه اللهُ عزَّ وجلَّ »[2] .

وقال « الترمذي » : حدثنا هناد، حدثنا محمد بن فضيل، عن عطاء بن السائب، عن محارب بن دثار، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الكوثرُ نَهْرٌ في الجنةِ حافتاه من ذهبٍ، ومجراهُ على الدّرِ والياقوتِ، تربتُه أطيبُ من المسكِ ، وماؤه أحلى من العسلِ ، وأبيضُ من الثلجِ »[3] قال : هذا حديث حسن صحيح . وقال أبو نعيم الفضل : حدثنا أبو جعفر هو الرازي، حدثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ **إنَّا أعطيناكَ الكوثرَ** ﴾ [الكوثر : ١] قال : الخير الكثير[4] . وقال أنس بن مالك : نَهرٌ في الجنةِ[5] ، وقالت عائشة : رضي الله عنها : هو نهر في الجنة ليس أحدٌ يدخل إصبعَيهِ في أذنيه إلا سمع خريرَ ذلك النهر[6] ، وهذا معناه ـ والله أعلم ـ أن خرير ذلك النهر يشبه الخرير الذي يسمعه حين يدخل إصبعيه في أذنيه .

وفي « جامع » الترمذي من حديث الجُرَيري ، عن حكيم بن معاوية، عن

---

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم (٤٠٠) في الصلاة: باب (١٤) حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة.

(٢) أخرجه أحمد ١٠٣/٣ ، والطيالسي (١٩٩٢) ، والترمذي (٣٣٥٩) في التفسير : باب (٩٠) وقال: حديث حسن صحيح. وفيه: قباب بدل خيام، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٤٠٣/٦ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة، والبخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجة.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٦١) في التفسير : باب (٩٠) ومن سورة الكوثر .

(٤) ذكر في «تفسير» مجاهد ٧٩٠/٢ وفيه: عن سعيد، عن ابن عباس، والحاكم ٥٣٧/٢ وصححه ووافقه الذهبي، وابن كثير في «التفسير» ٥٥٨/٤، والسيوطي في «الدر» ٤٠٢/٦ ونسبه إلى ابن جرير، وابن مردويه.

(٥) ذكره السيوطي في « الدر » ٤٠٢/٦ .

(٦) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ٤٠٢/٦ ، وابن كثير ٥٥٧/٤ وقال : وهذا منقطع بين ابن نجيح وعائشة وفي بعض الروايات عن رجل عنها .

أبيه ، عن النبي ﷺ قال : « إن في الجنةِ بحرَ الماءِ ، وبحرَ العسلِ ، وبحرَ اللبنِ، وبحرَ الخمرِ، ثم تشقق الأنهارُ بعدُ »[1] قال : هذا حديث حسن صحيح .

وقال الحاكم : حدثنا الأصم، حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا ابن ثوبان ، عن عطاء بن قرَّة، عن عبدالله بن ضمرة، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من سرَّهُ أن يسقيهُ الله عزّ وجلّ من الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا، ومن سرَّهُ أن يكسوه الله الحريرَ في الآخرةِ فليتركه في الدنيا، أنهار الجنةِ تُفجَّرُ من تحتِ تلالٍ ، أو تحت جبالِ المسكِ، ولو كان أدنى أهلِ الجنةِ حليةً عدلتْ بحلية أهلِ الدنيا جميعاً، فكان ما يحليهِ الله به في الآخرة أفضلَ من حلية أهلِ الدنيا جميعاً »[2] .

وذكر الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن مسروق، عن عبدالله قال : إنَّ أنهارَ الجنةِ تُفجّرُ من جبلِ مسكٍ[3] وهذا موقوف صحيح .

وذكر ابن مردويه في « مسنده » : حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم، حدثنا عبدالله بن محمد بن النعمان، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا الحارث ابن عبيد، حدثنا أبو عمران الجوني ، عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس، عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « هذه الأنهارُ تشخبُ من جنّةِ عَدْنٍ في جَوْبة ، ثم تَصدَّعُ بعدُ أنهاراً »[4] .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا يعقوب بن عبيدة، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا الجُرَيري، عن معاوية بن قُرَّةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال :

---

(١) أخرجه الترمذي في « جامعه » (٢٥٧١) في صفة الجنة : باب (٢٧) في صفة أنهار الجنة، وابن حبان (٢٦٢٣) في « الموارد » ، والدارمي ٢/ ٣٣٧ ، وأحمد ٥/٥ ، وأبو نعيم في « الحلية » ٦/ ٢٠٥ .

(٢) أخرجه ابن حبان (٢٦٢٢) في « الموارد » مختصراً ، والبيهقي في « البعث » (٢٩٢) ، ونسبه في « كنز العمال » (١٣٢٢٠) إلى ابن عساكر أيضاً .

(٣) أورده ابن كثير في « تفسيره » بلفظه ٤/ ١٧٦ .

(٤) أورده ابن كثير في « التفسير » ٤/ ١٧٦ في سورة محمد .

« أظنُّكم تَظنونَ أن أنهارَ الجنةِ أخـدودٌ في الأرضِ ؟ لا واللهِ إنها لسـائحةٌ على وجهِ الأرضِ ، إحدى حافّتيها اللؤلؤ ، والأخرى الياقوت ، وطينه المسك الأذفر، قلت : ما الأذفر؟ قال : الذي لا خلْطَ له ، ورواه ابن مردويه [في « تفسير »] عن محمد بن أحمد، حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى ، حدثنا مهدي بن حكيم ، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنـا الجُرَيـري، عن معاويـة بن قُرَّة ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ ، فذكره هكذا، رواه مرفوعاً[1] .

وقال أبو خيثمة : حدثنا عفان، حدثنا حمـاد بن سلمة، عن ثـابت، عن أنس أنـه قرأ هـذه الآية ﴿إنَّـا أعْـطَيْنـاكَ الكَـوثَـرَ﴾ [الكـوثـر: ١] فقـال: قـال رسول الله ﷺ: «أُعطيتُ الكوثرَ فـإذا هو يَجـري، ولـم يُشقَّ شَقاً، وإذا حـافتاه قبـابُ اللؤلؤِ فضـربتُ بيـدي إلى تـربتـهِ، فـإذا مِسْـكٌ أذفـرٌ، وإذا حصبـاؤُه اللؤلُؤ»[2] .

وذكر سفيان الثوري، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة، عن مسروق : في قوله تعالى : ﴿ وماءٍ مَسكُوب ﴾ [الواقعة : ٣١] قال : أنهـار تجري في غير أخدود[3] قال : ﴿ ونخلٍ طلعُها هَضِيم ﴾[4] [الشعراء : ١٤٨] قال : من أصلها إلى فرعها ، أو كلمة نحوها .

وفي « صحيح » مسلم من حديث أبي هـريرة رضي الله عنـه قال : قـال رسول الله ﷺ : « سَيحانُ وجيحانُ والفراتُ والنيلُ : كلٌّ من أنهار الجنةِ »[5] .

وقال عثمان بن سعيد الدارمي : حدثنا سعيد بن سابق، حدثنا مسلمة بن علي ، عن مقاتل بن حيان ، عن عكرمة، عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « أنزلَ اللهُ من الجنةِ خمسةَ أنهارٍ : سيحونَ : وهو نهرُ الهندِ، وجيحونَ : وهو نهرُ بلْخٍ ، ودجلةَ والفراتَ : وهما نهرا العراقِ، والنيلَ : وهو نهرُ مصرَ، أنزلها الله من عينٍ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » ٦/ ٢٠٥ وأورده ابن كثير ٤/ ١٧٦ بلفظه وسنده .

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ١٥٢، وذكره ابن كثير في «التفسير» ٤/ ٥٥٧، والسيوطي في «الدر المنثور» ٦/ ٤٠١ ونسبه إلى ابن المنذر، وابن مردويه.

(٣) أورده ابن كثير في « التفسير » ٤/ ٢٩٠ بلفظه وسنده في تفسير سورة الواقعة .

(٤) هضيم : لطيف لين .

(٥) أخرجه مسلم (٢٨٣٩) في صفة الجنة : باب (١٠) ما في الدنيا من أنهار الجنة .

واحدةٍ من عيونِ الجنةِ، من أسفلِ درجةٍ من درجاتها على جناحي جبريلَ ﷺ ، فاستودعها الجبالَ ، وأجراها في الأرضِ ، وجعل فيها منافعَ للناس في أصنافِ معايشهم ، فذلك قوله : ﴿ **وأنزلنا من السماءِ ماءً بقدَرٍ فأسكناهُ في الأرضِ وإنَّا على ذهابٍ بهِ لقادرون]** ﴾ [المؤمنون : ١٨] . فإذا كان عند خروج يَأجُوجَ ومأجُوجَ أرسل جبريلَ فرفع من الأرض القرآن ، والعلم كلّه ، والحجرَ الأسود من ركن البيت ، ومقام إبراهيم، وتابوت موسى بما فيه ، وهذه الأنهار الخمسة فيرفع ذلك كله إلى السماء ، فذلك قوله تعالى : ﴿ **وإنَّا على ذهابٍ به لقادرُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١٨] فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض، فقد حرم أهلها خير الدنيا والآخرة »[١] . رواه أبو أحمد ابن عدي في ترجمة مسلمة[٢] ، هذا مع أحاديث غيره، وقال: عامة أحاديثه غير محفوظة، وبالجملة فهو من الضعفاء . قال البخاري[٣] : منكر الحديث. وقال النسائي[٤] : متروك. وقال أبو حاتم[٥] : لا تشتغل به .

وقال عبدالله بن وهب : حدثنا سعيد بن أبي أيوب، عن عقيل بن خالد، عن الزهري ، أن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إنَّ في الجنةِ نَهراً يُقالُ له : البَيْدَحُ ، عليه قِبابٌ من ياقوتٍ تحتَهُ جوارٍ، تقول أهل الجنة : انطلقُوا بنا إلى البَيْدَحِ ، فيتصفحون تلك الجواري ، فإذا أعجب رجلًا منهم جاريةٌ مسَّ مِعصَمها فتتبعُهُ .

فصل

وأما العيون فقد قال تعالى : ﴿ **إنَّ المتقينَ في جناتٍ وعُيونٍ** ﴾

---

(١) حديث ضعيف أخرجه الخطيب في «التاريخ» ١/٥٧ ـ ٥٨، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٥/٨ وزاد نسبته إلى ابن مردويه.

(٢) أورده في « الكامل » في ترجمة مسلمة بن علي الخشني ٦/ ٢٣١٦ .

(٣) البخاري في « التاريخ الكبير » ٧/٣٨٨ ـ ٣٨٩ .

(٤) في « الضعفاء والمتروكين»(٥٧٠) .

(٥) في « الجرح والتعديل » ٨/٢٦٨ .

[الذاريات : ١٥]وقال تعالى : ﴿إنَّ الأبرارَ يشربونَ من كأسٍ كان مزاجُها كافوراً ، عيناً يشربُ بها عبادُ الله يُفَجِّرونَها تفجيراً ﴾ [الإنسان : ٥ ـ ٦] ، قال بعض السلف : معهم قضبان الذهب، حيثما مالوا مالت معهم، وقد اختلف في قوله : ﴿ يشرب بها ﴾ .

فقال الكوفيون : [الباء] بمعنى مِن، أي يشرب منها .

وقال آخرون : بل الفعل مضمن[1] ، معنى يشرب بها : أي يَرْوى بها ، فلما ضمنه معناه عدّاه تعديته، وهذا أصح وألطف وأبلغ .

وقالت طائفة : الباء للظرفية فيه ، والعين اسم مكان ، كما تقول : كنَّا بمكان كذا وكذا، ونظير هذا التضمين قوله تعالى : ﴿ ومن يُرِدْ فيهِ بإلحادٍ بظُلْمٍ ﴾ [الحج : ٢٥] ضمن معنى به[2] فعدي تعديته وقال تعالى : ﴿ ويُسقونَ فيها كأساً كان مزاجُها زَنجَبيلاً . عَيْناً فيها تُسمَّى سَلْسَبِيلاً ﴾ [الدهر: ١٧ ـ ١٨] ، فأخبر سبحانه عن العين التي يشرب بها المقربون صرفاً ، أن شراب الأبرار يمزج منها ، لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلّها لله ، فأخلص شرابهم ، وهؤلاء مزجوا ، فمزج شرابهم ، ونظير هذا قوله تعالى : ﴿ إنَّ الأبرارَ لفي نعيمٍ ، على الأرائِكِ يَنظرونَ، تَعرفُ في وجوهِهم نَضْرةَ النعيم ، يُسقونَ من رَحِيقٍ مَختومٍ ، ختامُهُ مِسكٌ، وفي ذلكَ فليتنافسِ المتنافسونَ، ومزاجُه من تَسنيمٍ ، عَيناً يَشربُ بها المقربونَ ﴾ [المطففين : ٢٢ ـ ٢٨] ، فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين ؟ بالكافور في أول السورة، والزنجبيل في آخرها، فإن في الكافور من البَرْدِ وطيب الرائحة ، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة ، وما يحدث لهم باجتماع الشرابين . ويجيء أحدهما على إثر الآخر، حالة أخرى أكمل وأطيب وألذّ من كلٍّ منهما بانفراد ، وتعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر، وما ألطف موقع ذكر الكافور في أول السورة، والزنجبيل في آخرها، فإن شرابهم مزج أولاً بالكافور، وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدله .

---

(١) في الأصل : مضمر، والصواب ما أثبتنا .

(٢) في الأصل: بهم وهو خطأ.

والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى، وأنهما نوعان لذيذان من الشراب . أحدهما : مزج بكافور [والثاني : مزج بزنجبيل، وأيضاً فإنه سبحانه أخبر عن مزج شرابهم بالكافور] وبرده في مقابلة ما وصفهم به من حرارة الجوف، والإيثار، والصبر، والوفاء بجميع الواجبات التي نبه بوفائهم بأضعفها، وهو ما أوجبوه على أنفسهم بالنذر على الوفاء بأعلاها، وهو ما أوجبه الله عليهم . ولهذا قال : ﴿ **وجزاهُم بما صَبرُوا جَنَّةً وحريراً** ﴾ [الإنسان : ١٢] ، فإن في الصبر من الخشونة، وحبس النفس عن شهواتها ، ما اقتضى أن يكون في جزائهم من سعة الجنة، ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة، وجمع لهم بين النضرة والسرور، هذا جمال ظواهرهم، وهذا جمال بواطنهم، كما جملوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام، وبواطنهم بحقائق الإيمان ، ونظيره قوله تعالى في آخر السورة : ﴿ **عَالِيَهُمْ ثيابُ سُندسٍ خُضْرٌ وإسْتَبرقٌ وحلُّوا أسَاوِرَ من فضةٍ** ﴾ [الإنسان : ٢١] فهذه زينة الظاهر، ثم قال : ﴿ **وسقاهمْ رَبُّهمْ شراباً طَهوراً** ﴾ [الإنسان : ٢١] فهذه زينة الباطن المطهر لهم من كل أذى ونقص. ونظيره قوله تعالى لأبيهم آدم عليه السلام : ﴿ **إنَّ لكَ أن لا تَجوعَ فيها ولا تَعرَى ، وأنَّكَ لا تَظْمَأُ فيها ولا تَضْحَى** ﴾ [طه : ١١٨ ـ ١١٩] ، فضمن له أن لا يصيبه ذل الباطن بالجوع، ولا ذل الظاهر بالعري، وأن لا يناله حرّ الباطن بالظمأ، ولا حرّ الظاهر بالضحى، ونظير هذا ما عدده على عباده من نعمه أنه أنزل عليهم لباساً يواري سوآتهم ، ويزين ظواهرهم، ولباساً آخر يزين بواطنهم وقلوبهم ، وهو لباس التقوى،وأخبر أنه خير اللباسين ، وقريب من هذا إخباره أنه زين السماء الدنيا بزينة الكواكب، وحفظها من كل شيطان مارد، فزين ظاهرها بالنجوم، وباطنها بالحراسة، وقريب منه أمره من أراد الحج بالزاد الظاهر، ثم أخبر أن خير الزاد الزاد الباطن، وهو التقوى، وقريب منه قول امرأة العزيز عن يوسف : ﴿ **فَذَلِكُنَّ الذي لُمتنني فيهِ** ﴾ [يوسف : ٣٢] فأرتهن حسنه وجماله، ثم قالت : ﴿ **ولقَدْ راودتُهُ عن نفسهِ فاستعصَمَ** ﴾ [يوسف : ٣٢] . فأخبرتهن بجمال باطنه، وزينته بالعفة، وهذا كثير في القرآن لمتأمله .

الباب الثامن والأربعون

في ذكر طعام أهل الجنة، وشرابهم ومصرفه

قال الله تعالى: ﴿ إنَّ المتَّقِينَ في ظِلالٍ وعُيونٍ، وفَواكِهَ مِمَّا يَشتَهُونَ، كُلوا واشْربُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعملون ﴾ [المرسلات: ٤١ ـ ٤٣]، وقال تعالى: ﴿ فأمَّا مَنْ أوتيَ كتابَهُ بيمينِهِ فيقولُ هَاؤُمُ اقرأُوا كتابيَهْ، إني ظَنَنتُ أني مُلاقٍ حِسَابيهْ، فَهُوَ في عِيشةٍ رَاضيةٍ، في جنةٍ عاليةٍ، قطوفُها دانية، كُلُوا واشْرَبُوا هَنيئاً بِمَا أسْلَفتُم في الأيامِ الخاليةِ ﴾ [الحاقة: ١٩ ـ ٢٤]، وقال تعالى: ﴿ وتلكَ الجنةُ التي أُورِثْتُمُوها بما كنتم تعملون ﴾ [الزخرف: ٧٢]. وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ الجنَّةِ التي وُعِدَ المتقونَ تَجري مِنْ تحتِها الأنهارُ أُكُلُها دائِمٌ وَظِلُّها ﴾ [الرعد: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿ وأَمْدَدناهم بفَاكِهةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يشتهونَ، يتنازَعُونَ فِيها كَأْساً لا لَغْوٌ فيها ولا تأثيم ﴾ [الطور: ٢٢ ـ ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ يُسقَونَ مِنْ رَحِيقٍ مَختومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ، وفي ذلكَ فلتنافسِ المتنافسونَ ﴾ [المطففين: ٢٥ ـ ٢٦].

وفي « صحيح » مسلم من حديث أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسولِ الله ﷺ: « يأكلُ أهلُ الجنةِ، ويشربونَ، ولا يمتخطونَ ولا يتغوطونَ ولا يبولونَ، طعامهم ذلك جُشاءٌ كريحِ المسكِ، يُلهمونَ التسبيحَ والحمد كما تُلهمونَ النفسَ »[1] ورواه أيضاً: من رواية طلحة بن نافع، عن جابر وفيه قالوا: فما بالُ الطعامِ؟ قال: «جُشاءٌ ورشحٌ كرشحِ المسكِ، يُلهمونَ التسبيحَ والتحميدَ »[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٥) (١٩) و(٢٠) في صفة الجنة: باب (٧) في صفات الجنة وأهلها.

(٢) قطعة من حديث عند مسلم (٢٨٣٥) (١٨) في صفة الجنة: باب (٧).

وفي « المسند » و« سنن » النسائي بإسناد صحيح على شرط الصحيح من حديث الأعمش، عن ثمامة بن عقبة، عن زيد بن أرقم قال : « جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال : يا أبا القاسم، تزعمُ أن أهلَ الجنةِ يأكلون ويشربونَ ؟ قال : نعم ، والذي نفس محمد بيده، إن أحدهم ليُعطىٰ قوة مئة رجل في الأكلِ والشربِ والجماعِ والشهوةِ، قال : فإنَّ الذي يأكلُ ويشربُ تكون له الحاجةُ وليس في الجنة أذى، قال : تكون حاجةُ أحدهم رَشْحاً يفيضُ من جلودهم كرشحِ المسكِ فيضْمُرُ بطنُهُ »[1] .

ورواه الحاكم في « صحيحه » ولفظه : « أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ من اليهود فقال : يا أبا القاسم، ألستَ تزعمُ أن أهلَ الجنةِ يأكلونَ فيها ويشربونَ ؟ - ويقول لأصحابه : إن أقر لي بهذا خصمته - فقال رسول الله ﷺ : بلى والذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ ، إن أحدَهم ليُعطى قوةَ مئةِ رجلٍ في المطعم والمشرب والشهوة والجماع ، فقال له اليهودي : فإن الذي يأكلُ ويشربُ تكونُ له الحاجةُ، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ : حاجتُهم عَرقٌ يَفيضُ من جلودِهم مثلَ المسكِ ، فإذا البطنُ قد ضَمَر »[2] .

وقال الحسن بن عرفة : حدثنا خلف بن خليفة ، عن حميد الأعرج، عن عبدالله بن الحارث، عن عبدالله بن مسعود، قال : قال لي رسول الله ﷺ : « إنَّك لتنظرُ إلى الطيرِ في الجنةِ فتشتهيهِ، فيخرُ بينَ يديكَ مشوياً »[3] .

وقد تقدم حديث أنس في قصة عبدالله بن سلام : في أول طعام يأكله أهل الجنةِ، وشرابهم على أثره ، وحديث أبي سعيد الخدري : « تكونُ الأرضُ يومَ القيامةِ خبزةً واحدةً يتكفأُها الجبارُ بيدِهِ نُزلاً لأهلِ الجنةِ »[4] .

---

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » ٤/٣٦٧ و٣٧١ ، والنسائي في « الكبرى » في التفسير كما في « تحفة الاشراف » (٣٦٥٨)، والطبراني في « الكبير » (٥٠٠٥) و(٥٠٠٦) .

(٢) لم نجده في « مستدرك الحاكم . واخرجه البيهقي في « البعث » (٣٥٢) ، وابن أبي شيبة ١٣/١٠٨ - ١٠٩ ، وذكره السيوطي في «الدر» ١/٤١ .

(٣) أخرجه البزار (٣٥٣٢)، والبيهقي في «البعث» (٣٥٣)، وذكره في «مجمع الزوائد» ١٠/٤١٤، وفيه حميد بن عطاء وهو ضعيف.

(٤) تقديم تخريجهما ص ٢١٠ (٢) .

وقال الحاكم : أنبأنا الأصم، حدثنا إبراهيم بن منقذ، حدثنا إدريس بن يحيى، حدثني الفضل بن المختار، عن عبيد الله بن موهب، عن عصمة بن مالك الخطْمي، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنةِ طيراً أمثالَ البخاتي، فقال أبو بكر: إنها لناعمةٌ يا رسولَ اللهِ، قال: أنعمُ منها من يأكلها، وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر »(١) .

قال الحاكم : وأنبأنا الأصم، حدثنا يحيى بن أبي طالب، أنبأنا عبد الوهاب بن عطاء، أنبأنا سعيد، عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ **ولحمِ طيرٍ مما يشتَهونَ** ﴾ قال: ذُكر لنا أن أبا بكر قال: يا رسولَ اللهِ، إني لأرى طيرَ الجنةِ ناعمةً كما [أن] أهلها ناعمونَ، قال: «من يأكُلها أنعمُ منها، وإنها أمثالُ البخاتي، وإني لأحتسبُ على اللهِ أنْ تأكلَ منها يا أبا بكرٍ »(٢) ، وبهذا الإسناد عن قتادة، عن أبي أيوب رجل من أهل البصرة، عن عبدالله بن عمرو في قوله تعالى : ﴿ **يُطافُ عليهم بصِحافٍ من ذهبٍ** ﴾ [الزخرف : ٧١] ، قال : يطافُ عليهم بسبعينَ صَحْفة من ذهبٍ كلُّ صحفةٍ فيها لون ليس في الأخرى(٣)».

وقال الدراوردي : حدثني ابن أخي ابن شهاب، عن أبيه عبدالله بن مسلم أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول في الكوثر : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « هو نَهَرٌ أعطانيهِ ربي أشدُّ بياضاً من اللبنِ، وأحلى من العسلِ، فيه طُيورٌ أعناقُها كأعناقِ الجزُرِ»، فقال عمرُ بنُ الخطاب: إنها يا رسولَ الله لناعمةٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: «آكلها أنعمُ منها»(٤) تابعة إبراهيم بن سعد عن ابن أخي ابن شهاب، وقال: فقال أبو بكر بدل عمر.

---

(١) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (٣٥٤)،وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ١٥٦/٦ ولم ينسبه إلى غير البيهقي، والعراقي في تخريج « الإحياء » ٥٤٠/٤ وقال : غريب من حديث حذيفة .

(٢) أخرجه البيهقي في « البعث » (٣٥٥) .

(٣) أخرجه البيهقي في « البعث والنشور » (٣٥٦) .

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٤٢) في صفة الجنة : باب (١٠) ما جاء في صفة طير الجنة، وقال : حديث حسن غريب، والبيهقي في « البعث » (٢٩١) ، والعراقي في تخريج « الإحياء » ٥٤٠/٤ .

وقال عثمان بن سعيد الدارمي : حدثنا عبدالله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وكأسٍ من مَعينٍ ﴾ [الواقعة : ١٨] . يقول : الخمر [وقوله :] ﴿لا فيهَا غَوْلٌ﴾ [يقول] : ليس فيها صداع، وفي قوله [تعالى] : ﴿ ولا يُنزفون ﴾ [الواقعة : ١٩] يقول : لا تذهب عقولهم ، وقوله [تعالى] ﴿ وكأساً دِهاقاً] [النبأ : ٣٤] يقول ممتلئة ، وقوله : ﴿ رَحِيق مختوم ﴾ [المطففين : ٢٥] يقول : الخمر ختم بالمسك. وقال علقمة، عن ابن مسعود : ﴿ خِتامُهُ مِسْكٌ ﴾[١] [المطففين : ٢٦] . قال : خلطه، وليس بخاتم [ثمَّ] يختم .

قلت : يريد ـ والله أعلم ـ أن آخره مسك يخالطه فهو من الخاتمة، وليس من الخاتم .

وقال زيد بن معاوية : سألت علقمة عن قوله [تعالى] : ﴿ ختامُه مِسْكٌ ﴾ فقرأ ﴿ خاتمهُ مسكٌ ﴾ فقال لي علقمة : ليست خاتمه ، ولكن اقرأها ﴿ ختامُهُ مِسْكٌ ﴾ قال علقمة : ختامه : خَلْطه ، ألم تر أن المرأة من نسائكم تقول للطيب : إنَّ خَلْطه من مسك ، لكذا وكذا[٢] .

وذكر سعيد بن منصور : حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عبدالله بن مرة ، عن مسروق الرحيق : الخمر، والمختوم يجدون عاقبتها طعم المسك، وبهذا الإسناد عن مسروق، عن عبدالله في قوله [تعالى] : ﴿ ومِزَاجُه من تَسْنِيمٍ ﴾ قال : يمزج لأصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفاً[٣] .

---

(١) أخرجه ابن جرير في « التفسير » ١٠٦/٣٠ مختصراً، والبيهقي في «البعث » (٣٥٧)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٣٢٨/٦ وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وابن المنذر.

(٢) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (٣٦٠)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٣٢٨/٦، ونسبه إلى عبد بن حميد مختصراً، وإلى ابن الأنباري في «الوقت والابتداء» ولم أجده، وله شاهد من حديث ابن مسعود كما في «الدر» أيضاً ونسبه إلى الفرياني، والطبراني، والحاكم.

(٣) أخرجه البيهقي في « البعث » (٣٦٢)، وابن أبي شيبة ١٤٢/١٣ ، وابن جرير ١٠٨/٣٠ ، وابن المبارك في «الزهد» (١٥٢٢)، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٢٨/٦ ونسبه إلى سعيد بن منصور، وهناد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

وكذلك قال ابن عباس: يشرب بها المقربون صرفاً، ويمزج لمن دونهم[1].

وقال: ﴿ ختامُه مسكٌ ﴾ يقول: طينه مسك[2] وهذا التفسير يحتاج إلى تفسير. ولفظ الآية أوضح منه. وكأنه ـ والله أعلم ـ يريد ما يبقى في أسفل الإناء من الدُّردِيِّ.

وذكر الحاكم من حديث آدم: حدثنا شيبان، عن جابر، عن ابن سابط، عن أبي الدرداء في قوله: ﴿ خِتَامُه مِسكٌ ﴾ قال: هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم، لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها، لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها[3].

قال آدم: وحدثنا أبو شيبة، عن عطاء قال: ﴿ التَّسنيمُ ﴾: اسم العين التي يمزج بها الخمر[4].

وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم، أنبأنا حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ وكأساً دِهاقاً ﴾ [النبأ: ٣٤] قال: هي المتتابعة الممتلئة. قال: وربما سمعت العباس يقول: اسقنا وأدهق لنا[5]. وقد تقدم الكلام على قوله تعالى: ﴿ إنَّ الأبرارَ يشربون من كأسٍ كان مِزاجُها كافوراً، عيناً يشربُ بها عبادُ الله يفجِّرونها تفجيراً ﴾ [الإنسان: ٥ ـ ٦] وعلى قوله: ﴿ ويُسقونَ فيها كَأْساً كان مزاجُها زَنْجبيلاً. عَيْناً فيها تسمى سلسبيلاً ﴾

---

(١) أخرجه ابن جرير ٣٠/١٠٩، والبيهقي في «البعث» (٣٦٣)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٦/٣٢٨ بألفاظ متقاربة ونسبه إلى عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه البيهقي في «البعث» (٣٦٤).

(٣) أخرجه البيهقي في «البعث» (٣٦٥)، وابن جرير ٣٠/١٠٧، والسيوطي في «الدر المنثور» ٦/٣٢٨ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وفيه: ريحها بدل طيبها.

(٤) أخرجه البيهقي في «البعث» (٣٦٦)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٦/٣٢٨.

(٥) أخرجه البيهقي في «البعث» (٣٥٨)، والحاكم ٢/٥١٢، وقال: صحيح ووافقه الذهبي، وابن جرير ٣٠/٢٠، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٦/٣٠٩ وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، ومجاهد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

[الإنسان : ١٦ ـ ١٧] ، فقالت فرقة : سلسبيلاً جملة مركبة من فعل وفاعل، وسبيلاً منصوب على المفعول، أي سل سبيلاً إليها، وليس هذا بشيء ، وإنما السلسبيل كلمة مفردة، وهي اسم للعين نفسها باعتبار صفتها ، ولقد سعى قتادة ومجاهد في اشتقاق اللفظة، فقال قتادة : سَلِسة لهم يصرفونها حيث شاؤوا . وهذا من الاشتقاق الأكبر؛ وقال مجاهد : سلسة السبيل حديدة الجَرْية ، وقال أبو العالية والمقاتلان : تسيل عليهم في الطرق، وفي منازلهم، وهذا من سلاستها وحِدَّة جَرْيتها ، وقال آخرون : معناها طيبة الطعم والمذاق. وقال أبو إسحاق : سلسبيل : صفة لما كان في غاية السلاسة، فسميت العين بذلك .

وقال ابن الأنباري : الصواب في سلسبيل : أنه صفة للماء ، وليس باسم للعين ، واحتج على ذلك بحجتين :

إحداهما : أن سلسبيلاً مصروف، ولو كان اسماً للعين لم يصرف للتأنيث والعلمية .

الثانية : أن ابن عباس قال : معناه أنها تنسل في حلوقهم انسلالاً .

قلت : ولا حجة له في واحدة منهما، أما الصرف : فلاقتضاء رؤوس الآي له كنظائره ، وأما قول ابن عباس : فإنما يدل على أن العين سميت بذلك باعتبار صفة السلاسة والسهولة . فقد تضمنت هذه النصوص أن لهم فيها الخبز واللحم والفاكهة ، والحلوى ، وأنواع الأشربة من الماء واللبن والخمر، وليس في الدنيا مما في الآخرة [إلا] الأسماء ، وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر . فإن قيل : فأين يشوى اللحم وليس في الجنة نار ؟ فقد أجاب عن هذا بعضهم بأنه يشوى بـ ﴿ كُنْ ﴾ وأجاب آخرون : بأنه يشوى خارج الجنة، ثم يؤتى به إليهم . والصواب : أنه يشوى في الجنة بأسباب قدرها العزيز الحكيم لإنضاجه وإصلاحه ، كما قدر هناك أسباباً لإنضاج الثمر والطعام، على أنه لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح ولا تفسد شيئاً .

وقد صح عنه ﷺ أنه قال : « مَجامرُهم الألُوَّةُ »(١) و« المجامر » : جمع

---

(١) تقدم مطولاً ص ١٥٥ ت (١) .

مجمر، وهو البخور الذي يتبخر بإحراقه ، و« الألوة » : العود المطرَّى ، فأخبر أنهم يتجمرون به، أي يتبخرون بإحراقه، لتسطع لهم رائحته .

وقد أخبر سبحانه أن في الجنة ظلالاً، والظلال لا بد أن تفيء مما يقابلها فقال : ﴿ **همْ وأزواجهُم في ظِلال على الأرائك متَّكئونَ** ﴾ [يس : ٥٦] وقال : ﴿ **إن المتقينَ في ظلالٍ وعيونٍ** ﴾ [المرسلات : ٤١] . وقال : ﴿ **ونُدْخِلُهم ظلاًّ ظَليلاً** ﴾ [النساء : ٥٧] . فالأطعمة والحلوى والتجمر يستدعي أسباباً تتم بها . والله سبحانه خالق السبب والمسبب، وهو ربّ كل شيء ومليكه لا إله إلا هو، وكذلك جعل لهم سبحانه أسباباً تصرف الطعام من الجشاء والعرق، الذي يفيض من جلودهم، فهذا سبب إخراجه، وذاك سبب إنضاجه، وكذلك يجعل في أجوافهم من الحرارة ما يطبخ ذلك الطعام ويلطفه، ويهيئه لخروجه رشحاً وجشاءً، وكذلك ما هناك من الثمار والفواكه يخلق لها من الحرارة ما ينضجها ويجعل سبحانه أوراق الشجر ظلالاً، فربُّ الدنيا والآخرة واحد، وهو الخالق بالأسباب والحكم ما يجعله في الدنيا والآخرة، والأسباب مظهر أفعاله وحكمته، ولكنها تختلف، ولهذا يقع التعجب من العبد لورود أفعاله سبحانه على أسباب غير الأسباب المعهودة المألوفة ، وربما حمله ذلك على الإنكار والكفر، وذلك محض الجهل والظلم، وإلا فليست قدرته سبحانه [وتعالى] مقصرة عن أسباب أخر، ومسببات ينشئها منها كما لم تقصر قدرته في هذا العالم المشهود عن أسبابه ومسبباته ، وليس هذا بأهون عليه من ذلك .

ولعل النشأة الأولى التي أنشأها الرب [سبحانه وتعالى] فيها بالعيان والمشاهدة، أعجب من النشأة الثانية التي وعدنا بها إذا تأملها اللبيب. ولعل إخراج هذه الفواكه والثمار من بين هذه التربة الغليظة، والماء والخشب والنور المناسب لها ، أعجب عند العقل من إخراجها من بين تربة الجنة، ومائها وهوائها .

ولعل إخراج هذه الأشربة التي هي غذاء ودواء وشراب ولذة من بين فرث ودم ، ومن قيء ذباب أعجب من إجرائها أنهاراً في الجنة بأسباب أخر، ولعل

إخراج جوهري الذهب والفضة في عروق الحجارة من الجبال وغيرها ، أعجب من إنشائها هناك من أسباب أخر، ولعل إخـراج الحريـر من لعاب دود القـز، وبنائها على أنفسهـا القباب البيض والحمـر والصفر، أحكم بنـاءً، أعجب من إخراجه من أكمام تتفتق عنه شجر هناك ، قد أودع فيها، وأنشىء منهـا ، ولعل جريان بحار الماء بين السماء والأرض على ظهور السحاب أعجب من جريانها في الجنة في غير أخدود .

وبالجملة ، فتأمل آيات الله التي دعا عباده إلى التفكر فيها ، وجعلها آيات دالة على كمال قدرته، وعلمه ومشيئته وحكمته وملكه ، وعلى توحده بالربوبية والإلهية، ثم وازن بينها وبين ما أخبر به من أمر الآخرة والجنة والنار، تجد هذه أدل شيء على تلك، شـاهدة لها،وتجدهما من مشكاة واحـدة، ورب واحد، وخالق واحد، وملك واحد، فبعداً لقوم لا يؤمنون .

الباب التاسع والأربعون

في ذكر آنيتهم التي يأكلون فيها ويشربون، وأجناسها وصفاتها

قال الله تعالى: ﴿ يُطافُ عليهم بِصِحَافٍ من ذَهَبٍ وأكوابٍ ﴾ [الزخرف : ٧١] فالصحاف : جمع صَحْفة ، قال الكلبي بقصاع من ذهب. وقال الليث : الصحفة : قطعة مُسْلَنْطِحَة عريضة، الجمع : صحاف، قال الأعشى :

والمكاكِيكَ والصِّحافَ مِنَ الفضّـ ـةِ والضامزاتِ تحتَ الرجالِ[1]

وأما الأكواب فجمع كوب، قال الفراء : الكوب : المستدير الرأس الذي لا أذن له . وأنشد لعدي :

متكئاً تصفِقُ أبوابُه يسعَى عليه الغيد بالكوب[2]

وقال أبو عبيدة : الأكواب : الأباريق التي لا خراطيم لها . قال أبو إسحاق : واحدها كوب ، وهو إناء مستدير لا عروة له ، وقال ابن عباس : هي الأباريق التي ليست لها آذان ، وقال مقاتل : هي أوان مستديرة الرأس ليس لها عرى .

---

(١) انظر «ديوانه» ص ١٦٧ . المكاكيك واحدها مكوك: وهي مكيال نصف صاع. الضامزات: الإبل التي تمسك جرتها في فيها.

(٢) البيت لعدي بن زيد، انظر « اللسان » (كوب) وفيه وفي المطبوع : العبد، والمثبت من الأصل .

وقال البخاري في « صحيحه »[1] الأكواب : الأباريق التي لا خراطيم لها وقال تعالى : ﴿ **يَطوفُ عليهم وِلدانٌ مَخلَّدونَ ، بـأكوابٍ وأبـاريقَ وكأسٍ من مَعينٍ** ﴾ [الواقعة : ١٧ - ١٨] . الأباريق هي الأكواب التي لها خراطيم، فإن لم يكن لهـا خراطيم ولا عـرى فهي أكواب . وإبـريق إفعيل من البـريق، وهو الصفاء الذي يبرق لونه من صفائه، ثم سمي كلُّ ما كان على شكله إبريقاً، وإن لم يكن صافياً، وأباريق الجنة من الفضة في صفاء القوارير، يرى من ظاهرها ما في باطنها . والعرب تسمى السيف إبريقاً ، لبريق لونه، ومنه قول ابن أحمر :

تعـلقت إبــريقــاً وعـلَّقتُ عـجبــة   ليُهلِكَ حيــاً ذَا زُهــاءٍ وجَــامــل[2]

وفي « نـوادر » اللحياني : امـرأة إبريق إذا كـانت براقـة، وقال تعـالى : ﴿ **ويُـطافُ عليهم بآنيـةٍ من فِضَّةٍ وأكـوابٍ كانت قـواريرا ، قـواريرا من فضـةٍ قدرُوها تقديراً** ﴾ [الإنسان : ١٥ - ١٦] فالقوارير هي الزجاج ، فأخبر سبحانه وتعالى عن مادة تلك الآنية أنها من الفضة، وأنها بصفاء الزجاج وشفافته . وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها . وقطع سبحانه توهم كون تلك القوارير من زجاج فقال : ﴿ **قَواريرا من فِضَّةٍ** ﴾ .

قال مجاهد وقتادة ومقاتل والكلبي والشعبي : قوارير الجنـة من الفضة ، فاجتمع لها بياض الفضة، وصفاء القوارير . قال ابن قتيبة : كل ما في الجنة من الأنهار وسررها وفرشها وأكوابها مخالف لما في الدنيا من صنعة العباد، كما قال ابن عباس : ليس في الدنيـا شيء مما في الجنـة إلا الأسماء . والأكـواب في الدنيا، قد تكون من فضة وقد تكون من قوارير، فأعلمنا الله أن هناك أكواباً لها بياض الفضة، وصفاء القوارير، قال : وهذا على التشبيه ، أراد قوارير كأنها من فضة، وهذا كقوله تعالى : ﴿ **كأنهنَّ الياقُوتُ والمَرْجانُ** ﴾ [الرحمن : ٥٨] ، أي لهن ألوان المرجان في صفاء الياقوت . وهذا مردود عليه ، فإن الآية صريحة

---

(١) أورده البخاري ٦/٣١٧ في بدء الخلق : باب (٨) ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقـة ولفظه الكوب : ما لا أذن له ولا عروة . والأباريق : ذوات الآذان والعرى .

(٢) انظر « لسان العرب » (برق) وفيه لفظه : تعلق إبريقاً، وأظهر جَعبة، وفي المطبوع : جفنة .

أنها من فضة ، و« من » ها هنا لبيان الجنس كما تقول : خاتم من فضة، ولا يراد بذلك أنه يشبه الفضة، بل جنسه ومادته الفضة، ولعله أشكل عليه كونها من فضة وهي قوارير، وهو الزجاج، وليس في ذلك إشكال لما ذكرناه .

وقوله : ﴿ قَدَّرُوها تقديراً ﴾ التقدير : جعل الشيء بقدر مخصوص، فقدرت الصناع هذه الآنية على قدر ريّهم ، لا يزيد عليه ولا ينقص منه، وهذا أبلغ في لذة الشارب، فلو نقص عن رِيِّه لنقص التذاذه، ولو زاد [حتى] يُسْئِرَ منه حصل له ملالةٌ وسآمة من الباقي. هذا قول جماعة من المفسرين .

قال الفراء : قدروا الكأس على قدر [رِيِّ] أحدهم ، لا فضل فيه، ولا عجز عن ريِّه، وهو الذُّ الشراب .

وقال الزجاج : جعلوا الإناء على قدر ما يحتاجون إليه ويريدونه .

وقال أبو عبيد : يكون التقدير للذين يسقون يقدرونها . ثم يسقون ، يعني أن الضمير في قدروا للملائكة والخدم، قدروا الكأس على قدر الريِّ، فلا يزيد عليه فيثقل الكف، ولا ينقص فتطلب النفس الزيادة كما تقدم، وقالت طائفة : الضمير يعود على الشاربين ، أي قدروا في أنفسهم شيئاً ، فجاءهم الأمر على حسب ما قدوره وأرادوه، وقول الجمهور : أحسن وأبلغ، فهو مستلزم لهذا القول. والله أعلم .

وأما الكأس ، فقال أبو عبيدة : هو الإناء بما فيه . وقال أبو إسحاق : الكأس : الإناء إذا كان فيه خمر، ويقع الكأس لكل إناء مع شرابه . والمفسرون فسروا الكأس بالخمر، وهو قول عطاء والكلبي ومقاتل حتى قال الضحاك : كل كأس في القرآن ، فإنما عني به الخمر. وهذا نظر منهم إلى المعنى المقصود : فإن المقصود ما في الكأس لا الإناء معه . وأيضاً فإن من الأسماء ما يكون اسماً للحال والمحل مجتمعين ، ومنفردين : كالنهر، والكأس . فإن النهر اسم للماء ولمحله معاً ، ولكل منهما على انفراده، وكذلك الكأس، والقرية . ولهذا يجيء لفظ القرية مراداً به الساكن فقط، والمسكن فقط، والأمران معاً .

وقد أخرجا في « الصحيحين » من حديث أبي موسى الأشعري : أن

رسـول الله ﷺ قال : « جنتـانِ من ذهبٍ آنيتُهما ومـا فيهما ، وجنتـانِ من فضةٍ آنيتُهما وما فيها : وما بينَ القومِ وبين أن ينظروا إلى ربِّهم إلا رداءُ الكبرياءِ على وجههِ في جنة عدن »[١] وفيهما أيضاً من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أولَ زُمرةٍ يدخلونَ الجنةَ على صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ ، والذين يَلونَهمْ على أشدِّ كوكبٍ دُريٍّ في السماء إضاءة ، لا يُبولونَ ولا يتغوَّطونَ ولا يمتخطُونَ ولا يَتفلونَ ، أمشـاطُهم الـذهبُ ، ورشحهُمُ المسـكُ ، ومجامـرهم الألوَّةُ وأزواجهُم الحورُ العينُ ، أخلاقُهم على خلقِ رجلٍ واحدٍ . على صورةِ أبيهم آدم ، عليه السلام ستونَ ذراعاً في السماء »[٢] .

وفي « الصحيحين » من حديث حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال : « لا تشربُوا في آنية الذهبِ والفضةِ ، ولا تأكلوا في صحافهما ، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخـرة »[٣] . وقـال أبـو يعلى المـوصلي في « مسنـده » : حـدثنـا شيبان، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا ثابت قال: قال أنس: كـان رسول الله ﷺ يعجبُه الرؤيا [الحسنة] فربما رأى الرجلُ الرؤيا فيسألُ عنه إذا لم يكنْ يعرفُهُ . فإذا أثني عليه معروفٌ كان أعجب لرؤياه إليه . فأتته امرأة فقالت : يا رسول الله رأيتُ كأني أتيتُ فأخرجت من المدينـة فأدخلتُ الجنـةَ . فسمعت وجبة انفتحتْ لها الجنةُ فنظرتُ . فإذا فلانُ ابن فلانٍ ، وفلانُ ابن فلان فَسَمَّتْ اثني عشر رجلاً . كان رسول الله ﷺ قـد بعثهم سريـة قبل ذلـك فجيء بهم، عليهم ثيـاب طلس تشخبُ أوداجهم ، فقيل : اذهبـوا بهم إلى نهـر البيـدخ أو البيدح[٤] فغمسوا فيه فخرجوا ، ووجوههم كالقمر ليلة البدر . فأتوا بصحفة من ذهب فيها بسرٌ ، فأكلوا من بسره ما شاؤا . فمـا يُقلبونهـا من وجهِ إلا أكلوا من الفاكهةِ ما أرادوا، وأكلت معهم . فجاء البشير من تلك السرِّيـة فقال : أصيبَ

---

(١) تقدم ص ١٤٠ ت (٢) .
(٢) تقدم ص ١٥٥ ت (٢) .
(٣) أخرجه البخاري (٥٤٢٦) في الأطعمة : باب (٢٩) الأكل في إناء مفضض ، ومسلم (٢٠٦٧) (٥) في اللباس والزينة ، باب رقم (٢) تحريم استعمال إناء الذهب والفضة .
(٤) في الأصل : البندح .

فلانٌ وفلانٌ ، حتى عدَّ اثني عشرَ رُجلاً . فدعا رسول الله ﷺ المرأة . فقال : «قُصِّي رؤياك فقصتها، وجعلتْ تقولُ: جيء بفلان، وفلان كما قال» رواه الإمام أحمد في « مسنده » بنحوه، وإسناده على شرط مسلم[1] .

(١) أخرجه أحمد ٣/١٣٥ و٢٥٧ بنحوه، وأورده ابن كثير في «النهاية» ٢/٤٠٧ في ذكر نهر البيدح في الجنة ونسبه لأحمد، وذكره في «مجمع الزوائد» ٧/١٧٥ ـ ١٧٦ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، ولم أجده في «مسند» أبي يعلى المطبوع ولعله في «الكبير» له.

الباب الخمسون

في ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم وفرشهم وبسطهم ووسائدهم ونمارقهم وزرابيهم

قال الله تعالى : ﴿ إنَّ المتقينَ في مقامٍ أمينٍ * في جناتٍ وعُيونٍ * يَلبسونَ من سُندسٍ وإسْتَبرقٍ مُتقابلينَ ﴾ [الدخان : ٥١ - ٥٣] . وقال تعالى : ﴿ إنَّ الذينَ آمنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ إنَّا لا نضيعُ أجْرَ مَنْ أحسَنَ عَمَلاً * أولئكَ لهمْ جنَّاتُ عَدْنٍ تجري من تحتهمُ الأنهارُ يُحلونَ فيها من أساوِرَ من ذَهَبٍ ، ويلبسونَ ثياباً خُضْراً من سُندُسٍ وإستبرقٍ متكئينَ فيها على الأرائِكِ ﴾ [الكهف : ٣٠ - ٣١] .

قال جماعة من المفسرين : السندس : ما رَقَّ من الديباج، والإستبرق: ما غلظَ منه .

وقالت طائفة : ليس المراد به الغليظ، ولكن المراد به الصفيق .

وقالت الزجاج : هما نوعان من الحرير، وأحسن الألوان الأخضر، وألين الملابس الحرير، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس، والتذاد العين به، وبين نعومته والتذاذ الجسم به، وقال تعالى : ﴿ ولِبَاسُهُمْ فيها حَرِير ﴾ [الحج : ٢٣] .

وها هنا مسألة هذا موضع ذكرها، وهي أن الله سبحانه [وتعالى] أخبر أن لباس أهل الجنة حرير، وصحّ عن النبي ﷺ أنه قال : « منْ لبسَ الحريرَ في الدنيا لم يلبسهُ في الآخرةِ »(١) . متفق على صحته ، من حديث عمر بن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٣٢) في اللباس : باب (٢٥) ، ومسلم (٢٠٧٣) في اللباس : باب (٢) .

الخطاب، وأنس بن مالك . وقد اختلف في المراد بهذا الحديث، فقالت طائفة من السلف والخلف : إنه لا يلبس الحرير في الجنة، ويلبس غيره من الملابس، قالوا : وأما قوله تعالى : ﴿ ولِبَاسُهُمْ فيها حَرِيرٌ ﴾ فمن العام المخصوص. وقال الجمهور : هذا من الوعيد الذي له حكم أمثاله من نصوص الوعيد، التي تدل على أن هذا مقتضٍ لهذا الحكم . وقد يتخلف عنه لمانع .

وقد دل النصّ والإجماع على أن التوبة مانعة من لحوق الوعيد، ويمنع من لحوقه أيضاً الحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، ودعاء المسلمين، وشفاعة من أذِن الله له في الشفاعة فيه، وشفاعة أرحم الراحمين إلى نفسه ، فهذا الحديث نظير الحديث الآخر « من شربَ الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة»[1]. وقال تعالى: ﴿وجزاهم بما صَبُروا جنةً وحريراً﴾ [الإنسان: ١٢] وقال : ﴿ عَالِيَهُم ثيابُ سُندسٍ خضرٌ وإستبرقٌ ﴾ [الإنسان : ٢١] . وتأمل ما دلت عليه لفظة ﴿عالِيَهم﴾ من كون ذلك اللباس ظاهراً بارزاً يجمل ظواهرهم، ليس بمنزلة الشعار الباطن، بل الذي يلبس فوق الثياب للزينة والجمال .

وقد اختلف القراء السبعة في نصب ﴿عالِيَهم﴾ ورفعه على قراءتين. واختلف النحاة في وجه نصبه ، هل هو على الظرف، أو على الحال، على قولين ، واختلف المفسرون : هل ذلك للولدان الذين يطوفون عليهم، فيطوفون وعليهم ثياب السندس والإستبرق، أو للسادات الذين يطوف عليهم الولدان، فيطوفون على ساداتهم ، وعلى السادات هذه الثياب. وليس الحال ها هنا بالبين ، ولا تحته ذلك المعنى البديع الرائع ، فالصواب فيه أنه منصوب على الظرف، فإن عالياً لما كان بمعنى فوق أجراه مجراه ، قال أبو علي : وهذا الوجه أبين، وهو أن عالياً صفة ، فجعل ظرفاً كما كان قوله : ﴿ والرَّكْبُ أسفلَ مِنْكم ﴾ [الأنفال : ٤٢] كذلك ، وكما قالوا : هو ناحية من الدار. وأما من رفع ﴿عالِيهم﴾ ، فعلى الابتداء، وثياب سندس خبره، ولا يمنع من هذا إفراد، عالٍ ، وجمع الثياب . فإن فاعلاً قد يراد به الكثرة، كما قال :

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٧٥) في الأشربة ، باب :(١)، ومسلم (٧٦) في الأشربة : باب (٨) .

ألا إن جيـراني الـعَـشِيَّـةَ رَائـحٌ   دَعَتْهم دَواعٍ مِنْ هَـوىً ومُنـادحُ(1)

قال تعالى : ﴿ مُستكبرينَ به سَامِراً تَهجُرون ﴾(2) [المؤمنون : ٦٧] ، ومن رفع ﴿ خُضْراً ﴾ أجراه صفة للثياب، وهو الأقيس من وجوه :

أحدها : المطابقة بينهما في الجمع .

الثاني : موافقته لقولـه تعالى : ﴿ ويَلبسـونَ ثياباً خُضْراً ﴾ [الكهف : ٣١] .

الثـالث : تخلصه من وصف المفـرد بالجمـع. ومن جَـرَّ، أجـراه صفـة للسندس على إرادة الجنس، كما يقال : أهلك الناسَ الدينارُ الصفر، والدرهم البيض .

وتترجح القراءة الأولى بوجه رابع أيضاً ، وهو : أن العرب تجيء بالجمع الذي هو في لفظ الواحد، فيجرونه مجـرى الواحـد، كقولـه تعالى : ﴿ الـذي جعلَ لكُم مِنَ الشَّجرِ الأخْضَرِ ناراً ﴾ [يس : ٨٠] وكقوله : ﴿ كـأَنَّهمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنقَعِرٍ ﴾ [القمر : ٢٠] ، فإذا كـانوا قـد أفردوا صفـات هذا النـوع من الجمع، فإفراد صفة الواحد، وإن كان في معنى الجمع أولى .

وفي ﴿إستبرق﴾ قراءتان : الرفع عطفـاً على ثياب، والجـر عطفـاً على سندس، وتأمل كيف جمع لهم بين نوعي الزينة الظاهرة من اللباس والحلي، كما جمع لهم بين الظاهرة والباطنـة، كما تقـدم قريبـاً . فجمَّل البـواطن بالشـراب الطهور ، والسواعد بالأساور، والأبدان بثياب الحرير. وقـال تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ يُدخلُ الذينَ آمنوا وعَمِلُوا الصالحاتِ جَنَّـاتٍ تَجري من تحتهـا الأنهارُ يُحلونَ فيها من أساورَ من ذهبٍ ولؤلؤاً ولباسُهم فيها حريرٌ ﴾ [الحج : ٢٣] واختلفوا في جرِّ (لؤلؤ) ونصبه، فمن نصبه ففيه وجهان :

أحدهما : أنه عطف على موضع قوله : ﴿ من أساور ﴾ .

والثـاني : أنه منصـوب بفعل محـذوف دل عليـه الأول، أي : ويحلون

---

(١) النُّدحَةُ : ما اتسع من الأرض، والمندوحة : السعة والفسحة .

(٢) مستكبرين به : متكبرين بسبب قيامكم على البيت الحـرام . سامـراً تهجرون : متحـدثين فيما بينكم لهجر القرآن وتركه . والسمر : الحديث بين الجماعة ليلاً .

لؤلؤاً، ومن جره فهو عطف على الذهب، ثم يحتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون لهم أساور من ذهب وأساور من لؤلؤ، ويحتمل أن تكون الأساور مركبة من الأمرين معاً : الذهب المرصع باللؤلؤ . والله أعلم بما أراد .

قال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن رزق الله ، حدثنا زيد بن الحباب ، قال حدثني عتبة بن سعد قاضي الري، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن شَمْر بن عطية، عن كعب قال : « إن لله عزَّ وجلَّ ملكاً منذُ يومَ خُلقَ يصوغُ حليَّ أهلِ الجنةِ إلى أن تقومَ الساعةُ، لو أن حُلياً من حَلْي أهلِ الجنةِ أخرج لذهبَ بضوءِ شُعاعِ الشَّمسِ ، فلا تسألوا بعد هذا عن حُلِّي أهل الجنةِ »[1] . حدثنا الحسن ابن يحيى بن كثير العنبري، حدثنا أبي، عن أشعث، عن الحسن قال : « الحُلِّي في الجنةِ على الرِّجالِ أحسنُ منه على النساءِ »[2] .

حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير العنبري، حدثنا أبي، عن أشعث، عن الحسن قال: «الحُلِّي في الجنةِ على الرِّجالِ أحسنُ منه على النساءِ»[2] .

حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا يزيد بن أبي حبيب، عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال: «لو أنَّ رجُلاً من أهلِ الجنةِ أطَّلع فبدا سوارُه لطَمَس ضوءَ الشَّمسِ ، كما تطمسُ الشمسُ ضوءَ النجومِ »[3] .

وقال ابن وهب : حدثني ابن لهيعة، عن عقيل بن خالد، عن الحسن، عن أبي هريرة أن أبا أمامة حدث، أن رسول الله ﷺ حدثهم، وذكر حَلْي الجنة فقال : « مُسوَّرونَ بالذَّهبِ والفضةِ ، مُكلَّلونَ بالدُّر، عليهم أكاليلُ من دُرٍّ وياقوتٍ متواصلةٍ، وعليهمْ تاجُ كتاجِ الملوكِ، جُرْدٌ مُكحَّلُونَ »[4] .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٣؛ /١١٦ في الجنة، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٢٢١/٤ ونسبه إلى ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العظمة».

(٢) ذكره ابن كثير في « النهاية » ٤٤٢/٢ .

(٣) أورده السيوطي في « الدر المنثور » ٢٢١/٤ ونسبه إلى ابن مردويه. ودره ابن كثير في « النهاية » ٤٤٢/٢ ، ونسبه إلى ابن أبي الدنيا .

(٤) أخرجه ابن كثير في « النهاية » ٤٤٢/٢ .

وقـد أخرجـا في « الصحيحين » والسيـاق لمسلم عن أبي حـازم قـال : « كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضـأ للصلاة، فكـان يمدُّ يـده حتى تبلغَ إبْطَه، فقلت له : يا أبا هريرة ما هذا الوضـوء ؟ فقال يـا بني فروخ أنتم هـا هنا ؟ لـو علمت أنكم ها هنا ما توضأت هذا الوضوء ، سمعت خليلي ﷺ يقول : « تبلغُ الحليةُ من المؤمن حيثُ يبلغُ الوضوءُ »[1] وقد احتـج بهذا من يـرى استحباب غسل العضد وإطالته، والصحيح أنه لا يستحب، وهو قول أهل المدينة، وعن أحمد روايتان : والحديث لا يدل على الإطالة ، فإن الحلية إنما تكون زينة في الساعد والمعصم لا في العضد والكتف . وأما قوله : « فمن استطاعَ منكم أن يطيلَ غرتَهُ فليفعلْ »[2] فهذه الزيادة مدرجة في الحديث من كلام أبي هريرة ، لا من كلام النبي ﷺ، بين ذلك غير واحد من الحفاظ. وفي «مسند» الإمام أحمد في هذا الحديث قال نعيم : فلا أدري قوله : « من استـطاع منكم أن يطيـل غُرَّتَـه فلـيفعـل» . من تمام كلام النبي ﷺ أو شيء قاله أبو هريرة من عنـده، وكان شيخنـا يقول: هذه اللفظة لا يمكن أن تكون من كلام رسول الله ﷺ، فإن الغُرَّة لا تكون في اليد، لا تكون إلا في الوجه ، وإطالتها غير ممكنة، إذ تدخل في الرأس فلا يسمى ذلك غرَّة .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قـال: « من يـدخلِ الجنةَ ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه »[3] ، « في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر »[4] . وقوله « لا تبلى ثيابه » : الـظاهر أن المـراد به الثيـاب المعينة لا يلحقهـا البلى، ويحتمل : أن يـراد به الجنس، بل لا تزال عليه الثياب الجدد، كما أنها لا ينقطع أكلها في جنسه، بل كل مأكول يخلفه مأكول آخر . والله أعلم .

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦) نحوه في الطهارة : باب (٣) ، ومسلم (٢٥٠) في الطهارة : باب (١٣) تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء .

(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » ٢/٥٢٣ .

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٣٦) في صفة الجنة : باب (٨) في دوام نعيم أهل الجنة .

(٤) أخرجه أحمد ٢/٤١٦ مطولاً و٥٠٦، وأبو نعيم في « صفة الجنة » (١١٧) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا محمد ابن أبي الوضاح، حدثنا العلاء بن عبدالله بن رافع، حدثنا حبان بن خارجة ، عن عبدالله بن عمرو قال : جاء أعرابي جريء فقال : يا رسول الله أخبرنا عن الهجرة : إليك أينما كنت، أو لقوم خاصة، أم إلى أرض معلومة ، أم إذا مت انقطعت ؟ فسأل ثلاث مرات ، ثم جلس، فسكت رسول الله ﷺ [عنه] يسيراً ثم قال: «أين السائلُ»؟ فقال: ها هوَ ذا يا رسولَ الله، قال: «الهجرةُ: أن تهجرَ الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطنَ ، وتقيمَ الصلاةَ ، وتؤتيَ الزكاةَ ، ثم أنتَ مهاجرٌ وإن مُتَّ بالحضَرِ»، فقام آخرُ ، فقال : يا رسولَ اللهِ أخبرني عن ثيابِ أهلِ الجنةِ أتُخلق خلْقاً أم تنسجُ نسْجاً ؟ ؟ قال : فضحكَ بعضُ القوم، فقال رسولُ الله ﷺ : «تضحكُون من جاهلٍ يسألُ عالماً»! فسكت النبي ﷺ ساعة، ثم قال: «أينَ السائلُ عن ثيابِ [أهل] الجنة»؟ فقال: ها هوَ ذا يا رسولَ الله، قال : «لا، بل تُشقَّقُ عنها ثمرُ الجنةِ »[1] ثلاث مرات .

وقال الطبراني في « معجمه » :حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني والحسن ابن علي الفسوي قالا : حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا فضيل بن مرزوق، عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون، عن عبدالله، عن النبي ﷺ قال : « أولُ زمرةٍ يَدخلونَ الجنة، كأن وجوهَهُمْ ضوءُ القمر ليلةَ البدرِ، والزمرةُ الثانيةُ على لوْن أحسنِ كَوكبٍ دُريٍّ في السماء، لكلِّ واحَدٍ منهم زوجتانِ من الحُورِ العِين، على كلِّ زوجةٍ سبعونَ حُلَّة يُرى مُخُّ سُوقهما من وراءِ لحومهما وحلَلِهما، كما يُرى الشرابُ الأحمرُ في الزجاجةِ البيضاءِ »[2] وهذا الإسناد على شرط الصحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس بن محمد، حدثنا الخزرج بن عثمان السعدي، حدثنا أبو أيوب مولى لعثمان بن عفان، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « قيدُ سَوْط أحدِكُم من الجنةِ خيرٌ من الدنيا ومثلها معها ،

---

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » ٢٠٣/٢ و٢٢٤ ـ ٢٢٥ ، وابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٦٠) .

(٢) أخرجه الطبراني في « الكبير » ١٩٨/١٠ (١٠٣٢١) ، وقال الهيثمي ٤٤١/١٠ : وإسناد ابن مسعود صحيح، ونسبه في «مجمع البحرين» ص ٤٨٠ «للأوسط» أيضاً.

ولقابُ قوسِ أحدِكُم من الجنةِ خيرٌ من الدنيا ومثلها معهـا، ولنصيفُ امرأةٍ من الجنة خيرٌ من الدنيا ومثلها معها». قال : قلت يا أبا هريرة وما النصيفُ ؟ قال : الخِمـارُ.(١).

وقال ابن وهب : أخبرنـا عمرو، أن دراجـاً أبا السمـح حدثـه، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد [الخُدْريِّ] قـال : قال رسـول الله ﷺ : « إنَّ الرجـلَ ليتكىءُ في الجنـةِ سبعين سنة قبـل أن يتحوَّل، ثم تـأتيـه امـرأةٌ فتضـربُ على منكبـه، فينظر وجهَهُ في خدِّها أصفى من المرآة ، وإنَّ أدنى لؤلؤة عليها لتُضيءُ ما بين المشرقِ والمغرب . فتسلمُ عليه فيردُّ السلامَ، ويسألُها من أنت؟ فتقول أنا المزيدُ، وإنه ليكونُ عليها سبعونَ ثوباً أدناها مثلُ النعمان من طوبى، فينفذُها بصرُه، حتى يرى مُخَّ ساقها من وراءِ ذلكَ، وإنَّ عليها التيجانُ ، وإنّ أدنى لؤلؤة عليهـا لتضيءُ ما بينَ المشـرقِ والمغربِ »(٢) . روى التـرمذي ذكـر التيجان : « وإن أدنى لؤلؤة »(٣) عن سويد بن نصر، عن رشدين بن سعد، عن عمرو بـه.

وقـال ابن أبي الدنيـا : حدثنـا محمد بن إدريس الحنـظلي ، حدثنـا أبو عتبـة ، حدثنـا إسماعيـل بن عياش، عن سعيـد بن يوسف، عن يحيى بن أبي كثير ، عنْ أبي سلام الأسود قال : سمعتُ أبا أمامة [يحدثُ] عن رسولِ اللهِ ﷺ قال : « ما منكُم منْ أحدٍ يَدخلُ الجنةَ إلا انطلقَ به إلى طُوبى ، فتُفتحُ لـه أكمامُها فيأخذُ من أيِّ ذلك شاء: [إن شاء] أبيضَ، وإن شاء أحمـر، وإن شاء أخضـرَ، وإن شـاء أصفـرَ، وإن شـاءَ أسـودَ، مثـلَ شقـائقِ النعمـانِ، وأرقُّ وأحسنُ»(٤).

قال ابن أبي الدنيا : وحدثنا سويد، عن سعيد، حدثنا عبد ربه بن بارق الحنفي(٥) ، عن خالد الزميل أنه سمع أباه قال : « قلت لابن عباس : ما حللُ

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٤٨٣ ، وأبو نعيم في صفة الجنة (٥٩) مختصراً، وإسناده حسن.

(٢) أخرجه أحمد ٣/٧٥ ، وابن حبان (٢٦٣١) في « الموارد » .

(٣) قطعة من حديث طويل عند الترمذي (٢٥٦٢) في صفة الجنة : باب (٢٣) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين .

(٤) ذكره ابن كثير في « النهاية » ٢/٤٤٧ .

(٥) في الأصل : الخثعمي والتصويب من « التقريب » و« ميزان الاعتدال » .

الجنةِ ؟ قال فيها شجر فيه ثمرٌ كأنه الرُّمان ، فإذا أراد وليُّ اللهِ كُسوةً انحدرتْ إليه من غُصْنِها ، فانفلَقتْ عن سبعينَ حلةً ألواناً بعدَ ألوانٍ ، ثم تَنْطبقُ وترجعُ كما كانتْ »[1] .

قال : وحدثنا عبدالله ، حدثنا أبو خيثمة، حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثني دراج أبو السمح، أن أبا الهيثم حدثه، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ أن رجلاً قال له : يا رسول الله طُوبى لمن رآك وآمن بك، قال : « طُوبى لمنْ رآني وآمن بي ، وطوبىٰ ، ثم طُوبى، ثم طُوبى، لمن آمن بي ولم يرني». فقال له رجلٌ: وما طُوبى؟ قال: «شجرةٌ في الجنةِ مسيرةَ مئة سنة ثيابُ أهلِ الجنةِ تخرجُ من أكمامِهَا»[2].

قال : وحدثني يعقوب بن عبيد، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا حماد بن سلمة، عن أبي المُهَزِّم قال : قال أبو هريرة : دارُ المؤمنِ في الجنةِ لؤلؤةٌ فيها شجرةٌ[3] تنبتُ الحلل، فيأخذُ الرجلُ بأصبَعيهِ ـ وأشارَ بالسَّبابةِ والإبهامِ ـ سبعينَ حُلَّةً مُتمنطِقَةً باللؤلؤِ والمرْجانِ[4] .

قال : وحدثنا حمزة بن العباس، حدثنا عبدالله بن عثمان، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا صفوان بن عمرو، عن شريح بن عبيد، قال : قال كعبٌ : لو أنَّ ثوباً من ثيابِ أهلِ الجنةِ لبسَ اليومَ في الدُّنيا لصعِقَ منْ ينظرُ إليه، وما حملتْه أبصارُهمْ[5] .

وقال عبدالله بن المبارك : أنبأنا سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، عن بشير بن كعب أو غيره قال : ذكر لنا أنَّ الزوجةَ من أزواجِ الجنةِ لها سبعونَ

---

(١) ذكره ابن كثير في « النهاية » ٢/٤٤٧ ، وعزاه لابن أبي الدنيا.

(٢) أخرجه أحمد ٧١/٣، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦٧/١٠، وزاد نسبته إلى أبي يعلى.

(٣) في الأصل : لؤلؤ فيها شجر .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ١٢٩/١٣، وابن المبارك في «زوائد الزهد» (٢٦٢) وذكره في «الدر المنثور» ١٥٢/٦.

(٥) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٤١٧) ولفظه : لو أن ثوباً من ثياب الجنة نشر اليوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه، وما حملته أبصارهم .

حُلَّة هي أرقُّ من شقيقكم ، يُرى مخُّ ساقِها من وراءِ اللحْمِ [(١)] .

وفي « الصحيحين » عن أنس بن مالك قال : أهدَى أُكَيْدَرُ دومَةَ إلى النبي ﷺ جُبةً من سُندسٍ ، فتعجبَ الناسُ من حُسنِها ، فقال : « لمناديـلُ سعدٍ في الجنةِ أحسنُ من هذا »[(٢)] .

وفي « الصحيحين » أيضاً من حديث البراء قال : أُهدِي لرسولِ اللهِ ﷺ ثوبُ حَريرٍ ، فَجعلُوا يَعجبُونَ من لِينهِ ، فقال رسـولُ اللهِ ﷺ : « تعجبونَ من هذا ؟ لمناديلُ سعدِ [بن معاذ] في الجنة أحسنُ من هذا »[(٣)] .

ولا يخفى ما في ذكر [سعد] بن معاذ بخصوصه ها هنا، فـإنه كـان في الأنصار، بمنزلة الصديق في المهاجرين، واهتز لموته العرش، وكان لا تأخـذه في الله لومة لائم ، وختم الله له بالشهادة، وآثر رضـا الله ورسولـه ، على رضا قـومه وعشيـرته وحلفـائه، ووافق حكمـه الذي حكم بـه حُكمَ الله فـوق سبـع سماواته، ونعاه جبريـل إلى النبي ﷺ يوم مـوته، فحقّ لـه أن تكون منـاديله، التي يمسح بها يديه في الجنة أحسن من حلل الملوك.

فصـل

ومن ملابسهم التيجان على رؤوسهم

ذكر البيهقي من حديث يعقـوب بن حميد بن كـاسب، حدثنـا هشام بن سليمان ، عن عكرمة، عن إسماعيل بن رافع، عن سعيد المقبري، وزيـد بن

---

(١) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٥٤) وفيه شفكم بدل شقيقكم .

(٢) أخرجـه البخـاري (٢٦١٥) و(٢٦١٦) في الهبـة : بـاب (٢٨) قبـول الهـدية من المشركين، والطيالسي (١٩٩٠) ، ومسلم (٢٤٦٩) في فضائل الصحابة : باب (٢٤) من فضائـل سعد بن معـاذ رضي الله عنـه ، والترمـذي (١٧٢٣) في اللبـاس : بـاب (٣) ، والبيهقي في « البعث والنشور » (٣٢٦) .

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٤٠) في الأيمان : باب (٣) ، ومسلم (٢٤٦٨) في فضائل الصحابة : باب (٢٤) ، والبيهقي في « البعث والنشور » (٣٢٥) .

أسلم، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «من قرأ القرآن فقام به آناءَ الليلِ والنهارِ، ويُحلَّ حلالَه ويُحرِّم حرامَهُ، خلطهُ اللهُ بلحمهِ ودمهِ، وجعله رفيقَ السفرةِ الكرامِ البررةِ، وإذا كان يوم القيامة كان القرآن له حجيجاً، فقال: يا ربِّ كلُّ عاملٍ يعملُ في الدنيا يأخذُ بعمله من الدنيا، إلا فلاناً كان يقومُ فيَّ آناءَ الليلِ والنهارِ، فيحلُّ حلالي، ويحرِّمُ حرامي يقول: يا ربِّ، فأعطهِ، فيتوِّجُهُ اللهُ تَاجَ الملكِ ويكسوهُ من حُلَلِ الكرامةِ، ثم يقول: هل رضيتَ؟ فيقولُ: يا ربِّ أرغبُ في أفضلَ من هذا، فيعطيهِ اللهُ الملْكَ بيمينهِ، والخلْدَ بشمالِه، ثم يقولُ له: هل رضيتَ؟ فيقولُ: نعم يا ربِّ»[1].

وذكر الإمام أحمد في «المسند» من حديث ابن بريدة، عن أبيه يرفعه: «تعلموا سورةَ البقرةِ فإن أخذَها بركةٌ، وتركها حسرةٌ، ولا تستطيعها البَطَلَةُ»، ثم سكتَ ساعةً، ثم قال: «تعلموا سورةَ البقرةِ، وآلِ عمرانَ، فإنهما الزهراوانِ، وإنهما يظلانِ صاحبهما يومَ القيامةِ، كأنهما غمامتانِ أو غيايتانِ، أو فرقانِ من طيرٍ صوافَّ، والقرآنُ يلقى صاحبَه يومَ القيامةِ حينَ ينشقُّ عنه قبره كالرَّجلِ الشاحبِ، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقولُ [له]: ما أعرفكَ، فيقولُ له القرآنُ: أنا الذي أظمأتُكَ في الهواجر، وأسهرتُ ليلكَ، وإنَّ كلَّ تاجرٍ من وراءِ تجارتِه، وإنَّكَ اليومَ من وراءِ كلِّ تجارَةٍ، فيعطى الملْكَ بيمينهِ، والخلدَ بشماله، ويوضعُ على رأسه تاجُ الوقارِ، ويكسى والداهُ حُلتينِ لا تقومُ لهما الدنيا، فيقولانِ: بمَ كُسينا هذا؟ فيقال: بأخذِ ولدكما القرآنَ، ثم يقالُ له: اقرأ واصعَدْ في درجِ الجنةِ وغرفِها، فهو في صعودٍ ما دام يقرأ هذاً كان، أو ترتيلاً»[2] البطلة: السحرة. والغياية: ما أظل الإنسان فوقه.

وقال عبدالله بن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخُدْري أن النبيَّ ﷺ تلا قوله عز وجل ﴿ جناتِ

---

(١) أورده في «كنز العمال» (٢٤٢٠) ونسبه إلى البيهقي في «الشعب» ولم نجده في القسم المطبوع منه

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» ٥/٣٤٨ بلفظه، ومختصراً ٥/٣٦١. الهذُّ: السرعة في القراءة.

عدنٍ يدخلونَها يحلَّونَ فيها مِنْ أساورَ من ذَهَبٍ ﴾ [فاطر : ٣٣] فقال : « إنَّ عليهمُ التيجانَ ، وإنَّ أدنى لؤلؤةٍ منها لتضيءُ ما بينَ المشرقِ والمغربِ »[1] .

فصل

وأما الفرش فقد قال تعالى : ﴿ مُتَكِئِينَ على فُرُشٍ بطائنُها من إستبرقٍ﴾ [الرحمن : ٥٤] وقال تعالى : ﴿ وفُرُشٍ مرفُوعةٍ ﴾ [الواقعة : ٣٤] فوصف الفرش بكونها مبطنة بالإستبرق، وهذا يدل على أمرين :

أحدهما : أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها، لأن بطائنها للأرض، وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة. قال سفيان الثوري، عن أبي إسحاق، عن هبيرة بن يريم[2]، عن عبدالله في قوله : ﴿ بطائِنُها مِنْ إستبرقٍ ﴾ قال : هذه البطائن قد خبرتم بها، فكيف بالظهائر ؟[3] .

الثاني : يدل على أنها فرش عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة، وقد روي في سمكها وارتفاعها آثار، إن كانت محفوظة، فالمراد ارتفاع محلّها، كما رواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخُدْري عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ وفُرُشٍ مَرفُوعة ﴾ قال : « ارتفاعُها كما بينَ السماءِ والأرضِ ، ومسيرةُ ما بينهما خمس مئة عام » قال الترمذي : حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد[4]. قيل : ومعناه أن الارتفاع المذكور للدرجات، والفرش عليها، قلت: رشدين بن سعد عنده مناكير: قال الدارقطني: ليس بالقوي،

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٦٢) في صفة الجنة : باب (٢٣) مختصراً ، والحاكم ٢/٤٢٦ - ٤٢٧ وصححه ووافقه الذهبي ، والبيهقي في « البعث » (٣٣٠)، والسيوطي في « الدر المنثور » ٥/٢٥٣ .

(٢) في الأصل : عن أبي هبيرة بن يريم وهو خطأ ، والتصويب من كتب الحديث والرجال .

(٣) أخرجه ابن جرير في « التفسير » ٢٧/١٤٩ ، والحاكم ٢/٤٧٥ وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في « البعث » (٣٣٩)، والسيوطي في « الدر المنثور » ٦/١٤٧ وزاد نسبته إلى الفريابي ، وعبد بن حميد، وعبدالله بن أحمد في « زوائد الزهد » ، وابن أبي حاتم، وابن مردويه .

(٤) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) في صفة الجنة باب (٨)، وأحمد ٣/٧٥،وذكره في «الدر المنثور» ٦/١٥٧ وزاد نسبته إلى النسائي، وابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » ، وابن جرير، وابن أبي =

وقال أحمد : لا يبالي عمن روى ، وليس به بأس في الرقاق. وقال : أرجو أنه صالح الحديث، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال أبو زرعة: ضعيف، وقال الجوزجاني : عنده مناكير، ولا ريب أنه كان سيء الحفظ، فلا يعتمد على ما ينفرد به .

وقد قال عبدالله بن وهب : حدثنا عمرو بن الحارث، عن دراج أبي السمح ، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخُدْريّ قال : قال رسول الله ﷺ : في قوله تعالى : ﴿ وفُرُش مرفوعةٍ ﴾ «ما : ما بينَ الفراشينِ كما بينَ السماءِ والأرضِ »[1] وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ . فالله أعلم .

وقال الطبراني : حدثنا المقدام بن داود، حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن مطرف بن عبدالله بن الشِّخير، عن كعب في قوله عز وجل ﴿ وفُرشٍ مَرفُوعةٍ ﴾ قال : مسيرةُ أربعين سنة[2] .

قال الطبراني : وحدثنا إبراهيم بن نائلة ، حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي ، حدثنا إسرائيل، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة قال : سئل رسول الله ﷺ عن الفرش المرفوعة قال : « لو طُرِحَ فراشٌ من أعلاها لهوىٰ إلى قَرارِها مئة عام »[3] وفي رفع هذا الحديث نظر، فقد قال ابن أبي الدنيا : حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا معاذ بن هشام قال : وجدت في كتاب أبي ، عن القاسم ، عن أبي أمامة في قوله عز وجل : ﴿ وفُرُشٍ مرفوعةٍ﴾ قال : لو أنَّ أعلاها سقطَ ما بلغَ أسفلَها أربعينَ خريفاً »[4] .

= حاتم ، والروياني ، وابن مردويه، وأبو الشيخ في « العظمة ».
وابن حبان (٢٦٢٨) في « الموارد » .

(١) أخرجه البيهقي في « البعث » (٣٤٢) .

(٢) ذكره في « النهاية » ٢/ ٤٤٩ .

(٣) (٧٩٤٧) في «الكبير»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ١٢٠/٧ فيه جعفر بن زبير الحنفي وهو ضعيف، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ١٥٧/٦ ونسبه إلى ابن مردويه.

(٤) أورده السيوطي في « الدر المنثور » ١٥٧/٦ ونسبه إلى ابن أبي شيبة ، وهناد، وابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » .

فصل

وأما البسط والزرابي فقد قال تعالى : ﴿ مُتَّكِئين على رفرفٍ خُضْرٍ وعَبْقَريٍّ حِسانٍ ﴾ [الرحمن : ٧٦]، وقال تعالى : ﴿ فيها سُررٌ مرفوعةٌ ، وأكوابٌ موضوعةٌ ، ونمارقُ مصفوفةٌ، وزرابيُّ مبثوثةٌ ﴾ [الغاشية : ١٣ - ١٦] ، وذكر هشيم ، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير قال : ﴿ الرفرف ﴾ : رياض الجنة، و﴿ العبقري ﴾ : عتاق الزرابي ، وذكر إسماعيل ابن علية، عن أبي رجاء ، عن الحسن في قوله تعالى ﴿ مُتَّكِئينَ على رَفْرفٍ خُضرٍ وعبقريٍّ حِسانٍ ﴾ قال : هي البسط، قال : وأهل المدينة يقولون : هي البسط، وأمَّا النمارق، فقال الواحدي : هي الوسائد، في قول الجميع واحدها : نُمرقة ، بضم النون، وحكى الفراء : نِمرِقة بكسرها، وأنشد أبو عبيدة :

إذا ما بِساطُ اللَّهْوِ مُدَّ وَقُرِّبَتْ لِلَذَّاتِهِ أنماطُهُ ونمارِقُه[1]

قال الكلبي : وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض. وقال مقاتل : هي الوسائد مصفوفة على الطنافس، وزرابي يعني : البسط، والطنافس، واحدها زَرْبِيَّة : في قول جميع أهل اللغة والتفسير، ومبثوثة : مبسوطة منشورة .

فصل

وأما الرفرف : فقال الليث : ضرب من الثياب خضر تبسط. الواحد : رفرفة . وقال أبو عبيدة : الرفارف : البسط، وأنشد لابن مُقبل :

وإنَّا لنزَّالونَ تَغْشَى نِعَالُنَا سواقِطُ مِنْ أصْنَافِ رَيْطٍ ورفرفُ[2]

وقال أبو إسحاق : قالوا : الرفرف ها هنا : رياض الجنة، وقالوا :

---

(١) البيت في «اللسان»: نمرق، ونسبه إلى محمد بن عبدالله بن نمير الثقفي.

(٢) البيت في «ديوانه» ص ١٩٨ وفيه: سوابغ بدل سواقط. تغشى: تغطي. سواقط: سوابغ. الضافية: الطويلة. رَيْط: جمع رَيْطَة: كل ثوب لين دقيق.

الرفرف : الوسائد، وقالوا : الرفرف : المحابس للفرش، وقال المبرد : هو فضول الثياب التي تتخذ الملوك في الفرش وغيره، قال الواحدي : وكأن الأقرب هذا، لأن العرب تسمي كسر الخباء، والخرقة التي تخاط في أسفل الخباء : رفرفاً ، ومنه الحديث في وفاة النبي ﷺ : فرفع الرفرف فرأينا وجهه كأنه ورقة مُصحف[1] . قال ابن الأعرابي : الرفرف : ها هنا طرف البساط، فشبه ما فضل من المحابس، عما تحته بطرف الفسطاط، فسمي رفرفاً .

قلت : أصل هذه الكلمة من الطَّرَف والجانب، فمنه الرَّفُّ في الحائط، ومنه الرفرف، وهو كسر الخباء ، وجوانب الدرع، وما تدلى منها، الواحدة رفرفة، ومنه رفرف الطائر : إذا حرك جناحيه حول الشيء ، يريد أن يقع عليه، والرفرف : ثياب خضر تتخذ منها المحابس، الواحدة رفرفة، وكل ما فضل من شيء فثني وعطف فهو رفرف، وفي حديث ابن مسعود، في قوله عز وجلَّ : ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آياتِ ربِّهِ الكُبْرى ﴾ [النجم : ١٨] قال : رأى رفرفاً أخضر سدّ الأفق[2] وهو في « الصحيحين » .

فصل

وأما العَبْقريُّ، فقال أبو عبيدة : كلّ شيء من البسط عبقري . قال : ويرون أنها أرض وشِيَ فيها، وقال الليث:عبقر : موضع بالبادية كثير الجن ، يقال : كأنهم جنُّ عبقر. وقال أبو عبيدة في حديث النبي ﷺ حين ذكر عمر: « فلَمْ أَرَ عبقرياً يفري فريه »[3] وإنما أصل هذا فيما يقال : إنه نسب إلى عبقر، وهي أرض يسكنها الجنُّ، فصار مثلاً منسوباً إلى شيءٍ رفيعٍ ، وأنشد لزهير :

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١١٠ ،والبخاري(٦٨٠) في الأذان : باب (٤٦) أهل العلم والفضل أحقّ بالإمامة، ومسلم (٤١٩) في الصلاة : باب (٢١) استخلاف الإمام .

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣٣) في بدء الخلق : باب (٧) ، والنسائي في التفسير سورة (٥٣) آية (٤) في « الكبرى » كما في « تحفة الأشراف » (٩٤٢٩) ولم يعزه إلى مسلم .

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ٢٨ ،والبخاري (٣٦٧٦) في فضائل الصحابة : باب (٥)، ومسلم (٢٣٩٣) في فضائل الصحابة : باب (٢) . يفرى فريه : يجيد القول إجادته، وأصل الفري : القطع .

بخيـلٍ عـليهـا جِنَّـةٌ عبقـريَّـةٌ جَـدِيرُونَ يَـوماً أن ينـالُوا فيستعلُو (١)

قال أبو الحسن الواحدي : وهذا القول هو الصحيح في العبقري، وذلك أن العرب إذا بالغت في وصف شيء نسبته إلى الجنّ، أو شبهته بهم، ومنه قول لبيد :

جِنُّ البَديِّ رواسياً أقدَامُها(٢)

وقال آخر يصف امرأة :

جِنّيةٌ ولـهـا جِـنٌّ يُـعـلِّمُـهـا رَمْيَ القُلوبِ بقَـوْسٍ مـا لهـا وَتَـر

وذلك أنهم يعتقدون في الجنّ كل صفة عجيبة ، وأنهم يأتـون بكل أمـر عجيب ، فلما كان عبقر معروفاً بسكناهم نسبوا إلى كل شيء مبالغ فيه إليها ، يريدون بذلك أنـه من عملهم وصنعهم ، وهذا هـو الأصل، ثم صـار العبقري اسماً ونعتاً لكل ما بولغ في صفته ، ويشهد لما ذكرنا بيت زهير، فإنه نسب الجن إلى عبقر، ثم رأينا أشياء كثيرة نسبت إلى عبقر غير البسط والثياب : كقوله في صفة عمر « عبقرياً » ، وروى سلمة عن الفراء . قـال : العبقري : السيـد من الرجال، وهو الفاخر من الحيوان والجوهر، فلو كانت عبقر مخصوصة بالوشي، لما نسب إليها غير الموشىٰ، وإنما ينسب إليها البسط الموشِيَّة العجيبة الصنعة، لما ذكرنا، كما نسب إليها كل ما بولغ في وصفه .

قـال ابن عباس : وعبقـري:يريـد البسط والطنـافس،
وقال الكلبي : هي الطنافس المخملة .

وقال قتادة : هي عتاق الزرابي . وقال مجاهد : الديباج الغليظ، وعبقري جمع واحده عبقرية . ولهذا وصف بالجمع .

---

(١) شعر زهير ص ٣٥ للشنتمري. جنّة: أي مثل الجن في الخبث والدهاء. يستعلوا: يظفروا.
(٢) «ديوانه» ص ١٧٧ وصدره: غُلْبٌ تَشَذَّرُ بالذُّحول كأنها.
تشذر: تهدد. الذحول: الأحقاد. البدي: وادٍ لبني عامر. رواسيا: ثوابت.

وتأمل كيف وصف [الله] سبحانه وتعالى الفُرش بأنها مرفوعة، والزرابي بأنها مبثوثة، والنمارق بأنها مصفوفة، فرفع الفرش دال على سمكها ولينها، وبث الزرابي دال على كثرتها، وأنها في كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه، ووصفُ المساند، يدل على أنها مهيأة للاستناد إليها دائماً، [ليست] مخبأة تُصَفُّ في وقت دون وقت. والله أعلم .

الباب الحادي والخمسون

في ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم وبشخاناتهم(١)

قال الله تعالى : ﴿ حورٌ مقصُوراتٌ في الخيامِ ﴾ [الرحمن : ٧٢] وفي « الصحيحين » من حديثِ أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ قال : « إنَّ للمؤمنِ في الجنةِ لخيمةً من لؤلؤةٍ واحدةٍ مُجوَّفةٍ طُولها ستونَ ميلاً، فيها أهلونَ يطوفُ عليهم المؤمنُ فلا يرى بعضُهم بعضاً »(٢) .

وفي لفظ لهما : « في الجنةِ خيمةٌ من لؤلؤةٍ مجوفةٍ ، عرضُها ستونَ ميلاً في كلِّ زاوية منها أهلٌ، ما يَرونَ الآخرينَ يَطوفُ عليهم المؤمنُ »(٣) .

وفي لفظ آخر لهما أيضاً : « الخيمةُ دُرَّة طُولُها في السماء ستونَ ميلاً، في كلِّ زاويةٍ منها أهلُ المؤمن، لا يراهم الآخرونَ »(٤) .

وللبخاري وحده في لفظ : « طُولُها ثَلاثونَ ميلاً »(٥) وهذه الخيم غير الغرف والقصور، بل هي خيام في البساتين، وعلى شواطىء الأنهار .

---

(١) كلمة محرفة من الفارسية ـ پشه خانه ـ وتجمع على بشاخين، وهي كلَّةٌ، حَجَلةٌ: أي ناموسية وزخارف السرير.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٤٣) في بدء الخلق : باب (٨) ما جاء في صفة الجنة، ومسلم (٢٨٣٨) (٣٣) في الجنة : باب (٩) صفة خيام الجنة .

(٣) اللفظ لمسلم (٢٨٣٨) (٢٤) في صفة الجنة: باب (٩)، والبخاري (٤٨٧٩) في التفسير: باب (٢).

(٤) أخرجه البخاري (٤٨٧٩) في التفسير : باب (٢) ، ومسلم (٢٨٣٨) (٢٥) في صفة الجنة : باب (٩) .

(٥) أخرجه البخاري (٣٢٤٣) في بدء الخلق : باب (٨) ما جاء في صفة الجنة .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني الحسين بن عبد الرحمن، عن أحمد بن أبي الحواري، قال سمعتُ أبا سليمان قال : ينشأ خلق الحـور العين إنشاءً ، فـإذا تكامل خلقهن ضربت عليهنَّ الملائكة الخيام. قال بعضهم : لما كنَّ أبكاراً ، وعادة البكر أن تكون مقصورة في خدرها، حتى يأخذها بعلها، أنشأ الله سبحانه وتعالى الحور وقصرهن في خدور الخيـام، حتى يجمع بينهن وبين أوليـائه في الجنة .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا إسحاق، حدثنا وكيـع، حدثنـا سفيان، عن جابر، عن القاسم بن أبي بزّة، عن أبي عبيدة، عن مسروق، عن عبدالله قال : لكلِّ مسلمٍ خَيِّرةٌ ، ولكلِّ خيّرةٍ خيمةٌ، ولكلِّ خيمةٍ أربعةُ أبوابٍ ،يدخلُ عليها كلَّ يومٍ من كلِّ بابٍ تحفةٌ وهديةٌ وكرامةٌ لم تكنْ قبلَ ذلك، لا تَرِحات ولا زفرات، ولا بَخِرات ولا طَماحات، حورٌ عِينٌ كأنَّهنَّ بَيضٌ مكنونٌ[1] .

حدثنا علي بن الجعد، حدثنـا شعبة، عن عبـد الملك بن ميسرة قـال : سمعت أبا الأحوص يُحدث عن عبدالله بن مسعـود في قولـه تعالى : ﴿ **حُـورٌ مقصوراتٌ في الخيامِ** ﴾ [الرحمن : ٧٢] قال : دُرٌّ مُجوَّفٌ[2] .

وقال [عبدالله] بن المبارك : أنبأنا سليمان التيمي، عن قتادة، عن خُليد الْعَصَرِي عن أبي الدرداء قال : الخيمةُ لؤلؤةٌ واحـدةٌ لها سبعـونَ بابـاً كلُّها من دُرّة[3] .

---

(١) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٣٨) وفيـه : لكل مؤمن،وأورده السيـوطي في « الدر المنثور » ٦/ ١٥٠ ونسبه إلى ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا في « صفة الجنة »، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١٣٤ (١٥٩٠٨)، والطبري في «التفسير» ٢٧/ ٨٤.

(٣) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٥٠) ، والطبري ولم يرفعه في « التفسير » ٢٧/ ٨٤، و«الدر المنثور» ٦/١٥١، ونسبه إلى عبد الرزاق، وعبدالله بن أحمد في «زوائد الزهد»، وابن المنذر.

قال ابن المبارك : وأخبرنا همام، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس [رضي الله عنهما] قال : الخيمة درةٌ مجوفةٌ فرسخٌ في فرسخٍ، لها أربعة آلافِ مصراعٍ من ذهبٍ[1] .

قال ابن أبي الدنيا، حدثنا فضيل بن عبد الوهاب، حدثنا شريك، عن منصور، عن مجاهد : ﴿ **حُورٌ مقصُوراتٌ في الخيامِ** ﴾ قال : في خيام اللؤلؤ، والخيمة لؤلؤة واحدة[2] .

حدثني محمد بن جعفر، حدثنا منصور، حدثنا يوسف بن الصباح، عن أبي صالح، عن ابن عباس ﴿ **حُورٌ مقصوراتٌ في الخيام** ﴾ قال : الخيمة درة [من لؤلؤ] مجوفة طولها فرسخ، وعرضها فرسخ، ولها ألف باب من ذهب، حولها سرادق دوره خمسون فرسخاً، يدخل عليه من كلِّ باب منها ملك، بهدية من عند الله عزَّ وجلَّ وذلك قوله : ﴿ **والملائكةُ يَدْخُلونَ عليهمْ من كلِّ باب** ﴾ [الرعد : ٢٣] والله أعلم .

وأما السرر فقال تعالى : ﴿ **متكئينَ على سُرُرٍ مَصفُوفةٍ وزوجناهم بحورٍ عِينٍ** ﴾ [الطور : ٢٠] وقال تعالى : ﴿ **ثُلَّةٌ من الأولينَ وقليلٌ من الآخرينَ، على سُررٍ مَوضُونَةٍ مُتَّكئينَ عليها متقابلينَ** ﴾ [الواقعة : ١٣ - ١٦] وقال تعالى : ﴿ **فيها سُرُر مَرفوعةٌ** ﴾ [الغاشية : ١٣] فأخبر تعالى عن سُرُرهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب بعض، ليس بعضها خلف بعض، ولا بعيداً من بعض. وأخبر أنها موضونة، والوَضْن في لغتهم : النضد والنسج المضاعف، يقال : وضَنَ فلان الحجر والآجر بعضه فوق بعض، فهو موضون .

وقال الليث : الوَضْنُ : نسج السرير وأشباهِهِ. ويقال : درع موضونة مقاربة في النسج . وقال رجل من العرب لامرأته : ضِني متاع البيت، أي قاربي بعضه من بعض .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/١٣٣ (١٥٩٠٥)، وابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٤٩)، والطبري في « التفسير » ٢٧/٨٤، و« الدر المنثور » ٦/١٥١ .

(٢) أورده السيوطي في « الدر المنثور » ٦/١٥١ نحوه مطولاً عن ابن عباس .

قال أبو عبيدة والفراء والمبرد وابن قتيبة : موضونة : منسوجة مضاعفة متداخلة، بعضها على بعض، كما تُوضن حلق الدرع، ومنه سمي الوضين، وهو نطاق من سيور ينسج، فيدخل بعضها على بعض، وأنشدوا للأعشى :

ومِن نسجِ داودَ موضونةٍ تساقُ مع الحي عيراً فعيراً[1]

قالوا موضونة : منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت والزبرجد. قال هشيم : حدثنا حصين، عن مجاهد، عن ابن عباس قال : مَرْمولة بالذهب[2] . وقال مجاهد : موصولة بالذهب،وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس : موضونة : مصفوفة. وأخبر سبحانه وتعالى أنها مرفوعة .

قال عطاء عن ابن عباس : قال سرر من ذهب، مكللة بالزبرجد والدر والياقوت .والسرير مثل ما بين مكة وأيلة .

وقال الكلبي : طول السرير في السماء مئة عام[3] ، فإذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتى يجلس عليه، فإذا جلس عليه ارتفع مكانه .

فصل

﴿ وأما الأرائك ﴾ فهي جمع أريكة. قال مجاهد عن ابن عباس : ﴿ متكئينَ فيها على الأرائكِ ﴾ [الإنسان : ١٣]، قال : لا يكون أريكة حتى يكون السرير في الحجَلة ، فإن كان سريراً بغير حجلة لا يكون أريكة، وإن كانت حجلة بغير سرير لم تكن أريكة ، ولا تكون أريكة إلا والسرير في الحجلة، فإذا اجتمعا كانت أريكة .

وقال مجاهد : هي الأسرة في الحجال . قال الليث : الأريكة : سرير

---

(١) البيت في « ديوانه الكبير » ص ١٤٩ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٥٩٢٧)، والطبري في « تفسيره » ١٧٣/٢٧ ، والبيهقي في « البعث » (٣٣٧)، وذكره السيوطي في «الدر» ١٥٥/٦. مرمولة: منسوجة. وفي الأصل: مزمولة.

(٣) في النسخ المطبوعة : مئة ذراع، وهو الأقرب.

حجلة ، فالحجلة والسرير أريكة، وجمعها أرائك . وقال أبو إسحاق : الأرائك : الفرش في الحجال. قلت : ها هنا ثلاثة أشياء . أحدها : السرير. الثانية : الحجلة، وهي البشخانة[1] التي تعلق فوقه. والثالث : الفراش الذي على السرير، ولا يسمى السرير أريكة، حتى يجمع ذلك كله .

وفي « الصحاح » :الأريكة: سرير مُنَجَّد مزين في قبة أو بيت، فإذا لم يكن فيه سرير، فهو حجلة، والجمع الأرائك .

وفي الحديث : أن خاتم النبي ﷺ كان مثل زرِّ الحجلةِ[2] . وهو الزر الذي يجمع بين طرفيها من جملة أزرارها . والله أعلم .

---

(١) تقدم معناها في أول الباب، وهي الناموسية .

(٢) أي خاتم النبوة الذي بين كتفيه ﷺ، أخرجه البخاري (١٩٠) في الوضوء: باب (٤٠) استعمال فضل وضوء الناس، ومسلم (٢٣٤٥) في الفضائل: باب (٣٠) إثبات خاتم النبوة، والترمذي (٣٦٤٣) في المناقب: باب (١١) في خاتم النبوة.

الباب الثاني والخمسون

في ذكر خدمهم وغلمانهم

قال تعالى : ﴿ **ويطوفُ عليهم وِلدانٌ مُخلدون إذا رأيتهمْ حسبْتهمْ لؤلؤاً منثوراً** ﴾ [الإنسان : ١٩] . وقال تعالى : ﴿ **يطوفُ عليهم وِلدانٌ مُخلدونَ * بأكوابٍ وأباريق وكأسٍ من معينٍ** ﴾ [الواقعة : ١٧ ـ ١٨] . قال أبو عبيدة والفراء : مخلّدون لا يهرمون، ولا يتغيرون، قال : والعرب تقول للرجل إذا كَبِرَ ولم يشمط : إنه لمخلّد، وإذا لم تذهب أسنانه من الكِبَر، قيل : هو مخلد، وقال آخرون : مخلدون : مُقَرَّطُون مُسورون ، أي في آذانهم القِرطة، وفي أيديهم الأساور . وهذا اختيار ابن الأعرابي، قال : مخلّدون : مقرطون. الخَلَدَة. وجمعها خُلْد ،وهي : القِرَطَة .

وروى عمر عن أبيه : خلَّد جاريته، إذا حلَّاها بالخلد، وهي القُرْطَة، وخلد إذا أسن ولم يشب، وكذلك قال سعيد بن جبير : مقرطون . واحتج هؤلاء بحجتين .

إحداهما : أن الخلود عام لكل من في الجنة، فلا بد أن يكون الولدان موصوفين بتخليد يختص بهم، وذلك هو القرطة .

الحجة الثانية: قول الشاعر :

ومُخلَّدات باللُّجَينِ كَأَنَّما ... أعجازُهُنَّ رَواكِدُ الكُثبانِ[1]

وقال الأولون : الخُلْد هو البقاء . قال ابن عباس : غلمان لا يموتون .

---

(١) البيت في « لسان العرب » خلد، وقوز، ولم يعزه لأحدٍ وفيه : أعجازهن أقاوز الكثبان .

وقـول ترجمـان القرآن في هـذا كافٍ، وهـذا قول مجاهد، والكلبي، ومقـاتل. قـالوا : لا يكبـرون ولا يهرمـون ولا يتغيـرون، وجمعت طـائفـة بين القـولين، وقالوا : هم ولدان لا يعرض لهم الكِبر والهرم، وفي آذانهم القرطَة. فمن قـال مقرطون أراد هـذا المعنى، أن كونهم ولـداناً أمـر لازم لهم، وشبههم سبحانـه باللؤلؤ المنثور، لما فيه من البياض وحسن الخلق وفي كونـه منثوراً فـائدتـان : إحداهما :الدلالة على أنهم غير معطلين، بل مبثوثون في خدمتهم وحوائجهم . والثانية : أن اللؤلؤ إذا كان منثوراً ، ولاسيما على بساط من ذهب أو حرير، كان أحسن لمنظره، وأبهى من كونه مجموعاً في مكان واحد

وقد اختلف في هؤلاء الولدان : هل هم من ولدان الدنيا، أم أنشأهم الله [في الجنة] إنشاء ؟ على قولين : فقال علي بن أبي طالب والحسن البصري : هم أولاد المسلمين الذين يموتون، ولا حسنة لهم ولا سيئة، يكونون خدم أهل الجنة، وولدانهم إذ الجنة لا ولادة فيها .

قال الحاكم: حدثنا عبد الرحمن بن الحسن، حدثنا إبراهيم بن الحسين، حدثنا آدم، حدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن في قوله تعالى : ﴿ ولـدانٌ مُخلدونَ ﴾ قـال : لم يكن لهم حسنات فيجـزون بها ، ولا سيئـات فيعاقبـون عليها، فوضعوا بهذا الموضع . ومن أصحاب هذا القول من قال : هم أطفـال المشركين، فجعلهم الله خدماً لأهل الجنة، واحتج هؤلاء بمـا رواه يعقوب بن عبد الرحمن القاري، عن أبي حازم المديني، عن يزيد الرقـاشي، عن أنس، عن النبي ﷺ قـال : « سـألت ربي للاَّهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم، فأعطانيهم، فهم خدم أهل الجنة »[1] يعني الأطفال . قال الدارقـطني : ورواه عبد العزيز بن الماجشون، عن ابن المنكدر، عن يزيد الرقاشي عن النبي ﷺ

---

(١) أورده السيـوطي في « الجامـع الصغير » (٤٥٩٨) ونسبـه إلى ابن أبي شيبة، والـدارقـطني في « الأفراد » ، والضياء المقدسي، ورمز له بالصحة، وأورده الألباني في « الصحيحـة » (١٨٨١) ونسبه إلى البغوي، وابن بشران، وتمام، وابن الأعرابي، وابن لال ، وابن عدي، وابن عساكر ورمز لحسنه .

اللاهون : قيل هم البله الغافلون، أو الذين لم يتعمدوا الـذنوب، وإنمـا فرط منهم سهـواً، أو الأطفال الذين لم يقترفوا ذنباً .

انتهى، ورواه فضيل بن سليمان، عن عبد الرحمن بن إسحاق،عن الزهري،عن أنس، وهذه الطرق ضعيفة فيزيد واه. وفضيل بن سليمان متكلم فيه. وعبد الرحمن بن إسحاق ضعيف.

قال ابن قتيبة: واللاهون، من لهيت عن الشيء إذ غفلت عنه، وليس هو من لهوت، وأصحاب القول الأول، لا يقولون: إن هؤلاء أولاد ولدوا لأهل الجنة فيها، وإنما يقولون: هم غلمان أنشأهم الله في الجنة إنشاءً، كما أنشأ الحور العين.

قالوا: وأما ولدان أهل الدنيا فيكونون يوم القيامة أبناء ثلاث وثلاثين سنة لما رواه ابن وهب حدثنا عمرو بن الحارث، أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات من أهل الجنة من صغير وكبير يردون بني ثلاثينَ سنة في الجنةِ، لا يزيدون عليها أبداً، وكذلك أهل النار»[1] رواه الترمذي.

والأشبه أن هؤلاء الولدان مخلوقون من الجنة، كالحور العين خدماً لهم وغلماناً، كما قال تعالى: ﴿ **ويطوفُ عليهم غِلمانٌ لهم كأنهم لؤلؤٌ مكنونٌ** ﴾ [الطور: ٢٤] وهؤلاء غير أولادهم، فإن من تمام كرامة الله تعالى لهم أن يجعل أبناءهم مخدومين معهم، لا يجعلهم غلماناً لهم.

وقد تقدم في حديث أنس، عن النبي ﷺ: «أنا أوَّلُ الناسِ خُروجاً إذا بُعثوا، وفيه يطوف عليَّ ألفُ خادمٍ كأنهمْ لؤلؤ مكنون»[2] والمكنون: المصون المستور الذي لم تبتذله الأيدي، وإذا تأملت لفظة الولدان، ولفظة يطوف عليهم واعتبرتها بقوله: ﴿ **ويطوف عليهم غلمان لهم** ﴾ وضممت ذلك إلى حديث أبي سعيد المذكور آنفاً، علمت أن الولدان غلمان أنشأهم الرَّبّ تعالى في الجنة خدماً لأهلها. والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٦٢) في صفة الجنة: باب (٢٣) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦١٠) في المناقب: باب (١) مطولاً، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ١١٩/٦، ونسبه إلى ابن مردويه.

الباب الثالث والخمسون

في ذكر نسائهم وسراريهم ، وأصنافهن وحسنهن وصفائهنَّ وجمالهن الظاهر والباطن الذي وصفهن الله تعالى به في كتابه

قال الله تعالى : ﴿ وبشِّرِ الذينَ آمنوا وعملوا الصالحاتِ أنَّ لهم جناتٍ تجري منْ تحتِها الأنهار كُلَّما رزقُوا منها من ثمرةٍ رزقاً قالوا هذا الذي رُزقنا من قبلُ وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواجٌ مطهرةٌ وهم فيها خالدونَ ﴾ [البقرة : ٢٥] فتأمل جلالة المبشر، ومنزلته وصدقه وعظمة من أرسله إليك بهذه البشارة، وقدر ما بشرك به، وضمنه لك على أسهل شيء عليك وأيسره ، وجمع سبحانه في هذه البشارة بين نعيم البدن بالجنان، وما فيها من الأنهار والثمار، ونعيم النفس بالأزواج المطهرة، ونعيم القلب وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد، وعدم انقطاعه .

والأزواج : جمع زوج، والمرأة زوج الرجل وهو زوجها، هذا هو الأفصح ، وهو لغة قريش، وبها نزل القرآن كقوله تعالى : ﴿ اسكُنْ أنتَ وزوجُك الجنةَ ﴾ [البقرة : ٣٥] ومن العرب من يقول : زوجة، وهو نادر، لا يكادون يقولون به، وأما المطهرة فإن جرت صفة على الواحدة، فتجري صفة على جمع التكسير إجراء له مجرى جماعة، كقوله تعالى : ﴿ مساكنَ طيِّبة ﴾ [الصف : ١٢] ، ﴿ وقُرى ظاهرةً ﴾ [سبأ : ١٨]. ونظائره، والمطهرة : التي طهرت من الحيض، والبول والنفاس، والغائط والمخاط والبصاق، وكل قذر، وكلّ أذى يكون من نساء الدنيا، فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة،

والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، وطهر طرْفَها من أن تطمح به إلى غير زوجها، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ .

قال عبدالله بن المبارك: حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ ﴿ لهم فيها أزواجٌ مُطَهَّرةٌ ﴾ قال: « من الحيض والغائطِ والنجاسة والبصاق »[1] . وقال عبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس: مطهرة: لا يحضن ولا يحدثن ولا يتنخمن[2] ، وقال ابن عباس أيضاً: مطهرة: من القَذرِ والأذى[3] ، وقال مجاهد: لا يبلن ولا يتغوطن، ولا يمذين ولا يمنين، ولا يحضن ولا يبصقن، ولا يتنخمن، ولا يلدن. وقال قتادة: مطهرة من الإثم والأذى، طهرهنّ الله [سبحانه] من كل بول وغائط وقذر ومأثم[4]، وقال عبد الرحمن بن يزيد: المطهرة: التي لا تحيض، وأزواج الدنيا لسن بمطهراتٍ، ألا تراهنّ يدمين، ويتركن الصلاة والصيام.

قال: وكذلك خلقت حواء حتى عصت، فلما عصت قال الله: إني خلقتكِ مطهرةً، وسأدميك كما دميتِ هذه الشجرة.

وقال تعالى: ﴿ إنَّ المتقينَ في مقامٍ أمينٍ. في جناتٍ وعيونٍ. يلبسونَ من سندسٍ وإستبرقٍ متقابلينَ. كذلكَ وزوجناهم بحورٍ عينٍ. يَدعُونَ فيها بِكلِّ فاكِهَةٍ آمنينَ. لا يذوقونَ فيها الموتَ إلا الموتةَ الأولى ووقاهُم عذابَ الجحيمِ ﴾ [الدخان: ٥١ - ٥٦] فجمع لهم بين حسن المنزل، وحصول الأمن فيه من كلِّ مكروه، واشتماله على الثمار والأنهار، وحسن اللباسِ وكمال العشرة بمقابلة بعضهم بعضاً، وتمام اللّذة بالحور العين، ودعائهم بجميع أنواع

---

(١) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٤٣) عن مجاهد نحوه، والسيوطي في « الدر المنثور » ٣٩/١ ونسبه إلى ابن مردويه، والحاكم و صححه.

(٢) أورده ابن جرير في «التفسير» ١٧٥/١، والسيوطي في «الدر المنثور» ٣٩/١ نحوه.

(٣) ذكره ابن جرير ١٧٥/١، والسيوطي في «الدر المنثور» ٣٩/١، ونسبه إلى ابن أبي حاتم، وابن المنذر. وفي الأصل: القذا.

(٤) أخرجه ابن جرير ١٧٥/١، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٣٩/١، ونسبه إلى عبد الرزاق، وعبد ابن حميد.

الفاكهة، مع أمنهم من انقطاعها، ومضرتها وغائلتها، وختام ذلك أعلمهم بأنهم لا يذوقون هناك موتاً .

والحور : جمع حوراء ، وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء ، شديدة سواد العين . وقال زيد بن أسلم : الحوراء : التي يحار فيها الطَّرْفُ، وعِينٌ : حسان الأعين، وقال مجاهد : الحوراء التي يحار فيها الطرف من رقة الجلد، وصفاء اللون.

وقال الحسن : الحوراء : شديدة بياض العين شديدة سواد العين. واختلف في اشتقاق هذه اللفظة، فقال ابن عباس : الحُور في كلام العرب : البيضُ، وكذلك قال قتادة. وقال مقاتل: الحور : البيض الوجوه. وقال مجاهد : الحور العين، التي يحار فيهن الطرف بادياً مخُّ سوقهن من وراء ثيابهن، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن، كالمرأة من رقة الجلد، وصفاء اللون . وهذا من الاتفاق، وليست اللفظة مشتقة من الحيرة. وأصل الحَوَر : البياض . والتحوير : التبييض . والصحيح : أنَّ الحور مأخوذ من الحَوَر في العين، وهو شدة بياضها مع قوة سوادها، فهو يتضمن الأمرين .

وفي « الصحاح » : الحور:شدة بياض العين في شدة سوادها. امرأة حوراء : بينة الحور. وقال أبو عمرو : الحور : أن تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر، وليس في بني آدم حور، وإنما قيل : للنساء : حور العين، لأنهن شبهن بالظباء والبقر. وقال الأصمعي : ما أدري ما الحور في العين؟ قلت : خالف أبو عمرو أهل اللغة [في][1] اشتقاق اللفظة، وردَّ الحور إلى السواد، والناس غيره إنما ردوه إلى البياض، أو إلى بياض في سواد، والحور في العين : معنى يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما، واكتساب [كل] واحد منهما الحسن من الآخر، وعينٌ حوراء : إذا اشتد بياض أبيضها وسواد أسودها، ولا تسمى المرأة حوراء حتى تكون مع حور عينها بيضاء لون الجسد.

والعين: جمع عيناء، وهي العظيمة العين من النساء، ورجل أعين إذا كان ضخم العين. وامرأة عيناء. والجمع عين. والصحيح : أن العين اللاتي جمعتْ

---

(١) في الأصل : و

أعينهن صفات الحسن والملاحة، قال مقاتل : العين : حسان الأعين، ومن محاسن المرأة اتساع عينها في طول، وضيق العين في المرأة من العيوب.

وإنما يستحب الضيق منها في أربعة مواضع : فمها، وخرق أذنها، وأنفها، وما هنالك.

ويستحب السعة منها في أربعة مواضع : وجهها، وصدرها، وكاهلها: وهو ما بين كتفيها، وجبهتها.

ويستحب البياض منها في أربعة مواضع : لونها، وفرقها، وثغرها، وبياض عينها.

ويستحب السواد منها في أربعة [مواضع]: عينها، وحاجبها، وهدبها، وشعرها.

ويستحب الطول منها في أربعة: قوامها، وعنقها، وشعرها، وثيابها.

ويستحب القصر منها في أربعة: وهي معنوية، لسانها، ويدها، ورجلها، وعينها، فتكون قاصرة الطرف، قصيرة الرِّجْل واللسان عن الخروج، وكثرة الكلام، قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج، وعن بذله.

ويستحب الدِّقة منها في أربعة: خصرِها، وفرقها، وحاجبها، وأنفها.

فصل

وقوله تعالى : ﴿ وزَوَّجناهم بحُور عِينٍ ﴾ [الطور : ٢٠] قال أبو عبيدة : جعلناهم أزواجاً كما يزوج النعل بالنعل، جعلناهم اثنين اثنين . قال يونس : قرناهم بهنّ، وليس من عقد التزويج، قال : والعرب لا تقول : تزوجت بها، وإنما تقول تزوجتها . قال مَنْ نَصَرَ هذا : والتنزيل يدلُ على ما قاله يونس، وذلك قوله تعالى : ﴿ فلما قَضىٰ زيدٌ مِنْها وَطَراً زوّجْنَاكَهَا ﴾ [الأحزاب : ٣٧] ولو كان على تزوجت بها لقال : زوجناك بها. وقال ابن سلاَّم : تميم تقول : تزوجت امرأة، وتزوجت بها، وحكاه الكسائي أيضاً . وقال الأزهري : تقول العرب : زوجته امرأة، وتزوجت امرأة، وليس من كلامهم : تزوجت بامرأة، قال وقوله تعالى : ﴿ وزوَّجناهُم بحورِ عِينٍ ﴾ أي : قرناهم. وقال الفراء: هي لغة في أزد شنوءة قال الواحدي: وقول أبي عبيدة في

هذا أحسن، لأنه جعله من التزويج الذي هو بمعنى جعل الشيء زوجاً ، لا بمعنى عقد النكاح، ومن هذا يجوز [أن يقال : كان فرداً فزوجته بآخر، كما يقال : شفعته بآخر، وإنما تمتنع الباء] عند من يمنعها، إذا كان بمعنى عقد التزويج .

قلت : ولا يمتنع أن يراد الأمران معاً ، فلفظ التزويج يدل على النكاح، كما قال مجاهد : أنكحناهم الحور، ولفظ الباء يدل على الاقتران والضم، وهذا أبلغ من حذفها، والله أعلم.

وقال تعالى: **﴿فيهنَّ قاصراتُ الطّرفِ لم يطمثْهنَّ إنْسٌ قبلهم ولا جانٌ. فبأيِّ آلاءِ ربِّكُما تُكذبانِ . كأنَّهُنَّ الياقوتُ والمرجانُ ﴾** [الرحمن : ٥٦ ـ ٥٨] وصفهن سبحانه بقصرِ الطرف في ثلاثة مواضع : أحدها: هذا. والثاني: قوله تعالى في [الصافات:٤٨] **﴿وعِنْدَهُمْ قَاصِرات الطَّرْفِ عينٌ﴾**. والثالث: قوله تعالى في [ص:٥٢]: **﴿وعِنْدَهُمْ قَاصِراتُ الطَّرفِ أتْرابٌ﴾**. والمفسرون كلّهم، على أن المعنى : قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يطمحن إلى غيرهم . وقيل : قصرن طرف أزواجهن عليهن، فلا يدعهم حسنهن وجمالهن، أن ينظروا إلى غيرهن، وهذا صحيح من جهة المعنى، وأما من جهة اللفظ : فقاصرات صِفة مضافة إلى الفاعل، لحسان الوجوه، وأصله قاصر طرفهن. أي ليس بطامح متعدٍ .

قال آدم : حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : **﴿ قاصراتُ الطَّرفِ ﴾** قال : يقول : قاصرات الطرف على أزواجهن، فلا يبغين غير أزواجهن، قال آدم : حدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن قال : قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يبغين غير أزواجهن. قال آدم : حدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن قال : قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم، والله ما هنَّ متبرجات، ولا متطلعاتٍ ، وقال منصور، عن مجاهد : قصرنَ أبصارهنَّ وقلوبهنَّ وأنفسهنَّ على أزواجهنَّ ، فلا يردن غيرهم . وفي« تفسير » سعيد، عن قتادة قال : قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يردنَ غيرهم.

وأما الأترابُ، فجمع تِرب : وهو لِدَةُ الإنسان .

قال أبو عبيدة وأبو إسحاق: أقران، أسنانهن [واحدة]، قال ابن عباس وسائر المفسرين: مستويات على سِنٍ واحد وميلاد واحد، بنات ثلاث وثلاثين سنة. وقال مجاهد: أتراب: أمثال. قال أبو إسحاق: أي هنَّ في غاية الشباب والحسن، وسمي سِن الإنسان وقرنه تربه؛ لأنه مَسَّ تراب الأرض معه في وقت [واحد]، والمعنى من الإخبار باستواء أسنانهن، أنهنّ ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن، ولا ولائد لا يطقن الوطء بخلاف الذكور، فإن فيهم الولدان وهم الخدم، وقد اختلف في تفسير الضمير في قوله: ﴿فيهن﴾، فقالت طائفة: تفسيره: الجنتان، وما حوتاه من القصور والغرف والخيام. وقالت طائفة: تفسيره: الفرش المذكورة في قوله: ﴿ متكئينَ على فُرشٍ بطائِنُها مِنْ إستبرقٍ ﴾ [الرحمن: ٥٤]، وفي بمعنى: على، وقوله تعالى ﴿ لم يطمثهنَّ إنسٌ قبلَهم ولا جانٌ ﴾ [الرحمن: ٥٦] قال أبو عبيدة: لم يمسهن[١] يقال ما طمث هذا البعير حبل قط، أي ما مسه. وقال يونس: تقول العرب: هذا جمل ما طمثه حبل قط: أي ما مسه. وقال الفراء: الطمث: الافتضاض، وهو النكاح بالتدمية، والطمث: هو الدم. وفيه لغتان: طَمَثَ يطمُث ويطمِث. قال الليث: طمثت الجارية إذا افترَعْتَها، والطامث في لغتهم: هي الحائض. قال أبو الهيثم: يقال للمرأة: طمثت تَطْمُث، إذا أُدميت بالافتضاض، وطمثت على فعلت تطمث إذا حاضت أول ما تحيض، فهي طامث، وقال في قول الفرزدق:

وَقَعْنَ إليَّ لَم يُطمثْنَ قَبلي ... وهُنَّ أَصَحُّ مِنْ بَيْضِ النَّعامِ[٢]

أي لم يمسسن، قال المفسرون: لم يطأهن، ولم يغشهن، ولم يجامعهن، هذه ألفاظهم، وهم مختلفون في هؤلاء: فبعضهم يقول: هنَّ اللواتي أنشئن في الجنة من حورها، وبعضهم يقول: يعني نساء الدنيا، أنشئنَ خلقاً آخر أبكاراً كما وصَفَهنَّ.

قال الشعبي: نساء من نساء الدنيا، لم يمسسن منذ أنشئن خلقاً.

---

(١) في الأصل: لم يطمسهن.

(٢) ذكره ابن منظور في « اللسان » في طمث.

وقال مقاتل : لأنهنّ خلقنَ في الجنة، قال عطاء ، عن ابن عباس : هن الآدميات اللاتي مُتن أبكاراً .

وقال الكلبي : لم يجامعهن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه إنس ولا جان .

قلت : ظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا، وإنما هنْ من الحور العين، أما نساء الدنيا فقد طمثهن الإنس، ونساء الجنّ قد طمثهن الجن، والآية تدل على ذلك .

قال أبو إسحاق : وفي هذه الآية دليل على أن الجنّ يغشى، كما أن الإنس يغشى، ويدل على أنهن الحور اللاتي خلقن في الجنة، أنه سبحانه جعلهن مما أعدّه الله في الجنة لأهلها من الفواكه والثمار والأنهار والملابس وغيرها، ويدل عليه أيضاً الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى : ﴿ **حُورٌ مقصوراتٌ في الخيامِ** ﴾ [الرحمن : ٧٢] ثم قال : ﴿ **لم يَطمِثْهُنَّ إنسٌ قبلَهم ولا جَانٌّ** ﴾ [الرحمن : ٧٤] .

قال الإمام أحمد : والحور العين لا يمتن عند النفخة في الصور ؛ لأنهن خلقن للبقاء ، وفي الآية دليل لما ذهب إليه الجمهور، أن مؤمني الجنّ في الجنة، كما أن كافرهم في النار. وبوب عليه البخاري في « صحيحه » فقال : باب ثوابِ الجن وعقابهم، ونصَّ عليه غير واحد من السَّلف، قال ضَمْرة بن حبيب، وقد سئل : هل للجن ثواب؟ فقال : نعم، وقرأ هذه الآية ثم قال : إنَّ الإنسيات للإنس، والجنيات للجنِّ، وقال مجاهد في هذه الآية : إذا جامع الرجل، ولم يسمّ انطوى الجان على إحليله فجامع معه، والضمير في قوله ﴿ **قبلهم** ﴾ للمعنيين بقوله : متكئين، وهم أزواج هؤلاء النسوة .

وقوله : ﴿ **كأنَّهنَّ الياقوتُ والمرْجَانُ** ﴾ [الرحمن : ٥٨] قال الحسن وعامة المفسرين : أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان، شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان، يدل عليه ما قاله عبدالله : أن المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حُلَّة من حرير، فيرى بياض ساقيها من ورائهن،

ذلك بأن الله يقول : ﴿ كأنهنَّ الياقوتُ والمرْجانُ ﴾ ألا وإن الياقوت حجر، لو جعلت فيه سلكاً، ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر .

فصل

وقال تعالى في وصفهن ﴿ حورٌ مقصوراتٌ في الخيامِ ﴾ [الرحمن : ٧٢] المقصورات: المحبوسات. قال أبو عبيدة : خدرن في الخيام، وكذلك قال مقاتل: محبوسات في الخيام، وفيه معنى آخر، وهو أن يكون المراد أنهن محبوسات على أزواجهن، لا يرون غيرهم، وهم في الخيام، وهذا معنى قول من قال : قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم، ولا يطمحن إلى من سواهم، ذكره الفراء .

قلت : وهذا معنى ﴿ قاصراتُ الطَّرفِ ﴾[الصافات : ٤٨] لكن أولئك قاصرات بأنفسهن وهؤلاء مقصورات، وقوله في الخيام على هذا القول : صفة لحور، أي هن في الخيام وليس معمولاً لمقصروات، وكأن أرباب هذا القول، فرُّوا من أن يكُنَّ محبوسات في الخيام، لا تفارقنها إلى الغرف والبساتين .

وأصحاب القول الأول يجيبون عن هذا : بأن الله سبحانه وصفهن بصفات النساء المخدرات المصونات، وذلك أجمل في الوصف، ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين، كما أن نساء الملوك وذويهم من النساء المخدرات المصونات، لا يمنعن أن يخرجن في سفر وغيره إلى منتزه وبستان ونحوه. فوصفهن اللازم لهن القصر في البيت، ويعرض لهن مع الخدم الخروج إلى البساتين ونحوها، وأما مجاهد فقال : قاصرات قلوبهن على أزواجهن في خيام اللؤلؤ، وقد تقدم وصف النسوة الأول، بكونهن مقصرات الطرف، وهؤلاء بكونهن مقصورات ، والوصفان لكلا النوعين، فإنهما صفتا كمال. فتلك الصفة ؛ قصر الطرف عن طموحه إلى غير الأزواج ، وهذه الصفة قصر الرِّجل عن التبرج، والبروز والظهور للرجال .

فصل

قال تعالى : ﴿ فيهنَّ خيراتٌ حِسَانٌ ﴾ [الرحمن : ٧٠] فالخيرات جمع

خَيْرة، وهي مخففة من خيِّرة كسيدة ولينة، وحسان : جمع حسنة، فهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم، حسان الوجوه .

قال وكيع : حدثنا سفيان عن جابر، عن القاسم بن أبي برَّة، عن أبي عبيدة، عن مسروق، عن عبدالله قال : لكلِّ مسلمٍ خيرةٌ ، ولكلِّ خيرةٍ خيمةٌ ، ولكلِّ خيمةٍ أربعة أبوابٍ، يَدخلُ عليها كلَّ يومٍ من كل بابٍ تُحفةٌ وهديَّةٌ وكرامةٌ لم تكنْ قبلَ ذلك، لا ترحات ولا ذفرات ولا بخرات ولا طماحات[1] .

فصل

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً . فجعلْنَاهُنَّ أبكاراً . عُرُباً أتْراباً لأَصْحَابِ اليمين** ﴾ [الواقعة : ٣٥ ـ ٣٨] أعاد الضمير إلى النساء ، ولم يُجْرِ لهنَّ ذكر؛ لأنَّ الفُرشَ دلتْ عليهنّ إذ هي محلُّهُنَّ. وقيل الفرش، في قوله : ﴿ **وفُرُشٍ مَرْفُوعةٍ** ﴾ : كنايةٌ عن النساء ، كما يكنى عنهن بالقوارير والأزرِ وغيرها . ولكن قوله ﴿ **مرفُوعة** ﴾ يأبى هذا إلا أن يقال : المرادُ رفعةُ القدر. وقد تقدم تفسير النبي ﷺ للفرش وارتفاعها[2] . فالصواب أنها الفرشُ نفسها، ودلت على النساء؛ لأنها محلُّهن غالباً. قال قتادة وسعيد بن جبير : خلقناهن خلقاً جديداً ، وقال ابن عباس : يريد نساء الآدميات، وقال الكلبي ومقاتل : يعني نساء أهل الدنيا العُجّز الشمط. يقول تعالى : خلقناهن بعد الكِبَر والهرم، بعد الخلق في الدنيا ويؤيد هذا التفسير حديث أنس المرفوع : «هنَّ عجائزكم العمش الرُمص »[3] رواه الثوري، عن موسى بن عبيدة، عن يزيد

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢٧٥ ت(١)، الترح: الهم والحزن. ذفرات: الذَّفَر: الرائحة. البخر: نَتْن الفم. طماحات: مترفعات متكبرات.

(٢) انظر ص ٢٦٩.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٢٩٦) في التفسير : باب (٥٧) ولفظه : « إن من المنشآت التي كنَّ في الدنيا عجائز عمشاً رُمْصاً » . وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيدة، ويزيد بن أبان [وهما] يضعفان في الحديث، وذكره في «الدر المنثور» ١٥٨/٦ وزاد نسبته إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وهناد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» (٣٨٠).
العَمَشُ: ضعف البصر. والرَّمَصُ: وسخ يكون في مُوق العين.

الرقاشي عنه. ويؤيده ما رواه يحيى الحِمَّاني، حدثنا ابن إدريس، عن ليث، عن مجاهد، عن عائشة أن رسول الله ﷺ «دخل عليها وعندها عجوز فقال من هذه فقالت: إحدى خالاتي، قال: أمَّا إنه لا يدخلُ الجنة العُجز، فدخل العجوز من ذلك ما شاء الله فقال النبي ﷺ: ﴿ إنَّا أنْشأْناهُنَّ ﴾ خلقاً آخر»(٣).

«يُحشرون يوم القيامة حفاة عراة غُرلاً، وأولَ من يكسى إبراهيم خليل الرحمن»(٢)، ثم قرأ النبي ﷺ: «إنَّا أنْشَأْنَاهُنَّ إنْشَاءً»(٣).

قال آدم بن أبي إياس: حدثنا شيبان، عن جابر الجعفي، عن يزيد بن مرة. عن سلمة بن يزيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول في قوله: ﴿ إنَّا أنْشَأْنَاهُنَّ إنْشَاءً ﴾ [الواقعة : ٣٥]. قال: «يعني الثيب والأبكار اللاتي كُنَّ في الدنيا»(٤).

قال آدم: وحدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ العجزُ». فبكت عَجوزٌ، فقال رسول الله ﷺ: «أخبروها أنَّها ليست يومئذ بعجوزٍ، إنها يومئذ شابةٌ، إن الله عز وجل يقول: ﴿ إنَّا أنشأناهُنَّ إنْشَاءً ﴾»(٥) [الواقعة : ٣٥]

وقال ابن أبي شيبة: حدثنا أحمد بن طارق، حدثنا مسعدة بن اليسع، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن عائشة:

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٦/١٥٨، ونسبه للبيهقي في «الشعب».

(٢) قطعة من حديث ابن عباس أخرجه البخاري (٣٣٤٩) في الأنبياء: باب (٨) ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾، ومسلم (٢٨٦٠) (٥٨) في الجنة: باب (١٤) فناء الدنيا، وبيان الحشر يوم القيامة.

(٣) لم ترد هذه الزيادة في المصادر التي عدنا إليها.

(٤) أخرج الطيالسي نحوه (١٣٠٧)، والبيهقي في «البعث» (٣٨١)، والسيوطي في «الدر المنثور» ٦/١٥٨ وزاد نسبته إلى الطبري، وابن أبي الدنيا، والطبراني، وابن مردويه، وابن قانع.

(٥) أخرجه البيهقي في «البعث» (٣٨٢)، والبغوي في «شرح السنة» ١٣/١٨، والترمذي في الشمائل (٢٤٠) وفيه المبارك بن فضاله وهو مدلس وقد عنعن.

« أن نبي الله ﷺ أتته عجوز من الأنصار فقالت : يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال نبي الله ﷺ : «إنَّ الجنةَ لا يدخلُها عجوزٌ » فذهبَ نبيُّ الله ﷺ فصلى ثم رجع إلى عائشة رضي الله عنها فقالت عائشةُ : لقد لقيتْ من كلمتكَ مشقةً وشدةً، فقال نبي الله ﷺ : « إنَّ ذاك كذاك إنَّ الله تعالى إذا أدخلهنَّ الجنةَ حولهنَّ أبكاراً »[1] .

وذكر مقاتل قولاً [آخر] وهو اختيار الزجاج : أنهن الحور العين التي ذكرهن، قيل : أنشأهنّ الله عز وجل لأوليائه لم يقع عليهن ولادة، والظاهر أن المراد به أنشأهن الله [تعالى] في الجنة إنشاءً، ويدل عليه وجوه:

أحدها : أنه قد قال في حقِّ السابقين ﴿ **يَطُوفُ عَلَيْهِم ولدانٌ مُخَلَّدونَ بأكوابٍ وأباريقَ وكَأسٍ من معينٍ لا يُصدَّعُونَ عنها ولا يُنْزِفُونَ . وفاكِهَةٍ مِمَّا يتحيزونَ، ولحمِ طَيْرٍ ممَّا يشتهُونَ وحُورٌ عِينٌ كأمثالِ اللُّؤْلُؤِ المكْنُونِ** ﴾ [الواقعة: ١٧ ـ ٢٣] فذكر سُرُرَهم، وآنيتهم، وشرابهم وفاكهتهم، وطعامهم، وأزواجهم من الحور العين، ثم ذكر أصحاب الميمنة وطعامهم وشرابهم وفرشهم ونساءهم، والظاهر: أنهنَّ مثلُ نساءٍ من قبلهم خلقنَ في الجنة.

الثاني : أنه سبحانه قال : ﴿ **إنا أنشأناهُنَّ إنشاءً** ﴾ [الواقعة : ٣٥] . وهذا ظاهر أنه إنشاء أول لا ثانٍ، لأنه سبحانه حيث يريد الإنشاء الثاني يقيده بذلك، كقوله : ﴿ **وَأَنَّ عَلَيهِ النشأةَ الأُخْرىٰ** ﴾ [النجم : ٤٧] وقوله : ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشأَةَ الأُولىٰ** ﴾ [الواقعة : ٦٢] .

الثالث : أن الخطاب بقوله : ﴿ **وَكُنْتُم أَزْواجاً ثلاثةً** ﴾ [الواقعة : ٧] ، إلى آخره للذكور والإناث، والنشأة الثانية عامة أيضاً للنوعين، وقوله : ﴿ **إنَّا أنشأناهُنَّ إنْشَاءً** ﴾ [الواقعة : ٣٥] ، ظاهره اختصاصهن بهذا الإنشاء ، وتأمل كيف تأكيده بالمصدر، والحديث لا يدل على اختصاص العجائز المذكورات بهذا الوصف، بل يدل على مشاركتهن للحور العين في هذه الصفات

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٩١)، والترمذي في «الشمائل» (٢٣٠)، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ١٥٨/٦ ونسبه للطبراني في «الأوسط». وهو حديث حسن.

المذكورة، فلا يُتوهم انفراد الحور العين عنهن بما ذُكر من الصفات، بل هُنَّ أحقُّ بها منهن، فالإنشاء واقع على الصنفين والله أعلم .

وقوله: ﴿عُرُباً﴾ جمع عَرُوب: وهن المتحببات إلى أزواجهن. قال ابن الأعرابي: العروب من النساء: المطيعة لزوجها المتحببة إليه. وقال أبو عبيدة: العروب: الحسنة التبعل.

قلت : يريد حسن مواقعتها، وملاطفتها لزوجها عند الجماع .

وقال المبرد : هي العاشقة لزوجها وأنشد للبيد :

وفي الحُدوجِ عَرُوبٌ غيرُ فاحِشةٍ ... رَيّا الرَّوادِفِ يعشى دُونَها البصرُ[1]

وذكر المفسرون في تفسير العُرُب : أنهنّ العواشق المتحببات الغَنِجات الشَّكِلات المتعشقاتُ الغلماتُ المغنوجاتُ، كل ذلك من ألفاظِهم . وقال البخاري في « صحيحه » : عُرُباً مثقلة واحدها عَروب . مثل صَبُور وصُبُر تسميها أهل مكة العربة، وأهل المدينة [الغنجَة ؛ وأهل العراق] الشَّكِلةُ ؛ والعُرُب المتحببات إلى أزواجهن . هكذا ذكره في كتاب : بدء الخلق[2] ، وقال في كتاب التفسير في سورة الواقعة[3]: عُرُباً مثقلة واحدها عَروب مثل صَبُور وصُبُر تسميها أهل مكة: العِرَبة، وأهل المدينة: الغَنَجة، وأهل العراق: الشَّكِلَة.

قلت: فجمع سبحانه وتعالى بين حُسن صورتها وحُسن عشرتها، وهذا غاية ما يطلب من النساء وبه تكملُ لذة الرجل بهن، وفي قوله ﴿ لم يَطْمِثْهُنَّ إنسٌ قَبْلَهُم ولا جَانٌ ﴾ [الرحمن : ٥٦] . إعلام بكمال اللذةِ بهنّ ، فإنّ لذةَ الرجلِ بالمرأةِ التي لم يطأها سواه، لها فضل على لذته بغيرها، وكذلك هي أيضاً .

فصل

وقال تعالى : ﴿ إنَّ للمتَقينَ مَفَازاً . حَدَائِقَ وأعْنَاباً . وكَوَاعِبَ أتْرابـاً ﴾

---

(١) في «الديوان»: ص: ٥٦ الحدوج: مراكب النساء، العروب: المتحببة لخروجها، ريا الروادف: ضخمة العجيزة: يعشى: يكلّ ويضعف.

(٢) انظر «الفتح» ٣١٧/٦: باب (٨) ما جاء في صفة الجنة، وما بين الحاصرتين ليس في الأصل واستدرك من «الصحيح».

(٣) ٦٢٥/٨.

[النبأ : ٣٢] . فالكواعب : جمع كاعب، وهي : الناهد. قال قتادة ومجاهد والمفسرون : قال الكلبي : هن المفلكات اللواتي تكعبت ثديهن وتفلكت، وأصل اللفظة من الاستدارة. والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل، ويسمين نواهِدَ [وكواعِب] .

فصل

روى البخاري في « صحيحه » عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « لَغَدْوةٌ في سبيلِ اللهِ أَوْ رَوْحةٌ خيرٌ من الدُّنيا ومَا فيها ، ولقَابُ قوسِ أحدِكُم أو موضعُ قِيدِهِ يعني : سَوْطِهِ من الجنة خيرٌ من الدُّنيا وما فيها ، ولو اطلعت امرأةٌ من نساءِ أهل الجنةِ إلى الأرضِ لملأتْ ما بينهما ريحاً ، ولأضاءتْ ما بينهما، ولنصيفُها على رأسها خيرٌ من الدُّنيا وما فِيها »[1] .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة ، عن النبي ﷺ [« إنَّ أولَ زُمرة تدخلُ الجنةَ على صورةِ القمر ليلةَ البدرِ، والتي تليها على أضوأَ كوكَبٍ دُريٍّ في السماء ، ولكلِّ امرئٍ منهم زوجتانِ، يُرى مُخُّ سوقهما من وراءِ اللحمِ ، وما في الجنةِ أعزبُ »[2] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا يونس، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ] « للرَّجُلِ من أهلِ الجنةِ زوجتانِ من الحورِ العينِ، على كلِّ واحدةٍ سبعون حُلةً يُرى مُخُّ ساقها من وراءِ الثيابِ »[3] .

---

(١) أخرجه أحمد ٣/٢٦٤ ،والبخاري(٢٧٩٦) في الجهاد : باب (٦) الحور العين وصفتهن بألفاظ متقاربة، ومسلم (١٨٨٠) في الإمارة : باب (٣٠) فضل الغدوة والروحة في سبيل الله مختصراً ، والترمذي (١٦٥١) في فضائل الجهاد : باب (١٧) وقال : حديث صحيح ، وابن حبان (٢٦٢٩) في « الموارد » ، والبيهقي في « البعث » (٣٧٢). والنصيف : الخمار .

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٤٥) و(٣٢٤٦) و(٣٢٥٤) في بدء الخلق : باب (٨) ما جاء في صفة الجنة، ومسلم (٢٨٣٤) (١٤) في الجنة باب (٦) أول زمرة تدخل الجنة،واللفظ له. وأحمد ٢/٥٠٧ .

(٣) أخرجه أحمد ٢/٣٤٥ .

وقال الطبراني : حدثنا بكر بن سهل الدمياطي : حدثنا عمرو بن هاشم البيروتي، حدثنا سليمان بن أبي كريمة، عن هشام، عن حسان، عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة، قالت « قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل ﴿ حُورٌ عِينٌ ﴾ [الواقعة : ٢٢] قال ﴿ حورٌ ﴾ : بيض ﴿ عين ﴾ : ضخام العيون، شقر، الحوراء بمنزلة جناح النسر، قلت : أخبرني عن قوله عز وجل ﴿ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴾ [الطور : ٢٤] . قال : صفاؤهُم صفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسّه الأيدي، قلت : يا رسول الله أخبرني عن قوله عز وجل : ﴿ فِيهِنَّ خيراتٌ حسانٌ ﴾ [الرحمن : ٧٠] قال : خيِّرات الأخلاقَ، حسان الوجوه. قلت : يا رسول الله أخبرني عن قوله عز وجل : ﴿ كأَنَّهُنَّ بيضٌ مكنونٌ ﴾ [الصافات : ٤٩] قال : « رقتهن كرقة الجلدِ الذي رأيته في داخل البيضة مما يلي القشر، وهو الغِرْقِيءُ » قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله عز وجل : ﴿ عُرباً أتراباً ﴾ [الواقعة : ٣٧] ، قال : « هنَّ اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمصاً شُمطاً خلقهن الله بعد الكِبَر، فجعلهن عذارى » عُرُباً : متعشقات محبَّبات. أتراباً : على ميلاد واحد، قلت : يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ قال : « بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة » قلت : يا رسول الله وبِمَ ذاك ، قال : « بصلاتِهنَّ وصيامهنَّ ، وعبادتِهنَّ الله تعالى ، ألبس الله وجوهَهُنَّ النور، وأجسادهن الحرير، بيضُ الألوانِ، خضرُ الثياب، صفر الحَلي ، مجامرهُنَّ الدُّر، وأمشاطهنَّ الذهب، يَقلْنَ نحن الخالدات فلا نموتُ، ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً، ونحن المقيماتُ فلا نظعن أبداً ، ونحن الراضيات فلا نسخطُ أبداً، طوبى لمن كُنَّا له وكان لنا » . قلت : يا رسول الله المرأةُ منَّا تتزوج زوجين والثلاثة والأربعة ثم تموت فتدخل الجنَّةَ، ويدخلون معها، من يكون زوجها ؟ قال : « يا أم سلمة إنها تخير فتختارُ أحسنهم خُلقاً فتقول : أي ربِّ، إنَّ هذا كان أحسنهم معي خُلقاً في دار الدنيا فزوجنيه ، يا أم سلمة ذهب حسنُ الخلق بخير الدنيا والآخرة » تفرد به سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم، وقال ابن عدي: عامة

أحاديثه مناكير. ولم أر للمتقدمين فيه كلاماً ثم ساق هذا الحديث من طريقه. وقال : لا يعرف إلا بهذا السند[1] .

وقال أبو يعلى الموصلي : حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد، حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد، حدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع، عن محمد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو في طائفة من أصحابه، فذكر حديث الصُّور وفيه : « فأقول يا ربِّ وعدتني الشفاعةَ فشفعني في أهلِ الجنةِ يدخلونَ الجنة، فيقولُ اللهُ : قد شفعتكَ وأذنتُ لهم في دخولِ الجنةِ » . فكان رسول الله ﷺ يقول : « والذي بعثني بالحقِّ، ما أنتم في الدنيا بأعرفَ بأزواجكم ومساكنكم من أهلِ الجنةِ بأزواجهم ومساكنهم، فيدخلُ رجل منهم على اثنتينِ وسبعينَ زوجةً مما ينشيءُ اللهُ وثنتينِ من ولدِ آدمَ لهما فضلٌ على من أنشأ اللهُ ، بعبادتهما الله عزَّ وجلّ في الدنيا، يدخلُ على الأولى منهما في غرفةٍ من ياقوتةٍ على سرير من ذهبٍ مكللٍ باللؤلؤ عليه سبعونَ زوجاً من سندسٍ وإستبرقٍ، وإنه ليضعُ يدَهُ بين كتفيها، ثم ينظرُ إلى يده من صدرها، ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها، وإنه لينظر إلى مُخِّ ساقها، كما ينظرُ أحدُكم إلى السلكِ في قصبةِ الياقوتِ، كِبْدُه لها مرآة، وكبدُها له مرآةٌ، فبينما هو عندها لا يملُّها ولا تمله، ولا يأتيها من مرةٍ إلا وجدها عذراءَ، ما يفترُ ذكره، ولا تشتكي قُبلها، فبينا هو كذلك إذ نودي إنا قد عرفنا أنك لا تملُّ ولا تُمِلُّ، إلا أنه لا منيَّ ولا منية، إلا أن تكون له أزواج غيرها فيخرج فيأتيهنَ وَاحدة واحدة كلما جاءت واحدة قالت: والله ما في الجنة شيء أحسن منك، وما في الجنة شيء أحبُّ إليَّ منكَ»[2].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٢٣/٣٦٧ - ٣٦٨، وهو عند ابن جرير ٢٣/٥٧، وذكره الهيثمي في «المجمع» و٧/١١٩ و ١٠/٤١٨ وزاد نسبته للأوسط، وهو ضعيف فيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم، وابن عدي، وفي الطبراني: آية الطور كتبت غلطاً، وفي «المجمع» ورد بدلها آية ﴿كأنهن الياقوتَ والمرجان﴾ من سورة الرحمن، وهي غير مناسبة للتفسير.

(٢) أورده ابن كثير في «النهاية» ٢/٢٦٧ - ٢٧٧ و ٤٥٥ - ٤٥٦ وقال: ولهذا الحديث شواهد من وجوه كثيرة. وقال ابن عدي: قال البخاري. حديث الصور: مرسل لا يصح،وأخرجه البيهقي في «البعث» (٦٦٩) مطولاً.

هذا قطعة من حديث الصور الذي تفرد به إسماعيل بن رافع. وقد روى له الترمذي وابن ماجه، وضعفه: أحمد ويحيى وجماعة. وقال الدارقطني وغيره: متروك الحديث. قال ابن عدي: عامة أحاديثه فيها نظر. وقال الترمذي: يضعفه بعض أهل العلم. وسمعت محمداً، يعني البخاري يقول: هو ثقة مقارب الحديث[1].

وقال لي شيخنا أبو الحجاج الحافظ: هذا الحديث مجموع من عدة أحاديث ساقه إسماعيل أو غيره هذه السياقة، وشرحه الوليد بن مسلم في كتاب مفرد، وما تضمنه معروف في الأحاديث. والله أعلم.

وقال ابن وهب: حدثنا عمرو أن دراجاً حدثه، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أدنى أهل الجنةِ منزلةً، الذي له ثمانون ألفَ خادم، واثنتان وسبعونَ زوجة، ويُنصبُ له قبة من لؤلؤ وزبرجدٍ وياقوتٍ كما بين الجابية وصنعاء» رواه الترمذي[2] ولكن درّاج أبو السَّمح بالطريق. قال أحمد: أحاديثه مناكير، وقال النسائي: منكر الحديث. وقال أبو حاتم: ضعيف. وقال النسائي أيضاً: ليس بالقوي. وساق له ابن عدي أحاديث وقال: عامتها لا يتابع عليها. وقال الدارقطني: ضعيف. وقال: مرة متروك. وأما يحيى بن معين فقد وثقه[3] وأخرج عنه أبو حاتم بن حبان في «صحيحه»، وقال عثمان بن سعيد الدارمي، عن علي ابن المديني: وهو ثقة.

وقال ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ كأنَّهنَّ الياقوتُ والمرجانُ ﴾ [الرحمن: ٥٨] قال: « ينظر إلى وجهه في خدِّها

---

(١) انظر «الكامل» ١/ ٢٧٧ - ٢٧٩.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٧٦، والترمذي (٢٥٦٢) في الجنة: باب (٢٣) ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة. وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين، وابن حبان (٢٦٣٨) في «الموارد»، وابن أبي داود في «البعث» (٧٨)، وأبو يعلى (١٤٠٤). الجابية من قرى حوران.

(٣) انظر «الكامل» ٢/ ٩٧٩ - ٩٨٢.

أصفى من المرآة، وإن أدنىٰ لؤلؤةٍ عليها لتضيء ما بينَ المشرقِ والمغربِ، وإنه ليكونُ عليها سبعونَ ثوباً ينفذُها بصرُهُ حتى يُرى مُخُّ ساقِها من وراءِ ذلك »[1] .

وقال الفرياني : أنبأنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن، حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك، عن أبيه، عن خالد بن معدان، عن أبي أمامة، عن رسول الله ﷺ قال: «ما من عبد يدخل الجنةَ إلا ويزوج ثنتين وسبعين زوجة: ثنتان من الحور العين، وسبعون من أهل ميراثه من أهل الدنيا، ليس منهنَّ امرأة إلا ولها قُبُل شَهِيٌّ وله ذكر لا ينثني»[2].

قلت: خالد هذا هو ابن يزيد بن عبد الرحمن الدمشقي: وهاه ابن معين. وقال أحمد: ليس بشيء. وقال النسائي: غير ثقه، وقال الدارقطني: ضعيف. وذكر ابن عدي له هذا الحديث مما أنكره عليه.

وقال أبو نعيم : حدثنا إبراهيم بن عبدالله ، حدثنا محمد بن حمويه، حدثنا أحمد بن حفص، حدثني أبي، حدثني إبراهيم بن طهمان، عن الحجاج، عن قتادة، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « للمؤمن في الجنة ثلاثُ وسبعون زوجة » فقلنا يا رسول الله أو له قوة على ذلك ؟ قال : « إنه ليعطى قوة مئة »[3] .

---

(١) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٥٨)، والبيهقي في « البعث » (٣٧٥)، وأحمد ٧٥/٣ بألفاظ متقاربة، والطبراني في « الكبير »، و« الأوسط » كما في « مجمع الزوائد » ٤١٩/١٠ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى وإسنادهما حسن ، وابن حبان (٢٦٣١) في « الموارد » ، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ١٤٨/٦ .

(٢) أخرجه ابن ماجة (٤٣٣٧) في الزهد ، باب (٣٩) من طريق خالد بن يزيد ولفظه : « ما من أحد يدخله الله الجنة إلا زوَّجهُ الله عز وجل ثنتين وسبعين زوجة: ثنتين من الحور العين، وسبعين من ميراثه من أهل النار » . قال هشام شيخ ابن ماجة : من ميراثه من أهل النار، يعني رجالاً دخلوا النار فورث أهل الجنة نساءهم كما ورثت امرأة فرعون. قال في « الزوائد » : في إسناده مقال: خالد بن يزيد وثقه العجلي وأحمد بن صالح المصري، وضعفه أحمد ، وابن معين، وأبو داود والنسائي، وابن الجارود، والساجي، والعقيلي وغيرهم . وأخرجه ابن عدي في « الكامل » ٨٨٤/٣ ووقع فيه: «من أهل الجنة بدلاً من أهل النار»، والبيهقي في «البعث والنشور» (٤٠٦)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٣٩/١ .

(٣) أخرجه «في صفة الجنة» (٣٧٢) وأخرج نحوه الطيالسي في «مسنده» (٢٠١٢)، والترمذي =

قلت : أحمد بن حفص هذا هو السعدي ، له مناكير . والحجاج : هو ابن أرطاة .

وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن علي الأيار، حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع ، وأنبأنا محمد بن أحمد بن هشام السجزي ببغداد، حدثنا عبدالله بن عمر بن أبان قالا : حدثنا حسين بن علي الجعفي ، عن زائدة ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قيل يا رسول الله ، هل نصل إلى نسائنا في الجنة ؟ فقال : « إن الرجل ليصلُ في اليوم إلى مئة عذراء »[1] قال الطبراني : لم يروه عن هشام إلا زائدة تفرد به الجعفي . قال محمد بن عبد الواحد المقدسي : ورجال هذا الحديث عندي على شرط الصحيح .

وقال أبو الشيخ : حدثنا أبو يحيى بن سليم الرازي ، حدثنا هناد بن السري ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن حسان ، عن زيد بن أبي الحواري وهو زيد العمي ، عن ابن عباس قال : قيل يا رسول الله أنفضي إلى نسائنا في الجنة ، كما نفضي إليهن في الدنيا ؟ قال : « والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليفضي في الغداة الواحدة إلى مئة عذراء »[2] وزيدٌ هذا قال فيه ابن معين : صالح ، وقال مرة : لا شيء ، وقال مرة : ضعيف ، يكتب حديثه وكذلك قال :

= (٢٥٣٦) في صفة الجنة : باب (٦) في صفة جماع أهل الجنة ، وقال : حديث صحيح غريب ، وابن حبان (٢٦٣٥) في «الموارد» من حديث أنس ولفظه : «يعطى قوة مئة» ، وله شاهد عند البزار (٣٥٢٦) .

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٧٣) والخطيب ١/ ٣٧١ في ترجمة محمد بن أحمد السجزي ، والطبراني في «الصغير» (٧٩٥) ، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٤٠ ، والبزار (٣٥٢٥) في صفة الجنة : باب في جماع أهل الجنة ، ونحوه عند البيهقي في «البعث والنشور» (٤٠٢) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٧٤) والبيهقي في «البعث» (٤٠٤) ، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٤٣٦) ، وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٤١٦ وقال : وفيه زيد بن أبي الحواري ، وقد وثق على ضعف ، وبقية رجاله ثقات ، والسيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٤٠ ، وابن حجر في «المطالب العالية» (٤٦٨١) وقال محققه الأعظمي : وله شاهد من حديث أبي هريرة عند البزار (٣٥٢٥) بإسناد جيد .

أبو حاتم[1]، وقال الدارقطني: صالح، وضعفه النسائي. وقال السعدي: متماسك. قلت: وحسبه رواية شعبة عنه.

فصل

والأحاديث الصحيحة إنما فيها « أنّ لكلٍّ منهم زوجتين »[2]، وليس في « الصحيح » زيادة على ذلك، فإن كانت هذه الأحاديث محفوظة، فإما أن يراد بها ما لكل واحد من السراري زيادة على الزوجتين، ويكونون في ذلك على حسب منازلهم في القلة والكثرة كالخدم والولدان، وإما أن يراد أنه يعطى قوة من يجامع هذا العدد، ويكون هذا هو المحفوظ، فرواه بعض هؤلاء بالمعنى فقال: له كذا وكذا زوجة.

وقد روى الترمذي في « جامعه » من حديث قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: « يُعطىٰ المؤمنُ في الجنةِ قوة كذا وكذا من الجماع »، قيل: يا رسول الله أوَ يُطيقُ ذلك؟ قال: « يُعطىٰ قوةَ مئة »[3]. هذا حديث صحيح، فلعل من رواه يفضي إلى مئةِ عذراء. رواه بالمعنى أو يكون تفاوتهم في عدد النساء بحسب تفاوتهم في الدرجات، والله أعلم.

ولا ريب أن للمؤمن في الجنة أكثر من اثنتين، لما في « الصحيحين »، من حديث أبي عمران الجوني، عن أبي بكر، عن عبدالله بن قيس، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن للعبد المؤمن في الجنة لخيمةً من لؤلؤة مجوفةٍ طولها ستون ميلاً للعبد المؤمن فيها أهلون فيطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضاً »[4]

---

(١) انظر «الجرح» ٣/٥٦٠.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٥٤) في بدء الخلق، وغيره.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٣٦) في صفة الجنة: باب (٦) في صفة جماع أهل الجنة.

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٤٣) في بدء الخلق: باب (٨) ما جاء في صفة الجنة، ومسلم (٢٨٣٨) في الجنة: باب (٩) في صفة خيام الجنة، والبيهقي في « البعث والنشور » (٣٧٤).

الباب الرابع والخمسون

في ذكر المادة التي خلق منها الحور العين وما ذكر فيها من الآثار
وذكر صفاتهن ومعرفتهن اليوم بأزواجهن

فأما المادة التي خلق منها الحور العين، فقد روى البيهقي من حديث الحارث بن خليفة. قال حدثنا شعبة، حدثنا إسماعيل ابن عُلية، عن عبد العزيز ابن صهيب، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: « الحورُ العِين خُلِقنَ من الزعفران »[1]. قال البيهقي: وهذا منكر بهذا الإسناد، ولا يصح عن ابن عُلية، قلت: ولكنه حديث فيه شعبة. وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن رشدين، حدثنا علي بن الحسن بن هارون الأنصاري، حدثني الليث بن ابنة الليث بن أبي سليم قال: حدثتني عائشة بنت يونس امرأة الليث بن أبي سليم، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: « خُلِقَ الحورُ العينُ من الزعفران »[2] قال الطبراني: لا يروى إلا بهذا الإسناد. تفرد به علي ابن الحسين بن هارون. قلت: وقد رواه إسحاق بن راهويه، عن عائشة بنت يونس قالت: سمعت زوجي ليث بن أبي سليم يحدث عن مجاهد، فذكره موقوفاً عليه وهو أشبه بالصواب، ورواه عقبة بن مكرم، عن عبدالله بن زياد، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس قوله: ولا يصح رفع الحديث، وحسبه أن

(١) أخرجه البيهقي في «البعث» (٣٩١)، والخطيب البغدادي في «التاريخ» ٧/٩٩، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٦/٣٣، وزاد نسبته إلى ابن مردويه.

(٢) أخرجه الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » وفي إسنادهما ضعفاء كما في « مجمع الزوائد » ١٠/٤١٩ ، وذكره السيوطي ٦/٣٣، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

يصل إلى ابن عباس، وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن : إن لولي الله عروساً لم يلدها آدم ولا حواء ، ولكن خلقت من زعفران [وهذا] مروى عن صحابيين وهما ابن عباس وأنس، وعن تابعيين ، وهما أبو سلمة ومجاهد، وبكلٍّ حالٍ فهن من المنشآتِ في الجنة ليس مولودات بين الآباء والأمهات ، والله أعلم .

وقد رواه الطبراني من حديث عبدالله بن زحر، عن علي بن زيد، عن القاسم، عن أمامة، عن النبي ﷺ ، وهذا الإسناد لا يحتج به، ورواه أبو نعيم، حدثنا علي بن محمد الطوسي، حدثنا علي بن سعيد، حدثنا محمد بن إسماعيل الحساني، حدثنا منصور بن المهاجر، حدثنا أبو النضر الأبار، عن أنس يرفعه : « لو أنَّ حوراء بصقت في سبعة أبحر لعذبت البحار من عذوبة فمها، وخلق الحور العين من الزعفران »[1] وإذا كانت هذه الخلقة الآدمية التي هي من أحسن الصور وأجملها ، مادتها من تراب وجاءت الصورة من أحسن الصور، فما الظن بصورة مخلوقة من مادة الزعفران الذي هناك ! فالله المستعان .

وقد روى أبو نعيم من حديث عيسى بن يوسف بن الطباع، حدثنا حلبس ابن محمد الكلابي، حدثنا سفيان الثوري، حدثنا مغيرة، حدثنا إبراهيم النخعي، عن علقمة، عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « سطع نور في الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا هو من ثغر حوراء ،ضحكت في وجه زوجها»[2]

وروى بقية بن الوليد، حدثنا بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة قال : إنَّ مِنَ المزيدِ أن تمرَّ السحابةُ بأهل الجنةِ فتقول: فما تريدون أن أمطركم ؟ فلا يتمنون شيئاً إلا مطروا: قال : يقول كثير : لئن أشهدني الله ذلك لأقولن: أمطرينا جواري مزينات.[3]. وقد روي في مادة خلقهن صفة أخرى. قال ابن أبي الدنيا: حدثنا خالد بن خداش، حدثنا عبدالله

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٨٦) وفيه: «ريقها، ويخلق» بدل «فمها، وخلق» وأورد السيوطي في «الدر المنثور» ٦/٣٣ مختصراً عن أنس نحوه بلفظ: «لو أن حوراء بزقت في بحر لجي لعذب ذلك البحر من عذوبة ريقها». ونسبه إلى ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»، وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٦/٣٧٤، وفي «صفة الجنة» (٣٨١).

(٣) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٤٠) .

ابن وهب، حدثنا سعيد بن أيوب، عن عقيل بن خالد، عن الزهري أن ابن عباس قال: إن في الجنة نهراً يقال له البيدخ، عليه قباب من ياقوت، تحته جوارٍ ناشئاتٍ يقول أهل الجنة: انطلقوا بنا إلى البيدخ، فيجيؤن فيتصفحون تلك الجواري فإذا أعجب رجلًا منهم جارية مسّ معصمها فتتبعه[1] وقال الليث بن سعد: عن يزيد بن أبي حبيب، عن الوليد بن عبدة قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «يا جبريل قفْ بي على الحور العين، فأوقفه عليهنّ. فقال: من أنتنَّ؟ فقلن: نحن جواري قومٍ كرامٍ حَلُّوا فلم يظعنوا، وشَبُّوا فلم يَهْرَموا، ونقوا فلم يَدْرُنُوا»[2].

وقال ابن المبارك، أنبأنا يحيى بن أيوب، عن عبيدالله بن زحر، عن خالد بن أبي عمران، عن أبي عياش قال: كنا جلوساً مع كعب يوماً فقال: لو أن يداً من الحوراء دُلِّيت من السماء، لأضاءت لها الأرض كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، ثم قال: إنما قلت: يدها، فكيف بالوجهِ ببياضه وحسنه وجماله!»[3].

وفي «مسند» الإمام أحمد من حديث كثير بن مرّة، عن معاذ بن جبل، عن النبي ﷺ قال: «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يُفارِقَكِ إلينا»[4] وفي مراسيل عكرمة عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الحور العين لأكثر عدداً منكُنَّ يدعون لأزواجهنَّ يَقُلنَ: اللَّهمّ أعِنْهُ على دينك، وأقبلْ بقلبهِ على طاعَتِك، وبلِّغْه بعزتِكَ يا أرحمَ الراحمين»[5] ذكره ابن أبي الدنيا من حديث أسامة بن زيد، عن عطاء عنه.

---

(١) أخرجه بنحوه أبو نعيم «صفة الجنة» (٣٢٤).

(٢) لم نجده.

(٣) أخرجه ابن المبارك في «زوائد الزهد» (٢٥٦).

(٤) أخرجه أحمد ٥/٢٤٢، والترمذي (١١٧٤) في الرضاع: باب (١٩) وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجة (٢٠١٤) في النكاح: باب (٦٢) في المرأة تؤذي زوجها، وأبو نعيم في «الحلية» ٥/٢٢٠ وقال: غريب من حديث خالد عن كثير تفرد به بحير، و«صفة الجنة» (٨٦).

(٥) لم نجده.

وذكر الأوزاعي ، عن حسان بن عطية ، عن ابن مسعود قال : إن في الجنة حوراء يقال [لها] اللُّعبة ، كل حـور الجنان يُعجبنَ بهـا يضربنَ بـأيديهنَ على كتفها ويقلنَ : طوبى لك يا لعبةُ، لو يعلم الطالبونَ لـك لجدّوا ، مكتـوب بين عينيها : من كان يبتغي أن يكون له مثلي فليعمل برضاء ربي .

وقال عطاء السلمي لمالك بن دينار: يا أبا يحيى شوقنا، قال: يا عطاء إن في الجنة حوراء يتباهى أهلُ الجنةِ بحسنها، لولا أنّ الله تعالى كتبَ على أهـل الجنة أن لا يموتوا لماتوا من حسنها، فلم يـزل عطاء كمـداً من قول مـالك أربعين عاماً(١).

وقال أحمد بن أبي الحواري : حدثني جعفر بن محمد قال : لقي حكيم حكيماً ، فقال : أتشتاق إلى الحور العين ؟ فقال : لا ، فقال . فاشتق إليهن، فإنَّ نُورَ وجههن من نورِ الله عز وجل، فغشي عليه، فحمـل إلى منزلـه فجعلنا نعوده شهراً .

وقال ربيعة بن كلثوم نظر إلينا الحسن ونحن حوله شباب فقال : يا معشر الشباب، أما تشتاقون إلى الحور العين ؟ .

وقال ابن أبي الحواري حدثني الحضرمي . قـال : نمت أنا وأبـو حمزة على سطح ،فجعلت أنظر إليه يتقلب على فراشـه إلى الصباح ، فقلت : يـا أبا حمزة ما رقدت الليلة، فقال : إني لما اضطجعت تمثلت لي حوراء حتى كأني أحسست بجلدها قد مسَّ جلدي ، فحدثت به أبا سليمان فقال : هذا رجل كان مشتاقاً .

وقال ابن أبي الحواري : سمعت أبـا سليمان يقـول : يُنشأُ خلق الحـور العين إنشاءً ، فإذا تكامل خلقهن ضربت عليهن الملائكة الخيام .

وذكر ابن أبي الدنيا : عن صالح المري، عن يزيد الرَّقاشي قال : بلغني أن نوراً سطع في الجنة لم يبقَ موضعٌ من الجنة إلا دخل من ذلك النـور فيه ،

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » ٦/٢٢١ - ٢٢٢ .

فقيل : ما هذا ؟ قيل : حوراء ضحكت في وجه زوجها، قال صالح : فشهق رجل من ناحية المجلس، فلم يزل يشهق حتى مات .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا بشر بن الوليد، حدثنا سعيد بن زربى ، عن عبد الملك الجوني ، عن سعيد بن جبير، قال : [سمعت] ابن عباس يقول : لو أن حوراءَ أخرجت كفَّها بين السمـاء والأرض لافتتنَ الخلائقُ بحسنهـا، ولو أخرجت نصيفها لكانت الشمس عند حسنهِ مثل الفتيلة في الشمس لا ضوء لها، ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض .

وقال ابن أبي الدنيـا : حدثني الحسين بن يحيى وكثيـر العنبري ، حـدثنا خزيمة أبو محمد، عن سفيان الثوري قال : سطع نور في الجنة لم يبقَ موضعٌ من الجنة إلا دخل فيه من ذلك النور، فنظروا فوجدوا ذلك من حوراء ضحكت في وجه زوجها[1] . ورواه الخطيب في « تاريخه » من حديث عبدالله بن محمد الكرخي ، قال : حـدثني عيسى بن يوسف الطباع ، حـدثني حلبس بن محمد ، حدثنا سفيان الثوري ، عن مغيـرة ، عن إبراهيم ، عن علقمـة ، عن عبدالله ، عن النبي ﷺ قال : « سَطَعَ نورٌ في الجنة فرفعوا رؤوسهم فـإذا هو من ثغـر حوراء ضحكت في وجه زوجها »[2] .

وقال الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير: إذا سبحت المرأة من الحور العين لم يبق شجرة في الجنة إلا ورِدَّت.

وقال ابن المبارك : حدثنا الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير : أن الحور العين يتلقين أزواجهن عنـد أبواب الجنـة فيقلن : طال مـا انتظرنـاكم ، فنحن الراضيات فلا نسخط، والمقيمات فلا نظعن ، و[نحن] الخالدات فلا نموت، بأحسن أصوات سمعت وتقول : أنتَ حِبِّي [وأنا حِبّك] ، ليس دونك مقصر، ولا وراءك معدل[3] .

---

(١) تقدم نحوه مرفوعاً عند أبي نعيم ص ٣٠٢ ت (٢) .

(٢) أخرجه الخطيب في « تاريخه » ٨/٢٥٣ مختصراً و١١/١٦٣ .

(٣) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٤٣٥) وما بين الحاصرتين منـه .

الباب الخامس والخمسون

في ذكر نكاحِ أهل الجنة ووطئهم والتذاذهم بذلك أكمل لذة ونزاهة ذلك عن المذي والمني والضعف، وأنه لا يوجب غسلاً

قد تقدم حديث أبي هريرة : قيل يا رسول الله ، أنفضي إلى نسائنا في الجنة ؟ فقال : « إنَّ الرجلَ ليصِلُ في اليوم إلى مئة عذراء»(١) وإسناده، صحيح .

وتقدم حديث أبي موسى المتفق على صحته : « إنَّ للمؤمنِ في الجنةِ خيمةً من لؤلؤةٍ واحدةٍ مجوفةٍ طولها ستونَ ميلاً، فيها أهلون يطوفُ عليهم »(٢) .

وحديث أنس : « يُعطى المؤمن في الجنة قوةُ كذا وكذا من الجماع»(٣) وصححه الترمذي .

وروى الطبراني ، وعبدالله بن أحمد، وغيرهما من حديث لَقيطِ بن عامر أنه قال : يا رسول الله على ما نطلعُ من الجنة ؟ قال : « على أنهارٍ من عسلٍ مُصفّى ، وأنهارٍ من كأسٍ ما بها صُداعٌ ولا ندامةٌ ، وأنهارٍ من لبنٍ لم يتغيرْ طعمُه ، وماءٍ غير آسنٍ ، وفاكهةٍ لعمرُ إلهكَ ممّا تعلمون ، وخيرٍ من مثله ، وأزواجٍ مطهَّرةٍ». قلتُ : يا رسولَ الله أو لنا فيها أزواجٌ مصلحاتٌ ؟ قال : «الصالحاتُ للصالحين ، تلذذوا بهنَّ مثلَ لذاتِكم في الدنيا ويلذذنكم، غير أن لا توالد »(٤) .

---

(١) تقدم ص : ٣٠٠ ت (١) .

(٢) تقدم : ص ٣٠١ ت (٤) نحوه مطولاً .

(٣) تقدم ص٣٠١ ت (٣) وفي الأصل: «من النساء».

(٤) قطعة من حديث طويل أخرجه الطبراني في« الكبير » ١٩/ ٢١٣ (٤٧٧)، وعبدالله بن أحمد في =

وقـال ابن وهب : أخبـرني عمــرو بن الحــارث، عن درّاج ، عن ابن حجيرة ، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنـه قال : يـا رسول الله أنـطأ في الجنـة ؟ قال : « نعم والـذي نفسي بيده دَحْمـاً دَحْماً ، فـإذا قام عنهـا رجعت مطهَّرةً بكراً »[1] .

وقال الطبراني : حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيـه ، حدثنـا محمد بن عبـد الملك الـدقيقي الواسـطي، حدثنـا مُعلَّى بن عبد الـرحمن الواسـطي، حدثنـا شريك، [عن] عـاصم الأحول، عن أبي المتـوكل، عن أبي سعيـد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ أهلَ الجنةِ إذا جامعوا نساءهم عُدنَ أبكاراً »[2] قال الطبراني : لم يروه عن عاصم إلا شريك تفرد به معلى .

قال الطبراني : وحدثنا عبدان بن أحمد، حدثنـا محمد بن عبـد الرحيم البرقي، حدثنا عمرو بن أبي سلمة، حدثنـا صدقـة، عن هاشم بن زيـد، عن سليم بن أبي يحيى أنه سمع أبا أمامة يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ وسئل : هل يتناكحُ أهلُ الجنةِ ؟ قال : « بذَكَرٍ لا يَمَلُّ، وشهوةٍ لا تنقطعُ دَحْماً دَحْماً »[3] .

قال الطبراني : وحدثنا أحمد بن يحيى الحلواني، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك، عن أبيه، عن خالد بن معدان، عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ سئل : أيجامعُ أهلُ الجنةِ ؟ قال : دَحْماً دَحْماً ، ولكن لا مَنِّي

= «المسند» ٤/ ١٤، وذكره الهيثمي في «مجمـع الزوائـد» ١٠/ ٣٣٩ وقال: أحـد طريقي عبـدالله إسنادها متصل ورجالهما ثقات، والإسناد الآخر وإسناد الطبراني مرسلٌ عن عاصم بن لقيط.

(١) أخرجه ابن حبان (٢٦٣٣) في «الموارد» وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٤٠ ـ ٤١ ونسبه للضياء المقدسي في «صفة الجنة».

(٢) أخرجه الـطبراني في « الصغيـر » (٢٤٩) والبزار (٣٥٢٧) وقـالا : لا نعلم رواه عن عاصم إلا شريك، وذكـره السيوطي في «الـدر المنثور» ١/ ٤١ وزاد نسبتـه إلى أبي الشيخ في «العـظمة» و ٦/ ١٥٨، وذكـره الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٤١٧ وقـال: فيـه معلى، وهـو كـذاب، وابن كثير في «النهاية» ٢/ ٤٦٦.

(٣) أخرجه أبـو نعيم في «صفة الجنـة» (٣٦٨)، وأورده الهيثمي في «المجمع» ١٠ / ٤١٦ ونسبـه للطبراني. الدحم: الوطء بدفع وإزعاج.

ولا مَنِّيَةَ »(١) وهاشم وخالد، وإن تُكلِّم فيهما فليس الاعتماد عليهما، وقوله: « لا مَنِّيَ ولا مَنِّيَةَ » أي: لا إنزال ولا موت.

وقال أبو نعيم: حدثنا أبو علي محمد بن أحمد، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا أبو عبد الرحمن المقري، حدثنا عبد الرحمن بن زياد، حدثنا عمار بن راشد، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه سئل: هلْ يَمَسُّ أهل الجنة أزواجهم؟ قال: «نعم، بذَكَرٍ لا يَمَلُّ، وفرجٍ لا يَحْفَى، وشهوة لا تنقطع»(٢).

وقال الحسن بن سفيان في « مسنده »: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا عثمان بن أبي العاتكة، عن علي بن زيد، عن القاسم، عن أبي أمامة قال سئل رسول الله ﷺ: هلْ ينكحُ أهلُ الجنةِ؟ قال: « إي، والذي بعثني بالحق، دَحْماً دَحْماً، وأشار بيده، ولكن لا مِنِّيَ ولا مَنِيَّة »(٣).

وقال سعيد بن منصور: حدثنا سفيان، عن عمرو، عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿ إنَّ أصْحابَ الجنةِ اليومَ في شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾ [يس: ٥٥] قال: في افتضاض الأبكار(٤).

وقال عبدالله بن أحمد: حدثنا أبو الربيع الزهراني ومحمد بن حميد: قالا: حدثنا يعقوب بن عبدالله، حدثنا حفص بن حميد، عن شِمْر بن عطية

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٧٤٧٩)، والبيهقي في «البعث» (٤٠٧) وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/٤١٦ - ٤١٧ وقال: رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها وثقوا على ضعف في بعضهم، والسيوطي في «الدر المنثور» ١/٤٠ وزاد نسبته إلى أبي يعلى، وابن عدي في «الكامل».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «صفه الجنة» (٣٦٦)، والبزار (٣٥٢٤) في جماع أهل الجنة. وقال: عمارة لا نعلم حدث عنه إلا عبد الرحمن بن زياد وعبد الرحمن كان حسن العقل، ولكنه وقع على شيوخ مجاهيل فحدث عنهم بأحاديث مناكير فضعف حديثه، وهذا مما أنكر عليه، ولم يشاركه فيه غيره. وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/٤١٧ وقال: فيه عبد الرحمن بن زياد، وهو ضعيف بغير كذب.

يحفى: يرق.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٦٩)، وأورد الهيثمي في «المجمع» ١٠/٤١٦ نحوه.

(٤) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (١٥٨٦)، والبيهقي في « البعث » (٤٠١)، والطبري في « التفسير » ٢٣/١٨، وذكره في «الدر المنثور» ٦/٢٢٦ ونسبه إلى عبد بن حميد.

عن شقيق بن سلمة، عن عبدالله بن مسعود في قوله تعالى : ﴿ إنَّ أصْحابَ الجنةِ اليَومَ في شُغُلٍ فاكِهُونَ ﴾ قال : شَغَلَهم افتضاض العذارى(١) .

وقال الحاكم : أنبأنا الأصم، أنبأنا العباس بن الوليد، أخبرني شعيب، عن الأوزاعي، في قوله تعالى : ﴿ إنَّ أصحابَ الجنةِ اليومَ في شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾ قال : شغلهم افتضاضُ الأبكار(٢) .

وقال مقاتل: شغلوا بافتضاض العذارى عن أهل النار فلا يذكرونهم ولا يهتمون لهم، وقال أبو الأحوص: شغلوا بافتضاض الأبكار على السرر في الحِجَال.

وقال سليمان التيمي، عن أبي مجلز، قلت لابن عباس [عن] قول الله تعالى : ﴿إنَّ أصحابَ الجنَّةِ اليومَ في شُغُلٍ فاكهونَ﴾ ما شغلهم؟ قال: افتضاض الأبكار(٣).

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا فُضيل بن عبد الوهاب، حدثنا يزيد بن زُريع، عن سليمان التيمي، عن أبي عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس : ﴿ في شُغُلٍ فاكِهُونَ ﴾ قال : في افتضاض العذارى .

حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا يحيى بن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد بن جبير: إنَّ شهوته لتجري في جسده سبعينَ عاماً يجدُ اللَّذة، ولا يلحقهم بذلك جنابة، فيحتاجون إلى التطهير، ولا ضعف ولا انحلال قوة، بل وطؤهم وطء التذاذ ونعيم، لا آفة فيه بوجه من الوجوه.

وأكمل الناس فيه أصونهم لنفسه في هذه الدار عن الحرام، فكما أن من شرب الخمر في الدنيا لم يشربْها في الآخرة ، ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ، ومن أكل في صحافِ الذهب والفضة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة، كما قال النبي ﷺ : « إنها لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة »(٤) .

---

(١) أخرجه ابن جرير في «التفسير» ٢٣/ ١٧ ـ ١٨ ، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٧٥)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٦/ ٢٦٦ وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وعبدالله بن أحمد في «زوائد الزهد»، وابن المنذر.

(٢) أخرجه البيهقي في « البعث والنشور » (٤٠٠) .

(٣) أخرجه ابن جرير ٢٣/ ١٨ . وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٧٦).

(٤) أخرجه البخاري (٥٨٣١) في اللباس : باب (٢٥) لبس الحرير للرجال وقدر ما يجوز منه ، وابن =

فمن استوفى طيباته ولذاته وأذهبها في هذه الدار حُرِمها هناكَ، كما نعى سبحانه وتعالى على من أذهب طيباته في الدنيا واستمتع بها، ولهذا كان الصحابة ـ ومن تبعهم ـ يخافون من ذلك أشدَّ الخوف، وذكر الإمام أحمد، عن جابر بن عبدالله : أنه رآه عمر ومعه لحم قد اشتراه لأهله بدرهم، فقال : ما هذا ؟ قال : لحم اشتريته لأهلي بدرهم، فقال : أَوَ كُلَّما اشتهى أحدكم شيئاً اشتراه ! أما سمعت الله تعالى يقول : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُم في حَيَاتِكُمُ الدُّنْيا واسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾[1] [الأحقاف : ٢٠] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان، حدثنا جرير بن حازم، قال : حدثنا الحسن قال : قَدِم وفدُ أهلِ البصرةِ مع أبي موسى على عمر، فكنَّا ندخل عليه كلَّ يومٍ وله خبز يُلتُّ[2]، رُبما وافقناها مأدومةً بالسمن، وربما وافقناها مأدومةً بالزيت، وربما وافقناها مأدومةً باللبنِ، وربما وافقنا القدائد[3] اليابسة، قد دقت ثم أغلي بماء ، وربما وافقنا اللَّحم الغريض[4] وهو قليل، فقال ذات يوم : إني والله قد أرى تقديركم وكراهيتكم لطعامي، إني والله لو شئت لكنت من ألينكم طعاماً ، وأرقِّكم عيشاً ، ولكني سمعت الله تعالى عَيَّر قوماً بأمرٍ فعلوه ، فقال : ﴿ أذهبتمْ طيباتِكُم في حياتِكُم الدُّنيا واستمعتُمْ بها ﴾[5][الأحقاف : ٢٠] .

فمن ترك اللَّذةَ المحرمةَ لله استوفاها يومَ القيامةِ أكملَ ما تكونُ، ومن استوفاها ها هنا حُرِمها هُناك ، أو نقص كمالها، فلا يجعل الله لذةَ من أوضع في معاصيه ومحارمه، كلذَّةِ من ترك شهوتَهُ للهِ أبداً ، والله أعلم .

= ماجه (٣٥٩٠) في اللباس : باب (١٦) كراهية لبس الحرير من حديث حذيفة رضي الله عنهما.

(١) أخرجه أحمد في « الزهد » ص ١٥٣ بنحوه، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٤٢/٦ .

(٢) في الأصل : ثلاثة، والتصويب من « الزهد » لابن المبارك ،

(٣) في الأصل : القرايد، والتصويب من « الزهد » وهي اللحم القديد الذي يجففـ بالشمس .

(٤) الغريض : الطري .

(٥) أخرجه أحمد في «الزهد» ص ١٤٣ مختصراً، وابن المبارك في «الزهد» (٥٧٩) مطولاً، وأبو نعيم في «الحلية» ٤٩/١ مختصراً، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٤٣/٦ وزاد نسبته إلى ابن سعد، وعبد بن حميد.

الباب السادس والخمسون

في اختلاف الناس هل في الجنة حمل وولادة أم لا ؟

قال الترمذي : في « جامعه » حدثنا بندار، حدثنا معاذ بن هشام قال : حدثني أبي، عن عامر الأحول، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري، قال : قال رسول الله ﷺ : « المؤمنُ إذا اشتهى الولدَ في الجنَّةِ كان حملُه ووضعُه وسنُّه في ساعةٍ، كما يشتهي » قال : هذا حديث حسن غريب. وقد اختلف أهل العلم في هذا. فقال بعضهم : في الجنة جماعٌ ولا يكون ولد، هكذا روي عن طاووس ومجاهد وإبراهيم النخعي .

وقال محمد ـ يعني البخاري ـ قال إسحاق بن إبراهيم في حديث النبي ﷺ : « إذا اشتهى المؤمنُ الولدَ في الجنّة كان في ساعة كما يُشتهى ولكنْ لا يشتهي » . قال محمد : وقد روي عن أبي رزين العقيلي، عن النبي ﷺ قال : « إنَّ أهلَ الجنة لا يكونُ لهم فيها ولدٌ » وأبو الصديق الناجي : اسمه بكر بن عمرو، ويقال : بكر بن قيس. انتهى كلام الترمذى (١) .

قلت : إسناد حديث أبي سعيد على شرط الصحيح، فرجاله محتج بهم فيه، ولكنه غريب جداً ، وتأويل إسحاق فيه نظر، فإنه قال : إذا اشتهى

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٦٣) في الجنة : باب (٢٣) بتمامة، والقسم الأول أخرجه ابن ماجة (٤٣٣٨) في الزهد: باب (٣٩) في صفة الجنة، والدارمي ٢/ ٣٣٧ في الرقاق : باب (١١٠) في ولد أهل الجنة، وأحمد ٣/ ٩ ، ٨٠،وأبو يعلى في « مسنده » (١٠٥١) ورجاله ثقات، وصححه ابن حبان (٢٦٣٦) في «الموارد»، والبيهقي في «البعث» (٤٤١) القسم الأخير، وابن كثير في «النهاية» ٢/ ٤٦٦ وقال: قال الحافظ الضياء المقدسي: وهذا عندي على شرط مسلم والله أعلم.

[المؤمن] الولد. فـ « إذا » : للمتحقق الوقوع، ولو أريد ما ذكره من المعنى، لقال : لو اشتهى المؤمن الولد لكان حمله في ساعـة ، فإنَّ مـا لا يكون أحقُّ بأداة لو، كما أن المحقق الوقوع أحقُّ بأداة إذا.

وقد قال أبو نعيم : حدثنا عبدان بن أحمـد، حدثنـا أحمد بن إسحـاق، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا سفيـان الثوري، عن أبـان، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري قال: قيلَ يا رسولَ الله، أيُولَدُ لأهلِ الجنة، فإنَّ الولدَ من تمامِ السرورِ؟ فقال : « نعم والذي نفسي بيده، وما هو إلا كقدر مـا يتمنى أحدكم فيكون حملُه ورضاعُه وشبابُه »[1] .

حـدثنا أبـو الحسن علي بن إبراهيم بن أحمـد الرازي : بمكـة، حدثنـا عبد ارحمن بن محمد بن إدريس، حدثنا سليمان بن داود القزاز، حدثنا يحيى بن حفص الأسدي، قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء ، يحدث عن جعفر بن ثور العبدي، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الرجلَ من أهل الجنة ليولد لـه كما يشتهي، فيكـون حمله وفصالـه وشبابه في ساعة واحدة »[2] . وحديث معاذ بن هشام، قال فيه بنـدار : عامـر الأحول، وقال عمرو بن علي : عاصم الأحول .

وقال الحاكم : أنبأنا الأصم، حدثنا محمـد بن عيسى، حدثنـا سلام بن سليمان ، حدثنا سلام الطويل، عن زيد العمي، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري يرفعه « إنَّ الرجلَ من أهل الجنةِ ليشتهي الولدَ في الجنة ، فيكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة »[3] . قـال البيهقي : هذا إسنـاد ضعيف بمرّة .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٧٥)، وعبد بن حميـد (٩٣٩)، وهناد في «الـزهد» (٩٣)، وأورده ابن كثير في «النهاية» ٢/٤٦٧ ونسبه للحاكم وقال: وهذا السياق يدل على أن هذا أمر يقع خلافاً لما حكاه البخاري والترمذي عن إسحاق بن راهويه: أن ذلك محمـول على أنه لـو أراد ذلك ولكن لا يريده.

(٢) أخرجه في «صفـة الجنة» (٢٧٥)، و«أخبـار أصبهان» ٢/٢٩٦، وأبـو الشيـخ في «العـظيمـة» (٥٨٥).

(٢) أخرجه البيهقي في « البعث والنشور » (٤٤٠) وقال : إسناده ضعيف بمرة .

وأما حديث أبي رَزين الذي أشار إليه البخاري فهو حديثه الطويل، ونحن نسوقه بطوله نجمِّلُ به الكتاب فعليه من الجَلاَلةِ والمهابَةِ ونُـورِ النبوةِ مـا ينادي على صحتِهِ .

قـال عبدالله بن الإمـام أحمد في « مسنـد » أبيه : كتب إليَّ إبـراهيم بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير : كتبت إليك بهذا الحديث وقد عـرضته وسمعته على ما كتبت به إليك، فحدث بذلك عني ،قال: حدثني عبد الرحمن بن المغيـرة الخزامي قـال : حدثني عبـد الـرحمن بن عيـاش السمعي الأنصـاري القبائي من بني عمرو بن عوف، عن دلهم بن الأسود بن عبدالله بن حاجب بن عـامر بن المنتفق العقيلي، عن أبيـه، عن عمه لقيط بن عـامـر . قـال دلهم : وحدثنيه أبو الأسود، عن عاصم بن لقيط أن لقيطاً خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب لـه يقال لـه نُهيك بن عـاصم بن مالـك بن المنتفق. قال لقيط : فخرجتُ أنا وصاحبي حتى قدمنـا على رسول الله ﷺ حين انصـرف من صلاة الغداة، فقام في الناس خطيباً فقال : « أيها الناس ألا إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام ألا لأسمعكم، ألا فهل من امرىء بعثه قومه ؟ فقالوا : اعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ ؟ ألا ثم لعله أن يلهيَه حديثُ نفسه، أو حديث صـاحبه أو يلهيه الضلال، ألا إني مسؤول ، [ألا] هـل بلغت، ألا اسمعوا تعيشـوا، ألا اجلسوا ألا اجلسوا» قال: فجلس الناس، وقمت أنا وصاحبي، حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره قلتُ: يارسول الله ما عندك من علم الغيب؟فضحك لعمـر الله وهزَّ رأسـه، وعلم أني أبتغي لسقطه، فقـال : « ضَنَّ رَبُّكَ عـز وجل بمفـاتيـح خمس من الغيب لا يعلمهـا إلا الله، وأشـار بيـده، قلت: ومـا هي ؟ قال : علم المنية، قد علم المنية ، قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه، وعلم المنِي حين يكون في الرحم قد علمه ولا تعلمون، وعلم ما في غدٍ ما أنت طاعمه غداً، ولا تعلمه، وعلم يوم الغيث يشـرف عليكم أذلِّين مشفقين، فيظل يضحك، قد علم أنَّ غيـركم إليَّ قريب » قـال لقيط : قلت : لن نعدم من رب يضحك خيراً ، « وعلم يوم الساعـة » قلت : يا رسـول الله ، علمنا ممـا تعلم الناس، وما تعلم، فإنا من قبيل لا يصدقـون تصديقنـا أحد، من مَـذْحِجٍ التي تربوا علينا ، وخثعم التي توالينا، وعشيرتنا التي نحن منها ، قال : « تلبثون ما

لبثتم ، ثم يتوفى نبيكم ، ثم تلبثون ما لبثتم ، ثم تبعث الصائحة . لعمر إلهك ما تدع على ظهرها شيئاً إلا مات ، والملائكة الذين مع ربك عزَّ وجلَّ ، فأصبح ربك عز وجل يطوف في الأرض وخلت عليه البلاد، فأرسل ربك عز وجل السماء تهضب من عند العرش، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل، ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه، حتى تجعله من عند رأسه، فيستوي جالساً ، فيقول ربك : مَهيم[1] ، لما كان فيه . يقول : يا رب أمتني اليوم ، ولعهده بالحياة يحسبه حديثاً بأهله » فقلت : يا رسول الله ، كيف يجمعنا بعدما تُمزقنا الرّياح والبِلى والسباع ؟ قال : « أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله : الأرض ، أشرفت عليها وهي مدرة بالية، فقلت : لا تحيا أبداً ، ثم أرسل ربك عز وجل عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أياماً حتى أشرفت عليها ، وهي شربة[2] واحدة ، ولعمرُ إلهك لهو أقدر على أن يجمعهم من الماء على أن يجمع نبات الأرض ، فيخرجون من الأصواء[3] ، ومن مصارعهم ، فتنظرون إليه وينظر إليكم » قال : قلت : يا رسول الله ، فكيف ونحن ملء الأرض، وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه ، قال : « أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله عز وجل : الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونهما ويريانكم ساعة واحدة، لا تضارون في رؤيتهما، ولعمرُ إلهك، لهو أقدر على أن يراكم وترونه منهما » . قلت : يا رسول الله ، فما يفعل بنا ربنا عز وجل، إذا لقيناه ؟ قال : تعرضون عليه بادية له صفحاتكم لا يخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربك عز وجلَّ بيده غرفةً، من الماء ، فينضح قلبكم بها ، فلعمر إلهك ما يخطىء وجه أحد منكم منها قطرة، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة[4] البيضاء ، وأما الكافر فتحطمه بمثل الحُممِ الأسود، ألا ثمّ ينصرف نبيكم ﷺ . ويفترق على أثره الصَّالحون،

---

(١) ميهم : أي ما أمركم وشأنكم، كلمة يمانية.

(٢) شَرْبة بالباء : الماء الكثير، ويروى شَرْيه بالياء : الأرض اخضرت بالنبات والرواية بالباء الموحدة « نهاية » .

(٣) الأصواء: القبور وأصلها من الصُّوى : الأعلام، فشبه القبور بها «نهاية».

(٤) الريطة : الملاءة : ثوب رقيق لين .

فيسلكون جسراً من النار، فيطأ أحدكم الجمرة فيقول : حَسّ[1] ، فيقول ربك : أوانه، فيطلعون على حوض الرسول ﷺ على أظمأ ـ والله ـ ناهلة قطّ ما رأيتها، فلعمر إلهك ما يبسط واحد منكم يده إلا وقع عليها قدح مطهرة من الطوف والبول والأذى ، وتحبس الشمس والقمر، فلا ترون منهما واحداً » قال : قلت : يا رسول الله، فبم نبصِر ؟ قال : « بمثل بصرك ساعتك هذه، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقته الأرض، ثم واجهته الجبال » قال : قلت : يا رسول الله فبم نُجزىٰ من حسناتنا وسيئاتنا ؟ قال : « الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها إلا أن يعفوَ » قال : قلت : يا رسول الله ما الجنة والنار ؟ قال : « لعمر إلهك إن للنار سبعة أبوابٍ ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً ، وأن للجنة ثمانيةَ أبواب، ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينما سبعين عاماً » قال : قلت : يا رسول الله فعلى ما نطلع من الجنة ؟ قال : « على أنهار من عَسَلٍ مصفّى ، وأنهارٍ من كأس ما بها من صداعٍ ولا ندامة، وأنهارٍ من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير آسنٍ وبفاكهةٍ لعمر إلهك ما تعلمون وخير من مثله معه، وأزواج مطهرة » قلت : يا رسول الله، ولنا فيها أزواج أو منهن مصلحات ؟ قال : « الصالحات للصالحين، تلذونهن مثل لذاتكم في الدنيا، ويلذذن بكم غير أن لا توالد » قال لقيط : فقلت : أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه، فلم يجبه النبي ﷺ . فقلت : يا رسول الله على ما أبايعك ؟ قال فبسط النبي ﷺ يده ، وقال : « على إقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ ، وزيَّال الشرك[2] . وأن لا تشرك بالله إلهاً غيره » ، قال : قلت : وإن لنا ما بين المشرق والمغرب ؟ فقبض النبي ﷺ يده [وبسط أصابعه] وظنَّ أنّي مشترطٌ شيئاً لا يعطينيه .

قال : قلت : نحل منها حيث شئنا ، ولا يجني امرؤ إلا نفسه فبسط يده ، وقال : « ذلك لك تحل حيث شئت، ولا يجني عليك إلا نفسك » . قال : فانصرفنا عنه ، ثم قال : إنَّ هذين لعمرُ إلهك[3] من اتقى الناس في الأولى

(١) حَسّ : كلمه يقولها الإنسان إذا أصابه ما مضه وأحرقه غفلة كالجمرة . «نهاية».

(٢) الزيال : من زيل أي فارق .

(٣) في الأصل : ها إن ذين، ها إن ذين. . . إن حدثت إلا أنهما . والعبارة ظاهرة الاضطراب والتصويب من مصادر التخريج .

والآخرة » فقال له كعب بن الخدارية أخو بني بكر بن كلاب : مَنْ هم يا رسول الله ؟ قال : « بنو المنتفق أهل ذلك » قال : فانصرفنا وأقبلت عليه فقلت : يا رسول الله ، هل لأحد ممن مضى من خير في جاهليتهم؟ قال : قال رجل من عُرْضِ قريش : والله إن أباك المنتفق لفي النار، قال فكأنه وقع حَرٌّ بين جلدي ووجهي ولحمي مما قال لأبي على رؤوس الناس : فهممت أن أقول وأبوك يا رسول الله ، ثم إذا الأخرى أجهل، فقلت : يا رسول الله وأهلك ؟ فقال : « وأهلي لعمر الله ما أتيت عليه من قبرِ عامري أو قرشي من مشرك فقل : أرسلني إليك محمد ﷺ ، فأبشرك بما يسوءك ، تُجرُّ على وجهك وبطنك في النار » . قال : قلت : يا رسول الله ما فَعَلَ بهم ذلك، وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إيّاه، وكانوا يحسبون أنهم مصلحون ؟ قال : « ذلك لأن الله عزَّ وجلّ بعث في آخر كلِّ سبع أُمم ـ يعني ـ نبياً، فمن عصى نبيَّه كان من الضّالِّين، ومن أطاع نبيّه كان من المهتدين»[1].

هذا حديث كبير مشهور لا يعرف إلا من حديث أبي القاسم عبد الرحمن ابن المغيرة بن عبد الرحمن المدني، ثم من رواية إبراهيم بن حمزة الزبيري المدني عنه ، وهما من كبار علماء أهل المدينة يحتج بهما في الصحيح، احتج بهما إمام المحدثين محمد بن إسماعيل البخاري، وروى عنهما في مواضع من كتابه . رواه أئمة الحديث في كتبهم، منهم : أبو عبد الرحمن عبدالله بن الإمام أحمد، وأبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم ، وأبو القاسم الطبراني، وأبو الشيخ الحافظ، وأبو عبدالله بن مندة، والحافظ أبو بكر أحمد بن موسى [بن] مردويه ، والحافظ أبو نعيم الأصبهاني وغيرهم على سبيل القبول والتسليم .

قال الحافظ أبو عبدالله بن مندة : روى هذا الحديث محمد بن إسحاق الصَّغاني ، وعبدالله بن أحمد بن حنبل وغيرهما ، وقرؤوه بالعراق بمجمع

(١) أخرجه أحمد ٤/١٣ ـ ١٤، والطبراني في « الكبير » ١٩/٢١١ ـ ٢١٤ (٤٧٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٣٦)، وقال محققه: إسناده ضعيف، وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/٣٤٠ وقال: أحد طريقي عبدالله إسناده متصل ورجالها ثقات، والإسناد الآخر،وإسناد الطبراني مرسل عن عاصم بن لقيط، وألفاظه متقاربة.

العلماء وأهل الدين فلم ينكره أحد منهم ، ولم يتكلم في إسناده، وكذلك أبو زرعة، وأبو حاتم على سبيل القبول. وقال أبو الخير بن حمدان : هذا حديث كبير ثابت حسن مشهور .

وسألت شيخنا أبا الحجاج المزي عنه فقال : عليه جلالة النبوة .

وقال نفاة الإيلاد : فهذا حديث صريح في انتفاء الولد، وقوله : «إذا اشتهى» معلق بالشرط، ولا يلزم من التعليق وقوع [المعلق] ولا المعلق به ، و«إذا» وإن كانت ظاهرة في المحقق، فقد تستعمل لمجرد التعليق الأعم من المحقق وغيره ، قالوا : وفي هذا الموضع يتعيّن ذلك لوجوه :

أحدها : حديث أبي رزين هذا .

الثاني : قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ [البقرة : ٢٥] ، وهنَّ اللاتي طَهُرن من الحيض والنفاس والأذى. قال سفيان : أنبأنا ابن أبي نجيح عن مجاهد : مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبصاق والمني والولد. قال أبو معاوية : حدثنا ابن جريج ، عن عطاء : أزواج مطهرة قال : من الولدِ والحيضِ ، والغائطِ والبولِ .

الثالث : قوله : « غيرَ أنَّهُ لا مَنِي ولا مَنِيَّة » وقد تقدم[1]، والولد إنما يخلق من ماء الرجل، فإذا [لم يكن هناك مني ولا مذي ولا نفخ في الفرج] لم يكن هناك إيلاد .

الرابع : أنه قد ثبت في « الصحيح » عن النبي ﷺ أنه قال : « يبقى في الجنةِ فضلٌ فينشيءُ اللهُ لها خلقاً فيسكنهم إيّاها»[2] ولو كان في الجنة إيلاد لكان الفضل لأولادهم، وكانوا أحق به من غيرهم.

الخامس : أنّ الله سبحانه [وتعالى] جعل الحمل والولادة مع الحيض والمني، فلو كانت النساء يحبلن في الجنة لم يقطع عنهن الحيض والإنزال .

---

(١) تقدم ص ٢٩٧ ت (٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٨) (٣٨) في الجنة، باب (١٣) النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ، وأحمد ١٣٤/٣ و١٤١ و٢٣٤ ، كلاهما عن أنس .

السادس : أن الله سبحانه قدر التناسل في الدنيا، لأنه قدر الموت، وأخرجهم إلى هذه الدار قرناً بعد قرنٍ، وجعل لهم أمداً ينتهون إليه، فلولا التناسل لبطل النوع الإنساني، ولهذا، الملائكة لا تتناسل، فإنهم لا يموتون كما تموت الإنس والجن، فإذا كان يوم القيامة أخرج الله سبحانه الناس كلّهم من الأرض، وأنشأهم للبقاء لا للموت فلا يحتاجون إلى تناسل يحفظ النوع الإنساني، إذ هو منشأ للبقاء والدوام ، فلا أهل الجنة يتناسلون، ولا أهل النار يتناسلون .

السابع : أنه سبحانه [وتعالى] قال : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا واتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهم بإيمانٍ أَلْحقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ** ﴾ [الطور : ٢١] فأخبر سبحانه أنه يكرمهم بإلحاق ذرياتهم الذين كانوا لهم في الدنيا، ولو كان ينشيء لهم في الجنة ذرية أخرى، لذكَرهم كما ذكر ذريتهم الذين كانوا في الدنيا، لأن قرة عيونهم كانت تكون بهم، كما هي بذرياتهم من أهل الدنيا[١] .

الثامن : أنه إمَّا أن يقال باستمرار التناسل فيها لا إلى غاية أو إلى غاية ، ثم ينقطع، وكلاهما مِمَّا لا سبيل إلى القول به، لاستلزام الأول اجتماع أشخاص لا تتناهى ، واستلزام الثاني انقطاع [نوع] من لذةِ أهل الجنةِ وسرورهم، وهو محالٌ، ولا يمكن أن يقال : بتناسل يموت معه نسل ويخلفه نسل، إذ لا موت هناك .

التاسع : أنَّ الجنّة لا ينمو فيها الإنسان كما ينمو في الدنيا، فلا ولدان أهلها ينمون ويكبرون[٢] ولا الرجال ينمون كما تقدم، بل هؤلاء ولدان صغار لا يتغيرون، وهؤلاء أبناء ثلاث وثلاثين لا يتغيرون، ولو كان في الجنة ولادة لكان المولود ينمو ضرورة حتى يصير رجلاً، ومعلوم أن من مات من الأطفال يردون أبناء ثلاث وثلاثين من غير نموٍّ. يوضحُه[٣] :

الوجه العاشر : أنَّ الله سبحانه وتعالى ينشيء أهل الجنة نشأةَ الملائكة، أو

---

(١) في الأصل « النار » وهو خطأ .

(٢) في الأصل « يكثرون » .

(٣) في الأصل : نوضحه.

أكمل من نشأتهم ، بحيث لا يبولون ولا يتغوطون ولا ينامون، ويلهمون التسبيحَ ولا يهرمون على تطاول الأحقاب، ولا تنمو أبدانهم، بل القدر الذي جعلوا عليه لازم لهم أبداً، والله تعالى أعلم.

فهذا ما في هذه المسألة ،

فأما قول بعضهم : إن القدرة صالحة، والكل ممكن . وقول الآخرين : إن الجنةَ دار المكلفين التي يستحقونها بالعمل، وأمثال هذه المباحث فرخيصة، وهي في كتب الناس. وبالله التوفيق .

وقال الحاكم : قال الاستاذ أبو سهل : أهل الزيغ ينكرون هذا الحديث، يعني حديث الولادة في الجنة . وقد رُوي فيه غير إسناد. وسئل النبي ﷺ عن ذلك فقال : يكون ذلك على نحو مِمَّا روينا والله سبحانه [وتعالى] يقول : ﴿ وفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ ﴾ [الزخرف : ٧١] ، وليس بالمستحيل أن يشتهيَ المؤمن ـ الممكن من شهواته، المصفى المقرب المسلط على لذاته ـ قرة عين، وثمرة فؤاد من الذين أنعم الله عليهم بأزواج مطهرة .

فإن قيل : ففي الحديث أنّهنَّ لا يحضنَ ولا ينفسنَ فأنّى يكون الولدُ ؟ .

قلت : الحيضُ سببُ الولادة الممتد أمده بالحمل على الكره والوضع عليه ، كما أنَّ جميعَ ملاذِّ الدنيا منِ المشارب والمطاعم والملابس على ما عرف من التعب والنصب، وما يعقب كلٍّ منها، ممّا يحذَرُ منه ويخافُ من عواقِبِه، وهذه خمرةُ الدنيا المستولية على كل بلية قد أعدّها الله تعالى لأهل الجنةِ منزوعةَ البلية، موفرة اللَّذة، فلِمَ لا يجوزُ أن يكونَ على مثلِهِ الولدُ !! انتهى كلامه .

قلت : النافون للولادة في الجنة لم ينفوها لزيغ في قلوبهم، ولكن بحديث أبي رزين « غَيْرَ أنْ لا تَوَالُدَ » وقد حكينا قول عطاء وغيره : أنهنّ مطهراتٌ من الحيض والولد . وقد حكى الترمذي عن أهل العلم من السلف والخلف في ذلك قولين، وحكينا قول إسحاق بإنكاره. وقال أبو أمامة في حديثه : « غيرَ أنْ لا مَنيَّ ولا مَنّيَةَ » والجنة ليست دار تناسل، بل دار بقاء وخلد، لا يموت من فيها فيقوم نسله مقامه . وحديث أبي سعيد [الخدري] هذا أجود

أسانيده إسناد الترمذي، وقد حكم بغرابته، وأنه لا يعرف إلا من حديث أبي الصديق الناجي، وقد اضطرب لفظه: فتارة يروى عنه «إذا اشتهى الولد» وتارة «إنه ليشتهي الولد»، وتارة «إن الرجل من أهل الجنة ليولد له»، فالله أعلم، فإن كان رسول الله ﷺ قد قاله، فهو الحق الذي لا شكّ فيه، وهذه الألفاظ لا تنافي بينها، ولا تناقض حديث أبي رزين «غيرَ أنْ لا توالد» إذ ذاك نفي للتوالد المعهود في الدنيا، ولا ينفي ولادةً؛ حمل الولد فيها ووضعه وسنه وشبابه في ساعة واحدة. فهذا ما انتهى إليه علمنا القاصر في هذه المسألة، ولقد أتينا فيها بما لعلك لا تجده في غير هذا الكتاب. والله أعلم بالصواب.

الباب السابع والخمسون

في ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين وما فيه من الطَّرَبِ واللَّذَةِ

قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحَاتِ فَهُمْ في رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ [الروم : ١٤ ـ ١٥] ، قال محمد بن جرير . حدثني محمد بن موسى الْحَرَشي : حدثنا عامر بن يساف قال : سألت يحيى بن أبي كثير عن قوله عزّ وجلّ : ﴿ فَهُمْ في رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ قال : الحِبْرةُ : اللَّذَةُ والسماع[1] . حدثنا عبدالله بن محمد الفريابي ، حدثنا ضمرة بن ربيعة، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير في قوله: ﴿يُحبرونَ﴾ قال : السماع في الجنة[2] . ولا يخالف هذا قول ابن عباس : يكرمون[3] . وقول مجاهد، وقتادة : ينعمون، فلذة الأذن بالسماع من الحِبرة والنّعيم .

وقال الترمذي : حدثنا هنّاد وأحمد بن منيع قالا : حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن علي قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ في الجنةِ لمجتمعاً للحُورِ العِينِ يَرفعنَ بأصوات لم تسمع الخلائقُ بمثلها ، يقلنَ : نحنُ الخالداتُ فلا نبيدُ ، ونحن الناعماتُ فلا نبأسُ، ونحنُ الرَّاضياتُ فلا

---

(١) ذكره ابن جرير في « تفسيره » ٢١/٢٨ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) ذكر قول ابن عباس ابن جرير ٢١/٢٧ .

نسخَطُ، طوبى لمن كان لنا وكنا له »[1] وفي الباب عن أبي هريرة، وأبي سعيد، وأنس، وحديث علي : حديث غريب .

قلت : وفي الباب عن ابن أبي أوفى، وأبي أمامة، وعبدالله بن عمر أيضاً ، فأما حديث أبي هريرة : فقال جعفر الفريابي، حدثنا سعيد بن حفص، حدثنا محمد بن مسلمة ، عن أبي عبد الرحيم، عن زيد بن أبي أنيسة، عن المنهال بن عمرو، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : إنّ في الجنةِ نَهراً طولَ الجنةِ، حافتاه العذارىٰ قيامٌ متقابلاتٌ ، ويغنينَ بأصواتٍ حتى يسمعَها الخلائقُ، ما يرون في الجنةِ لذةً مثلَها ، قلنا : يا أبا هريرةَ وما ذاك الغناءُ ؟ قال: إنْ شاءَ الله التسبيحُ والتحميدُ والتقديسُ وثناءٌ على الربِّ عزَّ وجلَّ[2] هكذا رواه موقوفاً .

وروى أبو نعيم في « صفة الجنة » من حديث مسلمة بن علي، عن زيد ابن واقد، عن رجل، عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ في الجنة شجرةً جُذوعُها من ذهب، وفروعُها من زبرجدٍ ولؤلؤ، فتهبُّ لها ريح ، فيصطفقن ، فما سمع السامعونَ بصوتِ شيءٍ قطُّ ألذَّ منه »[3] .

وأما حديث أنس : فقال أبو نعيم : أنبأنا عبدالله بن جعفر، حدثنا إسماعيل بن عبدالله ،حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم، [حدثنا] ابن أبي فديك، عن ابن أبي ذئب، عن عون بن الخطاب بن عبدالله بن رافع، عن ابن لأنس؛ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الحُورَ يغنينَ في الجنة نحن الحور الحسان، خلقن لأزواج كِرام»[4].

---

(١) حديث ضعيف أخرجه الترمذي (٢٥٦٤) في صفة الجنة، باب (٢٤) ما جاء في كلام الحور العين، وقال : حديث عليٍّ غريب .

(٢) أخرجه البيهقي (٤٢٥) في « البعث والنشور » .

(٣) حديث ضعيف، أخرجه في «صفة الجنة» (٤٣٣) وفيه: «فتصفّق».

(٤) أخرجه في «صفة الجنة» (٤٣٢) وأورده في «مجمع الزوائد» ٤١٩/١٠ . وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله وثقوا، و«كنز العمال» (٣٩٤٦٠) ونسبه إلى «فوائد» سموية.

ورواه ابن أبي الدنيا : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا إسماعيل بن عمرو، حدثنا ابن أبي ذئب، عن أبي عبدالله بن رافع، عن بعض ولد أنس فذكره .

وأما حديث ابن أبي أوفى : فقال أبو نعيم : حدثنا [عبدالله بن] محمد بن جعفر من أصله، حدثنا حامد بن يحيى البلخي، حدثنا يونس بن محمد المؤدب، حدثنا الوليد بن أبي ثور، حدثني سعد الطائي، عن عبد الرحمن بن سابط، عن ابن أبي أوفى، قال: قال رسول الله ﷺ: «يزوجُ إلى كلِّ واحدٍ من أهلِ الجنةِ أربعةُ آلافِ بكرٍ، وثمانيةُ آلافِ أيِّم، ومئة حوراءَ، فيجتمعنَ في كلِّ سبعةِ أيام، فيقلنَ بأصواتٍ حسانٍ، لم تسمع الخلائقُ بمثلهنَّ: نحنُ الخالداتُ فلا نبيدُ، ونحنُ الناعماتُ فلا نيأسُ، ونحنُ الرَّاضياتُ فلا نسخطُ، ونحنُ المقيماتُ فلا نظعنُ، طوبى لمن كانَ لنا وكُنَّا لهُ»(١).

وأما حديث أبي أمامة: فقال جعفر الفريابي : حدثنا سليمان بن عبد الرحمن، حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك، عن أبيه، عن خالد بن معدان، عن أبي أمامة، عن رسول الله ﷺ قال: «ما مِنْ عَبْدٍ يدخلُ الجنَّةَ، إلَّا ويجلسُ عندَ رأسِه وعندَ رِجْلَيْهِ ثنتانِ مِنَ الحُورِ العِين، يغنِّيانه بأحسنِ صوتٍ سَمَعَهُ الإنسُ والجِنُّ، وليسَ بمزاميرِ الشَّيطانِ»(٢).

وأما حديث ابن عمر : فقال الطبراني : حدثنا أبو رفاعة عمارة بن وثيمة ابن موسى بن الفرات المصري، حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ أزواجَ أهلِ الجنّة ليغنينَ أزواجَهنَّ بأحسنِ أصواتٍ سَمِعَها أحدٌ قطُّ ، وإنَّ مِمَّا يغنّين به : نحنُ الخيراتُ الحِسَانُ ، أزواجُ قومٍ كرامٍ ، ينظرن بقُرَّةِ أعيان ، وإنَّ مما يغنين به : نحن الخالدات فلا نمتنه ، نحنُ الآمناتُ فلا

(١) حديث ضعيف أخرجه في «صفة الجنة» (٣٧٨) وفيه خالد، بدل حامد، وذكره في «كنز العمال» (٣٩٣٧٦) ونسبه إلى أبي الشيخ في «العظمة».

(٢) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٧٤٧٨)، وقال الهيثمي : في « مجمع الزوائد » ١٠/٤١٨ وفيه من لم أعرفهم، والبيهقي في « البعث » (٤٢١) مطولاً .

يخفنه ، نحنُ المقيمات فلا يظعنَّه »(١) قال الطبراني : لم يروه عن زيد بن أسلم إلاّ محمد، تفرد به ابن أبي مريم .

وقال ابن وهب : حدثني سعيد بن أبي أيوب قال : قال رجل من قريش لابن شهاب : هل في الجنة سماعٌ فإنَّهُ حبب إليَّ السماعُ ؟ فقال : إي والذي نفس ابن شهاب بيده ، إنَّ في الجنة لشجراً حمله اللؤلؤ والزبرجد، تحته جوارٍ ناهداتٍ يتغنين بالقرآن يقلن : نحنُ الناعماتُ فلا نبأسُ، ونحنُ الخالداتُ فلا نموت . فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضاً ، فأجبن الجواري، فلا يُدرى أصواتُ الجواري أحسنُ ، أم أصواتُ الشجرِ .

قال ابن وهب : وحدثنا الليث بن سعد، عن خالد بن يزيد : أنّ الحورَ العِين يغنّين أزواجَهُنَّ فيقلن : نحنُ الخيرات الحِسَان، أزواجُ شبان كرام ، ونحن الخالداتُ فلا نموت، ونحنُ الناعماتُ فلا نبأسُ، ونحنُ الرَّاضياتُ فلا نسخطُ، ونحنُ المقيماتُ فلا نظعنُ، في صدر إحداهُنَّ مكتوبٌ : أنت حِبِّي ، وأنا حِبُّك، انتهت نفسي عندك، لم تَرَ عيناي مثلك .

وقال ابن المبارك : حدثنا الأوزاعي ، حدثنايحيى بن أبي كثير : إنَّ الحورَ العِين يتلقينَ أزواجَهُنَّ عندَ أبوابِ الجنَّة فيقلن : طالما انتظرناكم ، فنحنُ الراضياتُ فلا نسخطُ، والمقيماتُ فلا نظعنُ ، والخالداتُ فلا نموتُ، بأحسن أصوات سُمِعتْ تقول : أنتَ حِبِّي، وأنا حبُّك : ليس دونك مقصى(٢) ولا وراءك معدل(٣) .

فصل
ولهم سماع أعلى من هذا

قال ابن أبي الدنيا : حدثني دهثم بن الفضل القرشي، حدثنا روَّاد بن

---

(١) أخرجه الطبراني في «الصغير» (٧٣٤)، وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/٤١٩ وزاد نسبته «للأوسط» وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٢) المقصى : من القصو وهو البعد .

(٣) أخرجه ابن المبارك في «زوائد الزهد» (٤٣٥) ، وفيه،ليس دونك مقصر،ولا وراءك معدى.

الجراح، عن الأوزاعي قال: بلغني أنه ليس من خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل، فيأمره الله تبارك وتعالى فيأخذ في السماع، فما يبقى ملكٌ في السَّماواتِ إلا قطعَ عليه صلاتَهُ، فيمكث بذلك ما شاءَ الله أن يمكث، فيقول الله عزَّ وجلَّ: وعزتي لو يعلم العبادُ قدرَ عظمتي ما عبدوا غيري.

وحدثني داود بن عمرو الضبي، حدثنا عبدالله بن المبارك، عن مالك بن أنس، عن محمد بن المنكدر قال: إذا كانَ يومُ القيامة نادىٰ منادٍ: أينَ الذينَ كانوا ينزِّهون أسماعَهُم وأنفسهم عن مجالسِ اللّهو ومزاميرِ الشَّيطان، أسكِنُوهم رياضَ المسكِ، ثم يقولُ للملائكة: أسمعوهم تمجيدي وتحميدي[1].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن الحسين، حدثني عبدالله بن أبي بكر، حدثنا جعفر بن سليمان، عن مالك بن دينار في قوله عزّ وجلّ: ﴿ وإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [ص: ٤٠] قال: إذا كانَ يومُ القيامةِ أمرَ بمنبرٍ رَفيعٍ فَوُضِعَ في الجنَّةِ، ثم نودي: يا داود مجدني بذلك الصوتِ الحَسَنِ الرَّخِيم الذي كنتَ تمجّدني به في دارِ الدّنيا، قال: فيستفرغ صوت داود نعيمَ أهل الجنانِ، فذلك قوله [تعالى]: ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾.

وذكر حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، وحجاج الأسود، عن شهر بن حوشب قال: إنَّ الله جلَّ ثناؤه يقولُ للملائكة: إنَّ عبادي كانوا يحبُّونَ الصَّوت الحسنَ في الدنيا، فيدعونه من أجلي فأسمعوا عبادي، فيأخذوا بأصوات من تهليلٍ أو تسبيحٍ وتكبيرٍ لم يسمعوا بمثلِهِ قَطُّ.

قال عبدالله بن الإمام أحمد في كتاب «الزهد» لأبيه: حدثني علي بن مسلم الطوسي، حدثنا سيّار، حدثنا جعفر، حدثنا مالك بن دينار في قوله عزّ وجل: ﴿ وَإِنَّ لهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [ص: ٤٠] قال: يقيم الله سبحانه داود عند ساق العرش، فيقول: يا داود مجّدني اليومَ بذلك الصّوتِ الحسنِ الرَّخِيم، فيقول: إلَهي كيف أمجّدك وقد سلبتنيه في دار الدنيا؟ قال:

---

(١) أخرجه ابن المبارك في زوائد الزهد» (٤٣) بألفاظ متقاربة.

فيقول الله عز وجل : فإني أردّه عليك ، قال : فيردّه عليه، فيزداد صوته، قال : فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنة »[1] .

وقال ابن أبي داود : حدثنا مسلم بن إبراهيم الحراني، حدثنا مسكين بن بكير، عن الأوزاعي، عن عبدة بن أبي لبابة قال : إنَّ في الجنَّة شجرة ثمرها زبرجد وياقوت ولؤلؤ، فيبعث الله ريحاً فتصفق، فيُسمع لها أصواتٌ لم يسمع ألَذُّ منها .

حدثنا أبو بكر بن يزيد، وإبراهيم بن سعيد قالا : حدثنا أبو عامر العقدي، حدثنا زمعة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : إنَّ في الجنة شجرة على ساق قدر ما يسير الرَّاكب في ظلّها مئة عام، فيتحدّثون في ظلّها فيشتهي بعضهم، فيذكر لهو الدّنيا، فيرسلُ الله ريحاً من الجنّة، فتحرِّك تلك الشجرة بكل لهوٍ كان في الدنيا .

حدثني إبراهيم بن سعيد، حدثنا علي بن عاصم، حدثنا سعيد بن أبي سعيد الحارثي قال : حدثت أنَّ في الجنّة آجاماً من قَصَبٍ من ذهبٍ حملُها اللؤلؤ، فإذا اشتهى أهل الجنّة أن يسمعوا صوتاً حسناً ؛ بعث الله على تلك الآجام ريحاً فتأتيهم بكل صوت يشتهونه .

فصل

ولهم سماع أعلى من هذا يضمحلُّ دونه كلُّ سماع، وذلك حين يسمعون كلام الربِّ جلَّ جلاله ، وخطابه وسلامه عليهم، ومحاضرته لهم، ويقرأ عليهم كلامه ، فإذا سمعوه منه، فكأنَّهم لم يسمعوه قبل ذلك ، وسيمرُّ بك ـ أيها السني ـ من الأحاديث الصِّحاح والحسان في ذلك ما هو من أحبّ سماع لك في الدنيا وألذّه لأذنك ، وأقرِّهِ لعينك ، إذ ليس في الجنة لذة أعظم من النظر إلى وجه الرَّبِّ تعالى ، وسماعِ كلامه منه ، ولا يُعطى أهل الجنة شيئاً أحبَّ إليهم من ذلك .

---

(١) أورده السيوطي في « الدر المنثور » ٥/٣٠٥ وقال: أخرجه أحمد في « الزهد » ، والحكيم الترمذي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم .

وقد ذكر أبو الشيخ : عن صالح بن حيان ، عن عبدالله بن بريدة قال : إنَّ أهلَ الجنّةِ يدخلون كلَّ يوم مرتين على الجبّار جلَّ جلالُه فيقرأ عليهم القرآن ، وقد جلسَ كلُّ امرىءٍ منهم مجلسَه الذي هو مجلسه على منابر الدّرِّ والياقوت ، والزبرجد والذهب والزمرّد، فلم تقرَّ أعينهم بشيءٍ ، ولم يسمعوا شيئاً قطُّ أعظمَ ولا أحسنَ منه، ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعِمِينَ قريـرةً أعينهم، إلى مثلها من الغدِ .

الباب الثامن والخمسون

في ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم

قال الترمذي : حدثنا عبدالله بن عبد الرحمن، حدثنا عاصم بن علي، حدثنا المسعودي، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه : أنَّ رجلاً سأل النبي ﷺ فقال : يا رسول الله : هل في الجنة من خيل؟ قال : «إنِ اللَّهُ أدخلك الجنة فلا تشاء أن تُحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك في الجنة حيث شئت [إلا فَعَلْت] ، قال : وسأله رجل، فقال : يا رسول الله ! هل في الجنة من إبل؟ قال : فلم يقل ما قال لصاحبه ، قال : إن يدخلك اللَّهُ الجنةَ يكنْ لكَ فيها ما اشتهتْ نفسُك ولذَّتْ عينُكَ»(١) .

حدثنا سويد بن نصر، أنبأنا عبدالله بن المبارك، عن سفيان، عن علقمة ابن مرثد، عن عبد الرحمن بن سابط، عن النبي ﷺ نحوه بمعناه، وهذا أصحُّ من حديث المسعودي(٢) .

حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي، حدثنا أبو معاوية، عن واصل بن السائب، عن أبي سورة، عن أبي أيوب قال: أتى النبي ﷺ أعرابي فقال: يا رسول الله إني أحب الخيل، أفي الجنة خيل؟ قال رسول الله ﷺ: «إن أدخلت الجنةَ أُتيتَ بفرسٍ من ياقوتَةٍ لهُ جناحانِ فحملتَ عليه، ثم طارَ بك حيث شئت». قال الترمذي: هذا حديث ليس إسناده بالقوي، ولا نعرفه من حديث أبي أيوب إلاّ من هذا الوجه، وأبو سورة هو ابن أخي أبي أيوب، يضعَّفُ في الحديث. ضعَّفه ابن معين جداً، قال: وسمعت محمد بن

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٤٣) في صفة الجنة. باب (١١) في صفة خيل الجنة، وأحمد ٥/٣٥٢

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٤٣)، وابن المبارك في «زوائد الزهد» (٢٧١) عن ابن سابط قال: قال =

إسماعيل يقول: أبو سورة هذا منكر الحديث، يروي مناكيـر عن أبي أيوب لا يتابع عليها[1].

قلت : أما حديث علقمة بن مرثد، فقد اضطرب فيه علقمة، فمرة يقول : عن سليمان بن بريدة، عن أبيه. ومرة يقول : عن عبد الرحمن بن سابط، عن عبد الرحمن[2] بن ساعدة قال: كنتُ أحبُّ الخيلَ فقلتُ: هل في الجنّة خيلٌ يا رسولَ الله؟

ومرة يقول : عن عبد الرحمن بن سابط عن النبي ﷺ ، والترمذي جعل هذا أصحَّ من حديث المسعودي، لأنّ سفيان أحفظ منه، وأثبت .

وقد رواه أبو نعيم من حديث علقمة هـذا، فقال : عن أبي صـالح، عن أبي هريرة : إنَّ أعرابياً قال : يا رسول الله ! في الجنة إبلٌ ؟ قال : « يا أعرابي إنْ يدخلك الله الجنة رأيت فيها ما تشتهي نفسُك وتَلَذُّ عينُك »[3]. ورواه أيضاً من حديث علقمة ، عن يحيى بن إسحاق، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ في ذكر الجنة فقال : « والفِرْدوسُ أعلاها سمـوًّا ، وأوسعها مَحَلّةً ، ومنها تفجّر أنهارُ الجنة ، وعليها يُوضع العرشُ يومَ القيامة » ، فقـام إليه رجل فقال : يا رسولَ الله إني رجلٌ حُبّب إليَّ الخيل، فهـل في الجنة خيل ؟ قال : « إي والذي نفسي بيده، إنَّ في الجنة لخيلاً وإبلاً هفافة تزف بين خلال ورق الجنة. يتزاورون عليها حيث شاؤوا»، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله! إني حبّب إليَّ الإبل وذكر الحديث[4].

وأما حديث أبي سورة فلايعرف إلاَّ من حديث واصل بن السائب عنه، ولم يروه عنه غيره، وغير يحيى بن جابر الطائي.

وقـد أخرج لـه أبو داود حـديث : « ستُفتحُ عليكم الأمصـارُ، وتجنّـدون

= رجل يا رسول الله: أفي الجنة خيل. . . فذكر نحوه.

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٤٤) في صفة الجنة باب (١١) في صفة خيل الجنة .

(٢) في الأصل: عثمان، وهو خطأ، والتصويب من: «أسد الغابة» و«الإصابة».

(٣) أخرجه في «صفة الجنة» (٤٢٦).

(٤) أخرجه في «صفة الجنة» (٤٢٧).

أجناداً »(1) وأخرج له ابن ماجة عن أبي أيوب : رأيتُ النبيَّ ﷺ توضأ فخلّل لحيته(2) ، وحديثاً آخر، في تفسير قوله [تعالى] : ﴿ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا ﴾ [النور : ٢٧] وأخرج له الترمذي حديث : « خيل الجنة»(3) فقط.

ورواه أبو نعيم: من حديث جابر بن نوح، عن واصل به وقال: «إنَّ أهلَ الجنَّةِ ليتزاورون على نجائبَ بيضٍ ، كأنَّها الياقوت، وليس في الجنة من البهائم إلَّا الخيلُ والإبلُ»(4).

وقال أبو الشيخ : حدثنا القاسم بن زكريا، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا مروان بن معاوية، عن الحكم بن أبي خالد، عن الحسن البصري، عن جابر ابن عبدالله، عن النبي ﷺ قال : « إذا دخَلَ أهلُ الجنَّةِ الجنّة جاءتهم خيولٌ من ياقوت أحمر، لها أجنحةٌ لا تروث ولا تبول، فقعدوا عليها، ثم طارت بهم في الجنة، فيتجلَّى لهم الجبار، فإذا رأوه خرّوا سجّداً فيقول لهم الجبار تبارك وتعالى : ارفعوا رؤوسَكم فإنَّ هذا ليس يوم عمل، إنما هو يوم نعيم وكرامة، [قال]: فيرفعون رؤوسهم، فيمطر الله عليه طيباً، فيمرّون بكثبان المسك، فيبعث الله على تلك الكثبانِ ريحاً، فتهيِّجها عليهم حتى إنهم ليرجعون إلى أهليهم وإنهم لشعثٌ غُبر»(5).

وقال عبدالله بن المبارك : حدثنا همام عن قتادة، عن عبدالله بن عمرو قال : في الجنة عتاق الخيل، وكرائم النجائب يركبها أهلها(6) .

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٢٥) في الجهاد : باب (٣٠) في الجعائل في الغزو، وأحمد ٥/٤١٣ .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٣٣) في الطهارة: باب (٥٠) ما جاء في تخليل اللحية قال في «الزوائد»: هذا إسناد ضعيف لاتفاقهم على ضعف أبي سورة، وواصل الرقاشي.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٤٤) في صفة الجنة، وتقدم .

(٤) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٢٨)، والطبراني في «الكبير» (٤٠٦٩)، وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/٤١٣ وقال: فيه جابر بن نوح وهو ضعيف، وواصل من السائب متروك.

(٥) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٢٩) عن أبي الشيخ، وذكره في «النهاية» ٢/٥١٥ وهو حديث ضعيف.

الأشعث: متفرق الشعر، والأغبر: الذي أصابه الغبار.

(٦) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٣١) مطولاً .

الباب التاسع والخمسون

في زيارة أهل الجنة بعضهم بعضاً، وتذاكرهم ما كان بينهم في الدنيا

قال تعالى : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ . قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ، يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ المُصَدِّقِين . أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وعِظَامَاً أَئِنَّا لَمَدِينُون . قالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ. فاطَّلَعَ فَرَآه في سَوَاءِ الجَحِيم. قالَ تَاللهِ إنْ كِدْتَ لتُردِينِ. وَلَولاَ نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ المُحْضَرِين ﴾ [الصافات : ٥٠ ٥٧] ، أخبر سبحانه وتعالى : أن أهل الجنة أقبل بعضهم على بعض يتحدثون، ويسأل بعضهم بعضاً، عن أحوال كانت في الدنيا، فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم : كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة، ويقول ما حكاه الله عنه، يقول : ﴿ أَئِنَّكَ لَمِنَ المصَدِّقِينَ ﴾ بأنا نُبعث ونُجازَى بأعمالنا، ونُحاسب بها بعد أن مَزَّقنا البِلى ، وكُنَّا تراباً وعظاماً ، ثم يقول المؤمن لإخوانه في الجنة : هل أنتم مطّلعون في النار لننظر منزلة قريني هذا وما صار إليه .

هذا أظهر الأقوال، وفيها قولان آخران :

أحدهما : أنّ الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين الذين يحدث بعضهم بعضاً : ﴿ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴾ ؟ رواه عطاء عن ابن عباس

والثاني : أنه من قول الله عزّ وجلّ [لأهل الجنة]يقول لهم : ﴿ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُون ﴾ ؟ والصحيح القول الأول . وأن هذا قول المؤمن لأصحابه ومحادثيه ، والسياق كله والإخبار عنه وعن قرينه .

قال كعب: بينَ الجنّة والنار كُوىً، فإذا أرادَ المؤمنُ أنْ ينظرَ إلى عدوٍّ كانَ لهُ في الدُّنيا اطَّلَعَ من بعض تلك الكُوى.

وقوله : فاطَّلع، أي أشرف. قال مقاتل : لما قال لأهل الجنـة : ﴿ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴾ ؟ قالوا له : إنك أعرف به منا ، فاطَّلعْ أنت، فأشرف فرأى قرينه في وسط الجحيم ، ولولا أنَّ الله عرَّفه إياه لما عَرَفه ، لقد تغيّر لونه ووجهه وغيَّرهُ العذاب أشدّ تغيير، فعندها قال : ﴿ تاللهِ إنْ كِدْتَ لَتُـردِين ، ولَوْلاَ نِعْمَـةُ ربِّي لَكُنْتُ مِنَ المُحضَـرِينَ ﴾ أي كـدتَ لتهلكني، ولـولا أنْ أنعم الله عليَّ بنعمـهِ لكنتُ من المحضرينَ مَعَك في العذاب.

وقال تعـالى : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ، قالوا إِنَّـا كُنَّا قَبْـلُ في أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ، فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَـا وَوَقَانَـا عَذَابَ السَّمُومِ ، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ البرُّ الـرَّحِيم ﴾ [الطور : ٢٥ ـ ٢٨] .

وقال الطبـراني : حدثنـا الحسن بن إسحاق، حـدثنا سهـل بن عثمان، حدثنا المسيب بن شريك، عن بشـر بن نمير، عن القـاسم، عن أبي أمامـة ، قال : سئل رسولُ الله ﷺ : أيتزاورُ أهلُ الجنة ؟ قال : « يَزُورُ الأعلى الأسفل، ولا يزورُ الأسفلُ الأعلى، إلاَّ الـذين يتحابـون في اللّهِ [عز وجـل] يأتـونَ منها حيثُ شاؤوا على النُّوقِ محتقبينَ الحشايا»[1].

وقال الدَّوْرَقي : حدثنا أبو سلمة التَّبُوذكي ، حدثنـا سليمان بن المغيـرة، عن حُميد بن هلال قال : بلغنا أنّ أهلَ الجنةِ يزورُ الأعلى الأسفل، ولا يـزورُ الأسفـلُ الأعلى. وقد تقـدم حديث علقمـة بن مرثـد، عن يحيى بن إسحاق، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة[2].

وقال الطبـراني : حدثنـا محمد بن عبـدوس، حدثنـا الحسن بن حماد، حدثنا جابر بـن نوح، عن واصل بن السـائب، عن أبي سورة، عن أبي أيـوب

---

(١) أخـرجه الـطبراني في «الكبيـر» (٧٩٣٦) بهذا السنـد وبـألفـاظ متقـاربـة، وذكـره الهيثمي في «المجمع» ١٠/٢٧٩ وقال: فيـه بشر بن نميـر متروك. والـطبراني (٧٩٥٦) بلفـظه من طريق جعفر بن الزبير، عن القاسم وفيه جعفر بن الزبير وهو ضعيف.

(٢) تقدم ص ٣٢٩ ت (٤).

يرفعه : « إنَّ أهلَ الجنة يتزاورون على النجائب » وقد تقدم[1] ، فأهل الجنة فيها يتزاورون، ويستزيرُ بعضهم بعضاً، وبذلك تَتِمُّ لذّتُهم وسرورهم .

ولهذا قال حارثة للنبي ﷺ وقد سأله: «كيف أصبحت يا حارثة» قال: أصبحت مؤمناً حقاً، قال: «إن لكلِّ حقٍّ حقيقة فما حقيقةُ إيمانك»؟ قال: عَزَفَتْ نفسي عن الدنيا، فأسهرتُ ليلي، وأظمأتُ نهاري، وكأنّي أنظرُ إلى عرشِ ربي بارزاً، وإلى [أهل] الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يعذَّبون فيها، فقال: «عبدٌ نوّر الله قلبَهُ»[2].

قال ابن أبي الدنيا : حدثنا عبدالله ، حدثني سلمة بن شبيب، حدثنا سعيد بن دينار، عن الربيع بن صبيح، عن الحسن، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ، فيشتاقُ الإخوانُ بعضُهم إلى بعض، فيسير سريرُ هذا إلى سريرِ هذا، وسرير هذا إلى سرير هذا، حتى يجتمعا جميعاً ، فيقول أحدهما لصاحبه : تعلم متى غفر الله لنا ؟ فيقول صاحبه : يوم كُنَّا في موضع كذا وكذا، فدعونا الله فغفر لنا »[3] . قال : وحدثنا حمزة بن العباس، أنبأنا عبدالله بن عثمان، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا إسماعيل بن عياش، قال : حدثني ثعلبة بن مسلم، عن أيوب بن بشير العجلي، عن شفي بن ماتِع أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ مِنْ نعيمِ أهلِ الجنةِ أنهم يتزاورون على المطايا والنجب، وأنهم يُؤْتَون في الجنة بخيل مُسرجة مُلجمة ، لا تروث ولا تبول، فيركبونها حتّى ينتهوا حيث شاء الله عزّ وجلّ ، فيأتيهم مثل السحابة، فيها ما لا

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤٦٠٩) وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٢٠)، وتقدم نحوه ص ٣٣١ ت (٤). وهو ضعيف.

(٢) أخرجه البزار من حديث أنس (٣٢) في الإيمان : باب حقيقة الإيمان وكماله. وفيه يوسف بن عطية : لا يحتج به، والطبراني في « الكبير » . (٣٣٦٧) من حديث الحارث بن مالك الأنصاري، وفي سنده ابن لهيعة، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٥٧/١.

(٣) أخرجه البزار (٣٥٥٣) من طريق سلمة بن شبيب وقال : لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد تفرد به أنس، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٤٢١/١٠ وقال: رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن دينار، والربيع بن صبيح وهو ضعيفان وقد وثقا، والسيوطي في «الدر» ١١٩/٦.

عين رأت ولا أذن سمعت، فيقولون : أمطري علينا، فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانيهم ، ثم يبعث الله ريحاً غير مؤذية ، فتنسف كثباناً من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم، فيأخذ ذلك المسك في نواصي خيولهم، وفي معارفها وفي رؤوسها، ولكل رجل منهم جُمَّة على ما اشتهت نفسه، فيتعلّقُ ذلك المسكُ في تلك الجمامِ ، وفي الخيل، وفيما سوى ذلك من الثياب، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله تعالى، فإذا المرأة تنادي بعض أولئك : يا عبد الله أما لك فينا حاجةٌ ؟ فيقول : ما أنتِ ومن أنتِ ؟ فتقول : أنا زوجك وحبك، فيقول : ما كنتُ علمتُ بمكانِك . فتقول المرأة : أو ما تعلم أن الله قال : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] فيقول : بلى وربِّي، فلعلّه يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفاً، لا يلتفتُ ، ولا يعود ما يشغله عنها إلاَّ ما هو فيه من النعيم والكرامةِ »[1] .

حدثني حمزة، أنبأنا عبدالله بن عثمان، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا رشدين ابن سعد، قال: حدثني ابن أنعم أن أبا هريرة قال : إنَّ أهلَ الجنةِ ليتزاورونَ عَلى العِيسِ الجون، عليها رحالُ الميس، تثير مناسمها غبار المسك، خِطام أو زمام أحدها خير من الدنيا وما فيها[2] .

وذكر ابن أبي الدنيا : من حديث أبي اليمان ، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عمر بن محمد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه سألَ جبريلَ عن هذه الآية : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ﴾ [الزمر : ٦٨] . قال : هم الشهداء يبعثهم الله متقلّدينَ أسيافهم حول عَرْشه، فأتاهم ملائكة من المحشر

---

(١) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٣٩) .

(٢) العيس الجون: الإبل البيض، الرحال جمع رحل: وهو إكاف الجمل ويصنع من الخشب ، الميس : جنس أشجار حرجية، في الأصل : سنامها بدل مناسمها، والمنسم : خفُّ البعير وهو الصواب، الخطام : كل ما وضع في أنف البعير ليقتاد به. الزمام : الخيط الذي يشد به البعير .

بنجائب من ياقوت، أزِمَّتها الدرُّ الأبيض، برحالِ الذهبِ أعنتها السندس والإستبرق، ونمارقها ألينُ من الحرير، مدُّ خطاها مدّ أبصار الرجال، يسيرون في الجنة على خيول، يقولون عند طول النزهة : انطلقوا بنا ننظر كيف يقضي [الله] بين خلقه، يضحك الله إليهم، وإذا ضحك الله إلى عبد في موطن فلا حساب عليه »[1] .

قال ابن أبي الدنيا : وحدثنا الفضل بن جعفر، حدثنا جعفر بن حسن، حدثنا أبي، عن الحسن بن علي، عن عليّ [قال] : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّ في الجنة لشجرةً يخرجُ من أعلاها حللٌ، ومن أسفلها خيلٌ من ذهبٍ مُسرجةٍ ملجمة من دُرٍّ وياقوت، لا تروث ولا تبول، لها أجنحةٌ خطوها مدُّ بصرها، فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاؤوا ، فيقول الَّذِين أسفلَ منهم درجة : يا ربِّ بِمَ بلغ عبادُك هذه الكرامة كلّها ؟ قال : فيقال لهم : كانوا يصلّون بالليل وكنتم تنامون، وكانوا يصومون وكنتم تأكلون، وكانوا يُنفقون وكنتم تبخلون، وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون »[2] .

فصل

ولهم زيارةٌ أخرى أعلى من هذه وأجلُّ، وذلك حين يزورونَ ربَّهم تبارك وتعالى ، فيريهم وجهَه، ويسمعهم كلامَه، ويحلُّ عليهم رضوانه .

وسيمرُّ بك ذكر هذه الزيارة عن قريب، إن شاء الله تعالى .

---

(١) أورده في « الدر المنثور » ٣٣٦/٥ ونسبه إلى أبي يعلى، والدارقطني في « الأفراد » ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في « البعث والنشور » .

(٢) أورده في « كنز العمال » (٤٣٤٦١) ونسبه إلى أبي الشيخ في « العظمة » ، وله شاهد عند الخطيب ١٣٦/٥ ـ ١٣٧ من حديث أبي سعيد .

الباب الستون

في ذكر سوق الجنة وما أعدَّ الله [تعالى] فيها لأهلها

قال مسلم في « صحيحه » : حدثنا سعيد بن عبد الجبار الصيرفي ، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك أنَّ النبي ﷺ قال : « إنَّ في الجنة لسُوقاً يأتونها كلَّ جمعةٍ ، فتهبُّ ريحُ الشمالِ فتحثُو في وجوههم وثيابهم فيزدادونَ حسناً وجمالاً ، فيرجعونَ إلى أهليهم، وقد ازدادوا حسناً وجمالاً ، فيقول لهم أهلوهم : والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً ، فيقولون : وأنتم والله لقد ازددتم بعدَنا حُسناً وجَمالاً »[1] ، ورواه الإمام أحمد في « مسنده » عن عفان، عن حماد بن سلمة وقال : « فيها كثبانُ المسكِ فإذا خَرجُوا إليها هَبَتِ الرِّيح »[2] .

وقال ابن أبي عاصم في كتاب « السنة » : حدثنا هشام بن عمار، حدثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة. فقال أبو هريرة : أسأل الله أن يجمعَ بيني وبينَك في سوقِ الجنة. فقال سعيد : أَوَ فيها سوق ؟ قال : نعم ، أخبرني رسولُ الله ﷺ : « أنَّ أهلَ الجنة إذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله تبارك وتعالى ، [فيبرز لهم عرشه، ويتبدَّى لهم] في روضة من رياض الجنة، فيوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ياقوت، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة ويجلس أدناهم ـ وما فيهم دنيٌّ ـ على كثبان المسك والكافور، وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً»، قال أبو هريرة: فقلت:

---

(١) أخرجه أحمد ٣/٢٨٤ ـ ٢٨٥ ، ومسلم (٢٨٣٣) في الجنة : باب (٥) في سوق الجنة .

(٢) قطعة من الحديث السابق أخرجه أحمد ٣/٢٨٥

يـا رسـول الله هـل نـرى ربّـنـا عـزَّ وجـل قـال: «نـعـم» قـال: «هـل تـمـارون في رؤيـة الـشـمس والـقـمـر لـيلة الـبـدر»؟ قـلنـا: لا، قـال: «فـكـذلـك لا تُمـارون في رؤيـة ربكـم تـبـارك وتـعـالى، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضَرَه الله محاضرة، حتى يقول: يا فلانُ ابنَ فلان، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا؟ فيذكره ببعض غدارته في الدنيا» فيقول: بلى. فيقول يا رب: أفلم تغفرْ لي؟ فيقول: «بلى، فبمغفرتي بلغت منزلتك هذه، قال: فبينما هم على ذلك، غشيتهم سحابةٌ من فوقهم، فأمطرت عليهم طِيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قَطُّ ثُمَّ يقول ربنـا تبارك وتعـالى: قُومُـوا إلى ما أعْدَدَتُ لكُم من الكرامةِ فخذوا ما اشتهيتم، قال: فيأتون سوقاً قـد حَفَّتْ بها الملائكة، فيه ما لم تنظرِ العيون إلى مثله، ولم تسمـعِ الآذان، ولم يخطرْ على القلوب، قال: فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيه شيءٌ ولا يُشترىٰ، وفي ذلك السُّوق، يلقىٰ أهل الجنة بعضهم بعضاً، قال: فيقبلِ ذو البزةِ المرتفعةِ فيلقى من هو دونه، وما فيهم دنيٌّ، فيروعه ما يرى عليه من اللِّباس والهيئةِ، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتمثلَ عليهِ أحسنَ منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزنَ فيها، قال: ثم ننصرف إلى منازلنا فيلقانا أزواجنا، فيقلن: مرحباً وأهلاً بحبنا، لقد جئتَ وإنَّ بِكَ من الجمالِ والطِّيبِ أفضلَ مِمَّا فارقتنا عليه، فيقول: إنا جالسنا اليومَ ربَّنا الجبار تبارك وتعالى، وبحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا»[(1)].

ورواه الترمذي في: صفة الجنة عن محمد بن إسماعيل، عن هشام بن عمار، وليس في هذا الإسناد من ننظر فيه إلا عبد الحميد بن حبيب، وهو كاتب الأوزاعي، فلا نُنْكِر عليه تفرده عن الأوزاعي بما لم يروه غيره، وقد قال الإمام أحمد، وأبو حاتم الرازي: هو ثقة، وأما دحيم والنسائي: فضعَّفاه، ولا يُعرف أنه حدث عن غير الأوزاعي، والترمذي قال: هذا الحديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه[(2)].

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥٨٥) وقال محققه: إسناده ضعيف لضعف هشام، وعبد الحميد.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٤٩) في صفة الجنة باب (١٥) ما جاء في سوق الجنة وفي الأصل لفظ «في» قبل هذا الحديث، وابن ماجه (٤٣٣٦) في الزهد: باب (٣٩) في صفة الجنة.

قلت: وقد رواه ابن أبي الدنيا، عن الحكم بن موسى، حدثنا معلى بن زياد، عن الأوزاعي قال: نُبِّئتُ أنَّ سعيد بن المسيب لقي أبا هريرة فذكره[١].

وقال الترمذي : حدثنا أحمد بن منيع وهنَّاد قالا : حدثنا أبو معاوية، أنبأنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ في الجنّة لسوقاً ما فيها شراء ولا بيع إلاّ الصُّور من الرِّجال والنِّساء ، فإذا اشتهى الرجل صورةً دخلَ فيها » قال هذا حديث غريب[٢] .

وقال عبدالله بن المبارك : أنبأنا سليمان التيمي، عن أنس بن مالك قال : « يقول أهل الجنة : انطلقوا إلى السوق، فينطلقون إلى الكثبان أو قال : الجبال، فإذا رجعوا إلى أزواجهم، قالوا : إنَّا لنجد لكُنَّ ريحاً ما كانتْ لكُنَّ، إذ خرجنا من عندكنَّ قال : فيقُلنْ لقد رجعتم بريحٍ ما كانت لَكُم إذ خرجتُم من عندنا »[٣] .

قال ابن المبارك : وأنبأنا حميد الطويل، عن أنس بن مالك قال : إنَّ في الجنة لسوقاً على كثبان مسك يخرجونَ إليها، ويجتمعونَ إليها، فيبعث الله تعالى ريحاً فتدخلهم بيوتهم فيقول لهم أهلوهم إذا رجعوا إليهم: قد ازددتم بعدنا حسناً ، ويقولون لأهلهم: قد ازددتم بعدنا حسناً »[٤] .

---

(١) أخرج من حديث أبي هريرة البيهقي في « البعث » (٤١٧) نحوه .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٥٠) في صفة الجنة: باب (١٥) ما جاء في سوق الجنة، والبيهقي في «البعث والنشور» (٤١٨)، وابن المبارك في «الزهد» (١٤٨٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» ١٣/١٠٠ ـ ١٠١، وأحمد ١٥٦/١.

(٣) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٤١) والتصويب منه ولفظ الأصل هو : « فينطلقون إلى كثبان المسك فإذا رجعوا إلى أزواجهم قالوا إنا لنجد لكُنَّ رِيحاً ما كانت لكم إذ خرجتم من عندنا » .

(٤) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (١٤٩١) وفي الأصل بعض الخلاف والتصحيح من «الزهد».

وقال الحافظ محمد بن عبدالله الحضرمي المعروف بمطيَّن : حدثنا أحمد ابن محمد بن طريف البجلي، حدثنا أبي، حدثنا محمد بن كثير، حدثني جابر الجُعفي، عن أبي جعفر، عن علي بن الحسين، عن جابر بن عبدالله قال : « خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون، فقال : يا معشرَ المسلمين إنّ في الجنة لسوقاً ما يباع فيها ولا يشترىٰ إلا الصُّور، من أحبَّ صورة من رجل أو امرأةٍ دخلَ فيها »[1] .

---

(١) قطعة من حديث ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٢٥/٥ و١٤٨/٨ ـ ١٤٩ وقال : رواه الطبراني في « الأوسط » من طريق محمد بن كثير عن جابر الجعفي وكلاهما ضعيف جداً .

الباب الحادي والستون

في ذكر زيارة أهل الجنة ربَّهم تبارك وتعالى

قال [الإمام] الشافعي [رضي الله عنه] في « مسنده » : حدثنا إبراهيم ابن محمد قال: حدثني موسى بن عبيدة، قال : حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة، عن عبدالله بن عبيد بن عمير، أنه سمع أنس بن مالك يقول : « أتىٰ جبريل بمرآة بيضاء فيها وكتة إلى النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : « ما هذه ؟ » قال : « الجمعة. فضلت بها أنتَ وأمتُك، فالناس لكم فيها تبعٌ : اليهودُ والنصارىٰ، ولكم فيها خيرٌ، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيبَ له ، وهو عندنا يوم المزيد » ، قال النبي ﷺ : « يا جبريلُ وما يومُ المزيدِ » ؟ قال : « إنَّ ربك اتّخذَ في الفردوسِ وادياً أفيحَ فيهِ كثبُ مِسْكٍ، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته ، وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين ، وحَفَّ تلك المنابرَ بمنابر من ذهبٍ مكللةٍ بالياقوتِ والزبرجدِ، عليها الشهداءُ والصِّدّيقونَ ، فجلسوا من ورائهم على تلك الكُثُب فيقول الله [تعالى] : أنا ربّكُم قد صدقتكم وعدي، فسلوني أعطِكم، فيقولون : ربنا نسألك رضوانك، فيقول: قد رضيت عنكم ولكم عليَّ ما تمنيتم، ولديَّ مزيد، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير، وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش، وفيه خلقَ آدم [عليه الصلاة والسلام] ، وفيه تقومُ السَّاعة »[1] ، ولهذا الحديث طرق سنشير إليها في باب المزيدِ إن شاء الله تعالى .

---

(١) أخرجه الشافعي في « مسنده » (٣٧٤) بترتيب السندي .
والوكتة: الأثر في الشيء كالنقطة من غير لونه.

وروى أبو نعيم من حديث شيبان بن جُبير، عن فَرقد، عن الحسن، عن أبي برزة الأسلمي، [عن النبي ﷺ] قال: « إنَّ أهـلَ الجنةِ ليغـدُونَ في حُلةٍ ويَروحونَ في أخرى كغدوِّ أحدكم ورواحِهِ، إلى ملك من ملوك الدنيا، كـذلك يَغدونَ ويروحُون إلى زيارة رَبِّهم عزَّ وجلَّ، وكذلك لهم بمقادير ومعالم يعلمون تلك الساعة التي يأتون فيها ربهم عزَّ وجلَّ »[1]. قال: ورواه جعفر بن جسر، عن فرقد، عن أبيه مثله.

وذكـر أبـو نعيم أيضـاً من حـديث أبـي إسحـاق، عـن الحـارث، عن علي قال: إذا سكن أهل الجنةِ الجنةَ، أتاهم مَلَكٌ يقول [لهم]: إنَّ الله [تبارك وتعالى] يأمركم أن تزوروه، فيجتمعون فيأمر الله [تبارك] وتعالى داود عليه السلام، فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل، ثم توضع مائدة الخلد، قالوا: يا رسـول الله وما مـائدة الخلد؟ قـال زاويـة من زوايـاهـا أوسع مـا بين المشـرق والمغـرب، فيطعمـون، ثم يسقون، ثم يكسـون فيقولـون: لم يبقَ إلا النـظر في[2] وجه ربنا عزَّ وجلَّ، فيتجلى لهم فيخرون سجداً، فيقال لهم: لستم في دار عمل، إنما أنتم في دار جزاء[3].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو موسى إسحاق بن إبراهيم الهروي، حدثنا القاسم بن يزيد الموصلي: حدثني أبو إلياسَ قال: حدثني محمد بن علي بن الحسين قال: قال رسول الله ﷺ.

وقـال أبو نعيم: حدثني محمـد بن علي بن حبيش، حـدثنـا إبـراهيم بن شريك، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا المعافىٰ بن عمران ـ وكـان مـن خـيـار الناس ـ قال حدثني إدريس بن سنان، عن وهب بن منبه، عن محمد بن علي، قال إدريس: ثم لقيت محمد بن علي بن الحسين ابن فاطمة فحدثني قال: قال رسول الله ﷺ: « إنَّ في الجنةِ شجرةً يقالُ لها طُوبىٰ، لو سُخرَّ الجواد الراكب أنْ يسيرَ في ظلِّها لسار فيها مئةَ عام، ورقها برودٌ خضرٌ، وزهرُها رياطُ صفْر،

---

(١) أخرجه في «صفة الجنة» (٣٩٤).

(٢) في الأصل: «إلى».

(٣) الحديث في «صفة الجنة» (٣٩٧)، وهو ضعيف.

وأقناؤها[1] سندسٌ وإستبرق، وثمرها حُللٌ، وصمغها زنجبيلٌ وعسل، وبطحاؤها ياقوت أحمر، وزمرد أخضر، وترابُها مسكٌ، وحشيشُها زعفرانٌ، مَنْبَعُ الأُجُوج[2] يؤججان من غير وقود يتفجرُ من أصلِها أنهار السلسبيلِ والمعينِ والرَّحيقِ، وظلها مجلسٍ من مجالس أهلِ الجنة يألفونه، ومتحدَّثٌ يجمعهمْ.

فبينا هم يتحدثون في ظِلِّها إذ جاءتهم الملائكةُ يقودونَ نُجُباً جُبِلتْ من الياقوتِ، ثم نُفِخَ فيها الروحُ مزمومةٌ بسلاسل من ذهب، كأنَّ وجوهها المصابيح نضارةً وحسناً، وَبَرُها خَزٌّ أحمر، ومَرْعِزِي أبيض مختلطان، لم ينظر الناظرونَ إلى مثلها، عليها رحال، ألواحها من الدِّرِ والياقوت، مفصصةٌ باللؤلؤ والمرجان صفافها من الذهب الأحمر، ملبسة بالعبقري والأرجوان، فأناخوا إليهم تلك النجائب، ثم قالوا لهم: إنَّ ربَّكُم تبارك وتعالى يقرئُكم السلام، ويستزيركم لتنظروا إليه، وينظر إليكم، وتحيُّونه ويحيّيكم، ويكلِّمكم وتكلّمونه، ويزيدكم من فضله وسعته، إنه ذو رحمة واسعة، وفضل عظيم. فيتحول كل رجل منهم على راحلته، ثم انطلقوا صفاً واحداً معتدلاً، لا يفوت منه شيء شيئاً ولا يفوت أذن الناقة أذن صاحبتها، ولا بركة ناقة بركة صاحبتها، ولا يمرونَ بشجرة من أشجار الجنةِ إلا أتحفتهم بثمرتها، وزحلت لهم عن طريقهم، كراهية أن ينثلم صفهم، أو يفرق بين الرجل ورفيقه، فلما رفعوا إلى الجبار تبارك وتعالى أسفر لهم عن وجهه الكريم، وتجلّى لهم في عظمته العظيمةِ، فقالوا: ربنا أنت السلامِ ومنك السلام، ولكَ حقُّ الجلال والإكرام. فقال لهم ربُّهم تبارك وتعالى: إنِّي السّلام، ومني السَّلام، ولي حقُّ الجلالِ والإكرامِ، مرحباً بعبادي الذين حفظوا وصيتي، وراعوا عهدي، وخافوني بالغيب، وكانوا مني على كلِّ حالٍ مشفقين، قالوا: وعزَّتك وجلالك وعلوّ مكانك، ما قدرناك حقَّ قدرك، وما أدينا إليك كلّ حقِّكَ، فائذن لنا بالسجود، فقال لهم ربُّهم تبارك وتعالى: إنِّي قد وضعتُ عنكم مؤنة العبادَةِ، وأرحتُ لكم أبدانَكُم، فلطال ما أنصبتم لي الأبدان، وأعنَيتُم لي الوجوه، فالآن أفضيتم إلى روحي ورحمتي

---

(١) الأقناء: جمع قنو وهو غصن النخل بما فيه من الرطب والتمر، وفي «الدر المنثور» أقتادها.

(٢) في الأصل: الألنجوج، والتصويب من «الدر المنثور». والأجوج: المضيء النير.

وكرامتي، فسلوني ما شئتم، وتمنُّوا عليَّ أُعطِكُم أمانيكُم، فإنِّي لم أجزكم اليوم بقدر أعمالكم، ولكن بقـدر رحمتي وكرامتي، وطَـولي وجلالي، وعلوّ مكـاني وعظمة شأني. فما يزالون في الأماني والعطايا والمواهب، حتى أنّ المقتصر من أمنيته ليتمنىٰ مثلَ جميعِ الدنيا، منذ خلقها الله عزَّ وجلَّ إلى يوم أفناها، فقـال لهم ربُّهم تبارك وتعالى: لقد قصرتم في أمانيكم، ورضيتم بدون ما يحقُّ لكم، فقد أوجبتُ لكم ما سألتم وتمنيتم، وألحقت بكم ذريتكم وزدتُكم ما قصرت عنه أمانيكم»[1] ولا يصحُّ رفعه إلى النبي ﷺ، وحسبه أن يكون من كلام محمد بن علي، فغلط فيه بعض هؤلاء الضعفاء، فجعله من كلام النبي ﷺ.

وإدريس بن سنـان: هذا هـو سبط وهب بن منبه ضعفـه ابن عدي[2]، وقال الدارقطني[3]: متروك، وأما أبو إلياس المتابـع له، فـلا يُدرى من هـو. وأما القاسم بن يزيـد الموصلي الـراوي عنه فمجهـول أيضاً، ومثـل هذا لا يصـحُّ رفعه. والله أعلم.

وقال الضحاك في قوله عز وجل ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ المتَّقِينَ إلى الرَّحمنِ وَفْداً ﴾ [مريم: ٨٥] قال: على النجائب عليها الرِّحال.

---

(١) أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/٦٠ - ٦١ ونسبه لابن أبي حاتم مطولاً، وبألفاظ متقاربة.

(٢) في «الكامل» ١/٣٥٨.

(٣) انظر «الضعفاء والمتروكين» (١٢٣).

الباب الثاني والستون

في ذكر السحاب والمطر الذي يصيبهم في الجنة

قد تقدم في حديث سوق الجنة أنه يغشاهم يوم الزيارة سحابةٌ من فوقهم ، فتمطر عليهم طيباً لم يجدوا مثلَ ريحه قَطُّ(١) .

وقال بقية بن الوليد : حدثنا بُحير بن سعيد، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرّة قال : « إنّ من المزيد أن تمرَّ السحابةُ بأهلِ الجنة، فتقول : ماذا تريدونَ أنْ أمطركم ؟ فلا يتمنونَ شيئاً إلا مطروا »(٢) .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني أزهر بن مروان، حدثنا عبدالله بن عبدالله الشيباني ، عن عبد الرحمن بن بديل، عن أبيه، عن صفي اليماني ، قال : سأله عبد العزيز بن مروان، عن وفد أهل الجنة قال : إنَّهم يفدونَ إلى الله سبحانه كلَّ خميس فيوضع لهم أسرَّة، كلُّ إنسانٍ منهم أعرف بسريره منك بسريركَ هذا الذي أنت عليه، فإذا قعدوا عليه وأخذ القوم مجالسهم قال [الله] تعالى : أطعموا عبادي وخلقي وجيراني ووفدي، فيطعموا ثم يقول : أسقوهم . قال : فيأتون بآنية من ألوانٍ شتى مجتمعة فيشربون منها . ثم يقول : عبادي وخلقي وجيراني ووفدي قد طعموا وشربوا ، فكّهوهم، فتجيء ثمرات شجر مدلاة . فيأكلون منها ما شاؤوا، ثم يقول : عبادي وخلقي وجيراني ووفدي قد طعموا وشربوا وفكّهوا ، أكسوهُم ، فتجيء ثمرات شجر أخضر وأصفر وأحمر، وكلّ لون لم تنبت إلا الحلل، فينشر عليهم حللاً وقُمصاً ، ثم يقول : عبادي وخلقي

---

(١) تقدم ص٣٣٨ ت (١) .

(٢) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٤٠) بألفاظ متقاربة .

وجيراني ووفدي قد طعموا وشربوا وفكّهوا وكُسوا ، طَيِّبوهم ، فيتناثَرُ عليهم المسلك مثلَ رُذاذِ المطر .

ثم يقول : عبادي وجيراني وخلقي ووفدي قد طَعموا وشربوا وفَكهُوا وكسوا وطيِّبُوا لأتجلينّ لهم حتى ينظروا إليَّ ، فإذا تجلّى لهم فنظروا إليه؛ نَضِرتْ وجوهُهم ، ثم يقال لهم : ارجعوا إلى منازلكم، فتقول لهم أزواجهم : خرجتم من عندنا على صورة، ورجعتم على غيرها ؟ فيقولون : ذلك أنَّ الله جلَّ ثناؤه تجلّى لنا فنظرنا إليه ، فنضِرَتْ وجُوهُنَا .

وقال عبدالله بن المبارك : أنبأنا إسماعيل بن عياش، قال حدثني ثعلبة بن مسلم، عن أيوب بن بشير العجلي، عن شُفي بن ماتع الأصبحي أن رسول الله ﷺ قال : « إنّ من نعيمِ أهلِ الجنةِ أنَّهم يتزاورونَ على المطايا والنجب، وأنهم يؤتون في الجنةِ بخيل ملجمةٍ مسرجةٍ لا تروث ولا تبول، يركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله ، فيأتيهم مثلُ السحابةِ فيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، فيقولون : أمطري علينا فما يزالُ المطرُ عليهم حتى ينتهيَ ذلك فوق أمانيهم ، ثم يبعثُ الله ريحاً غير مؤذية فتنسفُ كثباناً من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم ، فيأخذون ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي مفارِقِها وفي رؤوسهم، ولكلِّ رجلٍ منهم جمةٌ على ما اشتهت نفسه، فيتعلق ذلك المسك في تلك الجِمام . وفي الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله ، فإذا المرأة تنادي بعض أولئك : يا عبدَ الله أما لك فينا حاجة ؟ فيقول : ما أنت، ومن أنت ؟ فتقول : أنا زوجتك وحِبّك . فيقول : ما كنت علمت بمكانك، فتقول المرأة : وما تعلم أنَّ الله تعالى قال : ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] فيقولُ : بلى وربِّي فلعلّه يشتغلُ عنها بعد ذلك الموقف أربعينَ خريفاً ، ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النّعيم »(١) .

---

(١) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٣٩) .

فصل

وقد جعلَ الله سبحانه السّحابَ وما يمطره سبباً للرحمة والحياة، في هذه الدار، ويجعله سبباً لحياةِ الخلقِ في قبورهم، حيث يمطر على الأرض أربعين صباحاً مطراً متداركاً من تحتِ العرش، فينبتون تحت الأرضِ كنبات الـزرعِ ، ويبعثون يوم القيامة والسماء تَطِشُّ[1] عليهم، وكأنّه ـ والله أعلم ـ أثر ذلك المطر العظيم كما يكون في الدنيا، ويثير لهم سحاباً في الجنة يمطرهم، ما شاؤوا من طيب غيره، وكذلك أهل النار ينشىءُ لهم سحاباً يمطِرُ عليهم عذاباً إلى عذابهم، كما أنشأ لقوم هودٍ وقومِ شعيبٍ سحاباً أمطرهم عذابـاً أهلكهم، فهو سبحانه ينشئه للرحمةِ والعذابِ .

(١) الطش: المطر الضعيف، فوق الرذاذ.

الباب الثالث والستون

في ذكر مُلكِ الجنةِ وأن أهلها كلّهم ملوك فيها

قال الله تعالى : ﴿ وإذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً ومُلْكاً كَبِيراً ﴾ [الإنسان : ٢٠] قال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿ مُلْكاً كَبيراً ﴾ قال : عَظِيماً . وقال : استئذان الملائكة عليهم لا تدخل عليهم إلا بإذن ، وقال كعب في قوله تعالى : ﴿ وإذَا رأَيْتَ ثَمَّ رأَيْتَ نَعِيماً ومُلْكاً كَبِيراً ﴾ قال : يُرسِلُ إليهم رَبُّهم الملائكة، فتأتي الملائكة فتستأذن عليهم وقال بعضهم : الخدم ، ولا تدخل الملائكة عليهم إلا بإذنٍ .

وقال الحكم بن أبان : عن عكرمة، عن ابن عباس أنه ذكر مراكب أهل الجنة ثم تلا ﴿ وَإذا رأيتَ ثَمَّ رأيت نَعِيماً ومُلْكاً كَبِيراً ﴾ [الإنسان : ٢٠] .

وقال ابن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان يقول في قول الله عز وجل : ﴿ وإذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رأيتَ نَعِيماً ومُلْكاً كَبيراً ﴾ قال : الملك الكبير، إن رسول ربِّ العزةِ يأتيه بالتحفة واللطف، فلا يصلُ إليه حتى يستأذن عليه فيقول للحاجب : استأذن علىٰ وليِّ الله فإنِّي لستُ أصلُ إليهِ، فيعلِمُ ذلكَ الحاجبُ حاجباً آخر، وحاجباً بعد حاجب، ومن داره إلى دار السّلام باب يدخل منه على رَبِّه إذا شاء بلا إذنٍ، فالملك الكبير أن رسول رَبِّ العزّةِ لا يدخل عليه إلا بإذنٍ، وهو يدخل على رَبِّهِ بلا إذنٍ .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا صالح بن مالك، حدثنا صالح المرّي، حدثنا يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك يرفعه : « إنَّ أسفلَ أهلِ الجنّةِ أجمعينَ درجةً من يقومُ على رأسهِ عشرةُ آلافِ خادم »[1] .

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٥٣٠) مطولاً من طريق يزيد الرقاشي عن أنس، وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/٤٠١، ونسبه للطبراني في «الأوسط»، وقال: رجاله ثقات.

حدثني محمد بن عباد بن موسى، أنبأنا زيد بن الحباب، عن أبي هلال الراسبي، أخبرنا الحجاج بن عتاب العبدي، عن عبدالله بن معبد الزماني، عن أبي هريرة قال: إنَّ أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنيٌّ، من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسةَ عشرَ ألف خادمٍ، ليس منهم خادمٌ إلا ومعه طرفة ليست مع صاحبه[1].

وحدثني محمد بن عباد، حدثنا زيد بن الحباب، عن أبي هلال، حدثنا حميد بن هلال قال: ما من رجل من أهل الجنة إلا وله ألف خازن، ليس منهم خازن إلا على عمل ليس عليه صاحبه[2].

حدثني هارون بن سفيان، أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا المفضل بن فضالة، عن زهرة بن معبد، عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال: إنَّ العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ[3].

حدثني هارون بن سفيان، حدثنا محمد بن عمر، أخبرنا محمد بن هلال، عن أبي هريرة قال: إنَّ أدنى أهلِ الجنةِ منزلةً، وما فيهم دني لمن يغدو عليه عشرة آلاف خادم، مع كل خادمٍ طرفةٌ ليست مع صاحبه[4].

وقال عبدالله بن المبارك: حدثنا يحيى بن أيوب، حدثني عبيد الله بن زحر، عن محمد بن أبي أيوب المخزومي، عن أبي عبد الرحمن المعافري قال: إنَّه لَيُصَفُّ للرّجلِ من أهلِ الجنّةِ سِماطانِ لا يُرى طرفاهما من غِلمانِهِ، حتى إذا مرَّ مشوا وراءه[5].

وقال أبو خيثمة: حدثنا الحسَن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا درّاج،

---

(١) أخرج نحوه ابن المبارك في «زوائد الزهد» (٤١٤) من طريق الحجاج بن عتاب بألفاظ متقاربة، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٤٢) من طريق ابن عوف عن ابن سيرين.

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٥٢٦).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «زوائد الزهد» (٤٢٧).

(٤) تقدم: انظر التعليق رقم (١).

(٥) أخرجه ابن المبارك في «زوائد الزهد» (٤١٥).

عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ أدنىٰ أهلِ الجنةِ منزلةً الذي له ثمانون ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة، ويُنصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد، كما بين الجابية وصنعاء »[1] .

وقال عبدالله بن المبارك : أخبرنا بقية بن الوليد، حدثني أرطاة بن المنذر قال : سمعت رجلاً ـ من مشيخة الجند ـ يقال له : أبو الحجاج قال : جلست إلى أبي أمامة فقال : إن المؤمن يكون متكئاً على أريكته إذا دخل الجنة، وعنده سِماطان من الخدم، وعند طرف السِّماطين، باب مبوب فيقبل الملك من ملائكة الله عزّ وجلّ ليستأذن ، فيقوم أدنى الخدم إلى الباب، فإذا هو بالملك يستأذن، فيقول للذي يليه هذا ملك يستأذن، ويقول للذي يليه : ملك يستأذن، حتى يبلغ المؤمن فيقول: ائذنوا له، فيقول أقربُهم إلى المؤمن ائذنوا له، ويقول الذي يليه للذي يليه : ائذنوا له كذلك، حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب، فيفتح له، فيدخل فيسلم ثم ينصرف »[2] .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن الحسن، حدثنا قبيصة حدثنا سليمان العنبري، عن الضحاك بن مزاحم قال : بينا وليُّ الله في منزله إذ أتاه رسول من الله عزَّ وجلَّ فقال للآذن : [استأذن] لرسول الله على ولي الله، فيدخل الآذن فيقول : يا ولي الله ، هذا رسول الله يستأذن عليك، قال : ائذن له فيأذن له فيدخل على ولي الله ، فيضع ما بين يديه تحفة، فيقول : يا ولي الله : إنَّ ربَّك يقرأ عليك السلامَ، ويأمركَ أنْ تأكلَ من هذه، قال : فيشبهه بطعامٍ أكَلَهُ أيضاً ، فيقول : إنما أكلتُ هذا الآن ، فيقول : إنَّ ربَّكَ يأمركَ أنْ تأكلَ منها ، فيأكل منها فيجدُ منها طَعْمَ كلِّ ثمرةٍ في الجنة فذلك قوله عز وجل ﴿ وأُتُوا بِهِ مُتَشَابهاً ﴾ [البقرة : ٢٥] .

---

(١) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٤٢٢)، والترمذي (٢٥٦٢) في صفة الجنة : باب (٢٣)، وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٣٩ وزاد نسبته لأحمد.

(٢) أخرجه ابن المبارك في «زوائد الزهد» (٢٣٧)، والطبراني في «التفسير» من طريق ابن المبارك ١٣/ ٨٤.

وفي « صحيح » مسلم من حديث المغيرة بن شعبة، عن النبي ﷺ قال: « سأل موسى رَبَّهُ ما أدنى أهل الجنة منزلةً ؟ قال : هو رجل يجيءُ بعدما أُدخل أهلُ الجنةِ الجنةَ، فيقال له : ادخلِ الجنةَ ، فيقول : أيْ ربِّ . كيف وقد نزل الناس منازلهم ، وأخذوا أخذاتِهم ، فيقال له : أترضىٰ أن يكون لكَ مثل مَلِكٍ من ملوك الدنيا ؟ [فيقول] : رضيتُ ربِّي، فيقول لـه : لك ذلـك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة : رضيت رَبِّ، فيقول لك هذا وعشرةُ أمثالِـهِ، ولك ما اشتهت نفسك ، ولذَّتْ عينك ، فيقول رضيت ربِّ »[1] وذكر الحديث وقد تقدم ذكره بتمامه .

وقال البزار في « مسنده » : حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا المغيـرة بن سلمة، حدثنا وهيب عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال : خَلَقَ الله تبارك وتعالى الجنةَ لبنةً من ذهبٍ، ولبنةً من فضةٍ ، وغرسها [بيده] ، وقال لهـا : تكلمي، فقالت : ﴿ قَدْ أفلَحَ المؤمنون ﴾ [المؤمنـون : ١] فدخلتهـا الملائكة، فقال: طوبى لك منزل الملوك[2]. هكذا رواه وهيب عن الجريري موقوفاً ، ورواه عدي بن الفضل، عن الجريـري فرفعه، قال البـزار : ولا نعلم أحداً رفعه إلا عدي بن الفضل بهذا الإسناد، وعدي بن الفضل ليس بالحافظ، وهو شيخ بصري[2] .

قلت : عدي بن الفضل هـذا تفرد بـه ابن ماجـه، وقد ضعفه يحيى بن معين، وأبو حاتم. والحديث : صحيح موقوف . والله أعلم .

وقد تقدم ذكر التيجان على رؤوسهم ، وإنما يلبسها الملوك .

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٩) في الإيمان : باب (٨٤) أدنى أهل الجنة منزلة .

(٢) أخرجه البزار في «زوائده» (٣٥٠٧) موقوفاً و (٣٥٠٨) مرفوعاً وسند المؤلف عن البزار هو عن محمد بن المثنى، ثنا حجاج بن المنهال، ثنا حماد بن سلمة، عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد. وأما المرفوع: فعن بشر بن آدم، حدثنا يونس بن عبيد الله العمري، ثنا عدي بن الفضل، ثنا الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ.

الباب الرابع والستون

في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخلد وأن موضع سوط منها خيرٌ من الدُّنيا وما فيها

قال تعالى : ﴿ تتجافىٰ جُنُوبُهم عنِ المضَاجِعِ يَدْعُونَ ربَّهم خوفاً وطَمَعاً ومِمَّا رَزَقْنَاهُم يُنفقونَ. فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٦ - ١٧] . وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجِعهم، حين يقوموا إلى صلاة الليل بقرةِ الأعينِ في الجنة .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله عزّ وجلّ : أعددتُ لعبادِيَ الصالحينَ، ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ، ومصداقُ ذلك في كتاب الله ﴿ فلا تَعْلَمُ نفسٌ ما أُخفيَ لَهُم مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ » .

وفي لفظٍ آخر فيهما : « يقول الله عزَّ وجلَّ أعددتُ لعبادِيَ الصالحينَ ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ، ذُخراً بَلْهَ ما أطلعتكم عليه، ثم قرأ ﴿فلا تعلمُ نفسٌ ما أُخفيَ لهم من قُرَّة أعينٍ﴾ الآية.

وفي بعض طرق البخاري : قال أبو هريرة : اقرؤوا إنْ شِئتم ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (١) .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤) في بدء الخلق: باب (٨) ما جاء في صفة الجنة ، وأطرافه عنده (٤٧٧٩) و(٤٧٨٠) و(٧٤٩٨) ، ومسلم (٢٨٢٤) (٣) في الجنة ، واللفظ له.

=

وفي « صحيح » مسلم من حديث سهل بن سعد الساعدي قال : شهدت من رسول الله ﷺ مجلساً وصف فيه الجنة حتى انتهى، ثم قال في آخر حديثه : « فيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ، ثُمَّ اقترأ هذه الآية ﴿ تَتَجافىٰ جُنُوبُهم عن المضَاجعِ يَدْعُونَ رَبَّهم خَوْفاً وطَمَعاً ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ، فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٦ ـ ١٧][(١)] » .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لقابُ قوسِ أحدِكم في الجنةِ خيرٌ مِمَّا طلعتْ عليه الشّمسُ أو تغربُ »[(٢)] .

وقد تقدم حديث أبي أمامة عن النبي ﷺ : « ألا مُشَمِّرٌ للجنةِ، فإنَّ الجنَّةَ لا خطرَ لها ، هي وربِّ الكعبةِ نورٌ يتلألأ ، وريحانةٌ تهتزُّ، وقصرٌ مشيدٌ، ونهر مُطَّرِدٌ، وثمرةٌ نضيجةٌ ، وزوجةٌ حسناءُ جميلةٌ ، وحُللٌ كثيرةٌ ، ومقام في أبدٍ في دارٍ سليمة، وفاكهةٍ وخضرةٍ وحَبْرةٍ ونعمةٍ، في محلةٍ عاليةٍ بهيةٍ »[(٣)] .

ولو لم يكن من خطر الجنة وشرفها إلا أنه لا يُسأل بوجه الله غيرها، لكفاها شرفاً وفضلاً. كما في « سنن » أبي داود من حديث سليمان بن معاذ، عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يُسأل بوجْهِ اللهِ إلا الجنَّة »[(٤)] .

= ذخراً : ادخاراً لكم .
بلْه ما أطلعتكم عليه : أي دع عنك ما أطلعكم الله عليه، فالذي لم يطلعكم عليه أعظم .
بله : اسم فعل مبني على الفتح بمعنى : دَعْ . وقيل : معناها : سوى.

(١) أخرجه مسلم (٢٨٢٥) في الجنة : باب (٥) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٩٣) في الجهاد : باب (٥) الغدوة والروحة في سبيل الله ، ومسلم (١٨٨٢) في الإمارة : باب (٣٠) فضل الغدوة والروحة في سبيل الله. القاب : المقدار، وما بين نصف وتر القوس، وطرفه يقال على قاب قوسين كناية عن القرب .

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٣٣٢) في الزهد: باب (٣٩) صفة الجنة، قال في « الزوائد » : في إسناده مقال، والضحاك المعافري الدمشقي ذكره ابن حبان في « الثقات »، وقال الذهبي في « طبقات التهذيب » : مجهول. وسليمان بن عيسى مختلف فيه : وباقي رجال الإسناد ثقات، وصححه ابن حبان (٢٦٢٠) في « الموارد » .

(٤) أخرجه أبو داود (١٦٧١) في الزكاة : باب (٣٧) كراهية المسألة بوجه الله تعالى .

وفي « معجم » الطبراني من حديث بقية، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « لما خَلَقَ اللهُ جَنَّةَ عَدْنٍ، خَلَقَ فيها مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سمعتْ، ولا خَطَرَ على قلبِ بشرٍ، ثم قال لها: تكلمي. فقالت: ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ »(1).

وفي «صحيح» البخاري من حديث سهل بن سعد قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: « مَوضعُ سوْطٍ في الجنةِ خيرٌ من الدُّنيا ومَا فيهَا»(2).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن همام، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « لَقِيدُ سَوْطِ أحدِكُم مِنَ الجَنَّةِ خَيرٌ مِمَّا بينَ السَّماءِ والأرض»(3) وهذا الإسناد على شرط « الصحيحين ».

وقال الترمذي حدثنا سويد بن نصر: حدثنا ابن المبارك، أنبأنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقَّاص، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال: « لو أن ما يُقِلُّ ظُفْر مما في الجنةِ بدا لتزخرفتْ له ما بينَ خَوافِقِ السَّماواتِ والأرضِ، ولو أنَّ رجلاً من أهلِ الجنةِ اطَّلعَ فبدا أساوِرُهُ لطَمَسَ ضَوءَ الشمسِ كما تطمسُ ضوءَ الكواكبِ » قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من حديث ابن لهيعة، وقد روى يحيى بن أيوب هذا الحديث، عن يزيد بن أبي حبيب، وقال: [عن عمر بن سعد] بن أبي وقاص، عن النبي ﷺ(4).

قلت: وقد رواه ابن وهب أنبأنا عمرو يعني ابن الحارث أن سليمان بن حميد حدّثه أن عامر بن سعد بن أبي وقَّاص [حدثه] قال سليمان: لا أعلم إلا

---

(1) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠/٣٩٧ وقال: رواه الطبراني في « الأوسط » و« الكبير » وأحد إسنادي الطبراني في « الأوسط » جيِّد.

(2) أخرجه البخاري (٣٢٥٠) في بدء الخلق: باب (٨) ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة.

(3) أخرجه أحمد في « مسنده » ٢/٣١٥، و٤٨٣.

(4) أخرجه الترمذي (٢٥٣٨) في صفة الجنة: باب (٧) ما جاء في صفة أهل الجنة، وأخرجه أحمد ١/١٦٩ و١٧١، وابن المبارك في « زوائد الزهد » (٤١٦)، والبغوي في « شرح السنة » (٤٣٧٧)، وابن كثير في «النهاية» ٢/٤٤٢، ونسبه لابن أبي الدنيا.

أنه حدثني عن أبيه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو أن ما أقلَّ ظفرٌ من الجنةِ برزَ للدنيا لتزخرفَ له ما بينَ السماءِ والأرضِ»[1].

وفي الباب: عن أنس بن مالك، وأبي سعيد الخدري، وعبدالله بن عمرو بن العاص. وكيف يقدر قدر دارٍ غرسها الله بيده، وجعلها مقرًّا لأحبابه، وملأها من [رحمته] وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمَها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره: وطهَّرَها من كلِّ عيبٍ وآفةٍ ونقصٍ.

فإن سألت عن أرضها وتربتها، فهي المسك والزعفران.

وإن سألت عن سقفها، فهو عرشُ الرحمن.

وإن سألت عن ملاطها فهو المسك الأذفر.

وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر.

وإن سألتَ عن بنائها فلبنةٌ من فضةٍ ولبنة من ذهب.

وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة واحدة إلا ساقُها من ذهب وفضة، لا من الحطبِ والخشبِ،

وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلالِ، ألين من الزبد، وأحلى من العسل.

وإن سألتِ عن ورقها فأحسن ما يكن من رقائق الحُلَلِ،

وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبنٍ لم يتغيرْ طعمُهُ، وأنهار من خمرٍ لذةٍ للشاربين، وأنهار من عسل [مصفى].

وإن سألتَ عن طعامهم ففاكهة مما يتخيَّرونَ، ولحمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُون،

وإن [سألت] عن شرابهم التسنيم والزنجبيلُ والكافورُ.

وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٥٧) وما بين المعكوفتين منه، وهو جزء من الحديث قبله فانظره.

وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام.

وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تستفز بالطّرب لمن يسمعها.

وإن سألت عن ظِلِّهَا ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجدُّ السريع في ظلها مئة عام لا يقطعها.

وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام.

وإن سألت عن خيامها وقبابها، فالخيمة الواحدة من درَّةٍ مجوفة طولها ستون ميلاً من جملة الخيام.

وإن سألت عن علاليها[1] وجواسقها[2] فهي غرف من فوقها غرف مبنية، تجري من تحتها الأنهار.

وإن [سألت] عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع، أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار.

وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب.

وإن سألت عن فرشها فبطائنها من إستبرق مفروشة في أعلى الرتب.

وإن سألت عن أرائكها فهي الأسرة عليها البشخانات، وهي: الحجال[3] مُزَرَّة بأزرار الذهب. فما لها من فُروج ولا خلال.

وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاثة وثلاثين على صورة آدم [عليه السلام] أبي البشر.

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم، فعلى صورة القمر.

وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين، وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيّين. وأعلى منهما سماع خطاب ربِّ العالمين.

---

(١) علاليها جمع العُلِّيَة: بالضم والكسر الغرفة.

(٢) الجواسق: القصور، واحدها: جوسق.

(٣) الحجلة: الكِلَّة، الناموسية.

وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها، فنجائب أنشأها اللهِ ممَّا شَاءَ تسير بهم حيث شاؤوا من الجِنان .

وإن سألت عن حُليّهم وشارتهم، فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان .

وإن سألت عن غلمانِهم فولدانٌ مخلدونَ كأنَّهم لؤلؤٌ مكنونٌ .

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم، فَهُنَّ الكواعب الأترابُ، اللاتي جرى في أعضائهنَّ ماءُ الشباب، فللوردِ والتفاحِ ما لبسته الخدود، وللرُّمان ما تضمنته النهودُ، وللؤلؤ المنظومِ ما حوته الثغورُ، وللدقة واللّطافةِ ما دارتْ عليه الخصورُ، تجري الشمس في محاسن وجهها إذا برزت، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا تبسمت، إذا قابلت حبها، فقل ما شئت في تقابل النيرين، وإذا حادثته فما ظنّك بمحادثة الحبيبين . وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنينِ، يرى وجهه في صحن خدِّها، كما يرى في المرآة التي جلّاها صيقلها، ويرى مخَّ ساقها من وراء اللحم، ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حُلَلُها . لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بينَ الأرضِ والسماءِ ريحاً ، ولاستنطقت أفواهَ الخلائقِ تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً ، ولتزخرف لها ما بين الخافقين، ولأغمضت عن غيرها كلَّ عينٍ ، ولطمستْ ضوءَ الشمسِ كما تطمسُ الشمس ضوء النجوم ، ولآمن من على وجهها بالله الحيِّ القيومِ ، ونصيفُها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصاله أشهىٰ إليه من جميع أمانيها، لا تزداد على تطاول الأحقاب إلا حسناً وجمالاً، ولا يزدادُ لها على طول المدى إلا محبة ووصالاً، مبرأة من الحبلِ والولادةِ والحيضِ والنفاسِ ، مطهرةً من المخاط والبصاقِ والبولِ والغائطِ وسائرِ الأدناس، لا يفنى شبابُها، ولا تبلىٰ ثيابُها، ولا يخلقُ ثوب جمالها، ولا يملُّ طيبُ وصالها، قد قصرتْ طرفَها على زوجها، فلا تطمحُ لأحدٍ سواه، وقصرت طرفه عليها فهي غاية أمنيته وهواه، إن نظر إليها سرته، وإن أمرها أطاعته ، وإن غاب عنها حفظته ، فهو معها في غاية الأماني والأمان، هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جانّ، كلما نظر إليها ملأت قلبه سروراً، وكلّما حدثتهُ ملأتْ أذنَهُ لؤلؤاً منظوماً ومنثوراً، وإذا برزتْ ملأتْ القصرَ والغرفة نوراً .

وإن سألت عن السنِّ فأترابٌ في أعدل سنِّ الشباب.
وإن سألت عن الحسنِ فهل رأيت الشمس والقمر.
وإن سألتَ عن الحدَقِ فأحسن سواد في أصفى بياض، في أحسن حور.
وإن سألت عن القدودِ فهل رأيت أحسن الأغصان.
وإن سألت عن النهود فهنّ الكواعب، نهودهن كألطف الرمانِ.
وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوتُ والمرجان.
وإن سألت عن حسن الخلقِ فهنَّ الخيراتُ الحسان، اللاتي جمع لهن بين الحسن والإحسان، فأعطين جمالَ الباطنِ والظاهرِ، فهن أفراح النفوس، وقرة النواظر.

وإن سألت عن حُسن العشرة، ولذّة ما هنالك فهن العُرُبُ المتحبباتُ إلى الأزواج بلطافةِ التبعلِ التي تمتزج بالزوج أي امتزاج.

فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها، وإذا انتقلت من قصر إلى قصر. قلت: هذه الشمس متنقلة في بروج فَلَكِها، وإذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة، وإن خاصرته فيا لذة تلك المعانقة والمخاصرة:

وحديثُها السحرُ الحلالُ لو انه ... لم يَجنِ قتلَ المسلم المتحرِّزِ
إنْ طال لم يُمَلَلْ وإن هي حدثتْ ... ودَّ المحدَّثُ أنّها لم تُوجِزِ[1]

إن غنت فيالذَّةَ الأبصار والأسماعِ، وإن آنستْ وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع. وإن قَبَّلت فلا شيءَ أشهى إليه من ذلك التقبيل، وإن نولت فلا ألذَّ ولا أطيبَ من ذلك التنويل.

هذا، وإن سألت عن يوم المزيد، وزيارة العزيز الحميد، ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه، كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر، كما

---

(١) البيتان لابن الرومي ديوانه: ٣/١١٦٤ وفيه بيت بينهما

شرك النفوس وفتنةٌ ما مثلها ... للمطئن، وعُقْلة المستوفز

وفيه بدل حَدَّثت أوجزت.

تـواتر عن الصـادق المصدوق النقـل فيه، وذلـك مـوجـود في الصِّحَـاحِ ، والسننِ، والمسـانيـدِ. من روايـة جـريـر، وصهيب، وأنس، وأبي هـريـرة، وأبي موسى، وأبي سعيد، فاستمع يوم ينادي المنادي : يا أهلَ الجنةِ، إنَّ ربَّكم تبارك وتعالى يستزيركم فحيَّ على زيارتهِ، فيقولونَ : سمعاً وطاعة، وينهضون إلى الزيارة مبادرينَ، فإذا بـالنجائبِ قـد أعدتْ لهم، فيستـوونَ على ظهورِهـا مسرعينَ، حتى إذا انتهوا إلى الواديِ الأفيح الذي جُعل لهم موعداً . وجمعـوا هناك، فلم يغادر الداعي منهم أحداً، أمرَ الربُّ تبـارك وتعالى بكـرسيهِ فنصبَ هناك، ثم نصـبت لهم منابرُ من نور، ومنابرُ من لؤلؤٍ، ومنابرُ من زبرجدٍ، ومنابرُ من ذهب، ومنابرُ من فضةٍ، وجلس أدناهم ـ وحاشاهم ـ من الدنيا أن يكونَ فيهم دنيء] على كثبان المسك، ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتى إذا استقرتْ بهم مجالسُهم، واطمأنتْ بهم أماكنهم، نـادى المنادي : يـا أهلَ الجنةِ إن لكم عند الله موعداً يريدُ أن ينجزَكموه. فيقولـون : ما هـو ؟ ألم يبيضْ وجوهنا ويثقلْ موازيننا، ويدخلْنا الجنةَ ويـزحْزِحْنـا عن النارِ، بينمـا هم كذلك إذ سطع لهم نورٌ أشرقتْ له الجنـة، فرفعـوا رؤوسهم، فإذا الجبـارُ جلَّ جلاله ، وتقدستْ أسماؤه ، قد أشرف عليهم من فوقهم وقال : يا أهلَ الجنة : سلامٌ عليكم، فلا تردُّ هذه التحيةُ بأحسنَ من قولهم : اللهم أنتَ السلامُ، ومنكَ السلامُ، تباركتَ ياذا الجلالِ والإكرام، فيتجلىٰ لهم الربّ تبارك وتعالى يضحك إليهم، ويقول : يا أهلَ الجنةِ، فيكونُ أولَ ما يسمعونَ منه تعالى : أينَ عبادي الذينَ أطاعوني بالغيبِ، ولم يروني، فهذا يومُ المزيـدِ، فيجتمعونَ على كلمـة واحدة أن قد رضينا، فارضَ [عنّا]، فيقول : يا أهلَ الجنّـةِ، إنِّي لو لم أرْضَ عنكم لم أسكنْكُم جنتي. هـذا يومُ المـزيدِ، فسلوني. فيجتمعـون على كلمـة واحدةٍ : أرنا وجهكَ ننظرْ إليه، فيكشفُ الرَّبُّ جـلّ جلالـهُ الحجبَ، ويتجلىٰ لهم، فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله سبحانه وتعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا . ولا يبقىٰ في ذلك المجلس أحد إلا حاضرهُ ربُّه تعالى محاضرة، حتى إنه ليقول : يا فلان أتذكرُ يوم فعلتَ كذَا وكذَا، يذكره ببعضِ غُدراتِهِ في الدنيا، فيقول : يا ربِّ ألم تغفرْ لِي ؟ فيقول : بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه .

فيالذةَ الأسماع بتلك المحاضرة، ويا قرَّةَ عيونِ الأبـرار بالنـظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة، ويا ذِلةَ الرَّاجعينَ بالصفقةِ الخاسرةِ . ﴿ **وجُوهٌ يومَئِذٍ ناضِرَةٌ إلى رَبِّها نَاظِـرَةٌ ، ووجُوهٌ يـومَئِذٍ بـاسرةٌ . تَـظنُّ أن يُفْعَلَ بهـا فاقـرةٌ** ﴾ [القيامة : ٢٢ - ٢٥] .

فحيّ على جنـاتِ عـدنٍ فـإنّـهـا مـنـازِلُـك الأولى وفيـها الـمخيـمُ
ولكننـا سبـي العــدو فـهــل تـرى نَـعــود إلـى أوطـانـنـا ونسـلَّـمُ

الباب الخامس والستون

في رؤيتهم ربَّهم تبارك وتعالى[1] وتجليه لهم ضاحكاً إليهم

هذا الباب أشرف أبواب الكتاب، وأجلّها قدراً، وأعلاها خطراً، وأقرها لعيون أهل السُّنةِ والجماعةِ، وأشدّها على أهل البدعة والفرقة، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافسَ فيها المتنافسونَ، وتسابقَ إليها المتسابقونَ، ولمثلها فليعمل العاملون . إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشدُّ عليهم من عذابِ الجحيم ، اتفق عليها الأنبياء والمرسلونَ، وجميعُ الصحابةِ والتابعونَ، وأئمةُ الإسلام على تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنية الذين هُم من جميع الأديان منسلخونَ، والرافضةُ الذين هم بحبائل الشيطانِ متمسكون، ومن حبل الله منقطعون، وعلى مسبة أصحاب رسول الله ﷺ عاكفون . وللسُّنَةِ وأهلها محاربون، ولكلِّ عدو لله ورسوله ودينهِ مسالمونَ، وكلّ هؤلاءِ عن ربهم محجوبون، وعن بابه مطرودون .

أولئك أحزاب الضّلال، وشيعة اللّعين، وأعداء الرسول وحزبه . وقد أخبر [الله] سبحانه عن أعلم الخلق [به] في زمانه، وهو كليمه ونجيه وصفيه من أهل الأرض، أنه سأل ربه تعالى النظر إليه، فقال له ربه تبارك وتعالى : ﴿ لَنْ تَرَاني وَلَكِنِ انْظُرْ إلى الجبلِ فإن استَقَرَّ مكانَهُ فسوفَ تَرَاني فَلَمَّا تَجَلَّىٰ ربُّه للجَبَلِ جَعَلَهُ دَكاً ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوهٍ عديدة :

---

(١) ينظر «كتاب التوحيد وصفات الرب عز وجل» لأبي إسحاق بن خزيمة لزاماً لمن أراد المزيد من التثبت في هذا البحث ص ١٦٧ ـ ١٩٠ .

أحدها : أن لا يُظَنَّ بكليمِ الرحمنِ ورسولِهِ الكريم عليه أن يسأل ربَّه ما لا يجوز عليه ، بـل هو من أبـطل الباطـل، وأعظم المحـالِ، وهو عنـد فروخ اليونان، والصابئة ، والفرعونية بمنزلة أن يسأله أن يأكـل ويشرب وينـام، ونحو ذلـك ممـا يتعـالى الله عنـه ، فيـالله العجب ! كيف صـار أتبــاع الصـابئــة ، والمجوس، والمشركينَ عبادِ الأصنام، وفروخ الجهمية، والفرعونيـة أعلم بالله تعالى من موسى بن عمران، وبما يستحيل عليه، ويجب له، وأشدّ تنزيهاً لـه منه ؟!!

الوجه الثاني : أنَّ الله سبحانه [وتعالى] لم ينكرْ عليه سؤاله، ولو كـان محالاً لأنكره عليه ، ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه [تبارك] وتعالى أن يُرِيهُ كيف يُحْيي المـوتى [لم ينكرْ عليـه] ، ولما سـألَ عيسى ابنُ مريم ربَّـه إنـزالَ المائدة من السماءِ لم ينكرْ سؤاله ، ولما سأل نوح ربه نجاةَ ابنِهِ أنكرَ عليه سؤاله [و] قال ﴿ إنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُـونَ مِنَ الجَاهِلِينَ . قـال ربِّ إني أعوذُ بِـكَ أَنْ أسأَلَكَ مـا ليسَ لي بِهِ عِلْمٌ وإلاَّ تَغْفِـرْ لي [وتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الخَـاسِرين] ﴾ [هود : ٤٦ ـ ٤٧] .

الوجه الثالث : أنه أجابه بقوله ﴿ لنْ تَرَانِي ﴾ ولم يَقُلْ إني لا أُرى، ولا إني لست بمرئي ؛ ولا تجوز رؤيتي، والفرق بين الجوابينِ ظاهرٌ لمنْ تأَمَلَهُ .

وهذا يدل على أنه سبحانه [وتعالى] مرئيٌّ ، ولكن موسى لا تحتمل قواهُ رؤيته في هذه الـدار لضعف قوى البشـر فيها عن رؤيتـه تعالى يوضحه:

الوجه الرابع: وهو وقوله: ﴿ولَكِنِ أَنْظُرْ إلى الجَبـلِ فإنِ اسْتَقَـرَّ مَكَانَـهُ فَسَوفَ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابتـهِ لا يثبتُ لتجليه له في هذه الدارِ، فكيف بالبَشَرِ الضعيفِ الذي خُلق من ضعف. . ؟

الوجه الخامس : أن الله سبحانه و[تعالى] قـادر على أن يجعل الجبـلَ مستقـراً مكانَـه، وليس هذا بممتنـع في مقدورهِ، بـل هو ممكن، وقـد علق به الرؤية، ولو كانت محـالاً [في ذاتها لم يعلقهـا بالممكن في ذاتـه، ولو كـانت الرؤية محالاً] لكانَ ذلك نظير أن يقول : إن استقر الجبل فسوف آكلُ وأشرب وأنام، فالأمران عندكم سواء .

الوجه السادس : قوله سبحانه [وتعالى] ﴿ **فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ للجَبَلِ جَعَلَهُ دَكاً** ﴾ وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيتهِ تبارك وتعالى، فإنه إذا جازَ أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقابَ، فكيفَ يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورُسله [ولأوليائه] في دار كرامته ويريهم نفسه ؟ وأعلم سبحانه [وتعالى] موسىٰ أن الجبلَ إذا لم يثبتْ لرؤيته في هذه الدار، فالبشر أضعف .

الوجه السابع : أن ربَّه سبحانه [وتعالى] قد كلَّمه منه إليه، وخاطبه وناجاه، ومن جاز عليه التَّكَلُّمُ والتكليم، وأن يسمع مخاطبة كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم، وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين، فأنكروا أن يكلمَ أحداً، أو يراه أحد، ولهذا سأله موسى النظر إليه لما أسمعه كلامه، وعلم نبيُّ اللهِ جوازَ رؤيته من وقوع خطابِهِ وتكليمه، فلم يخبرْه باستحالةِ ذلك عليه، ولكنْ أراه أن ما سأله لا يقدر على احتماله، كما لم يثبت الجبل لتجليه .

وأما قوله تعالى ﴿ **لَنْ تَرَانِي** ﴾ فإنما يدل على النفي في المستقبلِ، ولا يَدُلّ على دوامِ النفي، ولو قيدت بالتأبيد، فكيف إذا أطلقت، قال الله تعالى : ﴿ **ولَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَداً** ﴾ [البقرة : ٩٥] مع قوله [تعالى] ﴿ **ونَادَوْا يا مالكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ** ﴾ [الزخرف : ٧٧] .

فصل

الدليل الثاني : قوله تعالى : ﴿ **واتَّقوا اللهَ واعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ** ﴾ [البقرة : ٢٢٣] وقوله تعالى : ﴿ **تَحِيَّتُهُم يَومَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ** ﴾ [الأحزاب : ٤٤] وقوله [تعالى] : ﴿ **فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فليعملْ عَمَلاً صَالِحاً** ﴾ [الكهف : ١١٠] وقوله [تعالى] ﴿ **قالَ الذينَ يَظُنُّونَ أنَّهم مُلاقُوا اللهِ** ﴾ [البقرة : ٢٤٩] ، وأجْمَعَ أهلُ اللسانِ على أنَّ اللقاءَ متى نسب إلى الحيِّ السليم من العَمىٰ والمانع؛ اقتضى المعاينة والرؤية، ولا ينتقضِ [هذا] بقوله تعالى : ﴿ **فأعْقَبَهُم نِفَاقاً في قُلوبِهِمْ إلىٰ يومِ يَلْقَونَهُ** ﴾ [التوبة : ٧٧] . فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى في عرصات

القيامة، بل والكفار أيضاً كما في « الصحيحين » من حديث التجلي يوم القيامة، وسيمر بِكَ عن قريبٍ إن شاء الله تعالى : وفي هذه المسألة ثلاثة أقوالٍ لأهل السنة .

أحدها : أنه لا يراه إلا المؤمنون .

الثاني : يراه جميع أهل الموقف : مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك .

والثالث : يراه المنافقونَ دون الكفارِ .

والأقوال الثلاثة في مذهب أحمد، وهي لأصحابه، وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها لهم في تكليمه، ولشيخنا في ذلك مصنف مفرد، حكى فيه الأقوال الثلاثة وحجج أصحابها، وكذا قوله سبحانه [وتعالى] : ﴿ **يا أيُّها الإنسانُ إنَّكَ كادحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحاً فملاقيه** ﴾ [الإنشقاق : ٦] . إن عاد الضمير على العمل فهو رؤيته في الكتاب مسطوراً مثبتاً . وإن عاد على الرّبِّ تبارك وتعالى فهو لقاؤه الذي وَعَدَ به .

فصل

الدليل الثالث: قوله تعالى : ﴿ **واللهُ يَدعو إلى دارِ السَّلامِ ويهدي من يشاءُ إلى صِراطٍ مُستقيم ، للذينَ أحسنوا الحُسْنَى وزيادةٌ ، ولا يرهقُ وجوهَهم قَترٌ**[1] **ولا ذِلَـةٌ أُولئِكَ أصحـابُ الجنَّـةِ هُم فيهـا خَـالِـدُونَ** ﴾ [يونس : ٢٥ - ٢٦] فالحسنى : الجنة، والزيادة النظرُ إلى وجه الله الكريم، كذلك فسّرها رسول الله ﷺ الذي أنزلَ عليه القرآن، والصحابة من بعده، كما روى مسلم في « صحيحه » من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب قال : قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وزِيَادَة** ﴾ قال : إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النارِ النارَ، نادى مُنادٍ يا أهلَ الجنةِ إن لكم عندَ اللهِ موعداً ويريدُ أن يُنجزكموهُ، فيقولونَ : ما هو؟ ألم يثقلْ موازيننا،

---

(١) لا يَرْهَقَ : لا يغشى . قَتَر : سواد . ولا ذلة : ولا كآبة وانظر ص ٤١٤ .

ويبيضْ وجوهنا: ويدخلْنا الجنةَ ويجرْنا من النار؟! فيكشفُ الحجابَ فينظرونَ إليه فما أعطاهم شيئاً أحبَّ إليهم من النظرِ إليه، وهي الزيادة[١].

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا مسلم بن سالم البلخي، عن نوح بن أبي مريم عن ثابت، عن أنس قال: «سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ قال للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى، وهي الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه [الله]»[٢].

وقال محمد بن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا إبراهيم بن المختار، عن ابن جريج، عن عطاء، عن كعب بن عجرة، عن النبي ﷺ في قوله [تعالى]: ﴿للذين أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وزِيَادَة﴾ قال: الزيادةُ النظرُ إلى وجهِ الرحمنِ جَلَّ جَلَالُهُ»[٣] قلت: عطاء هذا هو الخراساني، وليس بعطاء بن أبي رباح.

قال ابن جرير: وحدثنا ابن عبد الرحيم، حدثنا عمرو بن أبي سلمة، قال سمعت زهيراً. وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا صفوان بن صالح، حدثنا الوليد ابن مسلم، حدثنا زهير بن محمد قال: حدثني من سمع أبا العالية الرياحي يُحدِّث عن أُبيٍّ بن كعب قال: سألت رسول الله ﷺ عن الزيادة في كتاب الله [عز وجل] قوله [تعالى]: ﴿لِلَّذِين أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وزِيَادَة﴾ [يونس: ٢٥] قال الحسنى: الجنة. والزيادة: النظر إلى وجه الله عزَّ وجل»[٤].

وقال أسد السنة: حدثنا قيس بن الربيع، عن أبان، عن أبي تميمة الهجيمي أنه سمع أبا موسىٰ يحدِّث، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «يبعثُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ منادياً ينادي أهلَ الجنةِ، بصوتٍ يُسْمِعَ أولهم

---

(١) أخرج مسلم (١٨١) نحوه في الإيمان: باب (٧٩) في قوله: إن الله لا ينام.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» ونسبه إلى أبي الشيخ، وابن منده، والدارقطني، وابن مردويه وغيرهم.

(٣) أخرجه ابن جرير ١١/١٠٧، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٣/٣٠٥، ونسبه إلى ابن مردويه، والبيهقي في «كتاب الرؤية».

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري ١١/١٠٧، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٣/٣٠٥، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، والدارقطني في «الرؤية» وابن مردويه، والبيهقي في كتاب «الرؤية».

وآخـرهم، إنَّ الله وعدَكم الحسنى، والحسنى: الجنـة، والزيـادة: النظر إلى وجه الله عز وجل»(١).

وقـال وهب بن منبـه، أخبـرني شبيب، عن أبـان، عن أبي تميمـة الهجيمي، أنه سمع أبا موسى الأشعـري يحدث عن رسـول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة منادياً ينادي: يـا أهلَ الجنـةِ، بصوتٍ يُسمِعُ أولهم وآخـرهم: إن الله وعـدكم الحسنى [وزيـادة]، الحُسْنى: الجنـة، والـزِّيـادَة: النَّظَر إلى وجْهِ الرحمنِ»(٢).

وأما الصحابة: فقال ابن جرير: حدثنا ابن بشـار، حدثنـا عبد الـرحمن هو ابن مهدي، حدثنا إسرائيل،عن أبي إسحاق، عن عامـر بن سعد، عن أبي بكر الصديق رضي الله [تعالى] عنه ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَة﴾ قـال: النَّظر إلى وجه الله [الكريم](٣).

وبهـذا الإسناد عن أبي إسحـاق: عن مسلم بن يـزيـد، عن حـذيفـة: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُـوا الحُسْنَى وزِيَـادَة ﴾ قـال: النـظر إلى وجـه ربهم تبـارك وتعالى(٤).

وحدثنا علي بن عيسى، حدثني شبابـة، حدثنـا أبو بكـر الهذلي قـال: سمعت أبا تميمة الهجيمي يحدث عن أبي موسى الأشعري قال: إذا كان يوم القيامة يبعث الله عز وجل إلى أهـل الجنة منـادياً ينـادي: هل أنجـزكم الله ما وعدكم؟ فينظرون إلىٰ ما أعدّ لهم من الكرامة فيقولون: نعم، فيقول ﴿ لِلَّذِينَ

---

(١) أخرجه ابن جرير: ١١/١٠٥.

(٢) أخرجه ابن جـرير ١١/١٠٥، والسيـوطي في «الدر المنثـور» ٣/٣٠٥، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، والدارقطني في «الرؤية»، وابن مردويه.

(٣) أخرجه ابن جرير ١١/١٠٤، وأورده السيـوطي في «الدر المنثـور» ٣/٣٠٦ ونسبه إلى ابن أبي شيبـة، وابن خزيمـة، وابن المنذر، وأبي الشيـخ، والدارقـطني، وابن منده، وابن مـردويه، واللالكائي، والآجري، والبيهقي في «الرؤية».

(٤) أخرجه الـطبري ١١/١٠٥،وأورده في «الـدر المنثور» ٣/٣٠٦ ونسبـه إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والدارقطني وأبي الشيخ، واللالكائي، والآجري، والبيهقي.

أحْسَنُوا الحُسْنَى وزِيَادَة ﴾ النظر إلى وجه الرحمن عز وجل[1] .

وقال عبدالله بن المبارك : عن أبي بكر الهذلي ، أنبأنا أبو تميمة قال : سمعت أبا موسىٰ الأشعري يخطب الناس في جامع البصرة ويقول : إن الله عزَّ وجلَّ يبعث يوم القيامة ملكاً إلى أهل الجنة ،فيقول : يا أهل الجنة ،هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ فينظرون فيرون الحليَّ والحلل، والأنهار والأزواج المطهرة، فيقولون : نعم . قد أنجزنا الله ما وعدنا، ثم يقول الملك : هل أنجزكم [الله] ما وعدكم ثلاث مرات، فلا يفقدون شيئاً مما وُعِدوا فيقولون : نعم ، فيقول : قد بقي لكم شيء ، إن الله عز وجلّ يقول : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَىٰ وزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] ألا إنّ الحسنىٰ : الجنة، والزيادة : النظر إلى [وجه] الله عز وجل[2] .

وفي « تفسير » أسباط بن نصر، عن إسماعيل السُّدي، عن أبي مالك، وأبي صالح ، عن ابن عباس، وعن مُرة الهمداني ، عن ابن مسعود : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَىٰ وزيادةٌ ولا يَرْهَقُ وجُوهَهُم قَتَرٌ ولا ذِلَّةٌ ﴾ فقال : أما الحُسْنَى : فالجنة، وأما الزيادة : فالنظر إلى وجه الله ، وأما القتر : فالسَّواد[3] .

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى، وعامر بن سعد، وإسماعيل بن عبد الرحمن السُّدي، والضحاك بن مزاحم، وعبد الرحمن بن سابط، وأبو إسحاق السُّبيعي، وقتادة، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري، وعكرمة مولى ابن عباس، ومجاهد بن جبر: الحُسْنَى : الجنة ،والزيادة: النظر إلى وجه الله[4]، وقال غير واحد من السَّلف في الآية : ﴿ ولا يَرْهَقُ وُجُوهَهُم قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] بعد النظر إليه والأسانيد بذلك صحيحة، ولما عطفَ سبحانه الزيادة على الحسنى التي هي الجنة ؛ دلَّ على أنها أمرٌ آخر وراء الجنة،

---

(١) أخرجه ابن جرير ١١/١٠٥ ،والبيهقي في « البعث والنشور » (٤٩٢) من حديث أبي موسى .

(٢) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٤١٩)، والطبري في « التفسير » ١١/٦٧ .

(٣) أورده السيوطي في « الدر المنثور » ٣/٣٠٦ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم، واللالكائي .

(٤) أورد أكثر هذه الأقوال السيوطي في « الدر » ٣/٣٠٦ ـ ٣٠٧ .

وقدر زائد عليها . ومن فَسَّر الزيادة : بالمغفرة والرضوان[1]، فهو من لوازم رؤية الرَّبِّ تبارك وتعالى .

فصل

الدليل الرابع : قوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّا إنَّهم عنْ ربهم يومَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤ - ١٥] ووجه الاستدلال بها أنه سبحانه [وتعالى] جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته، وسماعِ كلامه فلو لم يره المؤمنونَ، ولم يسمعوا كلامَه . كانوا أيضاً محجوبين عنه، وقد احتجّ بهذه الحجة الشافعي نفسه وغيره من الأئمة، فذكره الطبري وغيره عن المزني، قال : سمعت الشافعي يقول في قوله عز وجل : ﴿ كَلَّا إنَّهم عَنْ رَبِّهم يومَئِذٍ لَمحْجُوبُونَ ﴾ قال: فيها دلالة على أن أولياء الله يرون ربَّهم يوم القيامة .

وقال الحاكم : حدثنا الأصم، حدثنا الربيع بن سليمان قال : حضرت محمد بن إدريس الشافعي، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها : ما تقول في قول الله تعالى : ﴿ كَلَّا إنَّهم عَنْ رَبِّهِم يَومَئِذٍ لَمحْجُوبُونَ ﴾ فقال الشافعي : لما أن حَجَب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضىٰ، قال الربيع : فقلت : يا أبا عبدالله ، وبه تقول ؟ قال نعم، وبه أدين الله، لو لم يوقن محمد بن [إدريس] أنه يرى الله لما عَبَدَالله عزَّ وجلَّ .

ورواه الطبري في « شرح السنة »[2] من طريق الأصم أيضاً ، وقال أبو

---

(١) أورده السيوطي في « الدر » أيضاً ٣٠٦/٣ عن مجاهد .

(٢) «شرح السنة» المشهور هو: للإمام البغوي المتوفى ٥١٦ هـ وطبع بتحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط في المكتب الإسلامي، وقد اختصره الأرموي والقرافي.
أما «شرح السنة»: للطبري فهو لأبي القاسم هبة الله اللالكائي المتوفى ٤١٨ هـ وقد اختصره عبدالله بن الحسن بن عبد الملك الواسطي الشافعي بحذف أسانيده وسماه « لباب شرح السنة في معرفة أحكام الكتاب والسنة » . انظر «كشف الظنون».

زرعة الرازي : سمعت أحمد بن محمد بن الحسين يقول : سئل محمد بن عبدالله بن الحكم، هل يرى الخلق كلّهم رَبّهم يوم القيامة : المؤمنون والكفار؟ فقال محمد : ليس يراه إلا المؤمنون. قال محمد : وسئل الشافعي عن الرؤية فقال : يقول الله عز وجل: ﴿ كلَّا إنَّهم عَنْ رِبِّهِمْ يَومَئذٍ لَمحْجُوبُون ﴾ ففي هذا دليل على أن المؤمنين لا يحُجَبُون عن الله عزَّ وجلّ .

فصل

والدليل الخامس : قوله عزّ وجل : ﴿ لَهُم مَا يَشَاؤُون فيها ولَدَيْنَا مَزِيد ﴾ [ق : ٣٥] . قال الطبري : قال علي بن أبي طالب، وأنس بن مالك : هو النظر إلى وجه الله عز وجل[1] ، وقاله من التابعين زيد بن وهب وغيره .

فصل

الدليل السادس : قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأبصارُ وهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] . والاستدلال بهذا أعجب، فإنه من أدلة النفاةِ، وقد قرّر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه، وقال لي أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطلٌ بآية أو حديثٍ صحيحٍ على باطلِهِ، إلا وفي ذلك الدليلِ ما يدل على نقيض قولِهِ، فمنها هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدلّ منها على امتناعها، فإن الله سبحانه [وتعالى] إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح به إنما يكون بالأوصاف الثبوتيةِ، وأما العدمُ المحض فليس بكمال، فلا يمدح وإنما يمدح الربُّ ـ تبارك وتعالى ـ بالعدم إذا تضمن أمراً وجودياً كمدحِهِ بنفي السِّنَةِ والنومِ المتضمن كمال القيومية، ونفي الموتِ المتضمن كمال الحياةِ، ونفي اللُّغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن لكمال صمديته وغناه، ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال

(١) أورد نحوه السيوطي في « الدر المنثور » ١٠٨/٦ عن أنس وزاد نسبته إلى البزار، وابن المنذر، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه، واللالكائي في « السنة » ، والبيهقي في « البعث » .

توحيده وغناه عن خلقه ، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه . ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته ، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته، ولهذا لم يتمدح بعدم محضٍ لا يتضمن أمراً ثبوتياً . فإنّ المعدومَ يشاركُ الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصفُ الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه؛ فلو كان المراد بقوله: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الأبصَارُ ﴾ أنه لا يَرى بحال لم يكن في ذلك مَدْحٌ ولا كمال، لمشاركة المعدوم له في ذلك . فإن العدم الصِّرف لا يُرى ولا تدركه الأبصارُ، والرَّبّ جلَّ جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض. فإذاً، المعنى أنه يُرى ولا يُدركُ، ولا يحاط به كما كان المعنى في قوله : ﴿ وَما يَعزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴾ [يونس : ٦١] ، أنه يعلم كلَّ شيء ، وفي قوله : ﴿ ومَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [ق : ٣٨] ، أنه كاملُ القدرة، وفي قوله : ﴿ ولاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾ [الكهف : ٤٩] ، أنه كاملُ العدل، وفي قوله : ﴿ لا تأخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَومٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، أنه كامل القيومية .

فقوله : ﴿ لا تُدْرِكَهُ الأبْصَارُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] يدل على غاية عظمته، وأنه أكبر من كل شيء ، وأنه لعظمته لا يُدرك، بحيث يحاط به، فإنَّ الإدراك هو الإحاطةُ بالشيء ، وهو قدرٌ زائد على الرؤية كما قال تعالى : ﴿ فلمَّا تَراءَى الجمعانِ قال أصحابُ موسىٰ إنَّا لمُدْرَكُونَ قالَ كلاَّ ﴾ [الشعراء : ٦١] . فلم ينفِ موسىٰ الرؤية، ولم يريدوا بقولهم : ﴿ إنَّا لمُدْرَكُونَ ﴾ إنّا لمرئيون. فإن موسى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ نفى إدراكهم إياهم بقوله : ﴿ كَلَّا ﴾ وأخبر الله سبحانه أنه لا يخاف دركهم بقوله : ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أنْ أسْرِ بعبادي فاضربْ لهم طريقاً في البحرِ يَبَساً لا تَخَافُ دَرَكاً ولا تَخْشَى ﴾ [طه : ٧٧] . فالرؤية والإدراك كلٌّ منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالربُّ تعالى يُرى، ولا يُدركَ كما يعلم ولا يحاطُ به، وهذا هو الذي فهمته الصحابة والأئمة من الآيةِ .

قال ابن عباس : ﴿ لا تُدرِكُهُ الأبْصَارُ ﴾ لا تحيطُ به الأبصار، وقال قتادة : هو أعظم من أن تدركه الأبصار[1]، وقال عطية : ينظرون إلى الله ولا

---

(١) أورده السيوطي في « الدر المنثور » ٣٧/٣ .

تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصره يحيطُ بهم، فذلك قوله [تعالى] : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأبصارُ وهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ فالمؤمنون يرونَ ربّهم - تبارك وتعالى - بأبصارهم عِيَاناً ولا تدركه أبصارهم، بمعنىٰ أنها لا تحيطُ به إذ كان غيرُ جائزٍ أن يوصفَ الله عزّ وجلّ بأن شيئاً يحيط به، وهو بكل شيءٍ محيطٌ، وهكذا يسمع كلامه من يشاء من خلقهِ، ولا يحيطون بكلامه، وهكذا يعلمُ الخلقُ ما علَّمهم، ولا يحيطون بعلمه .

ونظير هذا : استدلالهم على نفي الصفات بقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] وهذا من أعظم الأدلة على كثرةِ صفات كماله ونعوتِ جلالهِ، وأنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها، وإلا فلو أُريدَ بها نفي الصفات لكان العدم المحضُ أولى بهذا المدح منه مع أن جميع العقلاء، إنما يفهمون من قول القائل :فلان لا مثل له وليس له نظير، ولا شبيه ولا مثل، أنه قد تميَّز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها، وكلّما كَثُرتْ أوصافه ونعوته فات أمثاله، وبَعُدَ عن مشابهة أضرابه، فقوله ﴿ ليسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] ، من أدلِّ شيءٍ على كثرةِ نعوتهِ وصفاتِهِ وقوله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ من أدلِّ شيءٍ على أنه يُرى ولا يُدرك وقوله : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ في سِتَةِ أيّامٍ ثُمَّ اسْتَوى على العَرْشِ ، يَعْلَمُ مَا يَلِجُ في الأرضِ وما يَخْرُجُ منها وما يَنْزِلُ من السّماءِ وما يَعْرُجُ فيها ، وهُوَ مَعَكُم أيْنَما كُنْتُم، واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير ﴾ [الحديد : ٤] ، من أدلّ شيءٍ على مباينةِ الرَّبّ لخلقه، فإنه لم يخلقهم في ذاته بل [خلقهم] خارجاً عن ذاته، ثم بان عنهم باستوائه على عرشه، وهو يعلمُ ما هم عليه فيراهم وينفذهم بصره، ويحيط بهم علماً وقدرةً وإرادةً وسمعاً وبصراً ، فهذا معنى كونه سبحانه معهم أينما كانوا، وتأمل حُسن هذه المقابلة لفظاً ومعنىً بين قوله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] فإنه سبحانَهُ لعظَمته يتعالى أن تدركه الأبصارُ وتحيط به، وللطفهِ وخبرتِهِ يدرك الأبصارَ فلا تخفى عليه، فهو العظيم في لطفه، اللطيف في عظمته، العالي في قربه، القريب في علوه، الذي ﴿ ليسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ ، ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وهُوَ اللَّطِيفُ الخبيرُ ﴾ .

فصل

الدليل السابع: قوله عز وجل: ﴿ وجوهٌ يومَئِذٍ ناضِرَةٌ * إلى رَبِّها نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٣٢]، وإذا أنت أجرت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراد منها وجدتها منادية نداء صريحاً، أن الله سبحانه يُرى عِياناً بالأبصار يومَ القيامة، وإن أبيت إلا تحريفها الذي يسميه المحرِّفون تأويلاً، فتأويل نصوص المعادِ والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها، وتأويل كل نصٍّ تضمنه القرآن والسنة، كذلك، ولا يشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأول النصوصَ ويحرفها عن مواضعها إلا وجدَ إلى ذلك من السبيل ما وجده متأولٌ مثل هذه النصوص، وهذا الذي أفسدَ الدينَ والدنيا، وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديته بأداة إلى الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدلّ على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدى بإلى خلاف حقيقته، وموضوعه صريح في أنَّ الله سبحانه [وتعالى] أراد بذلك نظر العين التي في الوجه، إلى نفس الرّبّ جل جلاله، فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاتهِ وتعديه بنفسه، فإن عدي بنفسه فمعناه: التوقف والانتظار، كقوله: ﴿ انْظُرونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُم ﴾ [الحديد: ١٣] وإن عُدي بفي فمعناه: التفكر والاعتبار، كقوله: ﴿ أَوَ لَمْ يَنْظُروا في مَلَكُوتِ السَّموٰاتِ والأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٨٥] وإن عدي بإلى فمعناه: المعاينة بالأبصار كقوله: ﴿ انظُروا إلى ثَمَرِهِ إذا أَثْمَرَ ﴾ [الأنعام: ٩٩] فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محلُّ البصر؟.

قال يزيد بن هارون: أنبأنا مبارك، عن الحسن: نظرت إلى ربها تبارك وتعالى فنضِرت بنوره[1]. فاسمع أيها السُّني تفسير النبي ﷺ وأصحابه والتابعين وأئمة الإسلام لهذه الآية، قال ابن مردويه في « تفسيره »: حدثنا إبراهيم، عن محمد، حدثنا صالح بن أحمد، حدثنا يزيد بن الهيثم، حدثنا محمد بن الصّباح، حدثنا مصعب بن المقدام، حدثنا سفيان، عن ثوير بن أبي فاختة، عن

---

(١) أورده السيوطي في « الدر المنثور » ٦/٢٩٠ ونسبه إلى الدارقطني، والآجري، واللالكائي، والبيهقي.

أبيه، عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ قال: من البهاء والحسن ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٣٢].

قال: في وجه الله عز وجل.

وقال أبو صالح: عن ابن عباس ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنظر إلى وجه ربِّها(١).

[قال عكرمة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ قال: من النَّعيم ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾] قال: تنظر إلى ربها نظراً(٢)، ثم حكى عن ابن عباس مثله، وهذا قول كلِّ مفسرٍ من أهل السنة والحديث.

فصل

وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدَّالَةِ على الرؤيةِ فمتواترة، رواها عنه أبو بكر الصديقُ [وأبو هُريرة]، وأبو سعيد الخدري، وجَرِيرُ بن عبدالله البجلي، وصهيب بن سنان الرومي، وعبدالله بن مسعود الهذلي، وعلي بن أبي طالب، وأبو موسىٰ الأشعري، وعدي بن حاتم الطائي، وأنس بن مالك الأنصاري، وبريدة بن الحصيب الأسلمي، وأبو رزين العقيلي، وجابر بن عبدالله الأنصاري، وأبو أمامة الباهلي، وزيد بن ثابت، وعمَّار بن ياسر، وعائشة أم المؤمنين، وعبدالله بن عمر، وعمارة بن رويبة، وسلمان الفارسي، وحذيفة ابن اليمان، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمرو بن العاص ـ وحديثه موقوف ـ وأبي بن كعب، وكعب بن عجرة، وفضالة بن عُبيد ـ وحديثه موقوف ـ ورجل من أصحاب النبي ﷺ غير مُسمىٰ.

فهاك سياق أحاديثهم من الصِّحاحِ، والمسانيدِ، والسُّنَنِ وتلَقّها بالقبول والتسليم، وانشراحِ الصدرِ لا بالتحريفِ، والتبديلِ، وضيقِ العطنِ(٣)، ولا تكذبْ

---

(١) أورده السيوطي في «الدر» ٦/٢٩٠ ونسبه لابن مردويه.

(٢) أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٦/٢٩٠، وزاد نسبته إلى ابن المنذر، والآجري، واللالكائي، والبيهقي.

(٣) العطن: مبرك الإبل، أو البلد.

بها؛ فمن كَذَّبَ بها لم يكنْ إلى وجه ربِّهِ من الناظرين، وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين.

فصل

فأما حديث أبي بكر الصديق [رضي الله عنه] : فقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، قال حدثني النضر بن شميل المازني : قال حدثني أبو نعامة : قال حدثني أبو هنيدة البراء بن نوفل : عن والان العدوي، عن حذيفة،عن أبي بكر الصديق قال : أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم فصلَّى الغداة، ثم جلس، حتى إذا كان من الضُّحى ضَحك رسول الله ﷺ ، ثم جلس مكانه حتى صلّى الأولى والعصر والمغرب، كلُّ ذلك لا يتكلمُ حتى صلَّى العشاء الآخرة، ثم قام إلى أهله، فقال الناس لأبي بكر : ألا تسألُ رسول الله ﷺ ما شأنه ؟ صنع اليوم شيئاً لم يصنعه قطُّ، قال : فسأله، فقال : « نعم، عُرِض عليَّ ما هو كائن من أمر الدنيا وأمر الآخرة، فجمع الأولون والآخرون في صعيد واحد، فقطع الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم ﷺ والعرق يكاد يلجمهم، فقالوا : يا آدم أنت أبو البشر، وأنت اصطفاك الله عز وجل اشفع لنا إلى ربك، قال : لقد لقيت مثل الذي لقيتم، انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم، إلى نوح : ﴿ **إنَّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيمَ وآل عمرانَ على العَالمينَ** ﴾ [آل عمران : ٣٣] قال : فينطلقون إلى نوح ﷺ ، فيقولون : اشفع لنا إلى ربك، فأنت اصطفاك الله واستجاب لك في دعائك، ولم تدعْ على الأرض من الكافرين دياراً، فيقول : ليس ذلكم عندي : انطلقوا إلى إبراهيم ﷺ فإن الله اتخذه خليلاً، فينطلقون إلى إبراهيم، فيقول : ليس ذاكم عندي انطلقوا إلى موسى - ﷺ - فإن الله عز وجل كلمه تكليماً، فيقول موسى ﷺ : ليس ذلك عندي، ولكن انطلقوا إلى عيسى ابن مريم - ﷺ - ، فإنه كان يبرىءُ الأكمة والأبرص ويحيي الموتى، فيقول عيسى : ليس ذاكم عندي. انطلقوا إلى سيد ولد آدم، انطلقوا إلى محمد - ﷺ - فليشفع لكم إلى ربِّكم عزّ وجلّ، قال : فينطلق فيأتي جبريل ربه تبارك وتعالى فيقول الله عز وجل : إئذن له وبشره بالجنة، فينطلق به جبريل ﷺ فيخر ساجداً قدر جمعة، ويقول الله عزّ وجلّ : ارفع رأسك وقل

يُسمع، واشفع تشفع، قال: فيرفع رأسه فإذا نظر إلى وجه ربه خرّ ساجداً قدر جمعه أخرى، فيقول الله عز وجل: ارفع رأسك وقل يُسمع، واشفع تشفع، قال: فيذهب ليقع ساجداً فيأخذ جبريل بضبعيه فيفتح الله عزَّ وجلَّ عليه من الدعاء شيئاً لم يفتحه على بشر قطُّ، فيقول: أي ربِّ خلقتني سيّدَ ولدِ آدم ولا فخر، وأول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر، حتى إنه ليرد على الحوض أكثر ما بين صنعاء وأيلة، ثم يقال: ادعوا الصديقين فيشفعون، ثم يقال: ادعوا الأنبياء، قال فيجيء النبي ومعه العصابة، والنبي ومعه الخمسة والستة، والنبي وليس معه أحد، ثم يقال: ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا، قال: فإذا فعلت الشهداء ذلك، قال: يقول الله عزَّ وجلَّ: أنا أرحم الراحمين أدخلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئاً، قال: فيدخلون الجنة، ثم يقول الله عز وجل: انظروا في النار هل تلقون من أحدٍ عمل خيراً قطُّ؟ قال: فيجدون في النار رجلاً، فيقول له هل عملت خيراً قطُّ؟ فيقول: لا غير أني كنت أسامح الناس في البيع، فيقول الله عزَّ وجلَّ: اسمحوا لعبدي كإسماحه إلى عبيدي، ثم يخرجون من النار رجلاً يقول له: هل عملت خيراً قطُّ؟ فيقول: لا، غير أني أمرت ولدي إذا متُّ، فأحرقوني بالنار ثم اطحنوني حتى إذا كنت مثل الكحلِ فاذهبوا بي إلى البحر فأذروني في الريح، فوالله لا يقدر عليَّ ربُّ العالمين أبداً. فقال الله عزَّ وجلَّ له: لِمَ فعلتَ ذلك؟ قال: من مخافَتِك، قال، فيقول الله عزَّ وجلَّ: انظر إلى ملك أعظم ملك، فإن لك مثلَهُ وعشرَةَ أمثالِهِ، قال فيقول: أتسخر بي وأنت الملك، قال وذلك الذي ضحكت منه من الضحى »[1].

فصل

وأما حديث أبي هريرة، وأبي سعيد: ففي « الصحيحين » عن أبي هريرة أن ناساً قالوا يا رسول الله هل نرىٰ ربنا يومَ القيامة؟ فقال رسولُ الله ﷺ: « هل

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » (١٥) وقال محققه: إسناده صحيح، والمروزي في « مسند أبي بكر » (١٥)، وقال محققه: إسناده جيد، وأبو يعلى (٥٦)، وأبو عوانة ١/١٧٥ ـ ١٧٨، وابن حبان (٢٥٨٩) في « الموارد »، والدولابي في « الكنى » ٢/١٥٥ ـ ١٥٦.

تضـارُّون في رؤيـة القمـر ليلة البدر؟ قـالـوا، لا يـا رسـول الله؟ قـال: هـل تـضـارُّون فـي [رؤيـة] الـشـمس لـيس دونـهـا سـحـاب؟ قـالـوا لا، قـال فـإنـكـم تـرونـه كـذلـك، يـجـمـعُ الله الـنـاس يـوم القيـامـة فيقـول: من كـان يعبـد شيئاً فليتبعـه، فليتبـع من كـان يعبـدُ الطواغيتَ الطواغيتَ، وتبقى هذه الأمة فيهامنافقوها، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله عزَّ وجلَّ في صورته التي يعرفون ، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه، ويضرب الصِّراط بين ظهراني جهنَّم، فأكـون أنا وأمتي أول من يجيـز ولا يتكلم يومئـذ إلا الرسـل، ودعـوى الـرُّسـل يـومئـذ : اللَّهمّ سلّم سلّم ، وفي جهنم كـلاليب مثـل شـوكِ السعدان، هل رأيتم السعدان؟» قالوا نعم يا رسول الله، قال: «فإنَّها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عِظَمها إلا الله عز وجل، تخـطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بعمله، ومنهم المجازىٰ حتى ينجو، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يُخرجَ برحمته من [أراد من] أهل النار، أمرَ الملائكةَ أن يخرجُوا من النار من كانَ لا يشركُ بالله شيئـاً مِمَّن أرادَ [الله] أن يرحمَـهُ ممن يقول: لا إله إلا الله، فيعرفونهم بأثر السجود ـ وتأكل النارُ من ابن آدم إلا أثرَ السجودِ؛ حرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون منه كما تنبت الحبة في حَميلِ السَّيلِ ، ثمَّ يفرَغُ الله من القضاءِ بينَ العبادِ، ويبقىٰ رجل مقبل بوجهه على النار، وهو آخر أهل الجنـة دخولاً الجنـة، فيقول : أي رب اصرف وجهي عن النار، فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها، فيدعو الله ما شاء أن يدعوه، ثم يقول الله تبارك وتعـالى : هل عسيتَ إن فعلت ذلـك أن تسأل غيره ؟ فيقول : لا أسألك غيره . فيعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء . فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآهـا سكت ما شـاء الله أن يسكت، ثم يقول : أي ربِّ قدمني إلى باب الجنة، فيقول الله: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك ؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك ! . فيقول أي ربِّ فيدعو الله حتى يقول له : فهل إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره ؟

فيقول : لا وعزتك ، فيعطي ربَّه ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور، فسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول أي ربِّ أدخلني الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى له : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك ! فيقول : أي ربِّ، لا أكون أشقىٰ خلقك، فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه ، فإذا ضحك الله منه قال : أدخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له : تمنَّ، فيسأل ربه وينتهي حتى أن الله ليذكره فيقول : [تمنَّ] من كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأماني ، قال الله عزَّ وجلّ : لك ذلك ومثله معه »(1) .

قال عطاء بن يزيد : وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئاً حتى إذا حدّث أبو هريرة: إن الله عز وجل قال لذلك الرجل «ومثله معه». قال أبو سعيد: «وعشرة أمثاله معه» يا أبا هريرة. قال أبو هريرة ما حفظت إلا قوله: «ذلك لك ومثله معه» قال أبو سعيد: أشهد أني حفظت من رسول الله ﷺ قوله: «ذلك لك وعشرةُ أمثاله» قال أبو هريرة. وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً الجنة.

وفي « الصحيحين » أيضاً عن أبي سعيد الخدري ، أنَّ ناساً في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، هل [نرى] ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ : «نعم، هل تضارّون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب ؟ وهل تضارّون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب » ؟ قالوا : لا يا رسول الله ؟ قال : « ما تضارّون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة ؟ إلا كما تضارّون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن، لتتبع

---

(1) أخرجه البخاري (٦٥٧٣) في الرقاق : باب (٥٢) الصراط جسر جهنم ، ومسلم (١٨٢) في الإيمان : باب (٨١) و(٢٩٦٨) في الزهد والرقائق بنحوه من حديث أبي هريرة . والبخاري (٤٥٨١) في التفسير : باب (٨) ﴿ إنَّ الله لا يظلم مثقال ذرّةٍ ﴾، ومسلم (١٨٣) في الإيمان : باب (٨١) معرفة طريق الرؤية من حديث أبي سعيد رضي الله عنه نحوه .

وانفهقت: انفتحت واتسعت.

كلُّ أُمَّة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب، إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من برٍّ وفاجر، وغُبّر(١) أهل الكتاب، فيدعى اليهود فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عزيرَ ابن الله ، فيقال : كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا يا رب فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون ؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب(٢) يحطمْ(٣) بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار،ثم يدعى النصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد،فيقال: ماذا تبغون، فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا، قال: فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بَرٍّ وفاجرٍ،أتاهم ربّ العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورةٍ من التي رأوه فيها. قال: فما تنتظرون؟ لتتبع كلُّ أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنّا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقةً واحدةً، كلما أراد أن يسجُدَ خَرَّ على قفاه. ثمَّ يرفعون رؤوسهم، وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون أنت ربنا، ثم يضرب الجسر على جهنم وتحلُّ الشفاعة [ويقولون: اللهم سَلِّم سَلِّم]، قيل يا رسول الله وما الجسر؟ قال: دحض(٤) مزلة فيه خطاطيف وكلاليب، وحسك ـ تكون بنجدٍ فيها شويكة يقالُ: لها السعدان ـ فيمرُّ المؤمنون كطرف العين، وكالبرقِ، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل، والرِّكابِ، فناجٍ

(١) جمع غابر، ومعناه: بقايا.
(٢) السراب : ما يتراءى للناس في الصحراء ـ أنه ماء ـ من الحر الشديد.
(٣) يحطم : يكسر ويهلك .
(٤) دحض : مزلة، زلق لا تستقر فيها الأقدام.

مسلَّم، ومخدوشٌ مُرسَلٌ، ومكدوسٌ في نـار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحقِّ من المؤمنين لله [تعالى] يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولـون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النَّار فيخرجون خلقاً كثيراً، قد أخذتِ النار إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه فيقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا [به]، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خيرٍ فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه. فيخرجون خلقاً كثيراً. ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً قطُّ». وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا إن شئتم ﴿إنَّ الله لا يظلِمُ مثقالَ ذَرَّةٍ وإنْ تَكُ حسنةً يضاعِفْها ويُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء: ٤٠]. فيقول الله عزَّ وجلَّ: شفعتِ الملائكةُ، وشفعَ النبيونَ، وشفع المؤمنون، ولم يبقَ إلا أرحم الراحمين، فيقبضُ قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قطُّ قد عادوا حمماً فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له: نَهَر الحياةِ، فيخرجونَ كما تخرجُ الحبةُ في حَميلِ السَّيلِ، ألا ترونها تكونُ إلى الحجرِ أو إلى الشجر، ما يكون إلى الشمس أُصيفر وأُخيضر، وما يكون منها إلى الظلِّ يكون أبيض. فقالوا يا رسول الله كأنك كنتَ ترعى بالبادية قال: فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة [فيقول أهل الجنة:] هؤلاءِ عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عَمِلُوه، ولا خيرٍ قدَّموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم. فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحداً من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا. فيقولون: يا ربنا وأيُّ شيءٍ أفضل من هذا؟ فيقول: «رضائي فلا أسخطُ عليكم بعدَهُ أبداً»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٨١) في التفسير: باب (٨) مختصراً، ومسلم (١٨٣) في الإيمان: باب =

فصل

وأما حديث جرير بن عبدالله : ففي « الصحيحين » من حديث إسماعيل ابن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عنه قال : كنا جلوساً مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال : « إنكم سترون [ربكم] عِياناً كما ترونَ هذا، لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أنْ لا تغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا، ثم قرأ : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُروبِ ﴾ [ق : ٣٩][(١)] . رواه عن إسماعيل بن أبي خالد عبدالله بن إدريس الأودي، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن محمد المحاربي، وجرير ابن عبد الحميد، وعَبيدة بن حميد، وهُشيم بن بشير، وعلي بن عاصم، وسفيان ابن عيينة، ومروان بن معاوية، وأبو أسامة، وعبدالله بن نمير، ومحمد بن عبيد، وأخوه يعلى بن عبيد، ووكيع بن الجراح، ومحمد بن فضيل، والطفاوي، ويزيد ابن هارون، وإسماعيل بن أبي خالد، وعنبسة بن سعيد، والحسن بن صالح بن حيي، وورقاء بن عمرو، وعمار بن رُزيق، وأبو الأغر سعيد بن عبدالله، ونصر ابن طريف، وعمّار بن محمد، والحسن بن عياش أخو أبي بكر، ويزيد بن عطاء، وعيسى بن يونس، وشعبة بن الحجاج، وعبدالله بن المبارك، وأبو حمزة السكري، وحسين بن واقد، ومعتمر بن سليمان، وجعفر بن زياد، وخداش بن المهاجر، وهريم بن سفيان، ومندل بن علي، وأخوه حبان بن علي، وعمرو بن مَرْثد، وعبد الغفار بن القاسم، ومحمد بن بشر الجريري، ومالك بن مِغول، وعصام بن النعمان، وعلي بن القاسم الكندي، وعبيدة بن الأسود الهمداني، وعبد الجبار بن العباس، والمعلى بن هلال، ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة، والصبَّاح بن محارب، ومحمد بن عيسى، وسعيد بن حازم، وأبان بن أرقم،

= (٨١) معرفة طريق الرؤية ، واللفظ له. استقصاء الحق : تحصيله من خصْمه. الخير : هنا اليقين. المكدوس: من إذا دفع من ورائه سقط.

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤) في المواقيت : باب (١٦) فضل صلاة العصر و(٥٧٣): باب (٢٦) فضل صلاة الفجر و(٤٨٥١) في التفسير : باب (٢) سورة ﴿ ق ﴾ وله أطراف في (٧٤٣٤) و(٧٤٣٥) و(٧٤٣٦) في التوحيد : باب (٢٤) ، وذكره ابن كثير في « النهاية » ٢/ ٤٧٧ ونسبه للصحيحين عن جرير مرفوعاً .

وعمرو بن النعمان، ومسعود بن سعد الجعفي، وعثّام بن علي، وحسن بن حبيب، وسنان بن هارون البرجمي، ومحمد بن يزيد الواسطي، وعمرو ابن هشام، ومحمد بن مروان، ويعلى بن الحارث المحاربي، وشعيب بن راشد، والحسن بن دينار، وسلاَّم بن أبي مطيع، وداود بن الزبرقان، وحماد بن أبي حنيفة، ويعقوب بن حبيب، وحكام بن سلم، وأبو مقاتل بن حفص، ومسيب بن شريك، وأبو حنيفة النعمان [بن ثابت] ، وعمرو بن شمر الجعفي، وعمرو بن [عبد] الغفار الفقهمي، وسيف بن هارون البرجمي أخو سنان، وعابد بن حبيب، ومالك بن سُعير بن الخمس، ويزيد بن عطاء مولى ابن عوانة، وخالد ابن يزيد العصري، وعبيد الله بن موسى، وخالد بن عبدالله الطحان، وأبو كُدينة يحيى بن المهلب، ورقبة بن مصقلة، ومعمر بن سليمان الرَّقي، ومرّجى بن رجاء، وعمرو بن جرير، ويحيى بن هاشم السّمسَار، وإبراهيم بن طُهمان، وخارجة بن مصعب، وعبدالله بن عثمان شريك شعبة، وعبدالله بن فروخ، وزيد ابن أبي أنيسة، وجودَّه فقال : « ستُعايَنُونَ رَبَّكُم عزَّ وجلَّ كما تُعاينُونَ هذا القَمَرَ » . وأبو شهاب الحناط وقال : « سَتَرَونَ رَبَّكُم عِيَاناً »[1] وجارية بن هرم، وعاصم بن حكيم، ومقاتل بن سليمان، وأبو جعفر [الرازي] ، والحسن بن أبي جعفر، والوليد بن عمرو، وأخوه عثمان بن عمرو، وعبد السلام بن عبدالله ابن قرة العنبري، ويزيد بن عبد العزيز، وعلي بن صالح بن حي، وزفر بن الهذيل، والقاسم بن معن، تابع إسماعيل بن أبي خالد عن قيس جماعة منهم بيان بن بشر، ومجالد بن سعيد، وطارق بن عبد الرحمن، وجرير بن يزيد بن جرير البجلي، وعيسى بن المسيب كلُّهم عن قيس بن أبي حازم، عن جرير فَكلُّ هؤلاءِ شهدوا على إسماعيل بن أبي خالد، وشهد إسماعيل بن أبي خالد على قيس بن أبي حازم، وشهد قيس بن أبي حازم على جرير بن عبدالله، وشهد جرير على رسول الله ﷺ فكأنك تسمع رسولَ الله ﷺ وهو يقوله ويبلغه لأمته، ولا شيء أقرَّ لأعينهم منه ، وشهدت الجهميةُ، والفرعونيةُ، والرافضةُ، والقرامطةُ، والباطنيةُ، وفرُوخُ الصابئة، والمجوس، واليونان بكفر من اعتقد ذلك، وأنه من أهل التشبيه والتجسيم ، وتابعهم على ذلك كلُّ عدوٍ للسنةِ

(١) أخرج نحوه عبدالله بن أحمد في « السنة » (٢٢١) .

وأهلهـا ، والله [تعالى] نـاصرٌ كتـابَهُ وسنـةَ رسولـه ولو كَرِهَ الكَافِرُونَ.

فصـل

وأما حديث صهيب، فـرواه مسلم في « صحيحه » من حـديث حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ«إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ قال يقول الله عزّ وجلّ: تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيضْ وجُوهنَا ألم تدخِلْنا الجنةَ وتنجنا من النار؟ قال : فيكشفُ الحجابَ، فما أُعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النّظرِ إلى ربِّهم عزَّ وجلَّ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ للذينَ أحْسَنُوا الحسنَىٰ وزِيادَةٌ ﴾ (1) [يونس: ٢٦].

وهذا حديث رواه الأئمة عن حمّاد وتلقوه عن نبيِّهم بالقبول والتصديق .

فصـل

وأما حديث عبدالله بن مسعود، فقال الطبراني : حدثنا محمد بن النضـر الأزدي ، وعبدالله بن أحمد بن حنبل، والحضرمي قالوا : حـدثنا إسمـاعيل بن عبيد بن أبي كريمة الحراني، حدثنا محمـد بن سلمة الحـراني، عن أبي عبد الـرحيم، عن زيد بن أبي أنيسة،عن المنهـال بن عمـرو، عن أبي عبيدة،عن عبـدالله، عن مسروق بن الأجـدع، حدثنـا عبدالله بن مسعود،عن [رسول الله ﷺ]قال: «يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يومٍ معلومٍ ،قياماً أربعين [سنة] شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء ، قال : وينزل الله عزَّ وجل في ظُلل من الغمام من العرش إلى الكرسي، ثم ينادي منادٍ : أيها النـاس ألم ترضوا من ربِّكم الذي خلقكم ورزقكم، وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً أن يولي كُلَّ أناسٍ منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا، أليس ذلك عـدلاً من ربّكم ؟ قالوا : بلى قال فينطلق كلُّ قومٍ إلى ما كانوا يعبدون ويتـولون في الدنيا، قال : فينطلقون، ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون . فمنهم من ينطلق إلى الشمس، ومنهم من ينطلق إلى القمر، وإلى الأوثان من الحجارة وأشباه ما

(1) أخرجه مسلم (١٨١) في الإيمان : باب (٨٠) إثبات رؤية المؤمنين في الآخـرة ربهم سبحانـه وتعالى .

كانوا يعبدون، قال : ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى، ويمثل لمن كان يعبد عزيراً شيطان عزير، ويبقىٰ محمد ﷺ وأمته، فيأتيهم الربُّ عز وجل فيقول : ما لكم لا تنطلقون كما انطلق الناس ؟ قال، فيقولون : إن لنا إلهاً ما رأيناه بعدُ، فيقول : هل تعرفونه إن رأيتموه ؟ فيقولون : إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناها. قال فيقول ما هي ؟ فيقولون يكشف عن ساقه، فعند ذلك يكشف عن ساقٍ فيخرون له سُجَداً ويبقىٰ قوم ظهورهم كصياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون، وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون، ثم يقول : ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوراً مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه، ومنهم من يعطىٰ نوراً أصغر من ذلك، ومنهم من يعطى نوراً مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطىٰ نوراً أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلاً يعطىٰ نوره على إبهام قدمه يضيء مرة، ويطفأ مرةً، فإذا أضاء قدم قدمه [فمشى]، وإذا طفىء قام والربُّ تبارك وتعالى أمامهم حتى يمرَّ في النار فيبقى أثرُه كحدِّ السيف دَحْضَ مَزلَّةٍ قال : ويقول مروا فيمرون على قدر نورهم منهم من يَمُرُّ كطرفِ العين، ومنهم من يمرٌ كالبرق، ومنهم من يمرُّ كالسَّحاب، ومنهم من يمرُّ كانقضاضِ الكوكب، ومنهم من يمرُّ كالريح، ومنهم من يمرُّ كشدِّ الفرس، ومنهم من يمر كشدِّ الرَّجل حتى يمرّ الذي أعطي نوره على إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تخرُّ يدُ، وتعلق يدٌ، وتخرُّ رجل، وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فلا يزال كذلك حتى يخلص، فإذا خلص وقف عليها ثم قال : الحمد لله لقد أعطاني الله ما لم يعط أحداً، إذ نجاني منها بعد إذ رأيتها، قال فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل فيعود إليه ريح أهل الجنة وألوانهم، فيرى ما في الجنة من خلال الباب فيقول [ربِّ] أدخلني الجنة. فيقول الله تبارك وتعالى له : أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار؟! فيقول ربِّ اجعل بيني وبينها حجاباً لا أسمع حسيسها. قال : فيدخل الجنة، قال ويرىٰ أو يرفع له منزلٌ أمام ذلك، كأنما الذي هو فيه إليه حلم فيقول ربِّ أعطني ذلك المنزل فيقول : فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره ؟ فيقول : لا وعزتك لا أسألك غيره، وأي منزل يكون أحسن منه ؟ قال فيعطاه فينزله. ويرى أمام

ذلك منزلاً كأنما الذي هو فيه إليه حُلُم . قال أيْ ربِّ أعطني ذلك المنزل، فيقول الله عزَّ وجلَّ . فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره ، فيقول : لا وعزتك لا أسأل غيره، وأي منزل يكون أحسن منه، قال : فيعطى فينزله،قال: ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر كأنما [الذي] هو[فيه] إليه حلم، فيقول : [ربِّ] أعطني ذلك المنزل، فيقول الله جل جلاله: فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره، فيقول: لا وعزتك لا أسأل غيره. وأي منزل يكون أحسن منه، قال فيعطاه فينزله، ثم يسكت، فيقول الله عز وجل: ما لك لا تسأل؟ فيقول له: ربِّ لقد سألتك حتى استحييتك ، وأقسمت لك حتى استحييتك ، فيقول الله عزَّ وجلَّ : ألا ترضى أن أعطيك مثل الدنيا منذ يوم خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه ؟ فيقول : أتستهزىء بي ، وأنت ربُّ العزةِ، فيضحك الرَّبُّ عزّ وجلّ من قوله . قال : فرأيت عبدالله بن مسعود إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحِكَ. فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن، قد سمعتك تحدث هذا الحديث مراراً ، كلَّما بلغت هذا المكان ضحكت ؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يحدث هذا الحديث مراراً؛كلما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك ، حتى تبدو أضراسه. قال : فيقول الله عزّ وجلّ : لا، ولكني على ذلك قادر سلْ، فيقول : ألحقني بالناس فيقول : الحق بالناس قال فينطلق يرمل في الجنة، حتى إذا دنا من الناس رفع له قصر من درة، فيخر ساجداً فيقال له : ارفع رأسك، مالك ؟ فيقول:رأيت ربي أو تراءى لي ربي ، فيقال له: إنما هو منزل من منازلك . قال ثم يلقى رجلاً فيتهيأ للسجود فيقال [له]: مه مالك ؟ فيقول : رأيت أنك ملك من الملائكة،فيقول[له] إنما أنا خازن من خزانك عبد من عبيدك تحت يديَّ ألف قهرمان على مثل ما أنا عليه قال : فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر. قال وهو في درة مجوفةٍ سقائفها، وأبوابها وأغلاقها، ومفاتيحها منها،يستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء كلٌّ جوهرة تفضي إلى جوهرة [فيها سبعون باباً كلٌّ يفضي إلى جوهرة خضراء مبطنة بحمراء كل جوهرة تفضي إلى جوهرة] على غير لون الأخرى في كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف أدناهن حوراء عيناء، عليها سبعون حُلَّة يرى مُخّ ساقها من وراء حللها ، كبدها مرآته وكبده مرآتها،إذا أعرض عنها

إعراضة ازدادت في عينه سبعين ضعفاً عمّا كانت قبل ذلك، فيقول لها : والله لقد ازددتِ في عيني سبعين ضعفاً ، وتقول : واللهِ وأنت لقد ازددت في عيني سبعين ضعفاً ، فيقال له : أشرف قال : فيشرف، فيقال له : ملكك مسيرة مئة عام ينفذه بصره، قال فقال عمر : ألا تسمع ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب، عن أدنى أهل الجنة منزلاً فكيف أعلاهم ؟

قال كعب : يا أمير المؤمنين [فيها] ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، إن اللهَ عزَّ وجلَّ جعل داراً فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة، ثم أطبقها فلم يرها أحدٌ من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة، ثم قرأ كعب ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخفيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] . قال : وخلق دون ذلك، جنتين وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه، ثم قال : من كان كتابه في علّيين نزل تلك الدار التي لم يرها أحد حتى إنَّ الرجل من أهل علّيين، ليخرج فيسير في ملكه فما تبقى خيمةٌ من خيم الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه فيستبشرون بريحه فيقولون: واهاً لهذه الريح، هذا رجل من أهل علّيين، قد خرج ليسير في ملكه، فقال: ويحك يا كعبُ هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها، فقال كعب: والذي نفسي بيده إن لجهنم يوم القيامة لزفرة ما يبقىٰ من ملك مقرَّب ولا نبي مرسل إلا خرَّ لركبتيه حتى إنَّ إبراهيم خليل الله يقول: رَبِّ نفسي نفسي لو كان لك عمل سبعين نبياً إلى عملك لظننت أنَّك لا تنجو(١).

هذا حديث كبير حسن رواه المصنفون في السنة كعبدالله بن أحمد، والطبراني، والدارقطني في كتاب « الرؤية » رواه عن ابن صاعد، حدثنا محمد ابن أبي عبد الرحمن المقرىء ، قال : حدثنا أبي ، حدثنا ورقاء بن عمير، حدثنا أبو طيبة، عن كرز بن وبرة ، عن نعيم بن أبي هند، عن أبي عبيدالله ،عن عبدالله .

(١) أخرجه الطبراني (٩٧٦٣) في «الكبير»، وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/٣٤٠ ـ ٣٤٣ وقال: رواه كله الطبراني من طرق أحدها رجاله رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني، وهو ثقة، والبيهقي في «البعث والنشور» (٤٧٩)، والحاكم في «المستدرك» ٢/٣٧٦ مختصراً، وصححه ووافقه الذهبي و ٤/٥٨٩ ـ ٥٩٢ وقال: رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات غير أنهما لم يخرجا أبا خالد، وقال الذهبي : ما أنكره حديثاً على جودة إسناده، وأبو خالد شيعي منحرف .

ورواه من طريق عبد السلام بن حرب، حدثنا الدالاني، حدثنا المنهال بن عمرو، عن أبي عبيدة بـه.

ورواه من طريق زيد بن أنيسة، عن المنهال بن عمرو، عن أبي عبيدة به.

[ورواه] من طريق أحمد بن أبي طيبة، عن كرز بن وبرة، عن نعيم بن أبي هند، عن أبي عبيدة.

فصل

وأما حديث علي بن أبي طالب، فقال يعقوب بن سفيان: حدثنا محمد ابن المصفىٰ، حدثنا سويد بن عبد العزيز، حدثنا عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «يَزُورُ أهلُ الجنةِ الربَّ تبارك وتعالى في كلِّ جمعة، وذكر ما يعطونَ. قال: ثُمَّ يقول الله تباركَ وتعالى: اكشفوا حجاباً، فيكشف حجاب، ثم حجاب، ثم يتجلىٰ لهم تبارك وتعالى عن وجهه، فكأنهم لم يروا نِعْمَةً قبلَ ذلك، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيْدٌ ﴾ [ق: ٣٥]»[1].

فصل

وأما حديث أبي موسى: ففي «الصحيحين» عنه عن النبي ﷺ قال: «جنَّتانِ من فضةٍ آنيتُهما وما فِيهما، وجنّتانِ مِنْ ذَهَبٍ آنيتُهما وما فيهما، وما بينَ القَوْمِ وبينَ أن ينظروا إلى ربِّهم تبارك وتعالى إلا رداءُ الكبرياءِ على وجهِهِ في جنةِ عَدْنٍ»[2].

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، وعفان قالا: حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن عمارة، عن أبي بردة، عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «يَجمعُ الله عزَّ وجلّ الأُمَمَ في صعيد [واحد] يوم القيامة فإذا

---

(١) أخرجه يعقوب الفسوي في «المعرفة والتاريخ» ٣/٣٩٥ ـ ٣٩٦ وفيه بدل يزور: يرون.

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٤٤) في التوحيد: باب (٢٤) و(٤٨٧٨) في التفسير: باب (١) ﴿ ومن دونهما جنّتان ﴾، ومسلم. (١٨٠) في الإيمان: باب (٨٠) إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى.

بدا الله أن يصدع بين خلقه، مثّلَ لكلِّ قوم ما كانوا يعبدون، فيتبعونهم حتى يقحمونهم النار، ثم يأتينا ربُّنا عزَّ وجلَّ ونحن على مكان رفيع فيقول مَنْ أنتم ؟ فنقول : نحن المسلمون، فيقول : ما تنتظرون ؟ فيقولون : ننتظرُ ربَّنا عزَّ وجلَّ، قال فيقول : وهل تعرفونه إن رأيتموه ؟ فيقولون : نعم [فيقول: كيف تعرفونه ، ولم تروه فيقولون : نعم] إنه لا عدل له، فيتجلىٰ لنا ضاحكاً فيقول : أبشروا يا أيها المسلمون ، فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت [مكانه] في النار يهودياً أو نصرانياً »[1] .

وقال حماد بن سلمة : عن علي بن زيد، عن عمارة القرشي، عن أبي بردة، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال : « يتجلى لنا ربنا تبارك وتعالى ضاحكاً يوم القيامة »[2] .

وذكر الدارقطني : من حديث أبان بن أبي عياش، عن [أبي] تميمية الهجيمي، عن أبي موسى ، عن النبي ﷺ قال : « يبعث الله يوم القيامة منادياً بصوت يسمعه أولهم وآخرهم أنَّ الله عزّ وجلّ وعدكم الحسنى وزيادة، فالحسنى : الجنة، والزيادة : النظر إلى وجه الله عزَّ وجلّ »[3] .

فصل

وأما حديث عدي بن حاتم : ففي « صحيح » البخاري قال : بينا نحن عند النبي ﷺ إذ أتىٰ إليه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتى إليه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال : « ياعدي، هل رأيتَ الحِيرة » ؟ قلت: لم أرَها، وقد أنبئت عنها . قال : « فإن طالت بك حياة لترين الظعينةَ ترتحلُ من الحِيرةِ حتى تطوفَ بالكعبةِ لا تخاف أحداً إلا الله » . قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعَّارُ طيءٍ الذين سَعَّروا البلاد؟ « ولئن طالتْ بكَ حياةٌ لتفتحن كنوز كسرى » ، قلت : كسرى ابن هرمز ؟ قال : « كسرى بن هرمز، وإن طالتْ بكَ حياةٌ لترينَ الرجل يُخرِجُ ملءَ كفِّهِ من ذهبٍ أو فضةٍ يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه،

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » ٤/٤٠٧ ـ ٤٠٨ ، وعبدالله بن أحمد في « السنة » (٢٧٦) .
(٢) أورده في « كنز العمال » (٣٩٢١١) ونسبه للطبراني عن أبي موسى .
(٣) أخرجه الطبري في « التفسير » ١١/١٠٥ مطولاً .

وليلقين الله أحدُكم يومَ يلقاهُ وليس بينه وبينه [حجابٌ]ولا ترجمانٌ يترجم له، فيقولن : ألمْ أبعثْ إليك رسولاً فيبلغك ؟ فيقول : بلى [يا ربّ] ، فيقول : ألم أعطِكَ مالاً وأفضّل عليك ؟ فيقول : بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم». قال عدي :سمعت النبي ﷺ يقول : « اتقوا النار ولو بشق تمرةٍ،فَمَنْ لم يجد شَقّ تمرةٍ فبكلمةٍ طيبة»، قال عدي: فرأيت الظعينةَ ترتحلُ من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي [أبو القاسم] ﷺ : [«يُخْرِج مِلْءَ كَفه»][1] .

فصل

وأما حديث أنس بن مالك، ففي « الصحيحين » من حديث سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، قال : قال رسول الله ﷺ : « يَجمعُ الله الناسَ يوم القيامَةِ فيهتمونَ لذلكَ - . وفي لفظ : فيلهمون لذلك - فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ؟ فيأتون آدم، فيقولون: أنت آدم أبو الخلق، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا عند ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول : لست هنا كم، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها، ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله عزَّ وجلّ، قال : فيأتون نوحاً فيقول : لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها، ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً، فيأتون إبراهيم فيقول : لست هناكم،ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ، ولكن ائتوا موسى الذي كلَّمهُ الله وأعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول : لستُ هُنَاكُم، ويذكر خطيئتَهُ التي أصابَ،فيستحيي ربه منها، ولكن ائتوا عيسى روحِ الله وكلمته، فيأتون عيسى روح اللهِ وكلمته فيقول : لست هناكم، ولكن ائتوا محمداً ﷺ، عبداً قد غَفَرَ الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال : قال رسول الله ﷺ : فيأتوني فأستأذن على ربِّي فيؤذن لي ، فإذا أنا رأيته فأقع ساجداً فيدعني ما شاء

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٩٥) في المناقب : باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام .

اللهُ أن يدعني ، فيقال : يامحمد، ارفع رأسك، وقُلْ يُسمعْ ، وسلْ تُعْطَ ، واشفعْ تُشَفَّعْ ، فأرفعُ رأسي ، فأحمدُ ربي بتحميد يعلمنيه ربِّي ، فأشفع فيحدُّ لي حدًّا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، ثم أعودُ، فأقعُ ساجداً ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثُمَّ يقال : ارفع رأسك يامحمد، وقُلْ يُسمع ، وسَلْ تُعْطَ ، واشفعْ تُشفعْ ، فأرفع رأسي ، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ، ثمَّ أشفع : فيحدُّ لي حَدًّا فأخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة. قال : فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة ، قال : فأقول : يا ربِّ، ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن . أي : وجب عليه الخلود »(١) .

وذكر ابن خزيمة : عن ابن عبد الحكم ، عن أبيه ، وشعيب بن الليث ، عن الليث ، حدثنا معتمر بن سليمان ، عن حميد ، عن أنس قال : يلقى الناس في القيامة ما شاء الله أن يلقوه من الحبس فيقولون : انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا إلى ربنا ، فذكر الحديث إلى أن قال : فينطلقون إلى محمد ﷺ فأقول : أنا لها ، فأنطلق حتى أستفتح باب الجنة فيفتح لي فأدخل وربي على عرشه فأخرُّ ساجداً وذكر الحديث(٢) .

وقال أبو عوانة ، وابنُ أبي عروبة ، وهمَّام ، وغيرهم ، عن أنس في هذا الحديث : فأستأذن على ربي فإذا رأيته وقعت ساجداً .

وقال عفان ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس : فآتي ربي وهو على سريره ، أو كرسيه فأخرّ له ساجداً .

وساقه ابن خزيمة بسياق طويل ، وقال فيه : فأستفتح فإذا نظرت إلى الرحمن وقعت له ساجداً(٣) .

ورؤية النبي ﷺ لربه في هذا المقام ثابتة عنه ثبوتاً يقطعُ به أهل العلم

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٤٠) في التوحيد : باب (٢٤) ولفظه « يحبس المؤمنون يوم القيامة . . . » و(٦٥٦٥) في الرقاق : باب (٥١) صفة الجنة ، ومسلم (١٩٣) في الإيمان : باب (٨٤) أدنى أهل الجنة منزلة . وأبو عوانه ١/١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ .

(٢) هو في القسم المفقود من الكتاب ، والمطبوع منه ينتهي بأحكام الحج ، وفي الأصل : معمر بن سليمان غلط .

(٣) لم نجد هذه الأحاديث .

بالحديث والسنةِ، وفي حديث أبي هريرة : « أنا أولُ من تنشقُ عنه الأرضُ يومَ القيامةِ ولا فخرَ، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا صاحب لواء الحمد ولا فخر، وأنا أول من يدخلِ الجنة ولا فخر، آخذ بحلقةِ باب الجنةِ، فيؤذن لي، فيستقبلني وجهُ الجبارِ جلَّ جلاله، فأخرُّ له ساجداً»[1].

وقال الدارقطني : حدثنا محمد بن إبراهيم النسائي العدل بمصر، حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر القاضي، حدثنا أبو بكر إبراهيم بن محمد، أخبرنا الخليل بن عمر الأشج، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ في قوله عزّ وجلّ : ﴿ للَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَىٰ وزِيَادَة ﴾ [يونس : ٢٦] قال : « النظرُ إلى وجه الله عز وجل »[2] .

حدثنا أبو صالح عبد الرحمن بن سعيد بن هارون الأصبهاني، ومحمد ابن جعفر بن أحمد الطبري، ومحمد بن علي بن إسماعيل الأيلي، قالوا : حدثنا عبدالله بن روح المدائني، حدثنا سلاَّم بن سليمان، حدثنا ورقاء، وإسرائيل، وشعبة، وجرير بن عبد الحميد كلُّهم قالوا : حدثنا ليث بن عثمان بن أبي حميد، عن أنس بن مالك، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أتاني جبريل وفي كفِّهِ كالمرآةِ البيضاءِ يحملُها، فيها كالنكتة السَّوداء، فقلت: ما هذه التي في يدك يا جبريل ؟ فقال : هذه الجمعة، قلت : وما الجمعة، قال: لكم فيها خيرٌ كثيرٌ، قلت : وما يكون لنا فيها ؟ قال: يكون عيداً لك ولقومك من بعدك ، وتكون اليهود والنصارى تبعاً لكم ، قلت : وما لنا فيها ؟ قال: لكم فيها ساعة لا يسألُ اللهَ عبدٌ فيها شيئاً هو له قسم إلا أعطاه إياه، أو ليس له بقسم إلا ادَّخرَ له في آخرته ما هو أعظم منه ، قلت : ما هذه النكتةُ التي هي فيها ؟ قال : هي الساعة ونحن ندعوه يوم المزيد، قلت : وما ذاك يا جبريل ؟ قال إن ربَّك اتخذ في الجنة وادياً أفيح ، فيه كثبان من مسك أبيض، فإذا كان يوم

---

(١) أخرج البخاري (٤٧١٢) في التفسير: باب (٥) من تفسير سورة بني إسرائيل مطولاً بلفظ : « أنا سيد الناس يوم القيامة » . نحوه، ومسلم (٢٢٧٨) في الفضائل : باب (٢) تفضيل نبينا نحوه عن أبي هريرة، وأحمد في « مسنده » ٣/ ١٤٤ من حديث أنس مطولاً بألفاظ متقاربة .

(٢) أورده السيوطي في « الدر المنثور » ٣/ ٣٠٥ ،وقال: أخرجه أبو الشيخ، وابن مندة في « الرد على الجهمية » ، والدارقطني في « الرؤية »، وابن مردويه، واللالكائي، والخطيب، وابن النجار .

الجمعة هبط من علّيين على كرسيه، فيحف الكراسي بكراسي من نور، فيجيء النبيّون حتى يجلسوا على تلك الكراسي وتحفُّ الكراسي بمنابر من نور، ومن ذهب مكللة بالجوهر، ثم يجيء الصّديقون والشهداء حتى يجلسوا على تلك المنابر، ثم ينزل أهل الغرف من غرفهم، حتى يجلسوا على تلك الكثبان، ثم يتجلىٰ لهم عزّ وجلّ فيقول : أنا الذي صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، وهذا محل كرامتي، فسلوني، فيسألونه، حتى تنتهي رغبتهم، فيفتح لهم في ذلك ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة، ثم يرتفع على كرسيه عزَّ وجلَّ، ويرتفع معه النَّبيُّون والصِّدّيقون، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم وهي لؤلؤة بيضاء، أو زبرجدة خضراء، أو ياقوتة حمراء، غرفها وأبوابها فيها، أنهارها مطّردة فيها، وأزواجها وخدّامها، وثمارها متدلية فيها، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة، ليزدادوا نظراً إلى ربِّهم ويزدادوا منه كرامة »[1] .

هذا حديث كبيرٌ عظيم الشأن رواه أئمةُ السُّنةِ وتلقّوه بالقبول، وجمل به الشافعي « مسنده » ، فرواه عن إبراهيم بن محمد، قال : حدثني موسى بن عبيدة، قال: حدثني أبو الأزهر، عن عبدالله بن عمير أنه سمع أنس بن مالك، فذكره بنحوه، وقد تقدم لفظه[2] . ثم قال الشافعي : أنبأنا إبراهيم قال: حدثني أبو عمران إبراهيم بن الجعد، عن أنس شبيهاً به وزاد فيه أشياء[3] . ورواه محمد بن إسحاق، قال : حدثني ليث بن أبي سليم ، عن عثمان بن عمير، عن أنس به، وقال فيه : « ثم يتجلى لهم ربّهم عز وجلّ، حتى ينظروا إلى وجهه الكريم. وذكر باقي الحديث .

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في « السنة » (٢٧٣) والبزار (٣٥١٩) في صفة الجنة : باب في نعيم أهل الجنة بألفاظ متقاربة عن أنس، وقال: وقد رواه جماعة عن ليث، عن عثمان بن عمير، عن أنس، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠/٤٢١ : رواه الطبراني في «الأوسط» بنحوه، وأبي يعلى باختصار» ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ثوبان، وقد وثقه غير واحد وضعفه غيرهم، وإسناد البزار فيه خلاف.

(٢) أخرجه الشافعي في « مسنده » (٣٧٤) بترتيب السندي.

(٣) أخرجه الشافعي في « مسنده » (٣٧٥) .

ورواه عمرو بن أبي قيس، عن أبي ظبية، عن عاصم، عن عثمان بن عمير أبي اليقظان، عن أنس وجوّده، وفيه: فإذا كان يوم الجمعة نزل على كرسيه، ثمَّ حفَّ الكرسي بمنابر من نور، فيجيءُ النّبيُّون حتى يجلسوا عليها، ويجيءُ أهل الغرف حتى يجلسوا على الكثب، قال: ثم يتجلى لهم ربُّهم تبارك وتعالى، فينظرون إليه فيقول: أنا الذي صدقتكم وعدي، وأتممتُ عليكم نعمتي، وهذا محلُّ كرامتي سلوني، فيسألونه الرضىٰ، قال: رضاي أنزلكم داري، وأنا لكم كرامتي، سَلُوني فيسألونه الرضىٰ، قال: فيشهدهم بالرِّضا، ثم يسألونه حتى تنتهي رغبتهم». وذكر الحديث.

ورواه علي بن حرب، حدثنا إسحاق بن سليمان، حدثنا عنبسة بن سعيد، عن عثمان بن عمير، ورواه الحسن بن عرفة، حدثنا عمار بن محمد ابن أخت سفيان الثوري، عن ليث بن أبي سليم، عن عثمان وقال فيه: ثمَّ يرتفعُ على كرسيه، ويرتفع معه النّبيُّون والصّدِّيقون والشهداء، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم

ورواه الدارقطني من طريق آخر من حديث قتادة، عن أنس قال: سمعته يقول: بينا نحن حول رسول الله ﷺ إذ قال: «أتاني جبريلُ في يده كالمرآة البيضاء في وسطها كالنكتة السوداء، قلت: يا جبريل، ما هذا؟ قال: هذا يوم الجمعة، يعرضه عليك ربّك ليكون لكَ عيداً ولأمتك من بعدِك، قال: قلت: يا جبريل، ماهذه النكتةُ السوداء؟ قال: هذه الساعة وهي تقوم يوم الجمعة، وهو سيد أيام الدنيا، ونحن ندعوه في الجنة يوم المزيد، قال: قلت: يا جبريل ولِمَ تدعونه يوم المزيد؟ قال: إن الله اتخذ في الجنة وادياً أفيح، من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة نزل ربنا عز وجلّ على كرسيه إلى ذلك الوادي، وقد حفَّ الكرسي بمنابر من ذهب مكللةٍ [بالجوهر]، وقد حفّت تلك المنابر بكراسي من نور. ثم يؤذن لأهل الغرف فيقبلون يخوضون كثبان المسك إلى الركب، عليهم أسورةُ الذهب والفضة وثياب السندس والحرير، حتى ينتهوا إلى ذلك الوادي، فإذا اطمأنوا فيه جلوساً بعث الله عليهم ريحاً يقال لها: المثيرة، فثارت ينابيع المسك الأبيض في وجوههم وثيابهم، وهم يومئذٍ جُردٌ مُردٌ مكحلونَ أبناء

ثلاثٍ وثلاثين على صورة آدم يوم خلقه الله عز وجل، فينادي ربُّ العـزّة تبارك وتعالى رضوانَ وهو خازن الجنة، فيقول : يا رضوان، ارفع الحجب بيني وبين عبادي وزوّاري، فإذا رفع الحجب بينه وبينهم فرأوا بهاءه ونوره هبوا له بالسجود فيناديهم تبارك وتعالى بصوته : ارفعوا رؤوسكم فإنما كانت العبادة في الـدنيا، وأنتم اليوم في دار الجزاء، سلوني ما شئتم فأنا ربكم الذي صدقتكم وعدي، وأتممتُ عليكم نعمتي، فهذا محلُ كرامتي فسلوني ما شئتم، فيقـولون : ربنـا وأيّ خير لم تفعله بنا، ألست الـذي أعنتنا على سكـراتِ الموتِ، وآنست منـا الوحشةَ في ظلمة القبور، وآمنت روعتنا عند النفخة في الصُّور؟ ألست أقلتَ لنا عثراتِنا، وسترت علينا القبيح من فعلنا، وثبتَّ على جسر جهنم أقدامنا ؟ ألست الذي أدنيتنا من جوارك وأسمعتنا لذاذة منطقك، وتجليت لنا بنورك فأيُّ خير لم تفعله بنا ؟ فيعودُ الله عزَّ وجلَّ، فيناديهم بصوته فيقول : أنا ربّكم الذي صدقتكم وعدي، وأتممتُ عليكم نعمتي فسلوني، فيقولـون : نسألك: رضاك، فيقـول : برضائي عنكم أقلتكم عثراتكم، وسترت عليكم القبيح من أموركم، وأدنيت منّي جواركم، وأسمعتكم لذاذةِ منطقي وتجليت لكم بنوري، فهـذا محلُّ كـرامتي فسلوني، فيسألونه حتى تنتهي مسألتهم، ثم يقول الله عز وجل : سلوني فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم، ثم يقـول الله عزّ وجَلَّ : سلوني، فيقولـون : رضينا ربّنـا وسلمنا، فيريهم من مشهد فضله وكرامتـه، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خـطر على قلب بشر، ويكـون ذلك بمقـدار تفرقهم من الجمعـة، قال أنس : فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وما مقدار تفرقهم ؟ قال : كقدر الجمعة إلى الجمعة، قال : ثم يحمل عرش ربنا تبارك وتعالى معهم الملائكـة والنّبيون ثم يؤذن لأهل الغرفات فيعودون إلى غرفهم وهما غـرفتان من زمـردتين خضراوين وليسوا إلى شيءٍ أشوقَ منهم إلى الجمعةِ لينظروا إلى ربِّهم عزّ وجلّ، وليزيدهم من مزيد فضله وكرامته. قال أنس : سمعته من رسول الله ﷺ، وليس بيني وبينه أحد »[1] .

---

(١) أخرجه البـزار (٣٥١٩) في صفة الجنـة : باب في نعيم أهـل الجنـة، عن عثمـان بن عميـر، بألفاظ متقاربة، وأورده ابن كثير في «النهايـة» ٢/٤٨٢، والمنذري في «التـرغيب» ٤/٥٥٣، والسيوطي في «الدر» ٣/١٠٨.

ورواه الدارقطني أيضاً : عن أبي بكر النيسابوري قال : أخبرني العباس ابن الوليد بن يزيد قال : أخبرني محمد بن شعيب قال : أخبرني عمر مولى عفرة عن أنس .

ورواه محمد بن خالد بن خلي، حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، حدثنا صفوان قال: قال أنس: قال رسول الله ﷺ.

ورواه أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الرحمن بن محمد، عن ليث، عن أبي عثمان، عن أنس.

ورواه إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة، عن زهير بن حرب، حدثنا جرير، عن ليث، عن عثمان بن أبي حميد، عن أنس.

ورواه عن الأسود بن عامر قال : ذكر لي عن شريك، عن أبي اليقظان، عن أنس .

ورواه ابن بطَّة في « الإبانة » من حديث الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة . وسيأتي سياقه، وقد جمع ابن أبي داود طرقه .

فصل

وأما حديث بريدة بن الحصيب، فقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة : حدثنا أبو خالد عبد العزيز بن أبان القرشي، حدثنا بشير بن المهاجر، عن عبدالله بن بريدة، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما مِنْكُمْ منْ أحدٍ إلا سيخْلُو الله بِهِ يومَ القيامةِ، ليسَ بَينَه وبينَهُ حجابٌ ولا تَرْجُمانٌ »[1] .

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٢٨٢) بلفظه، والبزار (٣٤٤٠) في البعث: باب في الحساب، ولفظه: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان» وقال: لا نعلم رواه عن بشير إلا عبد العزيز، وليس بقوي، وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/٣٤٦، وقال: رواه البزار وفيه عبد العزيز بن أبان، وهو متروك.

فصــل

وأما حديث أبي رزين العقيلي : فرواه الإمام أحمـد من حديث شعبـة، وحمّـاد بن سلمة، عن يعلى بن عـطاء ، عن وكيع بن عُدس ، عن أبي رزين قال : قلنا : يا رسول الله ، أكُلّنا يرىٰ ربَّهُ عزّ وجلّ يومَ القيامةِ ؟ قال : « نعم »، قال: قلت: وما آيـة ذلك في خلقـه ؟ قال : « أليس كُلُّكم ينـظر إلى القمر ليلة البدر » ؟ قلنا : نعم ، قال : « الله أكبر وأعظم »[1] .

قال عبدالله : قال أبي : والصواب حُدُس .

وقال أبو داود سليمان بن الأشعث : حدثنا موسى بن إسمـاعيل، حـدثنا حمَّاد بن سلمة به فقد اتفق شعبة، وحماد بن سلمة وحسبـك بهما على روايته، عن يعلى بن عطاء .

ورواه الناس عنهما،وعن أبي رزين فيه إسناد آخر قد تقدم ذكره في حديثه الطويل، وأبو رزين العقيلي له صحبة وعداده من أهل الطائف، وهـو لقيط بن عـامر، ويقـال :لقيط بن صبـرة، هكذا قال البخـاري[2] ، وابن أبي حـاتم [3] وغيـرهما، وقيل : هما اثنان، ولقيط بن عامر غير لقيط بن صبـرة. والصحيح الأول. وقال ابن عبد البر[4] : من قال لقيط بن صَبْرة نسبه إلى جده وهو لقيط ابن عامر بن صبرة.

فصــل

وأما حديث جابر بن عبدالله ، فقال الإمام أحمد : حدثنا روح بن عبادة، حدثنا ابن جريج قال : أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً يسأل عن الورود فقال : « يَجيءُ يومَ القيامةِ على كذا وكذا، أي فوق الناس، فتدعى الأُمم بـأوثانهـا وما

---

(١) أخرجه أحمد ١١/٤ و١٢، وأبو داود (٤٧٣١) في السنة باب: (٢٠).

(٢) التاريخ الكبير ٢٤٨/٧ (١٠٥٨) .

(٣) الجرح والتعديل ١٧٧/٧ (١٠٠٨) .

(٤) في «الاستيعاب» في هامش « الإصابة » ٣٢٤/٣ .

كانت تعبد الأول، فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول : من تنتظرون ؟ فيقولون : ننتظر ربنا ، فيقول : أنا ربّكم : فيقولون حتى ننظر إليك ، فيتجلّى لهم تبارك وتعالى يضحَكُ قال : فينطلق بهم ويتبعونه ، ويُعطىٰ كلُّ إنسان منهم : منافق أو مؤمن نوراً ، ثم يتبعونه على جسر جهنم، وعليه كلاليب وحسك، تأخذ من شاء الله ، ثمَّ يطفأ نورُ المنافق، ثمّ ينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر، وسبعون ألفاً لا يحاسبون ، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء، ثم كذلك، ثم تحلُّ الشفاعة حتى يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزنُ شعيرةً ، فيجعلون بفناء أهل الجنة ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء ، حتى ينبتون نبات الشيء في السيل ، [ويذهب حراقه] ثم يسأل حتى يجعلَ الله له الدنيا وعشرةَ أمثالِها مَعَها »(١) .

رواه مسلم في « صحيحه » وهذا الذي وقع في الحديث من قوله : « على كذا وكذا » . قد جاء مفسراً في رواية « صحيحة » : ذكرها عبد الحق في « الجمع بين الصحيحين » « يجيء يوم القيامة على تلٍّ مشرفينَ على الخلائق »(٢) .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا رباح بن زيد، قال : حدثني ابن جريج ، قال أخبرني زياد بن سعد أن أبا الزبير أخبره، عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ : «يتجلى لنا الربُّ تبارك وتعالى ينظرون إلى وجهه، فيخرون له سجداً، فيقول: ارفعوا رؤوسكم فليسَ هذا بيوم عبادة»(٣).

قال الدارقطني : أنبأنا أحمد بن عيسى بن السكن، حدثنا أحمد بن

---

(١) أخرجه أحمد ٣/٣٨٣ ـ ٣٨٤ ، والزيادة من مسلم كما سيأتي .

(٢) أخرجه مسلم (١٩١) في الإيمان : باب (٨٤) أدنى أهل الجنة منزلة فيها، والرواية فيه : « عن كذا وكذا. وقال النووي في «المنهاج» ٣/٤٧ ـ ٤٨ : هكذا وقع اللفظ في جميع الأصول من «صحيح» مسلم. واتفق المتقدمون والمتأخرون على أنه تصحيف وتغيير واختلاط في اللفظ. ونقل قول عبد الحق وقال: هذا الذي وقع في كتاب مسلم تخليط من أحد الناسخين أو كيف كان. وقال القاضي عياض: هذه صورة الحديث في جميع النسخ، وفيه تغيير كثير وتصحيف. قال وصوابه: «نجيىء يوم القيامة على كوم». هكذا رواه بعض أهل الحديث.

(٣) لم نجده في « المصنف » .

محمد بن عمر بن يونس، حدثنا محمد بن شرحبيل الصنعاني، قال : حدثني ابن جريج ، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ : « يتجلىٰ لنا ربُّنا عزَّ وجلَّ يوم القيامة ضاحِكاً »[1] .

وروى أبو قرة، عن مالك بن أنس، عن زياد بن سعد، حدثنا أبو الزبير، عن جابر أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إذا كان يوم القيامة جُمعتِ الأُمَمُ » ، فذكر الحديث، وفيه : « فيقول : أتعرفون الله عز وجل إن رأيتموه ؟ فيقولون : نعم، فيقول : وكيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون : نعلم أنه لا عِدْل له ، قال : فيتجلىٰ لهم تبارك وتعالى، فيخرونَ له سُجَداً »[2] .

وقال ابن ماجة في « سننه » : حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، حدثنا أبو عاصم العباداني، عن الفضل بن عيسىٰ الرقاشي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ : « بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطعَ لهم نورٌ فرفعوا رؤوسهم ، فإذا الرَّبُّ جلَّ جلاله قد أشرفَ عليهم من فوقهم فقال السلامُ عليكم يا أهلَ الجنةِ، وهو قول الله عز وجلّ ﴿ سَلامٌ قولاً مِنْ رَبٍ رَحِيمٌ ﴾ [قال فينظر إليهم وينظرون إليه] فلا يلتفتون إلى شيءٍ ، ممّا هُم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجبَ عنهم وتبقىٰ فيهم بركته ونوره [عليهم في ديارهم] »[3] .

وقال حرب في « مسائله » : حدثنا يحيىٰ بن أبي حزم، حدثنا يحيى بن محمد أبو عاصم العباداني فذكره .

وعند البيهقي في هذا الحديث سياق آخر رواه أيضاً من طريق العباداني، عن الفضل بن عيسى، عن ابن المنكدر، عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ : « بينا أهل الجنة في مجلس لهم إذْ سَطَعَ لهم نور على باب الجنة، فرفعوا رؤوسهم فإذا الربُّ تبارك وتعالى قد أشرف . فقال : يا أهل الجنةِ

(١) أخرجه الديلمي (٨١٤٨) من حديث جابر، وأبي موسى .

(٢) لم نجده.

(٣) أخرجه ابن ماجة (١٨٤) في المقدمة : باب (١٣) فيما أنكرت الجهمية، وما بين المعكوفتين منه، وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» ٥٥٣/٤، ونسبه لابن أبي الدنيا أيضاً.

سلوني. قالوا نسألك الرضى عنا قال : رضائي أحلُّكم داري، وأنالكم كرامتي، هذا أوانها فسلوني، قالوا : نسألك الزيادة، قال : فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر، أزمتها زمرد أخضر وياقوت أحمر، فجاؤوا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها، فيأمر الله عزَّ وجلَّ بأشجار عليها الثمار فتجيء حوار من الحور العين وهنَّ يقلنَ : نحنُ الناعماتُ، فلا نبأسُ، ونحنُ الخالداتُ فلا نموتُ، أزواجُ قومٍ مؤمنين كرام، ويأمر الله عز وجل بكثبان من مسكٍ أبيض أذفر فيثير عليهم ريحاً يقال لها : المثيرة، حتى تنتهي بهم إلى جنة عدنٍ وهي قصبة الجنة، فتقول الملائكة : يا ربنا قد جاء القوم ، فيقول مرحباً بالصادقين، مرحباً بالطائعين، قال : فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تبارك وتعالى فيتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضاً [ثم يقول : أرجعوهم إلى القصور بالتّحف فيرجعون، وقد أبصر بعضهم بعضاً]، فقال رسول الله ﷺ فذلك قوله [تعالى] : ﴿ نُزُلاً من غَفُورٍ رَحيم ﴾ [فصلت : ٣٢] .

رواه في كتاب « البعث والنشور »(١) وفي كتاب « الرؤية » قال : وقد مضى في هذا الكتاب، وفي كتاب « الرؤية » ما يؤكد هذا الخبر، وقال الدارقطني : أنبأنا الحسن بن إسماعيل، أنبأنا أبو الحسن علي بن عبدة، حدثنا يحيى بن سعيد القطان، عن ابن أبي ذئب، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال : قال النبي ﷺ : « إنَّ الله عز وجل يتجلى للنَّاس عامَّة ويتجلى لأبي بكر خاصّة »(٢) .

فصل

وأما حديث أبي أمامة ، فقال ابن وهب : أخبرني يونس بن زيد، عن عطاء الخراساني، عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني، عن عمرو بن عبدالله الحضرمي، عن أبي أمامة قال : خطبنا رسول ﷺ يوماً فكان أكثرُ خطبته ذكر

---

(١) أخرجه البيهقي في « البعث والنشور » (٤٩٣) باب قول الله عز وجل ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ . وسقط منه ما بين المعكوفتين .

(٢) ذكره في «كنز العمال» (٣٢٦٣٠) ونسبه للحاكم مطولاً وتعقب، و(٣٢٦٢٩) ونسبه لابن النجار وفيه «ليتجلى».

الدجال يُحذرناه ، ويحدثنا عنه حتى فرغ من خطبته، فكان فيما قال لنا يومئذٍ : «إن الله عز وجلَّ لم يبعث نبياً إلا حذَّره أمته، وإني آخر الأنبياءِ ، وأنتم آخر الأمَمِ ، وهو خارج فيكم لا محالة، فإنْ يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيجُ كلِّ مُسلمٍ ، وإن يخرج فيكم بعدي فكل امرىء حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه يخرج من خَلَّةٍ بينَ العراقِ والشامِ عاثَ يميناً، وعاث شمالاً ، يا عبادَ الله اثبتوا وأنَّهُ يبدأ فيقول: أنا نبيٌّ، ولا نبيَّ بعدي، ثم يثني فيقول أنا ربُّكم، ولنْ تروا ربكم حتى تموتوا، وأنه مكتوب بين عينيه كافِرٍ يقرؤه كلُّ مؤمن. فمن لقِيَه منكم فليتفلْ في وجهِهِ، وليقرأ بفواتح سورةِ أصحابِ الكهفِ، وأنه يُسلَّطُ على نفسٍ من بني آدم فيقتلها، ثم يحييها، وأنه لا يعدو ذلك ولا يُسلَّطُ على نفسٍ غيرها، وإنَّ من فتنتهِ أن معه جنةً وناراً، فناره جنة، وجنته نار، فمن ابتلي بنارِهِ فليغمض عينيه، وليستغث بالله تكون برداً وسلاماً كما كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم، وإن أيامه أربعون يوماً: يوماً كسنة، ويوماً كشهر، ويوماً كجمعة، ويوماً كالأيام، وآخر أيامه كالسراب، يصبح الرجل عند باب المدينة فيمسي قبل أن يبلغ بابها الآخر، قالوا: فكيف نصلي يا رسول الله في تلك الأيام؟ قال: «تقدرون فيها كما تقدرون في الأيام الطِّوالِ»(١) ورواه الدارقطني عن ابن صاعد، عن أحمد بن الفرج، عن ضمرة بن ربيعة، عن يحيى بن أبي عمروية مختصراً.

فصل

وأما حديث زيد بن ثابت، فقال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة قال : حدثني أبو بكر قال : حدثني ضمرة بن حبيب، عن زيد بن ثابت أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ علمه دعاءً ، وأمره أن يتعاهدَ به أهله كلَّ يومٍ قال : « قلْ حين تصبحُ : لبيكَ اللَّهمّ لبيكَ، لبيكَ وسعديكَ، والخيرُ في يديكَ، ومنك وإليكَ، اللهمَّ وما قلتُ من قولٍ أو نذرتُ من نذرٍ، أو حلفتُ من حَلفٍ، فمشيئتكَ بين يديهِ، ما شئتَ كان، وما لم تشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إنَّكَ على كلِّ شيءٍ

(١) لم نجده من حديث أبي أمامه، وهو في «الصحيحين» وغيرهما بألفاظ متقاربة. من حديث المغيرة وأنس، وأبي هريرة وغيرهم انظر «الفتح» ١٣/٨٩ ـ ١٠٥.

قديرٌ . اللَّهمَّ وما صليتُ من صلاةٍ فعلى من صليت، وما لعنتُ من لعنةٍ فعلى من لعنتَ، أنت وليِّي في الدنيا والآخرة، توفني مسلماً ، وألحقني بالصالحين، أسألك اللَّهمّ الرِّضَا بعدَ القضاءِ، وبردَ العيشِ بعد الموتِ، ولذَّةَ النظرِ إلى وجهكَ، والشوقِ إلى لقائك ، من غير ضراءَ مضرة، ولا فتنة مضلة، أعوذُ بكَ اللَّهمَّ أنْ أظلمَ، أو أُظلم، أو أعتدي أو يُعتدى عليَّ، أو أكسب خطيئةً محبطةً أو ذنباً لا يغفر، اللَّهمَّ فاطِرَ السماوات والأرضِ عالمَ الغيبِ والشهادةِ ذا الجلال والإكرام، فإني أعهدُ إليك في هذه الحياةِ الدنيا، وأُشْهدك وكفى بك شهيداً . إني أشهدُ أن لَا إلهَ إلَّا أنت وحدكَ لا شريكَ لك،[لك] الملكُ، ولكَ الحمدُ وأنتَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأشهد أن محمداً عبدُك ورسولُك، وأشهدُ أن وعدَك حقّ، ولقاءَك حقٌّ ، والجنةَ حقٌّ، والنّارَ حقٌّ، والساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها ، وأنت تبعثُ من في القبورِ، وأشهدُ أنَّكَ إن تكلني إلى نفسي نكلني إلى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة، وإني لا أثق إلا برحمتك، فاغفرْ لي ذنبي، إنه لا يغفر الذنوبَ إلا أنت، وتبْ عليَّ إنك أنت التوابُ الرحيم »[1] رواه الحاكم في « صحيحه » .

فصل

وأما حديث عمَّار بن ياسر، فقال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق الأزرق، عن شريك، عن أبي هاشم، عن أبي مجلز : قال صلّى بنا عمّار صلاةً فأوجز فيها ، فأنكروا ذلك ، فقال : ألم أُتِمَّ الركوعَ والسجود؟ قالوا : بلى، قال : أما إني قد دعوتُ فيها بدعاءٍ ، كان رسول الله ﷺ يدعو به : « اللهم بعلمكَ الغيبَ، وبقدرتك على الخلق، أحيني ما علمتَ الحياةَ خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي، وأسألك خشيتكَ في الغيب والشهادة، وكلمةَ الحقِّ في الغضب والرِّضا، والقصدَ في الفقر والغِنَىٰ ، ولذة النّظر إلى وجهك، والشوقَ

---

(١) أخرجه أحمد ١٩١/٥ ، وفي « المستدرك » ٥١٦/١ ـ ١١٧ ـ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال الذهبي : أبو بكر ضعيف، فأين الصحة ؟.

إلى لقائك في غير ضراءَ مضـرةٍ ، ولا فتنةٍ مضلّةٍ. اللّهمَّ زَيِّنـا بزينـةِ الإيمانِ، واجعلنا هداةً مهتدين »[1] وأخرجه ابن حبان، والحاكم في « صحيحيهما » .

فصل

وأما حديث عائشة : ففي « صحيح » الحاكم من حـديث الزهـري، عن عروة، عنها قالت : قال رسول الله ﷺ لجابر : « يا جابر، ألا أبشرك؟»قال بلى بشرك الله بخير. قال: «شعرت أن الله أحيا أباك، فأقعده بين يديه، فقال: تَمنَّ عليَّ عبدي ما شئتَ أعطكه، قال : يا ربِّ، مـا عبدتـك حَقَّ عبادَتِـك، أتمنى عليك أن تردني إلى الدنيا، فأقاتل مع نبيِّك، فأقتل فيك مرةً أخـرى قال إنه قد سلف منِّي أنّك إليها لا ترجعُ »[2] وهو في « المسند » من حـديث جابـر، وفي « مسنده » «أدخله».

وللترمذي فيه سياق أتمُّ من هذا عن جابر قال : « لما قُتلَ عبدالله بن عمرو ابن حرام يوم أحد قال رسول الله ﷺ: يا جابر ألا أخبرُك ما قال الله عزّ وجلّ لأبيك ؟ قال بلى . قال : ما كلَّمَ [الله] عزَّ وجلَّ أحداً إلا من وراءِ حجابٍ، وكلَّم أباك كِفَاحاً . فقال : يا عبدِي، تَمَنَّ عليَّ أُعطِك . قال : يا ربِّ تحييني، فأقتل فيك ثانية، قال : إنه سبق منِّي أنهم إليها لا يُرجعونَ، قال : يا ربِّ، فأبلغ من ورائي فأنزل الله عـز وجل هـذه الآية ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّـذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْـوَاتاً ـ الآيـة ﴾ [آل عمران : ١٦٩] »[3] قـال الترمـذي هذا حـديث حسن غريب. قلت: وإسنادهُ صحيح، ورواه الحاكم في «صحيحه».

---

(١) أخرجه أحمـد في « المسند » ٢٦٤/٤ ، والحـاكم ٦٢٤/١ ، وقال صحيـح الإسناد، ووافقـه الذهبي، وابن حبان في « صحيحه » (١٩٧١) ، والنسائي ٥٤/٥ ـ ٥٥ ، وابن خزيمة في كتاب « التوحيد » ص ١٢ ، وابن مندة في « الرد على الجهمية » (٨٦) وغيرهم .

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٦١/٣ بنحوه، وليس فيه لفظ «أدخله» هنا، والحاكم ٢٠٣/٣ . وقال: صحيح الإسناد، لكن قال الذهبي : فيض كذاب.

(٣) أخـرجه الترمـذي (٣٠١٠) في تفسيـر القـرآن : بـاب (٤) ومن سـورة آل عمـران ، والحـاكم ٢٠٤/٣ ، وقال : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي ،والدارمي في «الرد» ص ٣٠ .

فصل

وأما حديث عبدالله بن عمر، فقال الترمذي : حدثنا عبد بن حميد، عن شبابة، عن إسرائيل، عن ثوير بن أبي فاختة .

وقال الطبراني : حدثنا أسد بن موسى، حدثنا أبو معاوية محمد بن حازم، عن عبد الملك بن أبجر، عن ثوير بن أبي فاختة، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أدنى أهلِ الجنةِ منزلةً لرجلٍ ينظرُ في ملكه ألفي سنةٍ يرى أقصاه كما يَرى أدناه، ينظرُ إلى أزواجِهِ وسرره وخدمه، وإنَّ أفضلهم منزلةً من ينظرُ في وجهِ اللَّهِ تباركَ وتعالى كلَّ يومٍ مرتينِ».

قال الترمذي(١) : وروي هذا الحديث من غير وجه عن إسرائيل، عن ثوير، عن ابن عمر مرفوعاً . ورواه عبد الملك بن أبجر، عن ثوير، عن مجاهد، عن ابن عمر موقوفاً . وروى الأشجعي عبيد الله، عن الثوري، عن ثوير، عن مجاهد، عن ابن عمر قوله، ولم يرفعه. حدثنا بذلك أبو كريب أنبأنا الأشجعي، عن سفيان، عن ثوير، عن مجاهد، عن ابن عمر نحوه، ولم يرفعه . قلت : ورواه الحسن بن عرفة، عن شبابة، عن إسرائيل، عن ثوير، عن ابن عمر مرفوعاً ، وزاد فيه : ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ وُجُوهٌ يَومَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلى رَبِّها نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٣] .

وقال سعيد بن هشيم بن بشير : عن أبيه، عن كُريز بن حكيم، عن نافع، عن ابن عمر، قال : قال رسول الله ﷺ : « يومُ القيامةِ أولُ يومٍ نظرت فيه عينٌ إلى الله تبارك وتعالى »(٢). ورواه الدارقطني عن جماعة، عن أحمد بن يحيى بن حبان الرَّقي، عن إبراهيم بن خرَّزاذ عنه .

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٥٣) في صفة الجنة: باب (١٧)، وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/٤٠١ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وفي أسانيدهم ثوير بن أبي فاختة وهو مجمع على ضعفه.

(٢) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ٦/٢٩٢ .

وقال الدارقطني : حدثنا أحمد بن سلمان، أخبرنا محمد بن يونس، حدثنا عبد الحميد بن صالح، حدثنا أبو شهاب الحناط، عن خالد بن دينار، عن حماد بن جعفر، عن عبدالله بن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ألا أخبرُكم بأسفلِ أهلِ الجنةِ، قالوا : بلى يا رسولَ اللهِ ، فذكر الحديث ـ إلى أن قال ـ حتى إذا بلغَ النعيمُ منهم كلَّ مبلغٍ ، فظنُّوا أنْ لا نعيمَ أفضلُ منه أشرف الرَّبُّ تبارك وتعالى عليهم ، فينظرونَ إلى وجهِ الله عزَّ وجلَّ، فيقولُ : يا أهلَ الجنةِ هَلِّلُوني وكبروني وسبِّحوني بما كنتم تهللوني وتكبروني وتسبحوني في دار الدنيا، فيتجاوبون بتهليلِ الرحمنِ ، فيقولُ تبارك وتعالى لداودَ : يا داودُ قم فمجدْني . فيقومُ داودُ فيمجدُ ربَّه عزّ وجلَّ »(١) .

وقال عثمان بن سعيد الدارمي في « رده » على بشر المريسي : حدثنا أحمد بن يونس، عن أبي شهاب الحنَّاط، عن خالد بن دينار، عن حماد بن جعفر، عن ابن عمر يرفعه إلى النبي ﷺ : « إنَّ أهلِ الجنةِ إذا بلغَ النعيمُ منهم كلَّ مبلغٍ وظنّوا أن لا نعيم أفضل منه تجلَّى لهم الرَّبُّ تباركَ وتعالى فنظروا إلى وجه الرحمن، فنسوا كلَّ نعيم عاينوهُ حين نظروا إلى وجه الرحمن »(٢) .

فصل

وأما حديث عمارة بن رويبة فقال ابن بطة في «الإبانة»: حدثنا عبد الغافر ابن سلامة الحمصي، حدثنا محمد بن عوف بن سفيان الطائي، حدثنا أبو اليمان، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد الرحمن بن عبدالله ، عن إسماعيل ابن أبي خالد، عن أبي بكر بن عمارة بن رويبة، عن أبيه قال : نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلةَ البدرِ فقال : « إنكم سترونَ ربكم كما ترونَ هذا القمرَ، لا تضارُّونَ في رؤيتهِ ، فإن استطعتمْ ألا تُغلبوا على صلاةٍ قبلَ طلوعِ الشمسِ ،

---

(١) أخرج نحوه الدارمي في «الرد على الجهمية» ص ٥١، وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» بطوله ٤/٥٠٦ ـ ٥٠٧ وقال: رواه ابن أبي الدنيا وفي إسناده من لا أعرفه الآن.

(٢) أخرجه في «الرد» ص ٥١ ـ ٥٢.

وقبل غُروبها فافعلوا »[1] .

قال ابن بطة : وأخبرني أبو القاسم عمر بن أحمد، عن أبي بكر أحمد بن هارون، حدثنا عبد الرازق بن منصور، حدثنا المغيرة، حدثنا المسعودي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي بكر بن عمارة بن رويبة، عن أبيه قال : نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال : « إنكم سترون الله ربّكم تبارك وتعالى، كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على ركعتين قبل طلوع الشمس، وركعتين بعد غروبها، فافعلوا »[2] .

فصل

وأما حديث سلمان الفارسي، فقال أبو معاوية : حدثنا عاصم الأحول، عن أبي عثمان، عن سلمان الفارسي قال : يأتون النبي ﷺ، فيقولون : يا نبي الله إن الله فتح بك، وختم بك، وغفر لك، قُمْ فاشفعْ لنا إلى ربك، فيقول : « نعم أنا صاحبكم فيخرج يجوس الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة، فيأخذ بحلقة الباب فيقرع فيقال : من هذا ؟ فيقال محمد قال : فيفتح له، فيجيء حتى يقوم بين يدي الله فيستأذن في السجود فيؤذن له »[3] الحديث .

فصل

وأما حديث حذيفة بن اليمان، فقال ابن بطة : أخبرني أبو القاسم عمر بن أحمد، عن أبي بكر أحمد بن هارون، حدثنا يزيد بن جمهور، حدثنا الحسن ابن يحيى بن كثير العنبري، حدثنا أبي، عن إبراهيم بن المبارك، عن القاسم بن مطيب، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة بن اليمان .

وقال البزار : حدثنا محمد بن معمر، وأحمد بن عمرو بن عبيدة

---

(١) لم نجده في «الإبانة» طبعة هنري لاوست Henri Laoust وأخرجه البخاري (٥٥٤) في مواقيت الصلاة: باب (١٦) فصل صلاة العصر، وفي مسلم (٦٣٣) في المساجد: باب (٣٧) فضل صلاتي الصبح والعصر، من حديث جرير بن عبدالله.

(٢) هو بمعنى الحديث قبله، وقد سبق تخريجه .

(٣) لم نجده من حديث سلمان بهذا اللفظ، وحديث الشفاعة معروف أخرجه البخاري في مواضع في «صحيحه» منها (١٤٧٥) في الزكاة، باب (٥٢) عن ابن عمر.

العصفري، قالا : حدثنا يحيى بن كثير، حدثنا إبراهيم بن المبارك، عن القاسم ابن مطيب، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « أتاني جبريلُ [فإذا] في كفِّهِ مِرآةٌ كأصفى ما يكون المرايا وأحسنها، وإذا في وسطها نكتةٌ سوداءُ ، قال : قلتُ : يا جبريلُ، ما هذه ؟ قال هذه الدنيا، صفاؤها وحسنها ، قال قلت : وما هذه اللُّمعة في وسطها ؟ قال هذه الجمعة، قال قلت : وما الجمعة ؟ قال : يوم من أيام ربك عظيم، وسأخبرك عن شرفه وفضله واسمه في الآخرة. أما شرفه وفضله في الدنيا فإن الله تبارك وتعالى جمع فيه أمر الخلق، وأما ما يُرجى فيه فإن فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم أو أمة مسلمة يسألان الله فيها خيراً إلا أعطاهما إياه، وأما شرفه وفضله واسمه في الآخرة فإن الله تبارك وتعالى إذا صيَّر أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، وجرت عليهم أيامها وساعاتها ليس بها ليل ولا نهار إلا قد علم الله مقدار ذلك وساعاته، فإذا كان يوم الجمعة في الحين الذي يبرز أو يخرج فيه أهل الجنة إلى جمعتهم نادى منادٍ : يا أهل الجنة، اخرجوا إلى دار المزيد، لا يعلم سعته وعرضه وطوله إلا الله عزَّ وجلَّ، في كثبان من المسك قال : فتخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور، ويخرج غلمان المؤمنين بكراسي من ياقوت، قال : فإذا وضعت لهم ، وأخذ القوم مجالسهم بعث الله تبارك وتعالى عليهم ريحاً تدعى المثيرة، تثير عليهم أثايير المسك الأبيض تدخله من تحت ثيابهم، وتخرجه في وجوههم وأشعارهم، فتلك الريح ، أعلم كيف تصنع بذلك المسك من امرأة أحدكم لو دفع إليها كل طيب على وجه الأرض لكانت تلك الرِّيحُ أعلم كيف تصنع بذلك المسك من تلك المرأة لو رفع إليها ذلك الطيب بإذن [الله تعالى] ، قال : ثم يوحي الله سبحانه إلى حملة العرش، فيوضع بين ظهراني الجنة وبينه وبينهم الحجب، فيكون أول ما يسمعون منه أن يقول : أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب، ولم يروني، وصدقوا رُسلي، واتّبعوا أمري، فسلوني فهذا يوم المزيد، قال : فيجتمعون على كلمة واحدة : ربِّ رضينا عنك فارض عنَّا، قال : فيرجع الله تعالى في قولهم[1] أنْ يا أهل الجنة إني لو لم أرضَ عنكم لما أسكنتكم جنتي، فسلوني فهذا يوم المزيد، قال : فيجتمعون على كلمة

(١) أي في قوله لهم.

واحدة رضينا عنك فارضَ عنا، قال: فيرجع الله عز وجل في قولهم أنْ يا أهل الجنة، إني لو لم أرضَ عنكم لما أسكنتكم جنتي، فهذا يوم المزيد فسلوني، قال فيجتمعون على كلمة واحدةٍ: ربِّ وجهك أرنا ننظر إليه، قال: فيكشف الله تبارك وتعالى تلك الحجب، ويتجلى لهم، فيغشاهم من نوره شيء لولا أنه قضى عليهم أن لا يحترقوا لاحترقوا ممّا غشيهم من نوره، قال: ثم يقال: ارجعوا إلى منازلكم، قال: فيرجعون إلى منازلهم وقد خفوا على أزواجهم، وخفين عليهم، مما غشيهم من نوره تبارك وتعالى، فإذا صاروا إلى منازلهم تَرادَّ النور وأمكن، وتَرادَّ وأمكن حتى يرجعوا إلى صورهم التي كانوا عليها، قال: فيقول لهم أزواجهم: لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها؟ قال فيقولون: ذلك بأن الله تبارك وتعالى تجلى لنا، فنظرنا منه إلى ما خفينا به عليكم، قال: فهم في كل سبعة أيام يتقلبون في مسك الجنة ونعيمها، قال: وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ **فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَةِ أَعْيُنٍ جزاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[1] [السجدة: ١٧].

وقال عبد الرحمن بن مهدي: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مسلم بن يزيد السعدي، عن حذيفة في قوله عزّ وجلّ: ﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسنَى وزِيَادَةٌ** ﴾ [يونس: ٢٦] قال: النظرُ إلى وجهِ اللهِ عز وجل[2]. قال الحاكم[3]: وتفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع.

فصل

وأما حديث ابن عباس، فروى ابن خزيمة من حديث حماد بن سلمة، عن ابن جدعان، عن أبي نضرة قال: خطبنا ابن عباس فقال: قال رسول الله

(١) أخرجه البزار (٣٥١٨) في صفة الجنة: باب في نعيم أهل الجنة بألفاظ متقاربة، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠/٤٢٢: وفيه القاسم بن مطيب، وهو متروك.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٣/٣٠٦، ونسبه إلى ابن ابي شيبة، وابن جرير، وأبي الشيخ، والدارقطني، وغيرهم.

(٣) قال في «معرفة علوم الحديث»: هذا الحديث وأشباهه مسندة عن آخرها وليست بموقوفة فإن الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا فإنه حديث مسند.

ﷺ : « ما من نبيٍّ إلا له دعوةٌ تعجلها في الدنيا، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامةِ، فآتي باب الجنة فآخذ بحلقه الباب، فأقرع الباب فيقال: من أنت؟ فأقول: أنا محمد، فآتي ربي وهو على كرسيّه، أو قال على سريره، فيتجلّى لي ربي، فأخرُّ ساجداً»[1]. ورواه ابن عيينة، عن ابن جدعان فقال: عن أبي سعيد بدل ابن عباس.

وقال أبو بكر بن أبي داود : حدثنا عمي محمد بن الأشعث، حدثنا ابن جبير، قال : حدثني أبي جبير، عن الحسن، عن ابن عباسٍ، عن النبي ﷺ قال : « إنَّ أهلَ الجنةِ يرونَ ربَّهم [تبارك] وتعالى في كلِّ جمعة في رمالِ الكافورِ، وأقربُهم منه مجلساً أسرعهم إليه يوم الجمعة وأبكرهم غدوًّا »[2] .

فصل

وأما حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، فقال الصغاني : حدثنا صدقة أبو عمرو المقعد قال : قرأت على محمد بن إسحاق، حدثني أمية بن عبدالله بن عمرو بن عثمان، عن أبيه عبدالله بن عمرو قال : سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص يحدث مروان بن الحكم ـ وهو أمير المدينة ـ قال: خَلَقَ الله الملائِكَةَ لعبادته أصنافاً : فإنَّ منهم الملائكةَ قياماً صافّينَ من يوم خَلقهم إلى يومِ القِيامةِ، وملائكةً ركوعاً خشوعاً من يومِ خلقهم إلى يوم القيامَةِ، وملائكةً سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامةِ، فإذا كان يومُ القِيامَةِ وتجلَّى لهم تعالى ، ونظروا إلى وجههِ الكريمِ قالوا : سبحانَكَ ما عبدنَاكَ حقَّ عبادتِكَ[3] .

فصل

وأما حديث أبي بن كعب، فقال الدارقطني : حدثنا عبد الصمد بن علي، حدثنا محمد بن زكريا بن دينار، قال : حدثني قحطبة بن عِلاقة، حدثنا أبو

---

(١) أخرجه أحمد ١/٢٨١ ـ ٢٨٢ مطولاً وبألفاظ متقاربة.

(٢) أخرجه في «البعث والنشور» (. . .).

(٣) أخرجه البخاري في « التاريخ الكبير » ٢/٨ .

خلدة، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ في قوله تبارك وتعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسنى وزِيادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] قال : « النَّظَرُ إلى وجْهِ اللهِ عزَّ وجلَّ »(١) .

فصل

وأمَّا حديث كعب بن عجرة، فقال محمد بن حميد : حدثنا إبراهيم بن المختار، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن كعب بن عجرة، عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسنَى وزِيَادَة ﴾ قال : « الزيادةُ النَّظَرُ إلى وَجْهِ ربِّهم تبارك وتَعالى »(٢) .

فصل

وأما حديث فضالة بن عبيد، فقال عثمان بن سعيد الدارمي : حدثنا محمد بن المهاجر، عن أبي الدرداء أن فضالة يعني ابن عبيد كان يقول : اللهم إني أسألك الرِّضا بعدَ القضاءِ ، وبردَ العيشِ بعدَ الموتِ، ولذةَ النظرِ إلى وجهكَ، والشوقَ إلى لقائكَ، في غيرِ ضَرَّاءَ مُضرةٍ، ولا فتنةٍ مُضلةٍ(٣) .

فصل

وأما حديث عبادة بن الصامت، ففي « مسند » أحمد من حديث بقية، حدثنا بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن عمرو بن الأسود، عن جنادة بن أبي أمية، عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ أنه قال : « قَدْ حدثتُكم عن الدجالِ حتى خَشيتُ أن لا تَعْقِلوا، إنَّ مَسِيحَ الدَّجالِ رَجُلٌ قصيرٌ أفْحَجُ جعدٌ أعورُ مطموسُ العينِ لسيتْ بناتئة ولا جحراءَ . فإن ألبس عليكم فاعلموا أنَّ ربَّكم ليسَ بأعورَ، وأنكم لن تروا ربّكم حتى تموتوا »(٤) .

---

(١) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ٣/٣٠٥ ، ونسبه إلى الدارقطني، والبيهقي، وغيرهما.

(٢) أورده السيوطي في « الدر المنثور » ٣/٣٠٥، وعزاه إلى ابن جرير، وابن مردويه، والبيهقي، في « كتاب الرؤية » وغيرهم .

(٣) أخرجه أحمد ٥/١٩١، وتقدم ص ٤٠٠ مطولاً ت (١).

(٤) أخرجه أحمد ٥/٣٢٤ .

فصل

وأما حديث الرجل من أصحاب النبي ﷺ، فقال الصَّغاني حدثنا روح بن عبادة، حدثنا عبّاد بن منصور، قال : سمعت عدي بن أرطاة يخطب على المنبر بالمدائن، فجعل يَعِظُ حتى بكى وأبكانا، ثم قال : كونُوا كرجلٍ قال لابنه وهو يعظه : يا بنيَّ أوصيكَ أن لا تصلي صلاة إلا ظنَنتَ أنَّكَ لا تصلي بعدها غيرَها حتى تموت ، وتعالَ بنيّ نعملْ عملَ رجلينِ كانا قد وقفا على النارِ، ثم سألا الكرة، ولقد سمعت فلاناً ـ نسي عباد اسمه ـ ما بيني وبين رسول الله ﷺ غيرُه فقال : إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « إنَّ للهِ ملائكةً تَرعُدُ فرائصُهم من مخافتهِ، ما منهم مَلَكٌ تقطرُ دمعتُه من عينهِ إلا وقعتْ ملكاً يسبحُ الله [تعالى] ، قال : وملائكةٌ سجودٌ منذ خلق اللهَ السَّماواتِ والأرضَ لم يرفعوا رؤوسَهم، ولا يَرْفَعونَها إلى يومِ القيامةِ، وصفوفٌ لم ينصرفوا عن مصافِّهم، ولا يَنصرفونَ إلى يومِ القيامةِ، فإذا كان يومُ القيامةِ وتجلَّى لهم ربُّهم، فنظروا إليه قالوا : سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك »[1] .

فصل

وهناك بعض ما قاله أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وأئمة الإسلام .

قول أبي بكر الصديق : قال أبو إسحاق : عن عامر بن سعد قرأ أبو بكر الصديق : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وزِيَادَة ﴾ [يونس : ٢٦] فقالوا : ما الزِّيادَةُ يا خليفةَ رسول الله ﷺ ؟ قال : النَّظَرُ إلى وَجْهِ الرَّبِّ تبارك وتعالى .

قول علي بن أبي طالب : قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : حدثنا أبي، حدثنا ميسرة الهمداني، حدثنا صالح بن أبي خالد العنبري، عن أبي الأحوص، عن أبي علي بن إسحاق الهمداني، عن عمارة بن عُبيد، قال سمعت علياً يقول : من تمامِ النعمة دخول الجنةِ، والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى في جنته .

---

(١) ذكر قصة عدي وخطبته الذهبي في « تاريخ الإسلام » ٤/١٠٥ .

قول حذيفة بن اليمان : حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مسلم بن يزيد، عن حذيفة [قال] : الزيادةُ : النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .

قول عبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس : ذكر أبو عوانة، عن هلال، عن عبدالله بن عكيم، قال : سمعت عبدالله بن مسعود يقول : في هذا المسجد ـ مسجسد الكوفة ـ يبدأ باليمين قبل أن يحدثنا فقال : والله ما منكم من إنسانٍ إلا [أن] ربّه سيخلو به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر. قال فيقول : ما غَرَّكَ بي يابن آدم، ثلاثَ مراتٍ، ماذا أجبت المرسلينَ ثلاثاً، كيف عملتَ فيما علمت .

وقال ابن أبي داود: أخبرنا أحمد بن الأزهر، حدثنا إبراهيم بن الحكم، حدثنا أبي، عن عكرمة قال : قيل لابن عباس : كل من دخل الجنة يرى الله عز وجل ؟ قال : نعم، وقال أسباط بن نصر : عن إسماعيل السدي، عن أبي مالك، وأبي صالح، عن ابن عباس .

وعن مرَّةَ الهمداني، عن ابن مسعود: الزيادةُ: النظرُ إلى وجهِ الله [عز وجل] .

قول معاذ بن جبل : قال عبد الرحمن بن أبي حاتم، أخبرنا إسحاق بن أحمد الخراز، حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي، عن المغيرة بن مسلم، عن ميمون بن أبي حمزة قال: كنتُ جالساً عند أبي وائل، فدخل علينا رجل يقال له أبو عفيف، فقال له شقيق بن سلمة : يا أبا عفيف، ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل؟ قال بلى . سمعته يقول : يَحْشرُ الناسُ يوم القيامة في صعيد واحد، فينادى أين المتقون، فيقومون في كنفٍ من الرحمن لا يحتجب الله عنهم، ولا يستتر، قلت : مَن المتقون ؟ قال : قوم اتّقوا الشركَ، وعبادةَ الأوثانِ، وأخلصوا للهِ بالعبادة فيمرون إلى الجنة .

قول أبي هريرة : قال حدثنا ابن وهب : أخبرنا ابن لهيعة، عن أبي النضر أن أبا هريرة كان يقول : لن تروا ربكم حتى تذوقوا الموت .

قول عبدالله بن عمر : قال حسين الجعفي، عن عبد الملك بن أبجر، عن ثوير، عن ابن عمر قال : « إنَّ أدنى أهل الجنةِ منزلةً من ينظرُ إلى ملكه ألفي

عام يرى أدناه كما يرى أقصاه، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظرُ إلى وجهِ اللهِ في كلِّ يومٍ مرتين »[1] .

قول فضالة بن عبيد : ذكر الدارمي، عن محمد بن مهاجر، عن أبي حلبس، عن أبي الدرداء، أن فضالة بن عبيد كان يقول : اللَّهم إني أسألُكَ الرِّضَا بعدَ القضاءِ ، وبردَ العيشِ [بعدَ الموتِ] ، ولذةَ النَّظرِ إلى وجهكَ. وقد تقدم[2] .

قول أبي موسى الأشعري : قال وكيع : عن أبي بكر الهذلي، عن أبي تميمة، عن أبي موسى قال : الزيادةُ : النظرُ إلى وجه الله .

وروى يزيد بن هارون، وابن أبي عدي، عن التيمي، عن أسلم العجلي، عن أبي مُراية[3] ، عن أبي موسى الأشعري أنه كان يحدث الناس، فشخصوا بأبصارهم. فقال : ما صرفَ أبصاركم عني؟ قالوا الهلال . قال : فكيف بكم إذا رأيتم الله جهرة ؟

قول أنس بن مالك : [قال ابن أبي شيبة : حدثنا يحيى بن يمان، حدثنا شريك، عن أبي اليقظان، عن أنس بن مالك] في قوله عز وجل : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيد ﴾ [ق : ٣٥] قال : يظهر لهم الرَّبُّ تبارك وتعالى يوم القيامة.

قول جابر بن عبدالله: قال مروان بن معاوية، عن الحكم بن أبي خالد، عن الحسن، عن جابر قال: إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ، وأديم عليهم بالكرامة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لا تبول ولا تروث، لها أجنحة، فيقعدون عليها، ثم يأتون الجبار عز وجلّ فإذا تجلى لهم خروا سجداً، فيقول: يا أهل الجنة ارفعوا رؤوسكم فقد رضيتُ عنكم، لا سخطَ بعده.

---

(١) حديث ابن عمر تقدم مرفوعاً ص ٤٠٢ . وأخرجه أحمد ١٣/٣ . وذكره في «مجمع الزوائد» ٤٠١/١٠ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى، والطبراني، وفي أسانيدهم ثوير بن أبي فاختة، وهو مجمع على ضعفه.

(٢) سبق تخريجه ص ٤٠٠، ت (١) مطولاً.

(٣) أبو مُراية، قيدها الذهبي في « المشتبه » ص : ٥٨٢ بضم الميم، وبعد الألف ياء مثناة تحتية .

قال الطبري : فيحصل في الباب ممن روى عن رسول الله ﷺ من الصحابة حديث الرؤية ثلاث وعشرون نفساً : منهم عليٌّ، وأبو هريرة، وأبو سعيد، وجرير، وأبو موسى، وصهيب، وجابر، وابن عباس، وأنس، وعمار بن ياسر، وأبي بن كعب، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وحذيفة بن اليمان، وعبادة ابن الصامت، وعدي بن حاتم، وأبو رزين العقيلي، وكعب بن عجرة، وفضالة ابن عُبيد، وبريدة بن الحصيب، ورجل من أصحاب النبي ﷺ .

وقال الدارقطني : أخبرنا محمد بن عبدالله، حدثنا جعفر بن محمد بن الأزهر، حدثنا مفضل بن غسان، قال سمعت يحيى بن معين يقول: عندي سبعة عشر حديثاً في الرؤية، كلّها صِحَاح .

وقال البيهقي : روينا في « إثبات الرؤية » عن أبي بكر الصديق، وحذيفة ابن اليمان، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس، وأبي موسى، وغيرهم، ولم يرووا عن أحد منهم نفيها ، ولو كانوا فيها مختلفين، لنقل اختلافهم إلينا، كما أنهم لما اختلفوا في الحلال والحرام والشرائع والأحكام نقل اختلافهم في ذلك إلينا، وكما أنهم لما اختلفوا في رؤية الله بالأبصار في الدنيا، نقل اختلافهم في ذلك إلينا، فلما نقلت رؤية الله سبحانه [وتعالى] بالأبصار [في الآخرة] عنهم، ولم ينقل عنهم في ذلك اختلاف. كما نقل عنهم فيها اختلاف في الدنيا، علمنا أنهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار في الآخرة متفقين ومجتمعين .

فصل

وأما التابعون ويَزَك[1] الإسلام ، وعصابة الإيمان، من أئمة الحديث والفقه والتفسير وأئمة التصوف، فأقوالهم أكثر من أن يحيط بها إلا اللهُ عزّ وجلّ. قال سعيد بن المسيب : الزيادة: النظر إلى وجه الله. ورواه مالك، عن يحيى، عنه. وقال الحسن: الزيادة: النظر إلى وجه الله، رواه ابن أبي

---

(١) يَزَك : كلمة فارسية : معناها : طلائع الجيش .

حاتم عنه. وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: الزيادة: النظر إلى وجه الله [تعالى]. رواه حماد بن زيد، عن ثابت، عنه. وقاله عبد الرحمن بن سابط رواه جرير، عن ليث عنه. وقاله عكرمة، ومجاهد، وقتادة، والسدي، والضحاك، وكعب.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله، ولزوم طاعته، والتمسك بأمره، والمعاهدة على ما حملك الله من دينه، واستحفظك من كتابه، فإنَّ بتقوى الله نجا أولياء اللهِ من سخطه، وبها رافقوا أنبياءه، وبها نضرت وجوههم، ونظروا إلى خالقهم، وهي عصمة في الدنيا من الفتن، ومن كبت يوم القيامة.

وقال الحسن: لو علم العابدون في الدنيا أنهم لا يرون ربّهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا.

وقال الأعمش وسعيد بن جبير: إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى الله تبارك وتعالى غدوة وعشية، وقال كعب: ما نظر الله سبحانه إلى الجنة قطّ إلا قال: طِيبي لأهلك. فزادت ضعفاً على ما كانت، حتى يأتيها أهلها، وما من قوم كان لهم عيد في الدنيا إلا يخرجون في مقداره في رياض الجنة، فيبرز لهم الرَّبُّ تبارك وتعالى، فينظرون إليه، وتسفي عليهم الريح المسكَ، ولا يسألون الرَّبَّ تبارك وتعالى شيئاً إلَّا أعطاهم حتى يرجعوا، وقد ازدادوا على ما كانوا من الحسن والجمال سبعين ضعفاً، ثم يرجعون إلى أزواجهم، وقد ازددن مثل ذلك.

وقال هشام بن حسان: إن الله سبحانه وتعالى يتجلى لأهل الجنة، فإذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة.

وقال طاووس: أصحاب المراء والمقاييس لا يزال بهم المراء والمقاييس حتى يجحدوا الرؤية، ويخالفوا [أهل] السنة.

وقال شريك، عن أبي إسحاق السبيعي: **الزيادة**: النظر إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى.

وقال حماد بن زيد، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه تلى هذه الآية: **﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾** قال: إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ أعطوا فيها ما شاؤوا فيقول الله عز وجل لهم: إنه قد بقي من حقِّكم شيءٌ لم

تعطوه، فيتجلى لهم رَبُّهم، فلا يكون ما أعطوا عند ذلك بشيء. فالحسنى: الجنَّة، والزيادة: النظر إلى [وجه] ربهم عز وجل: ﴿ولا يرهَقُ وجوهُهم قتَرٌ ولا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦](١) بعد نظرهم إلى ربهم تبارك وتعالى. وقال علي بن المديني: سألت عبد الله بن المبارك، عن قوله تعالى: ﴿فمنْ كانَ يَرجُو لِقَاءَ ربِّهِ فليعْمَلْ عَمَلاً صَالحاً﴾ [الكهف: ١١٠] قال عبد الله: من أراد النظر إلى وجه خالقه، فليعمل عملاً صالحاً، ولا يُشرك(٢) به أحداً.

وقال نعيم بن حماد: سمعت ابن المبارك يقول: ما حَجَبَ الله عزَّ وجلّ أحداً عنه إلا عذَّبه، ثم قرأ: ﴿كَلَّا إنَّهم عَنْ رَبِّهم يَومَئذٍ لَمحْجُوبُونَ . ثمّ إنَّهم لصَالُوا الجَحِيم. ثُمَّ يقالُ هذا الَّذِي كُنْتُمْ به تُكذبونَ﴾ [المطففين: ١٥ - ١٧] قال: بالرؤية. ذكره ابن أبي الدنيا، عن يعقوب بن إسحاق، عن نعيم.

وقال عباد بن العوام: قدم علينا شريك بن عبدالله منذ خمسين سنة، فقلت له: يا أبا عبدالله، إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث: «إنَّ الله ينزلُ إلى سماءِ الدنيا»، و«إنَّ أهلَ الجنةِ يَرَونَ ربَّهم» فحدثني بنحو عشرة أحاديث في هذا وقال: أما نحن، فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين، عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهم عمن أخذوا.

وقال قبيصة بن عقبة: أتينا أبا نعيم يوماً، فنزل إلينا من الدرجة التي في داره فجلس في وسطها كأنه مغضب، فقال: حدثنا سفيان بن سعيد، ومنذر الثوري، وزهير بن معاوية، وحدثنا حسن بن صالح بن حيّ، وحدثنا شريك بن عبدالله النخعي، هؤلاء أبناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى يُرى في الآخرة، حتى جاء ابن يهودي صباغ يزعم أن الله تعالى لا يرى يعني: بشر المريسي.

فصل

في المنقول عن الأئمة الأربعة ونظرائهم وشيوخهم وأتباعهم على طريقتهم ومنهاجهم.

---

(١) ﴿ولا يرهق وجوههم قتر﴾: لا يغشاها ولا يعلوها سواد وظلمة: والقتر: الغبار، وشبه دخان يغشى الوجه من كرب أو هول.

(٢) في الأصل: يخير.

ذكـر قـول إمـام دار الهجـرة مـالـك بـن أنس: قـال أحمـد بـن صالح المصري، حدثنا عبدالله بن وهب قـال : قال مـالك بن أنس : النـاسُ ينظرونَ إلى الله عزّ وجلّ يوم القيامة بأعينهم .

وقال الحارث بن مسكين : حدثنا أشهب قال : سئل مالك عن قوله عـز وجل : ﴿ وجوهٌ يومَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلى رَبِّها نَاظِـرَةٌ ﴾ أتنظر إلى الله عـز وجل؟ قال: نعم، فقلت إن أقواماً يقولون: ننتظر ما عنـده، قال: بل ننظر إليه نظراً وقد قال موسى ﴿رب أرني أنظر إليك قال لن تراني﴾، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿كلَّا إنَّهُمْ عَنْ رَبِّهم يَوْمَئِذٍ لمحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٥] .

وذكر الطبري وغيره أنه قيل لمالك : إنهم يزعمون أن الله لا يُرى، فقال مالك : السيف السيف .

ذكـر قـول ابن المـاجشـون: قـال أبـو حـاتم الـرازي: قـال أبـو صالح كاتب الليث: أملىٰ عليَّ عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، وسألته عمّا جحدت الجهمية فقال : لم يزلْ يملي لهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى : ﴿وجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة : ٢٢ ـ ٢٣]فقالوا لا يراهُ أحدٌ يوم القيامة فجحَدوا، والله أفضل كرامةِ الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه، ونضرتـه إياهم ﴿ في مَقْعَـدِ صِدْقٍ عنـدَ مَلِيكٍ مُقْتَـدرٍ ﴾ [القمر : ٥٥] . فوربِّ السماء والأرض ليجعلن رؤيته يوم القيـامةِ للمخلصين لـه ثوابـاً لينضُر بها وجوههم دون المجرمينَ، وتفلج بها حجتهم على الجاحدين، وهم عن ربِّهم يومئذٍ لمحجُوبُونَ ﴾ لا يرونه كما زعموا أنه لا يرى، ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم .

ذكر قول الأوزاعي .ذكر ابن أبي حاتم عنه قـال : إني لأرجو أن يحجب الله عزَّ وجلّ جَهْماً وأصحابه عن أفضلِ ثوابه الذي وعده أولياءَه حين يقول : ﴿ وجُـوهٌ يومَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلى رَبِّها نَاظِرَةٌ ﴾فجحدَ جَهْم وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعد أولياءه .

ذكر قول الليث بن سعد : قال ابن أبي حاتم : حدثنا إسماعيـل بن أبي الحارث، حدثنا الهيثم بن خارجة، قال : سمعت الوليد بن مسلم يقول : سألت الأوزاعي، وسفيـان الثـوري، ومـالـك بن أنس، والليث بن سعـد، عن هـذه الأحاديث التي فيها الرؤية . فقالوا : تمرُّ بلا كيف.

قول سفيان بن عيينة: ذكر الطبري وغيره عنه أنه قال: من لم يقل: إن القرآن كلام الله، وإن الله يرى في الجنة فهو جهمي، وذكر عنه ابن أبي حاتم أنه قال: لا يصلّى خلفَ الجهمي. والجهمي الذي يقول: لا يرى ربه يوم القيامة.

قول جرير بن عبد الحميد: ذكر ابن أبي حاتم عنه أنه ذكر له حديث ابن سابط في الزيادة: أنها النظر إلى وجه الله فأنكره رجل فصاح به، فأخرجه من مجلسه.

قول عبدالله بن المبارك: ذكر عبد الرحمن بن أبي حاتم عنه، أن رجلاً من الجهمية قال له: يا أبا عبد الرحمن خدار نار جهمان ببنيد، ومعناه كيف يرى الله يوم القيامة؟ فقال: بالعين.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني يعقوب بن إسحاق، قال سمعت: نعيم ابن حماد يقول: سمعت ابن المبارك يقول: ما حجب الله عز وجل أحداً إلا عذّبه ثم قرأ: ﴿ كلاَّ إنَّهم عَنْ رَبِّهم يومَئذٍ لَمحْجُوبُونَ * ثُمَّ إنَّهُمْ لَصَالُوا الجَحِيمَ * ثمَّ يُقَالُ هَذَا الذي كُنْتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥ - ١٧]. قال ابن المبارك: بالرؤية.

قول وكيع بن الجراح: ذكر ابن أبي حاتم عنه، أنه قال: يراه تبارك وتعالى المؤمنون في الجنة، ولا يراه إلا المؤمنون.

قول قتيبة بن سعيد: ذكر ابن أبي حاتم عنه قال: قول الأئمة المأخوذ به في الإسلام والسُّنة: الإيمان بالرؤية والتصديق بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ في الرؤية.

قول أبي عبيد القاسم بن سلام: ذكر ابن بطة وغيره عنه أنه ذكرت عنده هذه الأحاديث التي في الرؤية فقال: هي عندنا حقّ، رواها الثقات عن الثقات إلى أن صارت إلينا، إلا أنا إذا قيل لنا: فسروها لنا قلنا: لا نفسر منها شيئاً، ولكن نمضيها كما جاءت.

قول أسود بن سالم شيخ الإمام أحمد: قال المروزي [حدثنا] عبد الوهاب الوراق [قال] سألت أسود بن سالم عن أحاديث الرؤية، فقال: أحلف عليها بالطلاق وبالمشي أنّها حقٌّ.

قول محمد بن إدريس الشافعي: قد تقدم رواية الربيع عنه أنه قال: في

قوله تعالى : ﴿ كلاَّ إنَّهم عَنْ رَبِّهم يَومئِذٍ لمحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٥] . لما حجب هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل [على] أنَّ أولياءه يرونه في الرّضا . قال الربيع : فقلت: يا أبا عبدالله، وتقول به؟ قال نعم، وبه أدين الله ، لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله عزّ وجلّ لما عبده.

وقال ابن بطة : حدثنا ابن الأنباري، حدثنا أبو القاسم الأنماطي صاحب المزني قال : قال الشافعي : ﴿ كَلاَّ إنَّهم عَنْ رَبِّهم يومَئِذٍ لمحْجُوبُونَ ﴾ دلالة على أن أولياءه يرونه يوم القيامة بأبصارهم ووجوههم .

قول إمام السنة أحمد بن حنبل : قال إسحاق بن منصور، قلت لأحمد : أليس ربنا تبارك وتعالى يراه أهل الجنة؟ أليس تقول بهذه الأحاديث ؟ قال أحمد : صحيح ، قال ابن منصور، وقال إسحاق بن راهويه : صحيح ولا يدعه إلا مبتدع ، أو ضعيف الرأي .

وقال الفضل بن زياد : سمعت أبا عبدالله، وقيل له : تقول بالرؤية ؟ فقال : من لم يقل بالرؤية فهو جهمي ، قال : وسمعت أبا عبدالله، وبلغه عن رجل أنه قال : إن الله لا يرى في الآخرة : فغضب غضباً شديداً ، ثم قال : من قال : إن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه ، من كان من الناس، أليس يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وجُوهٌ يومئذٍ نَاضِـرَةٌ. إلى رَبِّها نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ ـ ٢٣]وقال تعالى :﴿ كَلاَّ إنَّهم عَنْ رَبِّهم يَومَئِذٍ لمحْجُوبُونَ ﴾ وقال أبو داود : وسمعت أحمد، وذكر له عن رجل شيء في الرؤية فغضب وقال : من قال إن الله لا يرى فهو كافر .

قال أبو داود : وسمعت أحمد وقيل له : في رجل يحدث بحديث، عن رجل، عن أبي العطوف : إن الله لا يُرى في الآخرة، فقال : لَعَنَ اللهُ من يحدث بهذا الحديث اليوم، ثم قالَ : أخزى الله هذا، وقال أبو بكر المروزي : قيل لأبي عبدالله : تعرفُ عن يزيد بن هارون، عن أبي العطوف، عن أبي الزبير، عن جابر : إن استقر الجبل فسوف تراني . وإن لم يستقر فلا تراني في الدنيا، ولا في الآخرة، فغضب أبو عبدالله غضباً شديداً حتى تبينَ في وجهه، وكان قاعداً والناس حوله، فأخذَ نعله وانتعل، وقال : أخزى الله هذا. لا ينبغي

أن يكتب، ودفع أنْ يكونَ يزيد بن هارون رواه أو حدّث به، وقال : هذا جَهْمي كافرٌ خـالـف [ما] قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وجوهٌ يومئذٍناضرةٌ. إلى ربِّها ناظرةٌ ﴾ [القيـامـة : ٢٢ ـ ٢٣]. وقال: ﴿ كَـلاَّ إنَّهُم عَنْ رَبِّهم يَـومَئِـذٍ لمحْجُـوبُـونَ ﴾ [المطففين : ١٥] . أخزى الله هذا الخبيث. قال أبـو عبدالله : ومن زعم أن الله لا يُرى في الآخرة فقد كفر ، وقال أبو طالب : قال أبو عبدالله : قول الله عز وجـل : ﴿ هَلْ يَنـظرونَ إلا أنْ يأتيَهم اللهُ في ظُلَلٍ مِنَ الغَمَـامِ والمـلائِكَـةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، ﴿ وجَاءَ رَبُّك والمَلَكُ صَفاً صَفـاً ﴾ [الفجر : ٢٢] فمنْ قال : إنَّ الله لا يرى فقدْ كفر. وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانىء : سمعت أبا عبدالله يقول : من لم يؤمن بالرؤية فهو جَهْمي ، والجهمي : كافر .

وقال يوسف بن موسى القطان : قيل لأبي عبدالله : أهلُ الجنة ينـظرون إلى ربهم تبـارك وتعـالى ويكلمـونَـهُ ويكلمهم ؟ قـال : نعم ، ينـظرُ إليهم ، وينظرون إليه، ويكلمهم ويكلمونه كيف شاءوا إذا شاء .

وقال حنبل بن إسحاق : سمعتُ أبا عبدالله يقول : القـوم يرجعـون إلى التعطيل في أقوالهم ، ينكرون الـرؤية والآثـارَ كلّها ومـا ظننتهم على هذا حتى سمعت مقالاتِهم. قال حنبل : وسمعت أبا عبـدالله يقول : من زعم أنّ الله لا يُرى [في الآخرة] فقد ردَّ على الله وعلى الرسـول، ومن زعم أن الله لم يتخذْ إبراهيمَ خليلاً فقد كفر، وردَّ على الله قوله. قال أبو عبدالله : فنحن نؤمن بهذه الأحاديث، ونقرُّ بها ونمرُّها كما جاءت .

وقال الأثرم : سمعت أبا عبدالله يقول : فأما من قال إنـه لا يرى الله في الآخرة فهو جهمي. قال أبو عبدالله : وإنما تكلم من تكلم في رؤية الدنيا. وقال إبراهيم بن زياد الصائغ : سمعت أحمد بن حنبل يقول : الرؤيةُ من كذب بها فهو زنديق . وقال حنبل سمعت أبا عبدالله يقول : أدركنا الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئاً ـ أحاديث الرؤية ـ وكانوا يحدثون بها على الجملة، يمُرُّونها على حالها غير منكرين لذلك، ولا مرتابين. وقال أبو عبدالله : قال الله تعالى : ﴿ وَمَـا كَـانَ لِبَشَـرٍ أن يُكَلِّمَـهُ اللهُ إلاَّ وَحْيـاً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَـابٍ أو يُـرسِـلَ رسـولاً ﴾ [الشـورى : ٥١] . فكلم الله مـوسى من وراء حجـاب، فقـال :

﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلكِنِ انظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوفَ تَرَانِي ﴾ [الأعراف : ١٤٣] . فأخبر الله عزَّ وجلَّ أن موسى يراه في الآخرة، وقال : ﴿ كَلَّا إِنَّهمْ عَنْ رَبِّهم يومئذٍ لَمحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٥] . ولا يكون حجاب إلا لرؤية أخبر الله سبحانه [وتعالى] أن من شاء الله ومن أراد؛ يراه، والكفار لا يرونه. قال حنبل : وسمعت أبا عبدالله يقول : قال الله تعالى : ﴿ وجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ ، إلى رَبِّها نَاظِرةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ - ٢٣] .

والأحاديث التي تروى في النظر إلى الله تعالى - حديث جرير بن عبدالله وغيره - « وتنظرونَ إلى رَبِّكم »، أحاديث صحاح، وقال : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَىٰ وزِيَادةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] . النظر إلى الله تعالى . قال أبو عبدالله : نؤمن بها، ونعلم أنها حق : أحاديث الرؤية، ونؤمن بأن الله يرى، نرى ربنا يوم القيامة، لا نشك فيه ولا نرتاب، قال : وسمعت أبا عبدالله يقول : من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر [بالله] وكذب بالقرآن، وردَّ على الله أمره . يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، قال حنبل : قلت لأبي عبدالله : في أحاديث الرؤية، فقال : هذه صحاح نؤمن بها، ونقرُّ بها، وكلما روي عن النبي ﷺ إسناده جيّد؛ أقررنا به. قال أبو عبدالله : إذا لم نقرّ بما جاء عن النبي ﷺ، ودفعناه رددنا على الله أمره. قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوه وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهوا ﴾ [الحشر : ٧] .

قول إسحاق بن راهويه : ذكر الحاكم، وشيخ الإسلام، وغيرهما عنه، أن عبدالله بن طاهر أمير خراسان سأله، فقال : يا أبا يعقوب، هذه الأحاديث التي يروونها في النزول والرؤية ما هنَّ ؟ فقال رواها من روى الطّهارة والغَسل والصّلاة والأحكام، وذكر أشياء ، فإن يكونوا في هؤلاء عدولاً، وإلا، فقد ارتفعت الأحكام، وبطل الشرع . فقال : شفاك الله كما شفيتني ، أو كما قال .

قول جميع أهل الإيمان : قال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتابه : إن المؤمنين لم يختلفوا أن جميع المؤمنين يرون خالقهم يوم المعاد، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين .

قـول المزني : ذكـر الطبـري في « السنـة » عن إبـراهيم، عن أبي داود المصري، قال : كنا عند نعيم بن حماد جلوساً ، فقال نعيم للمزني : ما تقول في القـرآن ؟ فقال : أقـول : إنه كـلام الله ، فقال : غيـر مخلوق ؟ فقال: غير مخلوق. قال : وتقول : إن الله يـرى يوم القيـامة ؟ قـال : نعم ، فلما افتـرق النـاس قام إليـه المزني فقـال : يا أبـا عبدالله ، شهـرتني على رؤوس الناس، فقال : إن الناس قد أكثروا فيك، فأردت أن أُبرئك .

قول جميع أهل اللغة : قال أبو عبدالله بن بطة : سمعت أبا عمر محمد ابن عبد الواحد، صاحب اللغة يقول : سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلباً يقول في قوله تعالى : ﴿ وكانَ بالمؤمنينَ رَحِيـماً تَحيَّتهمْ يومَ يَلْقَونهُ سَلامٌ ﴾ [الأحزاب : ٤٤] . أجمع أهل اللغة [على أن اللقاء ها هنا لا يكون إلا معاينة ونظراً بالأبصار، وحسبك بهذا الإسناد صحة] ، واللقاء ثابت بنص القرآن كما تقدم . وبالتواتر عن النبي ﷺ، وكلُّ أحاديثِ اللقاء صحيحة : فحديث أنس في قصة بئر معونـة: «إنَّـا قَـدْ لقِينـا ربَّنَـا فَـرَضِيَ عَنَّـا وأرْضَـانَـا»[١] وحـديث عبـادة، وعائشـة، وأبي هريـرة، وابن مسعود : « مَنْ أَحَبَّ لقـاءَ اللهِ أحبَّ اللهُ لقاءهُ »[٢] . وحديث أنس : « إنَّكُم ستلقونَ بعدي أَثَرَةً فاصْبُروا حتَّى تَلْقَوا اللهَ ورَسُولَهُ »[٣] . وحديث أبي ذرّ : « لو لَقِيتَنِي بِقُرابِ الأَرْضِ خَطَايا ، ثُمَّ لَقِيْتَني لا تشركُ بي شيئاً لقيتُكَ بقُرابها مغفرةً »[٤] . وحديث أبي موسى « مَنْ لَقِيَ اللهَ لا يُشْرِكُ به شيئاً دَخَلَ الجنةَ »[٥] . وغير ذلك من أحاديث اللقاءِ التي أطردت كلّها بلفظٍ واحدٍ .

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٧) في الإمارة: باب (٤١) ثواب الجنة للشهيد .

(٢) أخرجه البخاري(٦٥٠٧) و (٦٥٠٨) في الرقاق :باب (٤١) من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومسلم (٢٦٨٣) في الذكر والدعاء : باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .

(٣) أخرجه البخـاري (٣٧٩٢) و(٣٧٩٣) في مناقب الأنصـار: باب (٨) قـول النبي ﷺ للأنصار، ومسلم (١٨٤٥) في الإمارة : باب (١١) الأمر بالصبر عند ظلم الولاة.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) في الدعوات : باب (٩٩) وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أنس. القُراب: ما يقارب ملأها.

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) في البر والصلة : باب (١٥) تحريم الظلم .

فصل
في وعيد منكري الرؤية

قد تقدم قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إنَّهم عَنْ رَبِّهم يَومَئذٍ لمحْجُوبُونَ ﴾ وقول عبد الله بن المبارك : ما حجب الله عنه أحداً إلا عذبه، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إنَّهم لَصَالُوا الجحيمَ. ثُمَّ يقالُ هذا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ [المطففين : ١٦ ـ ١٧] . قال بالرؤية. وروى مسلم في « صحيحه » من حديث أبي هريرة قال : قالوا يا رسولَ اللهِ هل نَرى ربَّنا يومَ القيامةِ ؟ قال : « هل تُضارُّونَ في رؤية الشمس في الظهيرة ليست فيها سحابة؟» قالوا: لا، قال: [«هل تضارّون في رؤية القمرِ ليلةَ البدرِ ليس فيها سحابةٌ؟» قالوا: لا، قال:] «فوالذي نفسي بيده لا تضارُّون في رؤية ربكم إلا كما تُضارُّونَ في رؤيةِ أحدهما. فَيلَقَى العَبدَ، فيقول: أيْ فُلْ: ألمْ أكرمكَ وأسودْكَ وأزوجْكَ، وأسخرْ لك الخيلَ والإبِلَ، وأذَرْكَ ترأسُ وتربعُ؟ فيقولُ: بلى أيْ [ربي]، فيقولُ: أفظننتَ أنكَ ملاقيَّ؟ فيقولُ: لا. فيقولُ: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني، فيقول: أي فُل؛ أَلَمْ أكرمْك وأسودْك وأزوْجك وأسخرْ لكَ الخيلَ والإبل، وأذَرْكَ ترأس وتربَعْ فيقول: بلى أي رب، فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ فيقول لا. فيقول إني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالثَ فيقولُ له: مثل ذلك، فيقول: يا ربِّ آمنت بكَ، وبكتابك وبرسلك، وصليت وصمت وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع. فيقولُ: ها هنا إذاً، ثم يقالُ: الآنَ نبعثُ شاهدنا عليك، فيتفكر في نفسه من الذي يشهدُ عليَّ؟ فيُختمُ على فيه، ويقالُ لفَخذِهِ: انطقي، فتنطقُ فخذُه ولحمهُ وعظامُه بعمله، وذلك ليُعْذِرَ من نفسهِ، وذلك المنافقُ، وذلك الذي يسخطُ اللَّهُ عليه »[١].

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٨) في الزهد : باب (١٦) .

أي فلُ: معناه يا فلان، وهو ترخيم على خلاف القياس، وقال في «النهاية»: معناه يا فلان، وليس ترخيماً له، لأنه لا يقال إلا بسكون اللام، ولو كان ترخيماً لفتحوها أو ضموها.

أسودك : أجعلك سيداً على غيرك .

=

فاجمع بين قوله: «إنَّكم سَتَرُونَ رَبَّكم» وقوله: لمن ظن أنه غير ملاقيه: «فإني أنساك كما نسيتني» وإجماع أهل اللُّغة [على أن] اللقاء المعاينة بالأبصار، يحصل لك العلم بأنّ منكر الرؤية أحقُّ بهذا الوعيد .

ومن تراجم أهل السنة على هذا الحديث : باب في الوعيد لمنكر الرؤية، كما فعل شيخ الإسلام وغيره ، [وبالله التوفيق] .

فصل

قد دلّ القرآن والسنة المتواترة، وإجماع الصحابة، وأئمة الإسلام، وأهل الحديث عصابة الإسلام، ويَزَك الإيمان، وخاصّة رسول الله ﷺ على أن الله سبحانه وتعالى يُرى في القيامةِ بالأبصَارِ عِياناً ، كما يُرى القَمَر ليلةَ البدرِ صَحْواً ، وكما تُرَى الشمس في الظهيرة، فإنْ كانَ لما أخبرَ الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة ـ وأن له والله حق الحقيقة ـ فلا يمكن أن يروه إلا من فوقهم ، لاستحالة أن يروه [من] أسفل منهم ، أو خلفهم، أو أمامهم، أو عن يمينهم [أو عن] شمالهم، وإن لم يكن لما أخبر به حقيقة ـ كما يقوله: أفراخ الصابئة، والفلاسفة والمجوس، والفرعونية ـ بطل الشرع والقرآن، فإن الذي جاء بهذه الأحاديث، هو الذي جاء بالقرآن والشريعة، والذي بلغها هو الذي بلغ الدِّين. فلا يجوز أن يجعل كلام الله ورسوله عِضِين، بحيث يُؤمن ببعض معانيه، ويَكفر ببعضها، فلا يجتمع في قلب العبد بعد الاطلاع على هذه الأحاديث، وفهم معناها إنكارها، والشهادة بأن محمداً رسول الله أبداً . ﴿ **الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءتْ رسُلُ ربِّنا بالحقِّ** ﴾ [الأعراف: ٤٣].

= ترأس : تكون رئيس القوم وكبيرهم .

ترْبَع : تأخذ المرباع، وهو ربع الغنيمة. قال القاضي : معناه تركتك مستريحاً لا تحتاج إلى مشقة وتعب .

أنساك : أمنعك الرحمة، كما امتنعت من الطاعة .

ها هنا إذاً : قف ها هنا .

ليُعْذِر من نفسه : ليزيل الله عذره من قِبَلِ نفسه بكثرة ذنوبه، وشهادة أعضائه عليه .

والمنحرفون في باب رؤية الرَّبِّ تبارك وتعالى نوعان :

أحدهما : من يزعم أنه يرى في الدنيا، ويحاضر ويسامر .

والثاني : من يزعم أنه لا يرى في الآخرة ألبتة . ولا يكلم عباده، وما أخبر الله به ورسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب الفريقين . وبالله التوفيق .

الباب السادس والستون

في تكليمه سبحانه [وتعالى] لأهل الجنة وخطابه لهم ومحاضرته إياهم وسلامه عليهم

قال تعالى : ﴿ إنَّ الذينَ يشترونَ بعهدِ اللهِ وأيمانِهم ثمناً قليلاً أولئكَ لا خَلاقَ لَهُم في الآخرةِ ولا يُكلِّمُهُم اللهُ ولا ينظُرُ إليهم يومَ القيامةِ ولا يُزكِّيهمْ ﴾ [آل عمران : ٧٧] . وقال في حقّ الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى : ﴿ ولا يُكَلِّمُهُمْ الله يومَ القِيَامةِ ﴾ [البقرة: ١٧٤] . فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين، لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلِّمُهم فائدة أصلاً. إذ تكليمه لعباده عند الفرعونية والمعطلة مثل أن يقال : يؤاكلهم ويشاربهم، ونحو ذلك، تعالى الله عمّا يقولون . وقد أخبر [الله] سبحانه أنه يسلم على أهل الجنة. وأن ذلك السلام حقيقة، وهو قول من ربٍّ رحيمٍ ، وتقدم تفسير النبي ﷺ لهذه الآية في حديث جابر في الرؤية، وأنه يشرف عليهم من فوقهم، ويقول : « سَلامُ عليكمْ يا أهلَ الجنةِ »[1] فيرونه عياناً . وفي هذا إثبات الرؤية والتكليم والعلوّ، والمعطلةِ تنكر هذه الأمور الثلاثة وتكفر القائل بها. وتقدم حديث أبي هريرة في سوق الجنة وقول النبي ﷺ : « ولا يبقى أحدٌ في ذلك المجلس إلا حاضره الله محاضرة، فيقول يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا »[2] الحديث .

وتقدم حديث عدي بن حاتم « ما مِنْكُمْ إلا مَنْ سَيُكلِّمهُ رَبُّهُ يومَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٨٤) في المقدمة، وذكره السيوطي في « الدر المنثور » ٥/٢٦٦ .

(٢) سبق الحديث، وتخريجه : ص ٣٣٨ ت (١) .

القيامةِ »[1] . وحديث أبي هريرة في الرؤية وفيه « فيقول تبارك وتعالى للعبدِ : «ألم أكرمْكَ وأسودْك»[2] الحديث . وحديث بريدة « ما منْكُمْ من أحدٍ إلّا سيخلُو به ربُّه ليس بينَهُ وبينَهُ تَرجُمانٌ ولا حِجابٌ »[3] الحديث .

وحديث أنس في يوم المزيد، ومخاطبته فيه لأهل الجنَّة مراراً[4] ، وبالجملة فتأمل أحاديث الرؤية تجد في أكثرها ذكر التكليم .

قال البخاري في « صحيحه » : باب كلام الربِّ تبارك وتعالى مع أهل الجنة. وساق فيه عدة أحاديث : فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى، وتكليمه لهم[5] ، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة، وأعلى نعيمها، وأفضله الذي ما طابت لأهلها إلا به، والله المستعان .

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٩) في الرقاق: باب (٤٩) من نوقش الحساب، ومسلم (٦٧) في الزكاة: باب (٢٠)، والترمذي (٢٤١٥) في صفة القيامة : باب (١) في القيامة، وابن ماجة (١٨٥) في المقدمة : باب (١٣) .

(٢) تقدم ص ٤٢١ ت (١).

(٣) أخرجه البزار (٣٤٤٠)، وقال الهيثمي ٣٤٦/١٠ : وفيه عبد العزيز بن أبان وهو متروك.

(٤) حديث أنس أخرجه البزار (٣٥١٩) في الجنة، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ١٠٨/٣، وتقدم ص ٣٩٠ ـ ٣٩١.

(٥) ساق ذلك البخاري في التوحيد: باب (٣٦) كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم .

الباب السابع والستون

في أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد

هذا مما يعلم بالاضطرار، أنّ الرسول ﷺ أخبر به قال تعالى : ﴿ **وأما الذينَ سُعِدُوا ففي الجنةِ خالِدِينَ فيها ما دامَتِ السَّمواتُ والأرضُ إلا ما شاء ربُّك عطاءً غيرَ مَجْذُوذٍ** ﴾ [هود : ١٠٨] . أي : غير مقطوع. ولا تنافي بين هذا وبين قوله : ﴿ **إلا مَا شَاءَ ربُّك** ﴾ واختلف السلف في هذا الاستثناء . فقال معمر عن الضحاك : هو في الذين يخرجون من النار، فيدخلون الجنة، يقول سبحانه : إنهم خالدون في الجنة ما دامت السماوات والأرض، إلا مدةَ مُكثِهم في النار .

قلت : وهذا يحتمل أمرين :

أحدهما : أن يكونَ الإخبارُ عن الذين سُعِدوا وقع عن قوم مخصوصين ، وهم هؤلاء .

والثاني : وهو الأظهرُ أنْ يكون وقعَ عن جملةِ السُّعداء ، والتخصيصُ بالمذكورين هو في الاستثناء ، وما دلّ عليه . وأحسنُ من هذين التقديرينِ أن ترد المشيئة إلى الجميع، حيث لم يكونوا في الجنة في الموقف. وعلى هذا فلا يبقى في الآية تخصيص. وقالت فرقة أخرى : هو استثناءُ استثناهُ الرّبُّ تعالى ولا يفعله كما تقول : والله لأضربَنّك إلا أن أرى غير ذلك، وأنتَ لا تَرَاهُ . بل تجزم بضربه .

وقالت فرقة أُخرى : العرب إذا استثنت شيئاً كثيراً مع مثله، ومع ما هو أكثر منه، كان معنى إلا في ذلك، ومعنى الواو سواء، والمعنى على هذا سوى ما شاء الله من الزيادة على مدة دوام السماوات والأرض . هذا قول الفراء،

وسيبويه : يجعل إلا بمعنى لكن. قالوا : ونظير ذلك أن تقول : لي عليك ألف إلا الألفين الـذين قبلها : أي سـوى الألفين . قـال ابن جـريـر : وهـذا أحبُّ الـوجهين إليَّ ، لأن الله تعالى لا خلف لـوعده، وقـد وصل الاستثنـاء بقولـه : ﴿ **عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ** ﴾ [هود : ١٠٨] .

قالوا : ونظيره أن يقول : أسكنتك داري حولاً إلا ما شئت : أي سوى ما شئت، أي: لكن ما شئت من الزيادة عليه.

وقالت فرقة أخرى : هذا الاستثناء إنما هو مدة احتباسهم عن الجنة، ما بين الموت والبعث، وهو البرزخ إلى أن يصيروا إلى الجنة، ثمَّ هو خلودُ الأبد، فلم يغيبوا عن الجنة إلا بقدر إقامتهم في البرزخ . وقالت فرقة أخرى : العزيمة قد وقعت لهم من الله بالخلود الدائم، إلا أن يشاء [الله] خلاف ذلك إعـلاماً لهم بأنهم مع خلودهم في مشيئته، وهذا كما قال لنبيه : ﴿ **ولَئِنْ شِئْنَا لنـذْهَبَنَّ بـالَّذِي أَوْحَيْنـا إِلَيكَ** ﴾ [الإسـراء : ٨٦] ، وقولـه ﴿ **فـإنْ يَشَـأ اللهُ يَخْتِمْ على قَلْبِـكَ** ﴾ [الشورى : ٢٤] ، وقـوله : ﴿ **قُـلْ لَو شَـاءَ اللهُ مـا تَلَوتُـهُ عَلَيْكُم** ﴾ [يونس : ١٦] ، ونظائره يخبر عبادَه سبحانه، أن الأمورَ كلَّها بمشيئته، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

وقالت فرقة أخرى : المراد بمدة دوام السماوات والأرض في هذا العالم، فأخبر سبحانه أنهم خالدون في الجنة مدة دوام السماوات والأرض إلا ما شاء الله أن يزيدهم عليه . ولعلّ هذا قول من قال : إن إلا بمعنى سوى، ولكن اختلفت عبارته، وهذا اختيار ابن قتيبة . قال : المعنى خالدين فيها مدة العالم سوى ما شـاء أن يزيـدهم من الخلود على مدة العـالم . وقالت فـرقة [أخـرى] : مـا بمعنى ، من، كقوله ﴿ **فـانْكِحُوا مـا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَـاءِ** ﴾ [النساء : ٣] ، والمعنى : إلا من شاء ربك أن يدخله النار بذنوبـه من السعداء . والفـرق بين هذا القول، وبين أول الأقوال : أن الاستثناء على ذلك القول من المدة، وعلى هذا القول من الأعيان .

وقالت فرقة أخرى : المراد بالسماوات والأرض: سماءُ الجنةِ وأرضها ، وهما باقيتان أبداً وقوله : ﴿ **إلا ما شَاءَ رَبُّكَ** ﴾ إنْ كانتْ ما : بمعنى مَـن فهم

الذين يدخلون النار، ثم يخرجون منها، وإنّ كانت بمعنى الوقت فهو مدة احتباسهم في البرزخ والموقف، قال الجعفي : سألت عبدالله بن وهب عن هذا الاستثناء ، فقال : سمعت فيه أنه قدر وقوفهم في الموقف يوم القيامة إلى أن يُقضىٰ بين الناس .

وقالت فرقة أخرى : الاستثناء راجع إلى مدة لبثهم في الدنيا، وهذه الأقوال متقاربة، ويمكن الجمع بينها بأن يقال : أخبر سبحانه عن خلودهم في الجنة كل وقت، إلا وقتاً يشاء أن لا يكونوا فيها، وذلك يتناول وقت كونهم في الدنيا، وفي البرزخ، وفي موقف القيامة، وعلى الصراط، وكون بعضهم في النار مدة، وعلى كل تقدير فهذه الآية من المتشابه، وقوله فيها : ﴿ **عَطَاءً غيرَ مَجذوذٍ** ﴾ محكم، وكذلك قوله : ﴿ **إنَّ هَذَا لَرِزْقُنا مَالَهُ مِنْ نَفَادٍ** ﴾ [ص : ٥٤] ، وقوله : ﴿ **أُكُلُها دَائِمٌ وظِلُّها** ﴾ [الرعد : ٣٥] ، وقوله : ﴿ **وَمَا هُمْ مِنها بِمُخْرَجِينَ** ﴾ [الحجر : ٤٨] .

وقد أكَّد الله سبحانه خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن ، وأخبر أنهم : ﴿ **لا يَذُوقُونَ فِيهَا الموتَ إلاَّ الموتَةَ الأُولىٰ** ﴾ [الدخان : ٥٦] وهذا الاستثناء منقطع وإذا ضممته إلى الاستثناء في قوله : ﴿ **إلا مَا شَاءَ رَبُّك** ﴾ تبين لك المراد من الآيتين، واستثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود، كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت، فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية . وذاك مفارقة للجنة تقدم على خلودهم فيها . وبالله التوفيق .

وقد تقدم قول النبي ﷺ : « منْ يَدْخُلِ الجنةَ يَنعمْ لا يبؤسْ، ويخلدْ لا يموت »(١) ، وقوله : « ينادي منادٍ يا أهل الجنة، إنَّ لكُم أنْ تَصِحُّوا فلا تسقموا أبداً ، وأن تشبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبداً ، وأن تحيَوا فلا تموتوا أبداً »(٢) .

وثبت في « الصحيحين » من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٦) في صفة الجنة؛ باب (٨) في دوام نعيم أهل الجنة .
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٧) في صفة الجنة : باب (٨) أيضاً .

قال : « يُجاءُ بالموتِ في صُورةِ كبشٍ أملحَ فيوقفُ بينَ الجنةِ والنارِ ثم يقال : يا أهـلَ الجنة، فيـطلعُونَ مشفقينَ، ويقـالُ : يا أهـلَ النارِ، فيـطلعـونَ فـرحِين، فيقال : هل تعرفون هذا ؛ فيقولون : نعم هذا الموت، فيذبحُ بين الجنة والنار ويقال : يا أهلَ الجنةِ، خلودٌ فلا موتَ، ويا أهلَ النارِ، خلودٌ فلا موتَ »[1] .

فصل

وهذا موضع اختلف فيه المتأخرون على ثلاثة أقوال :

أحدهـا : أن الجنة والنار فانيتان غير أبديتين، بل كما هما حادثتان، فهما فانيتان .

والقول الثاني : إنهما باقيتان، دائمتان لا يفنيان أبداً .

والقول الثالث : إنَّ الجنة باقيـة أبديـة، والنار فـانية، ونحن نـذكر هـذه الأقوال ومن قالها وما احتج به أرباب كلّ قول، ونرد ما خالف كتـاب الله وسنة رسوله .

فأما القول بفنائهمـا، فهو قـول قالـه : جهم بن صفوان إمـام المعطلة الجهمية، وليس له فيه سلف قطُّ من الصحابة، ولا من التابعين، ولا أحـد من أئمة الإسلام، ولا قال به أحد من أهل السنة . وهذا القول مما أنكره عليه وعلى أتباعه أئمة الإسلام وكفـروهم به، وصـاحوا بهم من أقـطار الأرض، كما ذكـر عبدالله بن الإمام أحمد في كتاب « السنـة » عن خارجـة بن مصعب أنه قـال : كفـرت الجهمية بثـلاث آيـات من كتـاب الله عزَّ وجـلَّ : يقـول الله سبحـانـه [وتعالى] ﴿ **أُكُلُها دَائِمٌ وظِلُّها** ﴾ [الرعـد : ٣٥] ، وهم يقولـون لا يدوم ، ويقـول الله تعالى : ﴿ **إنَّ هَـذَا لَرِزْقُنَـا مَالَـهُ مِنْ نَفَـادٍ** ﴾ [ص : ٥٤] ، وهم يقـولون ينفـد، ويقول الله عـز وجل : ﴿ **مَـا عِنْدَكُمْ يَنْفُـدُ ومَا عِنْـدَ اللهِ بـاقٍ** ﴾ [النحل : ٩٦] .

قـال شيـخ الإسـلام: وهـذا قـالـه جهم لأصله الـذي اعتقـده: وهـو

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٣٠) في التفسير : باب (١) ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة ﴾ ، ومسلم (٢٨٤٩) في الجنة : باب (١٣) النار يدخلها الجبّارون، والجنة يدخلها الضعفاء .

امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث، وهو عمدة أهل الكلام التي استدلوا بها على حدوث الأجسام، وحدوث ما لم يحلّ من الحوادث، وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم، فرأي الجهم أن ما يمنع من حوادث لا أول لها في الماضي يمنعه في المستقبل. فدوام الفعل ممتنع عنده على الرّبِّ [تبارك] وتعالى في المستقبل، كما هو ممتنع عليه في الماضي .

وأبو الهذيل العلاف ـ شيخ المعتزلة ـ وافقه على هذا الأصل، لكن قال : إن هذا يقتضي فناء الحركات، لكونها متعاقبة شيئاً بعد شيء . فقال بفناء حركات أهل الجنة والنار، حتى يصيروا في سكون دائم لا يقدر أحد منهم على حركة، وزعمت فرقة ممن وافقتهم على امتناع حوادث لا نهاية لها أن هذا القول مقتضى العقل، لكن لما جاء السمع ببقاء الجنة والنار قلنا بذلك، وكأن هؤلاء لم يعلموا أن ما كان ممتنعاً في العقل لا يجيء الشرع بوقوعه، إذ يستحيل عليه أن يخبر بوجود ما هو ممتنع في العقل، وكأنهم لم يفرقوا بين محالات العقول وجائزاتها، فالسّمع يجيء بالثاني لا بالأول، فالسّمع يجيء بما يعجز العقل عن إدراكه، ولا يستقل به، ولا يجيء بما يعلم العقل إحالته .

والأكثرون الذين وافقوا جهماً وأبا الهذيل على هذا الأصل، فرقوا بين الماضي والمستقبل، وقالوا : الماضي قد دخل في الوجود بخلاف المستقبل، والممتنع إنما هو دخول على ما لا يتناهىٰ في الوجود، لا تقدير دخوله شيئاً بعد شيء . قالوا : وهذا نظير أن يقول القائل : لا أعطيك درهماً إلا وأعطيك بعده درهماً آخر، فهذا ممكن، والأول نظير أن يقول : لا أعطيك درهماً إلا وأعطيك قبله درهماً، فهذا محال، وهؤلاء عندهم وجود ما لا يتناهى في الماضي[محال]، ووجوده في المستقبل واجب، ونازعهم في ذلك آخرون وقالوا : بل الأمر في الماضي كهو في المستقبل، ولا فرق بينهما، بل المضي والاستقبال أمر نسبيٌّ، فكل ما يكون مستقبلاً يصير ماضياً، وكل ماضٍ فقد كان مستقبلاً، فلا يعقل إمكان الدوام في أحد الطرفين، وإحالته في الطرف الآخر .

وقالوا : هذه مسألة دوام فاعلية الربّ تبارك وتعالى، وهو لم يزل رباً قادراً فعالاً، فإنه لم يزل حيّاً [عليماً] قديراً، ومن المحال أن يكون الفعل ممتنعاً

عليه لذاته، ثم ينقلب فيصير ممكناً لذاته من غير تجدد شيء ، وليس للأول حدٌّ محدود، حتى يصير الفعل ممكناً له عند ذلك الحدّ، ويكون قبله ممتنعاً عليه، فهذا القول تصوره كافٍ في الجزم بفساده، ويكفي في فساده أن الوقت الذي انقلب فيه الفعل من الإحالة الذاتية إلى الإمكان الذاتي، إما أن يصح أن يفرض قبله وقت يمكن فيه الفعل أو لا يصح .

فإن قلتم : لا يصحُّ، كان هذا تحكماً غير معقول، وهو من جنس الهوس، وإن قلتم : يصح، قيل : وكذلك ما يفرض قبله لا إلى غاية، فما من زمن محقق أو مقدر إلا والفعل ممكن فيه، وهو صفة كمال وإحسان ومتعلق حمد الرب [تعالى] وربوبيته وملكه وهو لم يزل رباً حميداً مَلِكاً قادراً، لم تتجدد له هذه الأوصاف، كما أنه لم يزل حياً مريداً عليماً . والحياة والعلم والإرادة والقدرة تقتضي آثارها ومتعلقاتها، فكيف يعقل حيّ قدير عليم مريد ليس له مانع ولا قاهر يقهره يستحيل عليه أن يفعل شيئاً البتة ؟

فكيف يجعل هذا أصلاً [من] أصول الدين ويجعل معياراً على ما أخبر الله سبحانه به رسوله، ويفرق به بين جائزات العقول ومحالاتها ؟ فإذا كان هذا شأن الميزان، فكيف يستقيم الموزون به، وأما قول من فرق بأن الماضي قد دخل في الوجود [دون المستقبل، فكلام لا تحقيق وراءه ، فإن الذي يحصره الوجود] من الحركات هو المتناهي، ثم يعدم فيصير ماضياً ، كما كان معدوماً لما كان مستقبلاً . فوجوده بين عدمين، وكلّما انقضت جملة حدثت بعدها جملة أخرى، فالذي صار ماضياً هو بعينه الذي كان مستقبلاً، فإنّ دلّ الدليل على امتناع ما لا يتناهى شيئاً قبل شيء ، فهو بعينه ، دالٌّ على امتناعه شيئاً بعد شيء .

وأما تفريقكم بقولكم : المستقبل نظير قوله : ما أعطيك درهماً إلا وأعطيك بعده درهماً فهذا ممكن . والماضي نظير قوله : ما أعطيك درهماً إلا وأعطيك قبله درهماً ، فهذا الفرق فيه تلبيس لا يخفى، وليس بنظير ما نحن فيه، بل نظيره أن يقول : ما أعطيك درهماً إلا وقد تقدم مني إعطاء درهم قبله. فهذا ممكن الدوام في الماضي على حدٍّ إمكانه في المستقبل، ولا فرق في العقل

الصحيح بينهما البتة، ولما [لم] يجد الجهم وأبو الهذيل وأتباعهما بين الأمرين فرقاً قالوا : بوجوب تناهي الحركات في المستقبل كما يجب ابتداؤها عندهم في الماضي .

وقال أهل الحديث : بل هما سواء في الإمكان والوقوع، ولم يزل الربّ سبحانه [وتعالى] فعالاً لما يريد، ولم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال منعوتاً بنعوت الجلال، وليس المتمكن من الفعل كل وقت كالذي لا يمكنه الفعل إلا في وقت معين ، وليس من يخلق كمن لا يخلق، ومن يحسن كمن لا يحسن، ومن يدبر الأمر كمن لا يدبر، وأي كمال في أن يكون ربّ العالمين معطلاً عن الفعل في مدد مقدرة، أو محققة لا تتناهى، يستحيل منه الفعل، وحقيقة ذلك أنه لا يقدر عليه .

وإن أبيتم هذا الإطلاق وقلتم : إن المحال لا يوصف بكونه غير مقدور عليه، فجمعتم بين محالين : الحكم بإحالة الفعل من غير موجب لإحالته ، وانقلابه من الإحالة الذاتية إلى الإمكان الذاتي من غير تجدد سبب، وزعمتم أن هذا هو الأصل الذي يثبتون به وجود الصانع، وحدوث العالم، وقيامة الأبدان، فجنيتم على العقل والشرع، والربُّ تعالى لم يزل قادراً على الفعل والكلام بمشيئته، ولم يزل فعالاً لما يريد، ولم يزل رباً محسناً .

والمقصود : أن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة، ولا التابعين، ولا أحد من أئمة المسلمين . والذين قالوه إنما تلقوه عن قياس فاسد اشتبه أصله على كثير من الناس، فاعتقدوه حقاً ، وبنوا عليه القول بخلق القرآن، ونفي الصفات، وقد دَلَّ القرآن والسنّة والعقل الصريح على أن كلمات الله وأفعاله لا تتناهى، ولا تنقطع بآخر، ولا تحدُّ بأول قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ لو كانَ البَحْرُ مِدَاداً لكلماتِ رَبِّي لنفدَ البحرُ قبلَ أن تنفدَ كلماتُ ربي ولو جئنا بمثله مدداً** ﴾ [الكهف : ١٠٩] .

وقال تعالى : ﴿ **ولو أنَّ ما في الأرضِ من شجرةٍ أقلامٌ والبحرُ يمدُّه من بعدِهِ سبعةُ أبحرٍ ما نفدتْ كلماتُ الله إنَّ الله عزيز حكيم** ﴾ [لقمان : ٢٧] .

فأخبر عن عدم نفاد كلماته لعزته وحكمته، وهذان وصفان ذاتيان له سبحانه [وتعالى] لا يكون إلا كذلك .

وذكر ابن ابي حاتم في « تفسيره » عن سليمان بن عامر قال : سمعت الربيع بن أنس يقول : إن مثل علم العباد كلهم في علم الله عز وجل كقطرة من هذه [البحور] كلها، وقد أنزل الله سبحانه [وتعالى] في ذلك ﴿ **ولو أنَّ ما في الأرضِ من شجرةٍ أقلامٌ** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **قُلْ لو كانَ البحرُ مِدَاداً لكلمات ربي لنفدَ البحرُ قبلَ أن تنفدَ كلماتُ ربي**﴾ الآية يقول سبحانه [وتعالى] لو كان البحر مداداً لكلمات الله، والشجر كلها أقلامٌ لانكسرت الأقلام، وفني ماء البحر، وكلمات الله تعالى باقية لا يفنيها شيء ، لأن أحداً لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يثنى عليه كما ينبغي، بل هو كما أثنى على نفسه، إن ربنا كما يقول وفوق ما يقول، ثم إن مثل نعيم الدنيا أوله وآخره في نعيم الآخرة كحبة من خردل في خلال الأرض كلّها .

فصل

وأما أبدية النار ودوامها فقال فيها شيخ الإسلام : فيها قولان معروفان عن السلف والخلف، والنزاع في ذلك معروف عند التابعين، قلت ها هنا أقوال سبعة :

أحدها : أن من دخلها لا يخرج منها أبداً ، بل كل من دخلها مخلّد فيها أبد الآباد، وهذا قول الخوارج والمعتزلة .

والثاني : أن أهلها يعذبون فيها مدة، ثم تنقلب عليهم، وتبقى طبيعة نارية لهم، يتلذذون بها لموافقتها لطبيعتهم، وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربي الطائي .

قال في « فصوصه » : الثناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد، والحضرة الإلهية تطلب الثناء المحمود بالذات، فيثنى عليها بصدق الوعد، لا بصدق

الوعيد، بل بالتجاوز ﴿ فلا تحسبنَّ اللهَ مُخلفَ وعدِهِ رسلَهُ ﴾ [إبراهيم : ٤٧] لم يقل : وعيده، بل قال : ﴿ ونتجاوزُ عن سيئاتهمْ ﴾ [الأحقاف : ١٦] ، مع أنه توعد على ذلك، وأثنى على إسماعيل بأنه كان صادق الوعد، وقد زال الإمكان في حقِّ الحقِّ، لما فيه من طلب المرجح :

فلم يبقَ إلا صادقُ الوعدِ وحدَه — وما لوعيدِ الحقِّ عينٌ تعاينُ
وإن دخلوا دارَ الشقاءِ فإنَّهم — على لذَّة فيها نعيمٌ مُباينُ
نعيمُ جنانِ الخُلْدِ والأمرُ واحدٌ — وبينهما عندَ التجلي تباينُ
يُسمى عذاباً من عُذوبةِ طعْمِهِ — وذاكَ له كالقشرِ والقشرُ صاينُ(١)

وهذا في طرف، والمعتزلة الذين يقولون : لا يجوز على الله أن يخلف وعيده، بل يجب عليه تعذيب من توعده بالعذاب في طرف، فأولئك عندهم لا ينجو من النار من دخلها أصلاً، وهذا عنده لا يعذب بها أحدٌ أصلاً. والفريقان مخالفان لما علم بالاضطرار أنَّ الرسول جاء به، وأخبر به عن الله عزَّ وجلَّ .

الثالث : قول من يقول : إن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود، ثم يخرجون منها، ويخلفهم فيها قوم آخرون، وهذا القول حكاه اليهود للنبي ﷺ فأكذبهم فيه، وقد أكذبهم الله تعالى في القرآن فيه :

فقال تعالى : ﴿ وقالوا لنْ تمسَّنا النَّارُ إلا أياماً معدودةً قل أتخذتمْ عندَ الله عَهْداً فلنْ يُخلفَ اللهُ عهدَهُ أمْ تقولونَ على الله ما لا تعلمونَ * بلى من كَسَب سيئةً وأحاطَتْ به خطيئتُهُ فأولئكَ أصحابُ النارِ همْ فيها خَالدونَ ﴾ [البقرة : ٨٠ ـ ٨١] .

وقال تعالى : ﴿ ألم تَرَ إلى الّذينَ أُوتُوا نصيباً من الكتابِ يُدعونَ إلى كتابِ اللهِ ليحكمَ بينهمْ ثم يتولى فريقٌ منهم وهُمْ معرضونَ * ذَلكَ بأنّهمْ قالوا لن تَمَسّنا النارُ إلا أياماً معدوداتٍ وغرَّهُمْ في دينهم ما كانوا يَفترونَ ﴾ [آل عمران : ٢٣ ـ ٢٤] .

---

(١) «فصوص الحكم» ص ٩٣ ـ ٩٤. تعليق: العفيفي.

فهذا القول إنما هو قول أعداء الله اليهود، فهم شيوخ أربابه والقائلين به. وقد دلّ القرآن والسُّنة وإجماع الصّحابة والتابعين، وأئمة الإسلام على فساده.

قال تعالى: ﴿ وما همْ بخارجينَ من النَّـارِ ﴾ [البقرة : ١٦٧] ، وقال: ﴿ ومـا هُمْ منها بمُخْـرجِينَ ﴾ [الحجـر : ٤٨] ، وقـال : ﴿ كلّمـا أرادوا أن يخرجوا منها من غَمٍّ أعيدُوا فيها ﴾ [الحج : ٢٢] .

وقـال تعالى ﴿ لا يُقضى عَلَيْهِمْ فيمـوتُوا ولا يُخَفَّفُ عنهم من عـذابها ﴾ [فاطر : ٣٦] ، وقال تعالى : ﴿ ولا يدخلونَ الجنةَ حتى يَلجَ الجملُ في سَمِّ الخياطِ ﴾[1] [الأعراف: ٤٠].

وهذا أبلغ ما يكون في الإخبار عن استحالة دخولهم الجنة .

الرابع : قول من يقول : يخرجون منها وتبقى ناراً على حالها ليس فيهـا أحد يعذب، حكاه شيخ الإسلام، والقرآن والسُّنة أيضاً يـردان هذا القـول كما تقدم .

الخـامس : قول من يقـول : بل تفنى بنفسهـا، لأنها حـادثة بعـد أن لم تكن : ومـا ثبت حدوثـه استحال بقـاؤه وأبديتـه . وهذا قـول جهم بن صفوان وشيعته، ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار .

السادس : قول من يقول : تفنى حياتُهم وحركاتُهم ويصيرون جماداً ، لا يتحركون ولا يحسون بألم . وهذا قول أبي الهذيل العلاف إمام المعتزلة، طرداً لامتناع حوادث لا نهاية لها. والجنة والنار عنده سواء في هذا الحكم .

السابع : قول من يقول : بل يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالى، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه ثم تفنى ويزول عذابها .

قال شيخ الإسلام : وقد نقل هذا القـول عن عمر، وابن مسعـود، وأبي هريرة، وأبي سعيد وغيرهم. وقد روى عبد بن حميد ـ وهو من أجل علماء

---

(١) يلج : يدخل. سم الخياط : ثقب الإبرة .

الحديث - في «تفسيره» المشهور: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن الحسن قال: قال عمر: لو لبثَ أهل النار [في النار] كقدْرِ رَمْل عَالجٍ (١)، لكان لهم يوم يخرجون فيه .

وقال : حدثنا حجاج بن منهال، عن حماد بن سلمة، عن [حميد]، عن الحسن أن عمر بن الخطاب قال : لو لبثَ أهلُ النَّارِ في النار عدَدَ رمْل عالج(١) لكان لهم يوم يخرجون فيه. ذكر ذلك في تفسير قوله [تعالى] : ﴿ لابثينَ فيها أحقاباً ﴾(٢) [النبأ: ٢٣]. فقد رواه عبد، وهو من الأئمة الحفاظ، وعلماء السنة عن هذين الجليلين : سليمان بن حرب، وحجاج بن منهال كلاهما عن حماد بن سلمة، وحسبك به، وحماد يرويه عن ثابت وحميد، وكلاهما [يرويه] عن الحسن. وحسبك بهذا الإسناد جلالة .

والحسن وإن لم يسمع من عمر، فإنما رواه عن بعض التابعين، ولو لم يصح عنده ذلك عن عمر لما رواه وجزم به، وقال : قال عمر بن الخطاب : ولو قدر أنه لم يحفظ عن عمر، فتداول هؤلاء الأئمة له غير مقابلين له بالإنكار والرّد، مع أنهم ينكرون على من خالف السنة بدون هذا، فلو كان هذا القول عند هؤلاء الأئمة من البدع المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأئمة، لكانوا أول منكر له .

قال : ولا ريب أن من قال هذا القول عن عمر، ونقله عنه إنما أراد بذلك جنس أهل النار الذين هم أهلها، فأما قوم أصيبوا بذنوبهم، فقد علم هؤلاء وغيرهم أنهم يخرجون منها، وأنهم لا يلبثون قدر رمل عالج، ولا قريباً منه .

ولفظ أهل النار لا يختص بالموحدين ، بل هو مختص بمن عداهم، كما قال [النبي] ﷺ : « أمَّا أهلُ النارِ الذينَ هم أهلُها، فإنهم لا يَموتون فيها ولا

---

(١) عالج : موضع في البادية كثير الرمل. على طريق مكة.
(٢) قوله تعالى ﴿ لابثين فيها أحقاباً ﴾ ، ماكثين فيها دهوراً لا نهاية لها . والأحقاب : جمع حُقْب، والحِقَبُ : جمع حِقْبَة . والحُقْبُ : ثمانون سنة ، أو أكثر.

يَحيونَ»(١) ولا يناقض هذا قوله تعالى : ﴿ خالدينَ فيها ﴾ وقوله : ﴿ وما هُمْ منها بمخرجينَ ﴾ [الحجر : ٤٨] .

بل ما أخبر الله به هو الحق والصدق الذي لا يقع خلافه، لكن إذا انقضى أجلها وفنيت كما تفنى الدنيا لم تبق ناراً ولم يبق فيها عذاب. قال أرباب هذا القول :

في « تفسير » علي بن أبي طلحة الوالبي، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ قالَ النَّارُ مثواكم خالدينَ فيها إلا ما شاءَ اللَّهُ إنَّ ربّكَ حكيمٌ عليمٌ ﴾ [الأنعام : ١٢٨] . قال : لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه، ولا ينزلهم جنة ولا ناراً .

قالوا : وهذا الوعيد في هذه الآية ليس مختصاً بأهل القبلة، فإنه سبحانه قال : ﴿ ويومَ يحشرُهُم جميعاً يا معشرَ الجنِّ قد استكْثَرْتُم من الإنسِ وقال أولياؤُهم من الإنسِ ربَّنَا استمتعَ بعضُنا ببعضٍ وبلغنا أجلَنا الَّذي أجّلْتَ لنا قال النارُ مثواكمْ خالدينَ فيها إلا ما شاءَ اللهُ إنَّ ربَّك حكيمٌ عليم . وكذلك نُولِّي بعضَ الظالمينَ بعضاً بما كانوا يكسبون ﴾ [الأنعام : ١٢٨ - ١٢٩] .

وأولياء الجنِّ من الإنسِ يدخل فيه الكفار قطعاً، فإنهم أَحَقُّ بموالاتهم من عصاة المسلمين، كما قال تعالى : ﴿ إنا جعلنا الشياطينَ أولياءَ للذينَ لا يُؤمنونَ ﴾ [الأعراف : ٢٧] .

وقال تعالى : ﴿ إنَّه ليس لهُ سلطانٌ على الذينَ آمنوا وعلى ربِّهم يتوكلونَ . إنما سلطانُه على الذينَ يتولَّونَهُ والذينَ هم به مشركونَ ﴾ [النحل : ٩٩ - ١٠٠] .

وقال تعالى : ﴿ إنَّ الذينَ اتّقَوا إذا مسَّهم طائفٌ من الشيطانِ تذكروا فإذا هم مُبصرونَ وإخوانُهم يَمُدونهمْ في الغَيِّ ثم لا يُقْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٠١] .

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥) في الإيمان : باب (٨٢) إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، وأحمد ٣/٥ و١١ .

وقال تعالى : ﴿ أفتتخـذونَهُ وذريَّتَـه أولياءَ من دوني وهُم لَكُم عَـدُوٌّ ﴾ [الكهف : ٥٠] .

وقال تعالى : ﴿ فقاتلوا أولياءَ الشيطانِ ﴾ [النساء : ٧٦] .

وقـال تعالى : ﴿ أولئـكَ حـزبُ الشيـطانِ [أَلَا إنَّ حـزبَ الشَّيـطانِ هُمُ الخاسِرُونَ] ﴾ [المجادلة : ١٩] .

وقـال تعالى : ﴿ وإنَّ الشيـاطينَ ليُوحـونَ إلى أوليائهم ليجـادلوكم وإنْ أطعمتوهمْ إنكم لمشركونَ ﴾ [الأنعام : ١٢١] . فالاستثناء وقع في الآية التي أخبرت عن دخول أولياء الشياطين النار .

فمن ها هنا قال ابن عباس إنه لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه قالوا : وقول من قال إن « إلا » بمعنى سوى، أي: سوى ما شاء الله أن يزيدهم من أنواع العذاب وزمنه، لا تخفى منافرته للمستثنى والمستثنى منـه، وإن الذي يفهمه المخاطب: مخالفة ما بعد « إلا » لما قبلها .

قالوا : وقول من قال : إنه لإخراج ما قبل دخولهم إليها من الزمان، كزمان البرزخ والموقف، ومدة الدنيا أيضاً ، لا يساعد عليه وجه الكلام، فإنه استثناء من جملة خبرية مضمونها : أنهم إذا دخلوا النار لبثوا فيهـا مدة دوام السماوات والأرض إلا ما شاء الله .

وليس المراد الاستثناء قبل الدخول، هذا ما لا يفهمه المخاطب، ألا ترى أنه سبحانه يخاطبهم بهذا في النار حين يقولون : ﴿ ربَّنا استمتعَ بعضُنا ببعضٍ وبلَغْنا أجلنَا الَّذي أجلتَ لنا ﴾ فيقول لهم حينئذ : ﴿ النارُ مثواكم خالدينَ فيها إلا ما شاءَ اللهُ ﴾ [الأنعام : ١٢٨] .

وفي قولهم : ﴿ ربَّنا استمتعَ بعضُنا ببعضٍ وبلغنا أجلنَا الذي أجلتَ لنا ﴾ نوع اعتراف واستسلام وتجسر، أي استمتع الجن بنا، واستمتعنا بهم، فاشتركنا في الشرك ودواعيه وأسبـابه، وآثـرنا الاستمتـاع على طاعتـك وطاعـة رسلك، وانقضت آجالنا ، وذهبت أعمارنا في ذلك، ولم نكسب فيها رضاك . وإنما كان غاية أمرنا في مدة آجالنا استمتاع بعضنا ببعض .

فتأمل ما في هذا من الاعترا ف بحقيقة ما هم عليه، وكيف بدت لهم تلك الحقيقة ذلك اليوم، وعلموا أن الذي كانوا فيه في مدة آجالهم، هو حظّهم من استمتاع بعضهم ببعض، ولم يستمتعوا بعبادة ربِّهم، ومعرفته وتوحيده، ومحبته وإيثار مرضاته .

وهذا من نمط قولهم :﴿ لو كنَّا نسمعُ أو نعقلُ ما كنَّا فيأصحابِ السعير . فاعترفوا بذنبهم ﴾ [الملك : ١٠ - ١١] وقوله : ﴿ فعلموا أن الحقَّ للهِ ﴾ [القصص : ٧٥] ، ونظائره. والمقصود أن قوله ﴿ إلا ما شاءَ اللهُ ﴾ عائد إلى هؤلاء المذكورين مختصاً بهم، أو شاملاً لهم ولعصاة الموحدين، وأما اختصاصه بعصاة المسلمين دون هؤلاء فلا وجه له .

ولما رأت طائفة ضعف هذا القول، قالوا : الاستثناء يرجع إلى مدة البرزخ والموقف. وقد تبين ضعف هذا القول، ورأت طائفة أخرى أن الاستثناء يرجع إلى نوع آخر من العذاب غير النار .

قالوا : والمعنى : أنكم في النار أبداً إلا ما شاء الله أن يعذبكم بغيرها، وهو الزمهرير . وقد قال تعالى : ﴿ إنَّ جهنم كانتْ مِرصَاداً. للطاغينَ مآباً . لابثينَ فيها أحقاباً ﴾ [النبأ : ٢١ - ٢٣] .

قالوا :والأبد:لا يقدر بالأحقاب .

وقد قال ابن مسعود في هذه الآية : ليأتين على جهنّم زمان ليس فيها أحد، وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً، وعن أبي هريرة مثله، حكاه البغوي عنهما. ثم قال : ومعناه عند أهل السنة إن ثبت : أنه لا يبقى فيها أحد من أهل الإيمان .

قالوا : قد ثبت ذلك عن أبي هريرة وابن مسعود وعبدالله بن عمرو، وقد سأل حرب إسحاق بن راهويه عن هذه الآية ، فقال : سألت إسحاق قلت : قول الله تعالى : ﴿ خالدينَ فيها ما دامتِ السموٰاتُ والأرضُ إلا ما شاءَ ربُّك ﴾ [هود : ١٠٧] فقال : أتت هذه الآية على كل وعيد في القرآن .

حدثنا عبيدالله بن معاذ، حدثنا معتمر بن سليمان قال : قال أبيٌّ : حدثنا أبو نضرة، عن جابر، أو أبي سعيد، أو بعض أصحاب النبي ﷺ قال : أتت هذه الآيـة على كل وعيـد في القرآن كله : ﴿ **إلا مـا شاءَ ربُّـك إنَّ ربَّك فعـالٌ لما يريدُ** ﴾ [هود : ١٠٧] .

قال المعتمر:قال:أتى [على] كل وعيد في القرآن. حدثناعبيدالله بن معاذ، حدثنا أبيٌّ ، حدثنا شعبة، عن أبي بلخ سمع عمرو بن ميمون يحدث عن عبدالله ابن عمرو، قال : ليأتين على جهنم يوم تصطفق فيه أبـوابها، ليس فيهـا أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً.

حدثنا عبيدالله ، حدثنا أبيٌّ ،حدثنا شعبة،عن يحيى بن أيوب،عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، قال : ما أنا بالذي لا أقول إنه سيأتي على جهنّم يوم لا يبقى فيها أحد،وقرأ: ﴿ **فأمـا الذينَ شَقُـوا ففي النّار لَهُمْ فيهـا زفيرٌ وشهيقٌ** ﴾ [هود : ١٠٦] .

قال عبيدالله : كان أصحابنا يقولـون : يعني به المـوحدين. حـدثنا أبـو معن، حـدثنا وهب بن جـرير، حـدثنا شعبـة، عن سليمان [التيمي]،عن أبي نضرة، عن جابر بن عبدالله ، أو بعض أصحابه في قوله : ﴿ **خـالدينَ فيهـا ما دامتِ السَّمٰواتُ والأرضُ إلا ما شاء ربُّك** ﴾ [هـود : ١٠٧] . قال هـذه الآية [تأتي] على القرآن كلّه. وقد حكى ابن جرير(١) هذا القول في « تفسيره » عن جماعة من السلف، فقـال : وقال آخـرون : عنىٰ بذلـك أهل النـار، وكلّ من دخلها. ذكر من قال ذلك، ثم ذكر الآثار التي نذكرها .

وقال عبد الرزاق : حدثنا ابن التيمي ، عن أبيه، عن أبي نضرة، عن جابر أو أبي سعيد، أو عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ في قوله : ﴿ **إلا ما شاء ربُّك إنَّ ربَّكَ فَعَّالٌ لما يُريدُ** ﴾ قال : هذه الآية تأتي على القـرآن كله ، يقول حيث كان في القرآن خالدين فيها تأتي عليه . قال : وسمعت أبا مجلز يقول : جزاؤه جهنم، فإن شاء الله عز وجل تجاوز عن عذابه.

---

(١) ابن جرير ١١٨/١٢ .

وقال ابن جرير : حدثنا الحسن بن يحيى، أخبرنا عبد الرزاق، فذكره. قال : وحدثت عن المسيب عمن ذكره عن ابن عباس : ﴿ **خالدينَ فيها ما دامتِ السموٰات والأرضُ إلا ما شاء ربُّك** ﴾ قال : لا يموتون وما هم منها بمخرجين، ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك. قال : استثنى الله ، قال : أمر [الله] النار أن تأكلهم . قال : وقال ابن مسعود : ليأتينَّ على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد بعدما يلبثون فيها أحقاباً . حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن بيان، عن الشعبي، قال : جهنم أسرع الدارين عمراناً ، وأسرعهما خراباً .

وحكى ابن جرير في ذلك قولاً آخر، فقال : وقال آخرون : أخبرنا الله سبحانه بمشيئته لأهل الجنة، فعرفنا معنى ثنياه بقوله : ﴿ **عطاءً غيرَ مجذُوذٍ** ﴾ أنها في الزيادةِ على مقدار مدة السماوات والأرض، قالوا : ولم يخبرنا بمشيئته في أهل النار، وجائز أن تكون مشيئته في الزيادة، وجائز أن تكون في النقصان . حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله تعالى : ﴿ **خالدينَ فيها ما دامتِ السَّموٰاتُ والأرضُ إلا ما شاءَ ربُّكَ** ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿ **عطاءً غيرَ مجذوذٍ** ﴾ [فقال أخبرنا بالذي يشاء لأهل الجنة فقال : ﴿ **عَطاءً غيرَ مجذوذٍ** ﴾] ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار .

وقال ابن مردويه في « تفسيره » : حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا خير بن عرفة، حدثنا يزيد بن مروان الخلال، حدثنا أبو خليد، حدثنا سفيان يعني الثوري، عن عمرو بن دينار، عن جابر قال : قرأ رسول الله ﷺ ﴿ **فأما الذين شَقُوا ففي النار لهم فيها زفيرٌ وشهيقٌ * خالدينَ فيها ما دامتِ السماواتُ والأرضُ إلا ما شاءَ ربك** ﴾ [هود : ١٠٦ - ١٠٧] . قال رسول الله ﷺ : « إنْ شاءَ اللهُ أن يخرجَ ناساً من الذينَ شقُوا من النارِ فيدخلهم الجنةَ فعل »(١) . وهذا الحديث يدل على أن الاستثناء إنما هو للخروج من النار بعد دخولها خلافاً لمن زعم : أنه لما قبل الدخول، ولكن إنما يدل على إخراج بعضهم من النار، وهذا حق بلا

(١) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ٣/٣٥٠ ، وعزاه إلى ابن مردويه .

ريب، وهو لا ينفي انقطاعها وفناء عذابها، وأكلها لمن فيها، فإنهم يعذبون فيها دائماً ما دامت كذلك، وما هم منها بمخرجين ، فالحديث دلَّ على أمرين :

أحدهما : أن بعض الأشقياء إنْ شاء الله أن يخرجهم من النار وهي نار فعل، وأن الاستثناء إنما هو فيما بعد دخولها، لا فيما قبله، وعلى هذا، فيكون معنى الاستثناء إلا ما شاء ربك من الأشقياء، فإنهم لا يخلدون فيها ، ويكون الأشقياء نوعين .

نوعاً يخرجون منها، ونوعاً يخلدون فيها، فيكونون من الذين شقوا أولاً، ثم يصيرون من الذين سعدوا، فتجتمع لهم الشقاوة والسعادة في وقتين ، قالوا : وقد قال تعالى : ﴿ **إنَّ جهنَم كانتْ مِرْصَاداً . للطاغينَ مآباً . لابثينَ فيها أحقاباً . لا يذوقونَ فيها برداً ولا شراباً . إلا حميماً وغساقاً. جزاءً وفاقاً . إنَّهم كانوا لا يَرجونَ حساباً . وكذَّبوا بآياتنا كِذَّاباً** ﴾ [النبأ : ٢١ ـ ٢٨] فهذا صريح في وعيد الكفار المكذبين بآياته، ولا يقدر الأبدي بمدةٍ ـ لا أحقاب ولا غيرها ـ كما لا يقدر به القديم، ولهذا قال عبد الله بن عمرو: فيما رواه شعبة، عن أبي بلج ، سمع عمرو بن ميمون يحدث عنه: ليأتينَّ على جهنَّم يومٌ تصفقُ فيه أبوابُها ليس فيها أحدٌ، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً.

فصل

والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق:

أحدها: اعتقاد الإجماع ، فكثير من الناس يعتقد أن هذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين لا يختلفون فيه ، وأن الاختلاف فيه حادث، وهو من أقوال أهل البدع.

الطريق الثاني : أن القرآن دل على ذلك دلالة قطعية، فإنه سبحانه وتعالى أخبر أنه عذاب مقيم، وأنه لا يفتّر عنهم، وأنه لن يزيدهم إلا عذاباً، وأنهم خالدين فيها أبداً، وما هم بخارجين من النار، وما هُم منها بمخرجينَ، وأن الله حرَّم الجنة على الكافرين، وأنهم لا يدخلون الجنة حتى يلجَ الجملُ في سَمِّ الخياطِ، وأنَّهم لا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يخفف عنهم من

عذابها، وأن عذابها كان غراماً، أي: مقيماً لازماً. قالوا: وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره.

الطريق الثالث: [أن] السنة المستفيضة أخبرت بخروج من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان دون الكفار، وأحاديث الشفاعة من أولها إلى آخرها صريحة بخروج عصاةِ الموحدينَ من النار، وأن هذا حكم مختصٌ بهم، فلو خرج الكُفار منها لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان.

الطريق الرابع: أن الرسول وقفنا على ذلك [و]علمناه من دينه بالضرورة من غير حاجةٍ بنا إلى نقل معين، كما علمنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها.

الطريق الخامس: أن عقائد السلف وأهل السنة مصرحةٌ بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما لا تفنيان، بل هما دائمتان، وإنما يذكرون فناءهما عن أهل البدعِ.

الطريق السادس: أن العقل يقضي بخلود الكفار في النار، وهذا مبني على قاعدة وهي: أن المعاد وثواب النفوس المطيعة، وعقوبة النفوس الفاجرة هل هو مما يعلم بالعقل، أو لا يعلم إلا بالسمع؟ فيه طريقان لنظّار المسلمين، وكثير منهم يذهب إلى أن ذلك يعلم بالعقل مع السمع، كما دلّ عليه القرآن في غير موضع، كإنكاره [سبحانه] على من زعم أنه يسوّي بين الأبرار والفجار، في المحيا والممات، وعلى من زعم أنه خلق خلقه عبثاً، وأنهم إليه لا يرجعون، وأنه يتركهم سدى، أي: لا يثيبهم ولا يعاقبهم، وأن ذلك يقدحُ في حكمته وكماله، وأنه نسبه إلى ما لا يليق به، وربما قرروه بأن النفوس البشرية باقية، واعتقاداتها وإراداتها صفة لازمة لها لا تفارقها وإن ندمت عليها، لما رأت العذاب، فلم تندم عليها لقبحها وكراهة ربّها لها، بل لو فارقها العذاب رجعت كما كانت أولاً. قال تعالى: ﴿ولو تَرى إذْ وُقِفُوا على النَّار فقالوا يا ليتنا نُردُّ ولا نكذبَ بآياتِ رَبّنَا ونكونَ من المؤمنين. بلْ بدا لهم ما كانوا يُخفونَ من قبلُ ولو ردُّوا لعادُوا لما نُهوا عنه وإنَّهم لكَاذِبونَ﴾ [الأنعام: ٢٧ ـ ٢٨].

فهؤلاء قد ذاقوا العذابَ، وباشروه، ولم يزل سببه ومقتضيه من نفوسهم، بل خبثها وكفرها قائم بها، لم يفارقها بحيث لو ردُّوا لعادوا كفاراً كما كانوا، وهذا يدل على أن دوام تعذيبهم يقضي به العقل، كما جاء به السّمع.

قال أصحاب الفناء، بالكلام على هذه الطرق: نبيّن الصواب في هذه المسألة.

فأما الطريق الأول: فالإجماع الذي ادعيتموه غير معلوم، وإنما يظنّ الإجماعَ في هذه المسألة من لم يعرف النزاع ـ وقد عرف النزاع فيها قديماً وحديثاً ـ بل لو كلّف مدعي الإجماع أن ينقل عن عشرة من الصحابة فما دونهم إلى الواحد أنه قال: إن النار لا تفنى أبداً، لم يجد إلى ذلك سبيلاً.

ونحن قد نقلنا عنهم التصريح بخلاف ذلك فأوجدوا لنا عن واحد منهم خلاف ذلك، بل التابعون حُكي عنهم هذا وهذا، قالوا: والإجماع المعتد به نوعان متفق عليهما، ونوع ثالث مختلف فيه، ولم يوجد واحد منها في هذه المسألة.

النوع الأول: ما يكون معلوماً من ضرورة الدين: كوجوب أركان الإسلام، وتحريم المحرمات الظاهرة.

الثاني: ما ينقل عن أهل الاجتهاد التصريح بحكمه.

الثالث: أن يقول بعضهم القول، وينتشر في الأمة، ولا ينكره أحد، فأين معكم واحد من هذه الأنواع، ولو [أن] قائلاً ادعى الإجماع من هذه الطرق واحتج بأن الصحابة صحّ عنهم ذلك ولم ينكر أحد منهم عليه؛ لكان أسعد بالإجماع منكم.

قالوا: وأما الطريق الثاني: وهو دلالة القرآن على بقاء النار وعدم فنائها، فأين في القرآن دليل واحد يدل على ذلك؟ نعم، الذي دلّ عليه القرآن أن الكفار خالدين في النار أبداً، وأنهم غير خارجين منها، وأنهم لا يفتَّر عنهم عذابها، وأنهم لا يموتون فيها، وأن عذابهم فيها مقيم، وأنه غرام لازم لهم، وهذا كلّه مما لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين،

وليس هذا مورد النزاع، وإنما النزاع في أمر آخر، وهو: أنه هل النار أبدية أو مما كتب عليها الفناء؟ وأما كون الكفار لا يخرجون منها، ولا يفترُّ عنهم من عذابها، ولا يقضي عليهم فيموتوا، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سَمِّ الخياطِ، فلم يختلف في ذلك الصحابة ولا التابعون، ولا أهل السنة، وإنما خالف في ذلك، من قد حكينا أقوالهم من اليهود والاتحادية، وبعض أهل البدع. وهذه النصوص وأمثالها تقتضي خلودهم في دار العذاب ما دامت باقية، ولا يخرجون منها مع بقائها البتة، كما يخرج أهل التوحيد منها مع بقائها. فالفرق بين من يخرج من الحبس - وهو حبس على حاله - وبين من يبطل حبسه بخرابِ الحبس وانتقاضه.

قالوا: وأما الطريق الثالث: وهو مجيءُ السنةِ المستفيضةِ بخروج أهل الكبائر من النار دون أهل الشرك، فهي حقٌّ لا شك فيه، وهي إنما تدل على ما قلناه من خروج الموحدين منها، وهي دار عذاب لم تفن، ويبقى المشركون فيها ما دامت باقية، والنصوص دلت على هذا [وعلى هذا].

قالوا: وأما الطريق الرابع: وهو أن رسول الله ﷺ وقفنا على ذلك ضرورة، فلا ريب أنه من المعلوم من دينه بالضرورة، أن الكفار باقون فيها ما دامت باقية، هذا معلوم من دينه بالضرورة، وأما كونها أبدية لا انتهاء لها ولا تفنى كالجنة، فأين في القرآن والسنة دليل واحد يدلُّ على ذلك؟

قالوا: وأما الطريق الخامس: وهو أن في عقائد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً. فلا ريب أن القول بفنائهما قول أهل البدع من الجهمية والمعتزلة. وهذا القول لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أحد من أئمة المسلمين، وأما فناء النار وحدها فقد أوجدنا لكم من قال به من الصحابة، وتفريقهم بين الجنة والنار، فكيف يكون القول به من أقوال أهل البدع، مع أنه لا يعرف عن أحد من أهل البدع التفريق بين الدارين، فقولكم: إنه من أقوال أهل البدع كلام من لا خبرة له بمقالاتِ بني آدم، وآرائهم واختلافهم.

قالوا: والقول الذي يُعدُّ من أقوال أهل البدع، ما خالف كتاب الله، أو

سنة رسوله، أو إجماع الأمة، إما الصحابة أو من بعدهم، وإما قول يوافق الكتاب والسنة وأقوال الصحابة، فلا يعد من أقوال أهل البدع وإن دانوا به واعتقدوه، فالحق يجب قبوله ممن قاله، والباطل يجب ردّه على من قاله، وكان معاذ بن جبل [يقول] اللَّهُ حكم قِسْط، هلك المرتابونَ، إنّ من ورائكم فتناً يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن حتى يقرؤه المؤمن والمنافق، والمرأة والصبي، والأسود والأحمر، فيوشك أحدكم أن يقول: قرأت القرآن، فما أظنّ أن يتبعوني حتى أبتدع لهم غيره، فإنّ كلّ بدعةٍ ضلالة، وإيّاكم وزيغة الحكيم فإنّ الشيطانَ قد يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضّلالةِ، وإن المنافق قد يقول: كلمة الحقِ فتلقوا الحقّ عمن جاء به، فإنّ على الحقِّ نوراً، قالوا: وكيف زيغة الحكيم؟ قال: هي الكلمة تروعكم وتنكرونها، وتقولون: ما هذه؟ فاحذروا زيغته، ولا يُصدّنكم عنه، فإنه يوشك أن يفيء، وأن يراجع الحقّ، وإن العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة.

فالذي أخبر به أهل السنة في عقائدهم، هو الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة، وأجمع عليه السلف: أن الجنة والنار مخلوقتان، وأن أهل النار لا يخرجون منها، ولا يخفف عنهم عذابها، ولا يفتَّر عنهم، وأنهم خالدون فيها، ومن ذكر منهم أن النار لا تفنى أبداً، فإنما قاله لظنّهِ أن بعض أهل البدع قال بفنائها، ولم يبلغه تلك الآثار التي تقدم ذكرها [قالوا]: وأما حكم العقل بتخليد أهل النار فيها، فإخبار عن العقل بما ليس عنده، فإن المسألة من المسائل التي لا تعلم إلا بخبر الصادق.

وأما أصل الثواب والعقاب: فهل يعلم بالعقل مع السّمع، أو لا يعلم إلا بالسمع وحده ففيه قولان لنظّار المسلمين من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم، والصحيح أن العقل دلَّ على المعاد والثواب والعقاب إجمالاً، وإما تفصيلاً فلا يعلم إلا بالسمع، ودوام الثواب والعقاب مما لا يدلّ عليه العقل بمجرده، وإنما علم بالسمع، وقد دلَّ السمع دلالة قطعية على دوام ثواب المطيعين، وأما عقاب العصاة فقد دلَّ السمع أيضاً دلالة قاطعة على انقطاعه في حقِّ الموحدين، وأما دوامه وانقطاعه في حقِّ الكفار، فهذا معترك النزالِ، فمن كان السمع من جانبه فهو أسعد بالصواب. وبالله التوفيق.

فصل

ونحن نذكر الفرق بين دوامِ الجنة والنارِ شرعاً وعقلاً وذلك يظهر من وجوه:

أحدها: أن الله سبحانه وتعالى أخبر ببقاء نعيم أهل الجنة ودوامه، وأنه لا نفاد له ولا انقطاع، وأنه غير مجذوذٍ، وأما النار فلم يخبر عنها بأكثر من خلود أهلها فيها، وعدم خروجهم منها، وأنهم لايموتون فيها ولا يحيون، وأنها مُؤْصدةٌ عليهم، وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، وأن عذابها لازم لهم، وأنه مقيم عليهم لا يفتر عنهم، والفرق بين الخبرينِ ظاهر.

الوجه الثاني: أن النار قد أخبر سبحانه [وتعالى] في ثلاث آيات عنها مما يدل على عدم أبديتها. الأولى: قوله سبحانه وتعالى: **﴿قال النارُ مَثْوَاكُم خالِدينَ فيها إلا ما شاء الله [إنَّ ربَّك حكيم عليم]﴾** [الأنعام: ١٢٨].

الثانية: قوله: **﴿خالدينَ فيها ما دامتِ السَّماواتُ والأرض إلا ما شاء ربُّك [إن ربَّك فَعَّالٌ لما يريد]﴾** [هود: ١٠٧].

الثالثة: قوله: **﴿لابثين فيها أحقاباً﴾** [النبأ: ٢٣]. ولولا الأدلة القطعية الدالةُ على أبدية الجنة ودوامها لكان حكم الاستثناءين في الموضعين واحداً، كيف وفي الآيتين من السياق ما يفرق بين الاستثناءين، فإنه قال في أهل النار: **﴿إنَّ ربَّك فَعَّالٌ لما يريد﴾**، فعلمنا أنه سبحانه [وتعالى] يريد أن يفعل فعلاً لم يخبرنا به، وقال في أهل الجنة: **﴿عَطاءً غيرَ مجذوذٍ﴾** [هود: ١٠٨] فعلمنا أن هذا العطاء والنعيم غير مقطوع عنهم أبداً. فالعذاب مؤقت معلق، والنعيم ليس بمؤقت ولا معلق.

الوجه الثالث: أنه قد ثبت أن الجنة يدخلها من لم يعمل خيراً قطُّ من المعذبين الذين يخرجهم الله من النار، وأما النَّار فلا يدخلها من لم يعمل سوءاً قطّ، ولا يعذب بها إلا من عصاه.

الوجه الرابع: أنه قد ثبت أنَّ الله سبحانه [وتعالى] ينشىءُ للجنة خلقاً آخر يوم القيامة يسكنهم إيَّاها، ولا يفعل ذلك بالنار، وأما الحديث الذي ورد في «صحيح» البخاري في قوله: «وأمَّا النار فينشىء الله لها خلقاً آخرين»[1] فغلط وقع من بعض الرواة انقلب عليه الحديث، وإنما هو ما ساقه البخاري في الباب نفسه. «وأما الجنة فينشىء الله لها خلقاً آخرين»[2]وذكره البخاري رحمه الله مبيناً أن الحديث انقلب لفظه على من رواه بخلاف هذا، فذكر هذا وهذا، والمقصود أنه لا تقاس النار بالجنة في التأبيد مع هذه الفروق. يوضحه:

الوجه الخامس: أنَّ الجنة من موجب رحمته ورضاه، والنارُ من غضبه وسخطه، ورحمته سبحانه تغلب غضبه وتسبقه، كما في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. عنه ﷺ أنه قال: «لما قضى الله الخلقَ كتبَ في كتابٍ فهو عندَه موضوعٌ على العرشِ أنَّ رحمتي تغلبُ غضبي»[3]، وإذا كان رضاه قد سبق غضبه، وهو يغلبه كان التسوية بين ما هو من موجب رضاه، وما هو من موجب غضبه ممتنعاً يوضحه:

الوجه السادس: أن ما كان بالرحمة وللرَّحمة، فهو مقصود لذاته قصد الغايات، وما كان من موجب الغضب والسخَطِ، فهو مقصود لغيره قصد الوسائل، فهو مسبوق ومغلوب مراد لغيره، وما كان بالرحمة فغالب سابق مراد لنفسه يوضحه:

الوجه السابع: وهو أنه سبحانه قال: للجنة: «أنت رحمتي أرحم

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٤٩) في التوحيد: باب (٢٥) ما جاء في قول الله تعالى ﴿ إن رحمة الله قريبٌ من المحسنين ﴾.

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٨٤) في التوحيد: باب (٧) قول الله ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾، ومسلم (٣٨) في الإيمان.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٢١) في التوحيد: باب (٢٢) وكان عرشه على الماء، و(٣١٩٤) في بدء الخلق: باب (٥٩)، ومسلم (٢٧٥١) في التوبة: باب (٤) في سعة رحمة الله.

بك من أشاء» وقال للنار: «أنت عذابي أعذب بك من أشاء»[1] وعذابه مفعول منفصل، وهو ناشىء عن غضبه، ورحمته ها هنا هي الجنة، وهي رحمة مخلوقة ناشئة عن الرحمة التي هي صفة الرحمن فها هنا أربعة أمور رحمة هي وصفه سبحانه، وثواب منفصل هو ناشىء عن رحمته، وغضب يقوم به سبحانه، وعقاب منفصل ينشأ عنه، فإذا غلبت صفة الرحمة[2] صفة الغضب، فلأن يغلب ما كان بالرحمة لما كان بالغضب أولى وأحرى، فلا تقاوم النار التي نشأت عن الغضب الجنة التي نشأت عن الرحمة يوضحه:

الوجه الثامن: أن النار خلقت تخويفاً للمؤمنين، وتطهيراً للخاطئين والمجرمين، فهي طهرة من الخبث الذي اكتسبته النفس في هذا العالم، فإن تطهرت [ها هنا] بالتوبة النصوح، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة لم تحتج إلى تطهير هناك، وقيل لها مع جملة الطّيبين: ﴿سلامٌ عليكمْ طِبتمْ فادخلوها خالدينَ﴾ [الزمر: ٧٣]. وإن لم تتطهر في هذه الدار، ووافقت الدار الأخرى بدرنها ونجاستها وخبثها أدخلت النار طهرة لها، ويكون مكثها في النار بحسب زوال ذلك الدرن والخبث والنجاسة التي لا يغسلها الماء، فإذا تطهرت الطّهر التام أخرجت من النار، والله سبحانه خلق عباده حنفاء، وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، فلو خلوا وفطرهم لما نشؤوا إلا على التوحيد، ولكن عرض لأكثر الفطر ما غيرها، ولهذا كان نصيب النار أكثر من نصيب الجنة، وكان هذا التغيير مراتب لا يحصيها إلا الله، فأرسل الله رسوله، وأنزل كتبه يذكر عباده بفطرته التي فطرهم عليها، فعرف الموفقون الذين سبقت لهم من الله الحسنى صحة ما جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب بالفطرة الأولى، فتوافق عندهم شرع الله ودينه الذي أرسل به رسله وفطرته التي فطرهم عليها، فمنعتهم الشريعة المنزلة، والفطرة المكملة، أن

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٤٩) في التوحيد: باب (٢٥) ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾، ومسلم (٢٨٤٦) (٣٤) في الجنة: باب (١٣) النار يدخلها الجبارون.

(٢) في الأصل: «الرحمن».

تكتسب نفوسهم خبثاً ونجاسة ودرناً يعلق بها ولا يفارقها، بل كلما أَلَمَّ بهم شيء من ذلك ومسهم طائف من الشيطان أغاروا عليه بالشرعة والفطرة، فأزالوا موجبه وأثره، وكمّل لهم الرب تعالى ذلك بأقضية يقضيها لهم مما يحبّون أو يكرهون، تمحص عنهم تلك الآثار التي شوشت الفطرة، فجاء مقتضى الرحمة، فصادف مكاناً قابلاً مستعداً لها ليس فيه شيء يدافعه، فقال: **ها هنا أمرت**، وليس لله سبحانه غرض في تعذيب عباده بغير موجب، كما قال تعالى: **﴿مايفعلُ الله بعذابكم إنْ شكرتُم وآمنتمْ وكانَ الله شاكراً عليماً﴾** [النساء: ١٤٧]، واستمر الأشقياء مع تغيير الفطرة، ونقلها مما خلقت عليه إلى ضده، -حتى استحكم الفساد وتمّ التغيير، فاحتاجوا إلى إزالة ذلك إلى تغيير آخر، وتطهير ينقلهم إلى الصِّحة حيث لم تنقلهم آيات الله المتلوة، والمخلوقة وأقداره المحبوبة والمكروهة في هذه الدار، فأتاح لهم آيات أُخر وأقضية، وعقوبات فوق التي كانت في الدنيا تستخرج ذلك الخبث، والنجاسة التي لا تزول بغير النار، فإذا زال موجب العذاب وسببه؛ زال العذاب، وبقي مقتضى الرحمة لا معارض له، فإن قيل: هذا حقّ، ولكن سبب التعذيب لا يزول إلا إذا كان السبب عارضاً: كمعاصي الموحدين، أما إذا كان لازماً: كالكفر والشرك، فإن أثره لا يزول كما لا يزول السبب، وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى بعينه في مواضع من كتابه، منها: قوله تعالى: **﴿ولو رُدُّوا لعادوا لما نُهوا عنه﴾** [الأنعام: ٢٨] فهذا إخبار بأن نفوسهم [وطبعائهم] لا تقتضي غير الكفر والشرك، وأنها غير قابلة للإيمان أصلاً. ومنها قوله [تعالى]: **﴿ومنْ كان في هذه أعمى فهوَ في الآخرة أعمىٰ وأضلُّ سبيلاً﴾** [الإسراء: ٧٢] فأخبر سبحانه أن ضلالهم وعماهم عن الهدى دائم لا يزول، حتى مع معاينة الحقائق التي أخبرت بها الرسل، وإذا كان العمى والضلال لا يفارقهم، فإن موجبه وأثره ومقتضاه لا يفارقهم. ومنها: قوله تعالى: **﴿ولو علمَ الله فيهم خيراً لأسمعهم، ولو أسمعهم لتولوا وهو مُعرضون﴾** [الأنفال: ٢٣] وهذا يدلك على أنه ليس فيهم خير يقتضي الرحمة، ولو كان فيهم خير لما ضيع عليهم أثره، ويدل على أنهم لا خير فيهم هناك أيضاً قوله: «أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من

خير»(١) ولو كان عند هؤلاء أدنى أدنى مثقال ذرة من خير لخرجوا بها مع الخارجين.

قيل: لعمر الله: إن هذا لمن أقوى ما يتمسك به في المسألة، وإن الأمر لكما قلتم، وإن العذاب يدوم بدوام موجبه وسببه، ولا ريب أنهم في الآخرة في عَمَىٰ وضلال كما كانوا في الدنيا، وبواطنهم خبيثة كما كانت في الدنيا، والعذاب مستمر عليهم دائم ما داموا كذلك، ولكن هل هذا الكفر والتكذيب والخبث أمر ذاتي لهم، زواله مستحيل أم هو عارض طارىء على الفطرة قابل للزوال؟ هذا حرف المسألة، وليس بأيديكم ما يدل على استحالة زواله، وأنه أمرٌ ذاتي، وقد أخبر سبحانه أنه فطر عباده على الحنفية، وأن الشياطين اجتالتهم عنها، فلم يفطرهم سبحانه على الكفر والتكذيب، كما فطر الحيوان البهيم على طبيعته، وإنما فطرهم على الإقرار بخالقهم ومحبته وتوحيده.

فإذا كان هذا الحقّ الذي قد فطروا عليه، وخلقوا عليه قد أمكن زواله بالكفر والشرك الباطل، فإمكان زوال الكفر والشرك الباطل بضدّه من الحق أولى وأحرى، لا ريب أنهم لو ردوا على تلك الحال التي هم عليها لعادوا لما نهوا عنه، ولكن من أين لكم أن تلك الحال لا تزول، ولا تتبدل بنشأة أخرى ينشئهم فيها تبارك وتعالى إذا أخذت النار مأخذها منهم، وحصلت الحكمة المطلوبة من عذابهم، فإن العذاب لم يكن سدى، وإنما كان لحكمة مطلوبة. فإذا حصلت تلك الحكمة لم يبق في التعذيب أمر يطلب، ولا غرض يقصد، والله سبحانه ليس يشتفي بعذاب عباده كما يشتفي المظلوم من ظالمه، وهو لا يعذب عبده لهذا الغرض، وإنما يعذبه طهرةً له ورحمة به، فعذابه مصلحة له، وإن تألم به غاية الألم، كما أن عذابه بالحدود في الدنيا مصلحة لأربابها.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢) في الإيمان: باب (١٥) تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، ومسلم (١٨٤) في الإيمان: باب (٨٢) إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، كلاهما عن أبي سعيد الخدري.

وقـد سمّي الله سبحانـه الحدَّ عـذاباً، وقـد اقتضت حكمته سبحـانه أن جعـل لكل داء دواءً ينـاسبـه، ودواء الـداء العضـال يكـون من أشق الأدويـة، والطبيب الشفيق يكوي المريض بالنار كياً بعـد كيّ ليخرج منـه المادة الـرديئة الطارئة على الطبيعة المستقيمة، وإن رأى قطع العضـو أصلح للعليل قـطعه، وأذاقه أشدّ الألم. فهذا قضاء الـربِّ وقدره في إزالـة مادة غـريبة طـرأت على الطبيعة المستقيمة بغير اختيار العبد، فكيف إذا طرأ على الفطرة السليمة مواد فاسدة باختيار العبد وإرادته؟

وإذا تأمل اللبيبُ شرع الرب تبـارك وتعالى، وقـدره في الدنيـا، وثوابـه وعقابه في الآخرة وجد ذلك في غاية التناسب والتـوافق، وارتباط ذلـك بعضه ببعض، فإن مصدر الجميع عن علم تام، وحكمة بالغة، ورحمة سابغة، وهـو سبحانه الملكُ الحقُّ المبينُ، وملكه ملك رحمة وإحسان وعدل.

الوجه التاسع: أن عقوبته للعبد ليست لحاجته إلى عقوبتـه، ولا لمنفعة تعود إليه، ولا لدفع مضرة وألم يزول عنه بالعقوبة. بل يتعالى عن ذلك ويتنزه كمـا يتعـالى عن سـائـر العيـوب والنقـائص، ولا هي عبث محض خــال عن الحكمة والغاية الحميدة، فإنه أيضاً يتنزه عن ذلك ويتعالى عنه، فإما أن يكون من تمام نعيم أوليائه وأحبائه، وإما أن يكون من مصلحة الأشقيـاء ومداواتهم، أو لهذا ولهذا.

وعلى التقادير الثلاث: فالتعذيب أمر مقصـود لغيره قصـد الوسـائل، لا قصـد الغايـات، والمراد من الـوسيلة إذا حصـل على الـوجـه المـطلوب زال حكمهـا، ونعيم أوليائـه، ليس متوقفـاً في أصله، ولا في كمالـه على استمرار عذاب أعدائـه ودوامه، ومصلحة الأشقياء ليست في الـدوام والاستمرار، وإن كان في أصل التعذيب مصلحة لهم.

الوجه العاشر: أن رضا الربِّ تبارك وتعالى ورحمته صفتان ذاتيتـان له، فلا منتهى لرضاه كما قال أعلم الخلق به: «سبحان الله وبحمـدهِ عددَ خلقهِ،

ورضا نفسه، وزِنةَ عرشِهِ، ومِدادَ كلماتِهِ»[١]. إذا كانت رحمته غلبت غضبه، فإن رضا نفسه أعلى وأعظم، فإن رضوانه أكثر من الجنات ونعيمها وكل ما فيها، وقد أخبر أهل الجنة أنه يحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبداً. وأما غضبه تبارك وتعالى وسخطه فليس من صفاته الذاتية التي يستحيل انفكاكه عنها بحيث لم يزل ولا يزال غضبان، والناس لهم في صفة الغضب قولان:

أحدهما: أنه من صفاته الفعلية القائمة به كسائر أفعاله.

والثاني: أنه صفة فعل منفصل عنه غير قائم به. وعلى القولين، فليس كالحياة والعلم والقدرة التي تستحيل مفارقتها له، والعذاب إنما ينشأ من صفة غضبه، وما سُعْرَتِ النار إلا بغضبه، وقد جاء في أثر مرفوع: «إن الله خلقَ خلقاً من غضبه وأسكنهم بالمشرق ينتقم بهم ممن عصاه»[٢] فمخلوقاته سبحانه نوعان: نوع مخلوق من الرحمة وبالرحمة. ونوع مخلوق من الغضب وبالغضب. فإنه سبحانه له الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي يتنزه عن تقدير خلافه، ومنه أنه يرضىٰ ويغضب، ويثيب ويعاقب، ويعطي ويمنع، ويعزُّ ويذل، وينتقم ويعفو. بل هذا موجب ملكه الحقّ، وهو حقيقة الملك المقرون بالحكمة والرحمة والحمدِ. فإذا زال غضبه سبحانه، وتبدل برضاه؛ زالت عقوبته، وتبدلت برحمته وانقلبت العقوبة رحمة، بل لم تزل رحمة، وإن تنوعت صفتها وصورتها، كما كان عقوبة العصاة رحمة، وإخراجهم من النار رحمة، فتقلبوا في رحمته في الدنيا، وتقلبوا فيها في الآخرة، لكن تلك

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٦) في الذكر والدعاء: باب (١٩) التسبيح أول النهار وعند النوم، وغيره.

زنة عرشه: وزنه، وعرش الرحمن مخلوق عظيم، الله أعلم بحقيقته. والعرش لغة: سرير الملك. مداد كلماته: قيل: مثلها في العدد، وقيل: مثلها في أنها لا تنفد، وقيل: في الثواب. والمداد هنا بمعنى: المدد، وهو ما كثرت به الشيء. قال النووي: قال العلماء: واستعماله هنا مجاز، لأن كلمات الله تعالى لا تحصر بعد ولا غيره، والمراد به المبالغة في الكثرة.

(٢) لم نجده

رحمة يحبونها وتوافق طبائعهم، وهذه رحمة يكرهـونها وتشق عليهم، كـرحمة الطبيب الذي يضع لحم المريض، ويلقي عليه المكاوي ليستخرج منه المواد الردية الفاسدة.

فإن قيل: هذا اعتبار غير صحيح، فإن الطبيب يفعل ذلك بالعليل، وهو يحبه وهو راضٍ عنه، ولم ينشأ فعله به عن غضبه عليه، ولهذا لا يسمى عقوبة، وأما عذاب هؤلاء فإنه إنما حصل بغضبه سبحانه عليهم، وهو عقوبة محضة:

قيل: هذا حق، ولكن لا ينافي كونه رحمة بهم، وإن كان عقوبة لهم، وهذا كإقامة الحدود عليهم في الدنيا، فإنه عقوبة ورحمة وتخفيف وطُهرة، فالحدود طهرة لأهلها وعقوبة، وهم لما أغضبوا الربَّ تعالى وقابلوه بما لا يليق أن يقابل به، وعاملوه أقبح المعاملة، وكذبوه وكذبوا رسله، وجعلوا أقل خلقه وأخبثهم وأمقتهم له نِداً له، وآلهة معه [و] آثروا رضاهم على رضاه، وطاعتهم على طاعته، وهو ولي الإنعام عليهم، وهو خالقهم ورازقهم ومولاهم الحق اشتد مقته لهم، وغضبه عليهم، وذلك يوجب كمال أسمائه وصفاته التي يستحيل عليه تقدير خلافها، ويستحيل تخلف آثارها ومقتضاها عنها، بل كل ذلك تعطيل لأحكامها، كما أن نفيها عنه تعطيل لحقائقها، وكلا التعطيلين محال عليه سبحانه.

فالمعطلون نوعان: أحدهما: عطل صفاته، والثاني عطل أحكامه ومواجباتها. وكان هذا العذاب عقوبه لهم من هذا الوجه، ودواء لهم من جهة الرحمة السابقة للغضب، فاجتمع فيه الأمران، فإذا زال الغضب بزوال سببه، وزالت المادة الفاسدة بتغير الطبيعة المقتضية لها في الجحيم بمرور الأحقاب عليها، وحصلت الحكمة التي أوجبت العقوبة عملت الرحمة عملها، وطلبت أثرها من غير معارض يوضحه:

الوجه الحادي عشر: وهو أن العفو أحب إليه سبحانه من الانتقام، والرحمة أحب إليه من العقوبة، والرضا أحب إليه من الغضب. والفضل أحب

إليه من العدل[1] ولهذا ظهرت آثار هذه المحبة في شرعه، وقدره وتظهر كل الظهور لعباده في ثوابه وعقابه، وإذا كان ذلك أحب الأمرين إليه خلق الخلق، وأنزل الكتب وشرع الشرائع، وقدرته سبحانه صالحة لكل شيء لا قصور فيها بوجه، وتلك المواد الرديئة الفاسدة مرض من الأمراض، وبيده سبحانه الشفاء التام، والأدوية الموافقة لكل داء، وله القدرة التامة، والرحمة السابغة والغنى المطلق، وبالعبد أعظم حاجة إلى من يداوي علته التي بلغت به غاية الضرر والمشقة، وقد عرف العبد أنه عليل، وأن دوائه بيد الغني الحميد، فتضرع إليه ودخل به عليه، واستكان له وانكسر قلبه بين يديه، وذلّ لعزته، وعرف أن الحمد كلّه له، وأن الخلق كلّه له، وأنه هو الظلوم الجهول، وأن ربه تبارك وتعالى عامله ببعض عدله لا بكل عدله، وأن له غاية [الحمد] فيما فعل به، وأن حمده هو الذي أقامه في هذا المقام، وأوصله إليه، وأنه لا خير عنده من نفسه بوجه من الوجوه، بل ذلك محض فضل الله وصدقته عليه، وأنه لا نجاة له مما هو فيه إلا بمجرد العفو والتجاوز عن حقّه، فنفسه أولى بكل ذمٍ وعيبٍ ونقصٍ، وربه تعالى أولى بكل حمدٍ وكمالٍ ومدحٍ.

فلو أن أهل الجحيم شهدوا نعمته سبحانه ورحمته وكماله وحمده الذي أوجب لهم ذلك، فطلبوا مرضاته، ولو بدوامهم في تلك الحال، وقالوا: إن كان ما نحن فيه رضاك، فرضاك الذي نريد، وما أوصلنا إلى هذه الحال إلا طلب ما لا يرضيك، فأما إذا أرضاك هذا منا فرضاك غاية ما نقصده. وما لجرحٍ إذا أرضاكَ مِنْ ألَم. وأنت أرحم بنا من أنفسنا، وأعلم بمصالحنا، ولك الحمد كلّه، عاقبت أو عفوت، لانقلبت النار عليهم برداً وسلاماً.

وقد روى الإمام أحمد في «مسنده» من حديث الأسود بن سريع أن النبي ﷺ قال: «أربعةٌ يومَ القيامةِ: رجلٌ أصمٌّ لا يسمعُ شيئاً، ورجلٌ أحمقٌ ورجل هَرِمٌ، ورجلٌ مات في فترةٍ، فأما الأصمُّ فيقولُ: ربِّ لقد جاء الإسلامُ وما أسمعُ شيئاً، وأما الأحمقُ فيقولُ: ربِّ لقد جاء الإسلامُ والصبيانُ

(١) في الأصل «العذاب».

يحذفوني بالبعَرِ، وأما الهرمُ فيقـولُ: ربي لقد جـاء الإسلام ومـا أعقلُ شيئـاً، وأمـا الذي مـات في الفترة فيقـولُ: ربِّ مـا أتـاني لـك من رسـولٍ، فيـأخـذُ مواثيقهم ليطيعنَّهُ فيرسلُ إليهم أن أدخلُوا النارَ، قال: فوالذي نفسُ محمدٍ بيده لو دَخلوها لكانتْ عليهم بَرداً وسلاماً»[1].

وفي «المسند» أيضاً: من حـديث قتادة، عن الحسن، عن أبي رافـع، عن أبي هـريرة مثله وقـال: «فمن دخلها كـانتْ عليه بـرداً وسـلامـاً، ومن لم يَدْخلها يسحبُ إليها»[2]. فهؤلاء لما رضوا بتعذيبهم، وبـادروا إليه لمـا علموا أن فيه رضىٰ ربهم وموافقة أمره ومحبته؛ انقلب في حقِّهم نعيماً.

ومثل هذا، ما رواه عبدالله بن المبارك: حدثني رشدين، قال: حـدثني ابن أنعم، عن أبي عثمـان أنه حـدثـه عن أبي هـريـرة [رضي الله عنـه]، عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ رجلينِ ممن دخلا النارَ يشتدُّ صياحُهمـا. فقال الـربُّ جلَّ جلالـه: أخرجـوهما فـأخرجـا، فقال لهمـا: لأي شيء اشتد صيـاحكما؟ قالا: فعلنا ذلك لترحمنا، قال: رحمتي لكما أنْ تنطلقـا فتلقيا أنفسكمـا حيثُ كنتمـا من النار. قـال فينطلقـان، فيلقي أحدهمـا نفسه فيجعلهـا الله سبحانـه [عليه] برداً وسـلاماً، ويقـوم الآخر فـلا يلقي، فيقول لـه الرب: مـا منعك أن تلقي نفسك كما ألقى صاحبك؟ فيقولُ: ربِّ أرجوك أن لا تعيـدَني فيها بعـدَما أخـرجتني منها، فيقـولُ الربُّ تعـالى: لك رجـاؤك، فيدخـلان جميعـاً الجنـة برحمة الله»[3].

وذكر الأوزاعي، عن بلال بن سعد قال: يؤمر بإخـراج رجلين من النار، فـإذا أخرجـا ووقفا، قـال الله لهما: كيف وجـدتما مقيلكُمـا وسوءَ مصيـركما؟ فيقولان: شرُّ مقيل، وأسوأُ مصيـر، صار إليـه العبادُ، فيقـول لهما: ذلـك بما

---

(١) أخرجه أحمد ٤/٢٤.

(٢) أخرجه أحمد ٤/٢٤.

(٣) أخـرجه ابن المبـارك في «زوائد الـزهـد» (٤١٠)، والترمذي (٢٥٩٩) في صفـة جهنم: بـاب (١٠)، وقال: إسناد هذا الحديث ضعيف، لأنه عن رشدين بن سعد، وهو ضعيف عنـد أهل الحديث.

قدمت أيديكما، وما أنا بظلام للعبيد، قال: فيؤمر بصرفهما إلى النار، فأما أحدهما فيغدو في أغلاله وسلاسله حتى يقتحمها. وأما الآخر فيتلكأ فيأمر بردهما، فيقول للذي غدا في أغلاله وسلاسله حتى اقتحمها: ما حملك على ما صنعت وقد خرجت منها؟[1] فيقول إني خبرت من وبال معصيتك ما لم [أكن] أتعرض لسخطك ثانياً. ويقول للذي تلكأ: ما حملك على ما صنعت؟ فيقول: حسن ظنّي بك حين أخرجتني منها أن لا تردني إليها، فيرحمهما جميعاً، ويأمر بهما إلى الجنة.

الوجه الثاني عشر: أن النعيم والثواب من مقتضى رحمته ومغفرته وبرّه وكرمه، ولذلك يضيف ذلك إلى نفسه. وأما العذاب والعقوبة، فإنما هو من مخلوقاته، ولذلك لا يتسمى بالمعاقب والمعذب، بل يفرق بينهما، فيجعل ذلك من أوصافه، وهذا من مفعولاته حتى في الآية الواحدة كقوله تعالى: ﴿نَبِىءْ عبادي أنّي أنا الغَفُورُ الرَّحِيمُ. وأنَّ عذابي هو العذابُ الأليمُ﴾. [الحجر: ٤٩ ـ ٥٠]. وقال تعالى: ﴿اعلموا أنَّ الله شديدُ العقابِ، وأنَّ الله غفورٌ رحيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]. وقال [تعالى]: ﴿إنَّ رَبَّكَ لسريعُ العقابِ وإنهُ لغفورٌ رحيمٌ﴾ [الأعراف: ٦٧]، ومثلها في آخر الأنعام، فما كان من مقتضى أسمائه وصفاته، فإنه يدوم بدوامها، ولا سيما إذا كان محبوباً له، وهو غاية مطلوبة في نفسها، وأما الشر الذي هو العذاب، فلا يدخل في أسمائه وصفاته، وإن دخل في مفعولاته لحكمة إذا حصلت زال وفني، بخلاف الخير، فإنه سبحانه دائم المعروف، لا ينقطع معروفه أبداً، وهو قديم الإحسان أبديّ الإحسان، فلم يزل ولا يزال محسناً على الدوام. وليس من موجب أسمائه وصفاته أنه لا يزال معاقباً على الدوام، غضبان على الدوام، منتقماً على الدوام، فتأمل هذا الوجه تأمل فقيه في باب أسماء الله وصفاته، يفتح لك باباً من أبواب معرفته ومحبته يوضحه:

الوجه الثالث عشر: وهو قول أعلم خلقه به، وأعرفهم بأسمائه

---

(١) في الأصل: وقد جربتها.

وصفـاته: «والشرُّ ليس إليـك»[1] ولم يقف على المعنى المقصـود من قـال: الشر [لا يتقرب به إليك، بل الشر] لا يضاف إليه سبحانه بـوجه، لا في ذاتـه ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا في أسمائه، فإن ذاته لها الكمال المـطلق من جميع الوجوه، وصفاته كلها صفات كمال يحمدُ عليها ويثنىٰ عليه بها، وأفعاله كلّها خيرٌ ورحمة وعدل، وحِكَمُه لا شر فيها بوجه ما، وأسمـاؤه كلها حسنى، فكيف يضـاف الشر إليـه، بل الشـر في مفعولاتـه ومخلوقاتـه، وهـو منفصـل [عنه]، إذ فعله غير مفعـوله، ففعله خيـر كلّه، وأما المخلوق المفعـول، ففيه الخير والشر.

وإذا كان الشر مخلوقاً منفصلاً غير قائم بالرب سبحـانه، فهـو لا يضاف إليه، وهو ﷺ لم يقل: أنت لا تخلق الشر حتي يطلب تأويل قوله، وإنما نفى إضـافته إليـه وصفاً وفعـلاً واسماً، وإذا عـرف هذا، فـالشر ليس إلا الـذنـوب وموجباتها.

وأمـا الخير فهـو الإيمان والـطاعات، ومـوجباتـه، والإيمان والـطاعـات متعلقة به سبحـانه، ولأجلهـا خلق خلقه وأرسـل رسله وأنزل كتبـه، وهي ثناء على الربّ وإجلاله وتعظيمه وعبوديته، وهذه لها آثار يطلبها ويقتضيهـا، فتدوم آثارها بدوام متعلقها.

وأمـا الشرور فليست مقصـودة لـذاتهـا. ولا هي الغـايـة التي خلق لهـا الخلق، فهي مفعولات قدرت لأمر محبوب، وجعلت وسيلة إليه، فإذا حصـل ما قدرت له اضمحلت وتلاشت، وعاد الأمر إلى الخير المحض.

الوجه الرابع عشر: أنه سبحـانه قـد أخبر أن رحمتـه وسعت كلّ شيء. فليس شيء من الأشيـاء إلا وفيه رحمتـه، ولا ينافي هـذا أن يرحم العبـد بمـا يشق عليه ويؤلمه، وتشتد كراهته له، فإن ذلك من رحمته أيضاً كما تقدم.

وقـد ذكرنـا حديث أبي هـريرة آنفـاً وقولـه [تعالى] لـذينـك الـرجلين:

---

(١) قطعة من حديث طويل، أخرجه مسلم (٧٧١) في صلاة المسافرين: بـاب (٢٦) الدعـاء في صلاة الليل وقيامه.

«رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما في النار»[1]. وقد جاء في بعض الآثار: أن العبد إذا دعا لمبتلي قد اشتد بلاؤه، وقال: اللهم ارحمه: يقول الرب تبارك وتعالى: كيف أرحمه من شيء به أرحمه. فالابتلاء رحمة منه لعباده. وفي أثر إلهي يقول الله عز وجل: أهلُ ذكري أهلُ مجالستي. وأهل طاعتي أهلُ كرامتي، وأهلُ شكري أهل زيادتي، وأهلُ معصيتي لا أُقنِّطهمْ من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبُهم، وإن لم يتوبُوا فأنا طبيبُهم، أبتليهمْ بالمصائب لأطهِّرهمْ من المعايبِ. فالبلاء والعقوبة أدوية قدرت لإزالة أدواء لا تزول إلا بها والنار هي الدواء الأكبر، فمن تداوى في الدنيا أشفاه ذلك عن الدواء في الآخرة، وإلا فلا بدَّ [له] من الدواء بحسب دائه، ومن عرف الربَّ تبارك وتعالى بصفات جلاله ونعوت كماله، من حكمته ورحمته وبرِّهِ وإحسانه وغناه وجوده ومحبته إلى عباده، وإرادة الإنعام، وسبق رحمته لهم، لم يبادر إلى إنكار ذلك إن لم يبادر إلى قبوله. يوضحه:

الوجه الخامس عشر: أن أفعاله سبحانه لا تخرج عن الحكمة والرحمة والمصلحة والعدل، فلا يفعل عبثاً ولا جوراً ولا باطلاً، بل هو المنزه عن ذلك كما تنزه عن سائر العيوب والنقائص. وإذا ثبت ذلك فتعذيبهم إن كان رحمة بهم حتى يزول ذلك الخبث، وتكمل الطهارة فظاهر، وإن كان لحكمة فإذا حصلت تلك الحكمة المطلوبة زال العذاب، وليس في الحكمة دوام العذاب أبداً الآباد بحيث يكون دائماً بدوام الرب تبارك وتعالى، وإن كان لمصلحة فإن كان يرجع إليهم، فليست مصلحتهم في بقائهم في العذاب كذلك، وإن كانت المصلحة تعود إلى أوليائه، فإن ذلك أكمل في نعيمهم، فهذا لا يقتضي تأبيد العذاب، وليس نعيم أوليائه وكماله موقوفاً على بقاء آبائهم وأبنائهم وأزواجهم في العذاب السرمد.

فإن قلتم: إن ذلك هو موجب الرحمة والحكمة والخلد والمصلحة قلتم

---

(١) سبق تخريجه ص ٤٥٦ ت (٣).

ما لا يعقل، وإن قلتم: إن ذلك عائد إلى محض المشيئة ولا يطلب له حكمة ولا غاية، فجوابه من وجهين.

أحـدهما: أن ذلـك محال على أحكم الحـاكمين، وأعلم العـالمين أن تكون أفعاله معطلة عن الحكم والمصالح والغايات المحمودة، والقرآن والسنة وأدلة العقول والفطر والآيات المشهودة شاهد[ة] ببطلان ذلك.

والثاني: أنه لو كان الأمر كذلـك لكان إبقـاؤهم في العذاب، وانقـطاعه عنهم بالنسبة إلى مشيئته سواء، ولـم يكن في انقضـائه مـا ينافي كمـاله، وهـو سبحانه لم يخبر بأبدية العذاب، وأنه لا نهاية له.

وغـاية الأمـر على هذا التقـديـر: أن يكـون من الجـائـزات الممكنـات الموقوف حكمها على خبر الصادق.

فـإن سلكت طريق التعليـل بـالحكمـة والـرحمـة والمصلحـة لم يقتض الدوام، وإن سلكت طريق المشيئة المحضة التي لا تعلل لم تقتضه أيضاً.

وإن وقف الأمر على مجرد السمع فليس فيه ما يقتضيه.

الوجه السادس عشر: أن رحمتـه سبحانـه سبقت غضبه في المعـذبين، فإنه أنشأهم برحمتـه، وغذاهم بـرحمته، ورزقهم وعـافاهم بـرحمته، وأرسـل إليهم الرسل بـرحمته. وأسبـاب النقمة والعـذاب متأخـرة عن أسباب الـرحمة طارئة عليها، فرحمتـه سبقت غضبه فيهم، وخلقَهم على خلقـة تكون رحمتـه إليهم أقرب من غضبه وعقوبته.

ولهذا ترى أطفـال الكفار قـد ألقى عليهم رحمته، فمن رآهم رحمهم، ولهـذا نهى عن قتلهم، فـرحمتـه سبقت غضبـه فيهم، فكـانت هي السـابقـة إليهم، ففي كل حال هم في رحمته في حال معافاتهم وابتلائهم.

وإذا كـانت الرحمـة هي السابقـة فيـهم لم يبطل أثـرها بـالكلية، وإن عارضها أثر الغضب والسخط فذلك لسبب منهم، وأما أثر الرحمـة فسببه منـه سبحـانه فمـا منه يقتضي رحمتهم. ومـا منهم يقتضي عقـوبتهم، والـذي منـه

سابق وغالب، وإذا كانت رحمته تغلب غضبه، فلأن يغلب أثر الرحمة أثر الغضب أولىٰ وأحرى.

الوجه السابع عشر: أنه سبحانه يخبر عن العذاب أنه عذاب يوم مُقِيم وعذاب يوم عظيم، وعذاب يوم أليم، ولا يخبر عن النعيم أنه نعيم يوم، ولا في موضع واحد.

وقد ثبت في «الصحيح»[1] تقدير يوم القيامة بخمسين ألف سنة، والمعذبون متفاوتون في مدة لبثهم في العذاب بحسب جرائمهم، والله سبحانه جعل العذاب على ما كان من الدنيا وأسبابها، وما أريد به الدنيا ولم يرد به وجه الله [فالعذاب على ذلك. وأما ما كان للآخرة وأريد به وجه الله] فلا عذاب عليه، والدنيا قد جعل لها أجل تنتهي إليه، فما انتقل منها إلى تلك الدار مما ليس لله، فهو المعذب به.

وأما ما أريد به وجه الله والدار الآخرة، فقد أريد به ما لا يفنى ولا يزول، فيدوم بدوام المراد به، فإن الغاية المطلوبة إذا كانت دائمة لا تزول، لم يزل ما تعلق بها، بخلاف الغاية المضمحلة الفانية، فما أريد به غير الله يضمحل ويزول بزوال مراده ومطلوبه، وما أريد به وجه الله يبقى ببقاء المطلوب المراد، فإذا اضمحلت الدنيا وانقطعت أسبابها، وانتقل ما كان فيها لغير الله من الأعمال والذوات، وانقلب عذاباً وآلاماً، لم يكن له متعلق يدوم بدوامه بخلاف النعيم.

الوجه الثامن عشر: أنه ليس في حكمة أحكم الحاكمين أن يخلق خلقاً يعذبهم أبد الآباد عذاباً سرمداً لا نهاية له، ولا انقطاع أبداً، وقد دلت الأدلة السمعية والعقلية والفطرية على أنه سبحانه حكيم، وأنه أحكم الحاكمين، فإذا عذب خلقه عذبهم بحكمة، كما يوجب التعذيب والعقوبة في الدنيا في شرعه وقدره، فإن فيه من الحكم والمصالح وتطهير العبد ومداواته، وإخراج المواد الردية عنه بتلك الآلام ما تشهده العقول الصحيحة، وفي ذلك من

(١) ذكره مسلم (٩٨٧) في الزكاة: باب (٦) إثم مانع الزكاة.

تـزكية النفـوس وصلاحهـا وزجرهـا وردع نظائـرهـا، وتـوقيفهـا على فقـرهـا، وضرورتها إلى ربها، وغير ذلك من الحكم والغايات الحميدة، ما لا يعلمه إلا الله.

ولا ريب أن الجنة طيبة، لا يدخلها إلا طيب، ولهذا يحبسون إذا قطعوا الصراط على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مـظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة.

ومعلوم أن النفوس الشريرة الخبيثة المظلمة التي لو ردّت إلى الدنيا قبل العذاب لعادت لمـا نهيت عنه، لا تصلح أن تسكن دار السـلام في جوار ربِّ العالمين، فإذا عذبوا بـالنار عـذاباً يخلص نفـوسهم من ذلك الخبث والـوسخ والدرن، كان ذلـك من حكمة أحكم الحـاكمين ورحمته، ولا ينـافي الحكمة خلق نفوس [فيها شر يزول بالبلاء الطويل والنار، كما يزول بها خبث الـذهب والفضة والحديد، فهذا معقول في الحكمة، وهـو من لوازم العـالَم المخلوق على هذه الصفة. أما خلق نفوس] لا يزول شرها أبداً، وعذابها لا انتهـاء له، فلا يظهر في الحكمة والرحمة، وفي وجود مثل هذا النوع نـزاع بين العقلاء، أعني ذواتاً وهي شر من كل وجه، ليس فيها شيء من خير أصلاً.

وعلى تقدير دخـوله في الـوجود، فـالربُّ تبـارك وتعالى قـادر على قلب الأعيان، وإحالتها وإحالة صفاتها.

فـإذا وجـدت الحكمـة المـطلوبـة من خلق هـذه النفـوس، والحكمـة المـطلوبة من تعـذيبها، فـالله سبحانـه قادر أن ينشئهـا نشـأة أخـرى غيـر تلك النشأة، ويرحمها في النشأة الثانية نوعاً آخر من الرحمة يوضحه:

الوجه التاسع عشر: وهو أنه قد ثبت أن الله سبحانه ينشىء للجنـة خلقاً آخر، يسكنهم إياها، ولم يعملوا خيراً تكون الجنة جزاءً لهم عليه، فـإذا أخذ العـذاب من هذه النفـوس مأخـذه، وبلغت العقوبـة مبلغها، فـانكسـرت تلك النفوس، وخضعت وذلت، واعترفت لربها وفاطرهـا بالحمـد، وأنه عـدل فيها كل العدل، وأنهـا في هذه الحـال كانت في تخفيف منـه، ولو شـاء أن يكون

عذابها أشدّ من ذلك لفعل، وشاء كتب العقوبة طلباً لموافقة رضاه ومحبته، وعلم أن العذاب أولى بها، وأنه لا يليق بها سواه، ولا تصلح إلا له، فذابت منها تلك الخبائث كلّها، وتلاشت، وتبدلت بذل وانكسار، وحمد وثناء على الربّ تبارك وتعالى، ولم يكن في حكمته أن يستمر بها في العذاب بعد ذلك، إذ قد تبدل شرّها بخيرها، وشركها بتوحيدها، وكِبْرها بخضوعها وذلها.

ولا ينتقض هذا بقوله عزَّ وجلَّ: **﴿ولو رُدُّوا لعادوُا لما نُهوا عنه﴾**. فإن هذا قبل مباشرة العذاب الذي يزيل تلك الخبائث، وإنما هو عند المعاينة قبل الدخول، فإنه سبحانه وتعالى قال: **﴿ولو تَرى إذ وُقِفوا على النارِ فقالوا يا ليتنا نُرَدُّ ولا نكذبَ بآياتِ ربِّنا ونكونَ من المؤمنينَ، بل بدا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخفُونَ مِنْ قَبْلُ ولَوْ رُدُّوا لعادُوا لما نُهوا عنه وإنَّهم لكاذِبونَ﴾** [الأنعام: ٢٧ - ٢٨].

فهذا إنما قالوه قبل أن يستخرج العذاب منهم تلك الخبائث، فأما إذا لبثوا في العذاب أحقاباً، والحقب كما رواه الطبراني في «معجمه» من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «الحُقْبُ خمسونَ ألفَ سنةٍ»(١). فإنه من الممتنع أن يبقى ذلك الكِبر والشِّرك والخبث بعد هذه المدد المتطاولة في العذاب.

الوجه العشرون: أنه قد ثبت في «الصحيحين» من حديث أبي سعيد الخُدري - في حديث الشفاعة - فيقولُ الله عزَّ وجلَّ: «شفعتِ الملائكةُ، وشفعَ النبيّونَ، وشفعَ المؤمنونُ، ولم يبقَ إلا أرحمُ الراحمينَ، فيقبضُ قبضةً من النارِ، فيخرجُ منها قوماً لم يعملوا خيراً قطُّ، قد عادُوا حُمماً، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنّةِ، يقالُ له نهرُ الحياةِ فيخرجونَ كما تخرج الحِبة في حميلِ السَّيلِ»(٢).

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٩٥٧) ولفظه «الحقب الواحد ثلاثون ألف سنة» وانظر «المجمع» ١٣٣/٧، وقال: فيه جعفر بن الزبير وهو ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) في التوحيد: باب (٢٤) من حديث طويل، ومسلم (١٨٣) في الإيمان: باب (٨٠) إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربَّهم.

=

فيقولُ أهلُ الجنةِ: هؤلاء عُتقاءُ الله الذينَ أدخلهمُ الله الجنةَ بغيرِ عملٍ عَملُوه، ولا خيرٍ قَدّمُوه.

فهؤلاء أحرقتهم النار جميعهم، فلم يبق في بدن أحدهم موضع لم تمسه النار، بحيث صاروا حُمَماً: وهو الفحم المحترق بالنار. فظاهر السياق أنه لم يكن في قلوبهم مثقال ذرة من خير، فإن لفظ الحديث هكذا: «فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه ذرةٍ من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ربَّنا لم نذرْ فيها خيراً، فيقولُ الله عزَّ وجلَّ: «شفعتِ الملائكةُ، وشفعَ النبيونَ، وشفعَ المؤمنونَ، ولم يبقَ إلا أرحمُ الراحمينَ، فيقبضُ [الله] قبضةً من النارِ، فيخرجُ منها قوماً لم يعملوا خيراً قطُّ»[1].

فهذا السياق يدل على أن هؤلاء لم يكن في قلوبهم مثقال ذرةٍ من خير، ومع هذا فأخرجتهم الرحمة. ومن هذا رحمته سبحانه للذي أوصى أهله أن يحرقوه بالنار، ويذروه في البر والبحر زعماً منه بأن يفوت الله سبحانه .
فهذا قد شك في المعاد والقدرة، ولم يعمل خيراً قطُّ.

ومع هذا فقال له: «ما حَملكَ على ما صَنَعْتَ؟ قال: خشيتُكَ وأنتَ أعلم»[2]، فما تلافاه أن رحمه الله، فللَّه سبحانه في خلقه حِكَم لا تبلغه عقول البشر.

وقد ثبت في حديث أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله عزَّ وجلَّ: أخرجوا من النَّار من ذكرني يوماً أو خافني في مقامٍ»[3] قالوا:

= حُمَماً: فحماً، جمع حُمَمة.
أفواه الجنة: جمع فُوَّهة، وهو جمع سمع من العرب على غير قياسٍ: أي أوائلها.
الحِبَّة: بزور البقول. حميل السَّيل: ما يحمله ويجيء به من الطين والغثاء ونحوه.

(١) تقدم قبله وأخرجه أحمد ١٣/٣، والنسائي ١١٣/٤.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٧٥٠٨) في التوحيد: باب (٣٥)، ومسلم (٢٧٥٦) في التوبة: باب (٤).

(٣) ذكره في «كنز العمال» (١٩٣٠) ونسبه إلى ابن شاهين في «الترغيب في الذكر» وفيه مبارك ابن فضالة وثقة جماعة، وضعفه النسائي.

ومن ذا الـذي في مدةِ عمـرهِ كلِّها من أولهـا إلى آخرهـا لم يـذكـرْ ربَّـه يـومـاً واحداً، ولا خافه ساعـة واحدة، ولا ريب أنِ رحمتـه سبحانـه إذا أخرجت من النار من ذكره وقتـاً ما، وخـافه في مقـام ما، فغيـر بدع أن تفنى النـار، ولكن هؤلاء خرجوا منها وهي نار.

الـوجه الحـادي والعشرون: إن اعتـراف العبد بـذنبه حقيقـة الاعتـراف المتضمن لنسبة السوء والظلم واللَّوم إليه من كلِّ وجه، ونسبـة العدل والحمـد والرحمة والكمال المطلق إلى ربه من كلِّ وجـه، يستعطف ربـهُ تبارك وتعـالى عليه، ويستدعي رحمته له.

وإذا أراد أن يرحم عبده ألقى ذلك في قلبه، ولا سيمـا إذا اقترن بـذلك جزم العبد على ترك المعاودة لما يسخط ربه عليه، وعلم الله [أن] ذلك داخل قلبه وسويدائه، فإنه لا تتخلف عنه الرحمة مع ذلك.

وفي «معجم الطبراني» من حديث يزيد بن سنان الرهاوي، عن سلمـان ابن عامر، عن أبي أمامة رضي الله عنـه، قال: قـال رسول الله ﷺ: «إنَّ آخـر رجلٍ يَدخلُ الجنةَ رجـلٌ يتقلبُ على الصّراطِ ظهـراً لبطنٍ، كـالغلامِ يضـرُبه أبوه، وهو يفرُّ منه، يعجز عنه عمله أن يسعى فيقـول: يا ربِّ بلِّغ بي الجنـة، ونجني من النـار، فيوحي الله تبـارك وتعالى إليـه: عبدي، إنْ أنـا نجيتكَ من النارِ وأدخلتكَ الجنـةَ، أتعترف لي بـذنوبـك وخطايـاك؟ فيقولُ العبـدُ: نعم يا ربِّ، وعزّتك وجلالكَ إن نجيتني [من النار] لأعترفنَّ لك بذنـوبي وخطايـاي، فيجـوزُ الجسرَ، فيقـولُ العبدُ فيمـا بينه وبين نفسـهِ: لئن اعترفت لـه بذنـوبي وخطاياي ليـردَّني إلى النارِ، فيـوحي الله إليه: عبـدي: اعترفْ لي بـذنوبـكَ وخطاياكَ أغفرْها لكَ، وأدخلْكَ الجنةَ، فيقولُ العبدُ: لا وعزتِك [وجـلالِك]، مـا أذنبتُ ذنباً قَطُّ، ولا أخـطأتُ خطيئةً قطُّ، فيوحي الله إليـه: عبـدي إن لي عليك بينةً، فيلتفتُ العبدُ يميناً وشمالاً، فلا يرى أحداً، فيقـولُ: يا ربِّ أرني بينتَك، فيستنطقُ الله تعالى جلدَهُ بالمحقراتِ، فإذا رأى ذلـك العبدُ يقـولُ: يا ربِّ عنـدي وعزتِـكَ العظائم، فيـوحي الله إليه، عبـدي أنا أعـرفُ بها منـك، اعترفْ لي بها أغفـرْها لـكَ وأدخلْك الجنةَ، فيعتـرفُ العبدُ بـذنوبـه، فيدخـلُ

الجنةَ، ثم ضحكَ رسولُ الله ﷺ حتَّى بدتْ نواجذُه، يقـول: هذا أدنى أهـلِ الجنةِ منزلةً، فكيف بالذي فوقه؟»[1].

فالربُّ تعالى يريـد من عبده الاعتـراف والانكسار بين يـديه والخضـوع والذلة له، والعزم على مرضاته، فما دامَ أهل النار فـاقدين لهـذا الروح، فهم فاقدون لروح الرحمة، فإذا أراد عـزَّ وجلَّ أن يـرحمهم أو من شاء منهم جعـل في قلبه ذلك، فتـدركه الـرحمة، وقـدرة الرب تبـارك وتعالى غيـر قاصـرة عن ذلك، وليس فيه ما يناقض مـوجب أسمائـه وصفاتـه، وقد أخبـر أنه فعّـال لما يُريد.

الوجه الثاني والعشرون: أنه سبحانه قد أوجب الخلود على مـعاصٍ من الكبائر، وقيده بالتأبيد، ولم ينافِ ذلك انقطاعه وانتهاءه، فمنها قـوله تعـالى: ﴿**ومَنْ يقتـلْ مُؤْمنـاً متعمَّداً فجـزاؤُه جهنمُ خالـداً فيها وغضبَ الله عليـه ولعَنَهُ وأعدَّ له عذاباً عظيماً**﴾. [النساء: ٩٣].

ومنـها: قـولـه ﷺ: «مَن قتلَ نفسهُ بحديدةٍ، فحديدُتهُ في يدهِ يتوجأُ بها في نارِ جهنمَ خالداً مخلّداً فيها أبداً»[2] وهو حديث صحيح.

وكـذلك قـوله في الحـديث الآخر في قـاتل نفسـه: «فيقـول الله تبـارك وتعالى: بـادرني عبـدي بنفسـه حـرمتُ عليـه الجنـة»[3] وأبلغ من هـذا قـولـه [تعـالى]: ﴿**ومنْ يَعْصِ الله ورسولَـه فإنَّ لـه نارَ جهنّمَ خـالـدينَ فيهـا أبـداً**﴾ [الجن: ٢٣]. فهذا وعيد مقيد بالخلود والتأبيد، مـع انقطاعـه قطعـاً بسبب من العبـد، وهو التـوحيد، فـذلك الـوعيد العـام لأهل النـار لا يمتنع انقـطاعه، بسبب ممن كتب على نفسِهِ الرحمة، وغلبتْ رحمتهُ غضَبَـه، فلو يعلم الكافـر

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٦٦٩). قال في «المجمع» ١٠/٤٠٢: وفيه من لم أعرف وضعفاء فيهم توثيق ليّن.

(٢) أخرجه أحمد ٢/٢٥٤ و٤٨٨، والنسائي ٤/٦٧. وحملوا الخلود في النار على الزجر والتنفير من هذه الجريمة، أو على من استحل ذلك.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٦٣) في الأنبياء: باب (٥٠) ما ذكر عن بني إسرائيل.

بكلِّ ما عنده من الرحمة لما يئس من رحمته، كما في «صحيح» البخاري عنه ﷺ: «خلقَ الله الرحمةَ يوم خلقها مئة رحمةٍ» وقال في آخره: «فلو يعلمُ الكافرُ بكلِّ الذي عندَ الله من الرحمةِ لما أيس من الجنةِ، ولو يعلمُ المسلمُ بكلِّ الذي عندَ الله من العذابِ لم يأمنْ منَ النارِ»(1).

الوجه الثالث والعشرون: أنه لو جاء الخبر منه سبحانه صريحاً بأن عذاب النار لا انتهاء له، وأنه أبديّ لا ينقطع، لكان ذلك وعيداً منه سبحانه، والله تعالى لا يخلف وعده، وأما الوعيد، فمذهب أهل السنة كلّهم أن إخلافه عفو وكرم، وتجاوز يمدح الربّ تبارك وتعالى به، ويُثنىٰ عليه به، فإنه حقٌّ له إن [شاء] تركه، وإن شاء استوفاه، والكريم لا يستوفي حقه، فكيف بأكرم الأكرمين؟.

وقد صرح سبحانه في كتابه في غير موضع بأنه لا يخلف وعدَه، ولم يقُل في موضع واحد: لا يخلف وعيده.

وقد روى أبو يعلى الموصلي: حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا سهيل بن أبي حزم، حدثنا ثابت البُناني، عن أنس بن مالك [رضي الله عنه] أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ وعدَهُ الله على عَمَلٍ ثواباً فهوَ مُنْجزُهُ، ومن أوعدَهُ على عَمَلٍ عِقاباً فهوَ فيه بالخيارِ»(2).

وقال أبو الشيخ الأصبهاني: حدثنا محمد بن حمزة، حدثنا أحمد بن الخليل، حدثنا الأصمعي قال: جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء فقال: يا أبا عمرو، أيخلف الله ما وعد؟ قال: لا، قال: أفرأيت من أوعده الله على عمله عقاباً، أيخلف الله وعده فيه؟، فقال أبو عمرو بن العلاء: من العجمة أتيت يا أبا عثمان، إن الوعد غير الوعيد، إنَّ العرب لا تَعُدُّ عاراً ولا خُلْفاً أن تَعِدَ شراً ثم لا تفعله، ترى ذلك كرماً وفضلاً، وإنما الخلف أن تعِدَ

---

(1) أخرجه البخاري (٦٤٦٩) في الرقاق: باب (١٩) الرجاء مع الخوف.

(2) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/٢١١، وعزاه إلى أبي يعلى، والطبراني في «الأوسط»، وفيه سهيل بن أبي حزم، وقد وثق على ضعفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

خيراً، ثم لا تفعله، قال: فأوجدني هذا في كلام العرب، قال: نعم، أما سمعت إلى قول الأول:

ولا يرهبُ ابنُ العمِّ ما عشتُ سطوتي ... ولا أختشي من سطوةِ المتهدد
وإني وإن أوعدتُّه أو وعدتُّه ... لمخلفُ إيعادي ومنجزُ مَوعِدي[1]

قال أبو الشيخ: وقال يحيى بن معاذ: الوعد والوعيد حقٌّ، فالوعد حقٌّ العباد على الله [ضمن لهم إذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا، ومن أولى بالوفاء من الله]، والوعيد حقُّه على العباد، قال: لا تفعلوا كذا فأعذبكم، ففعلوا، فإن شاء عَفَا، وإن شاء أخذ لأنه حقُّه، وأولاهما بربنا تبارك وتعالى، العفو والكرم، إنه غفور رحيم، ومما يدل على ذلك ويؤيده خبر كعب بن زهير حين أوعده رسول الله ﷺ فقال:

نبئتُ أنَّ رسولَ الله أوعدني ... والعفوُ عندَ رسولِ الله مأمولُ[2]

فإذا كان هذا في وعيد مطلق، فكيف بوعيدٍ مقرون، باستثناء معقب بقوله: ﴿إنَّ ربَّكَ فعَّال لمَا يريدُ﴾. [هود:١٠٧] وهذا إخبار منه أنه يفعل ما يريد عقيب قوله: إلا ما شاء ربك، فهو عائد إليه ولا بدَّ، ولا يجوز أن يرجعَ إلى المستثنى منه وحده، بل إما أن يختص بالمستثنى، أو يعود إليهما، وغير خافٍ أن تعلقه بقوله: ﴿إلاَّ ما شاء ربُّكَ﴾ أولى من تعلقه بقوله: ﴿خالِدين فيها﴾. وذلك ظاهر للمتأمل، وهو الذي فهمه الصحابة، فقالوا: أتتْ هذه الآية على كلِّ وعيدٍ في القرآن، ولم يريدوا بذلك الاستثناء وحده، فإن الاستثناء مذكور في الأنعام أيضاً، وإنما أرادوا أنه عقب الاستثناء بقوله: ﴿إنَّ ربَّكَ فعَّالٌ لما يُريدُ﴾ [الأنعام: ١٢٨]. فأخبر أنَّ عذابهم في جميع الأوقات، ورفعه عنهم في وقت يشاؤه صادرٌ عن كمالِ علمهِ وحكمتهِ لا عن

---

(١) البيتان لعامر بن الطفيل، واللفظ في «ديوانه»: ص ٥٨.

ولا يرهب ابن العمّ مني صولةً ... ولا أختتي من صولة المتهددِ
وإنيَ إن أوعدتُه أو وعدتُه ... لأخلف إيعادي وأنجزُ موعدي

أختتي، مسهل اختتيء: يتغير لوني من الخوف. الصولة: السطوة.

(٢) في شرح «ديوانه» للسكري ص: ١٩.

مشيئةٍ مجردةٍ عن الحكمة والمصلحة والرحمةِ والعدلِ، إذ يستحيلُ تجرد مشيئته عن ذلك.

الوجه الرابع والعشرون: أنّ جانب الرحمةِ [أغلب]في هذه الدار الباطلة الفانية الزائلة عن قرب من جانب العقوبة والغضب ولولا ذلك لما عمرت ولا قام لها وجود، كما قال تعالى: ﴿ولو يُؤاخِذُ الله النَّاسَ بظلمِهِمْ ما تَرَكَ عليها من دابَّةٍ﴾ [النحل: ٦١]. وقال: ﴿ولو يُؤاخِذُ الله النَّاسَ بما كَسَبُوا ما تَرَكَ على ظَهْرِها مِنْ دابَّةٍ﴾. [فاطر: ٤٥]. فلولا سعة رحمته ومغفرته وعفوهِ لما قامَ العالمُ، ومع هذا فالذي أظهره ـ من الرحمة في هذه الدار، وأنزله بين الخلائق ـ جزءٌ من مئة جزءٍ من الرحمة، فإذا كان جانب الرحمة قد غلب في هذه الدار، ونالت البَّرَ والفاجر والمؤمن والكافر، مع قيام مقتضى العقوبة به ومباشرته له، وتمكنه من إغضاب ربه والسعي في مساخطته، فكيف لا يغلب جانب الرحمة في دار تكون الرحمة فيها مضاعفة، على ما في هذه الدار تسعةً وتسعين ضعفاً(١) قد أخذ العذاب من الكفار مأخذه. وانكسرت تلك النفوسُ وأنهكها العذابُ، وأذاب منها خبثاً وشراً، لم يكن يحول بينها وبين رحمته لها في الدنيا، بل كان يرحمها مع قيام مقتضى العقوبة [بها] فكيف إذا زال مقتضى العقوبة، وقوي جانب الرحمة أضعاف أضعافِ الرحمةِ في هذه الدار [واضمحل الشر والخبث الذي فيها فأذابته النار] وأكلته.

وسرُّ الأمر أن أسماء الرَّحْمَةِ والإحسان أغلب وأكثر وأظهر، من أسماء الانتقام، وفعل الرحمة أكثر من فعل الانتقام، وظهور آثار الرحمة أعظم من ظهور آثار الانتقام، والرحمة أحب إليه من الإنتقام، وبالرحمة خلق خلقه ولها خلقهم، وهي التي سبقت غضبه وغلبته(٢) وكتبها على نفسه، ووسعت كلَّ

---

(١) إشارة إلى حديث مسلم (٢٧٥٢) و(٢٧٥٣) في التوبة: باب (٤) في سعة رحمة الله تعالى ولفظه: «جعل الله الرحمة مئة جزء. فأمسك تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق. حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه».

(٢) إشارة إلى حديث مسلم أيضاً (٢٧٥١) (١٤) و(١٥)و (١٦) في التوبة: باب (٤)، ولفظه: «قال الله تعالى: سبقت رحمتي غضبي» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

شيءٍ، وما خلق بها فمطلوبٌ لذاته، وما خلق بالغضب فمراد لغيره، كما تقدم تقرير ذلك، والعقوبة تأديب وتطهير، والرحمة إحسان وكرمٌ وجودٌ، والعقوبة مداواة، والرحمة عطاءٌ وبذلٌ.

الوجه الخامس والعشرون: أنه سبحانه لا بدَّ أن يظهرَ ـ لخلقِهِ جميعهم يوم القيامة ـ صدقه وصدق رسله، وأنَّ أعداءَه كانوا هم الكاذبين المفترين، ويظهر لهم حكمه الذي هو أعدل حكمٍ في أعدائه، وأنه حكم فيهم حكماً يحمدونه عليه فضلاً عن أوليائه وملائكته ورسله، بحيث ينطق الكون كلُّه بالحمدِ لله ربِّ العالمين. ولذلك قال تعالى: ﴿وقُضِيَ بينهم بالحقِّ، وقيلَ الحمدُ لله ربِّ العالمين﴾ [الزمر: ٧٥] فحذف فاعل القول لإرادة الإطلاق، وأن ذلك جارٍ على لسان كلِّ ناطقٍ وقلبه. قال الحسن لقد دخلوا النار، وأن قلوبهم لممتلئة من حمدِه ما وجدوا عليه سبيلاً. وهذا هو الذي حسَّنَ حذف الفاعل من قوله: ﴿قيلَ ادْخُلوا أبوابَ جَهنَّمَ خالدينَ فيها﴾ [الزمر: ٧٢] حتى كأن الكون كلُّه قائل[1] ذلك لهم إذ هو حكمه العدل [فيهم ومقتضى حكمته وحمده.

وأما أهل الجنة فقال تعالى: ﴿وقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سلامٌ عَلَيْكُم طِبتُم فادْخُلوهَا خالِدينَ﴾ [الزمر: ٧٣] فهم لم يستحقوها بأعمالهم، وإنما استحقوها بعفوه ورحمته وفضله، فإذا أشهد سبحانه ملائكته وخلقه كلَّهم حكمه العدل] وحكمته الباهرة ، ووضعه العقوبة حيث تشهد العقول والفِطر والخليقةُ أنه أولى المواضع وأحقها بها، وأن ذلك من كمال حمده الذي هو مُقتضى أسمائه وصفاته، وأن هذه النفوس الخبيثة الظالمة الفاجرة، لا يليقُ بها غير ذلك، ولا يحسن بها سواه، بحيث تعترف هي من ذواتها بأنها أهل ذلك، وأنها أولى به؛ حصلت الحكمة التي لأجلها وجد الشر وموجباته، في هذه الدار وتلك الدار.

وليس في الحِكْمَةِ الإلهية أن الشرور تبقىٰ دائماً لا نهاية لها، ولا

---

(١) في الأصل: قايد.

انقطاع أبداً، فتكون هي والخيرات في ذلك على حدٍّ سواء، فهذه نهايةُ أقدام الفريقين في هذه المسألة، ولعلك لا تظفر به في غير هذا الكتاب.

فإن قيل: إلى أين انتهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن، التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة؟

قيل: إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿إنَّ ربَّكَ فَعَّالٌ لما يُريدَ﴾ [هود: ١٠٧] وإلى هذا انتهى قدمُ أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالبَ رضي الله عنه فيها حيث ذكر دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء، وقال: ثُمّ يفعلُ الله بعد ذلك ما يشاء.

بل وإلىٰ ها هنا انتهت أقدامُ الخلائقِ، وما ذكرنا ـ في هذه المسألة، بل ـ في الكتاب كلّه من صوابٍ فمنَ الله سبحانه، وهو المانٌ بِهِ، وما كان من خطإٍ فمني، ومن الشيطانِ، والله ورسوله بريءٌ منه، وهو عند لسان كلٍّ قائل وقلبه وقصده، والله أعلم.

الباب الثامن والستون

في ذكر آخر أهل الجنة دخولاً إليها

في «الصحيحين» من حديث منصور، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهلِ النارِ خروجاً [منها]، وآخرَ أهلِ الجنةِ دخولاً الجنة، رجلٌ يخرجُ من النار حَبْواً، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأىٰ، فيقول الله له: اذهبْ فادخلِ الجنة، فإن لك مثل الدنيا، وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا، قال: فيقول أتسخر بي أو تضحك بي وأنت الملك؟ قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه قال: فكانَ يقال ذلك أدنى أهلِ الجنةِ منزلةً»(١).

وفي «صحيح» مسلم من حديث الأعمش، عن المعرور بن سويد، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلمُ آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجاً منها، رجلٌ يؤتى به يوم القيامة فيقال: أعرِضوا عليه صغارَ ذنوبِهِ وأرفعوا عنه كِبارَها، فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا، كَذَا وكَذَا، وعملت يوم كَذا وكَذا، كَذا وكذا، فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكرَ وهو مشفقٌ مِنْ كبارِ ذُنوبِهِ أن تعرضَ عليهِ، فيقال له: فإن لك مكان كلِّ سيئةٍ حسنةً، فيقول: رَبِّ قد عملتُ أشياءَ لا أَرَاها ها هنا، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضَحِكَ حتى بدتْ نواجِذُهُ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧١) في الرقاق: باب (٥١) صفة الجنة والنار، ومسلم (١٨٦) في الإيمان: باب (٨٣) آخر أهل النار خروجاً.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٠) في الإيمان: باب (٨٤) أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

وقال الطبراني حدثنا عبدالله بن سعد بن يحيى الرقي، حدثنا أبو فروة يزيد بن محمد بن سنان الرهاوي قال: حدثني أبي، عن أبيه قال: حدثني أبو يحيى الكلاعي، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ آخر رجلٍ يدخلُ الجنة رجل يتقلب على الصِّراطِ ظَهْراً لبطن كالغلامِ يضرِبُه أبوه وهو يفِرُّ منه، يعجز عنه عمله أن يسعى فيقول: يا ربِّ بلِّغ بي الجنة ونجني من النار، فيوحي الله تبارك وتعالى إليه عبدي إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة؛ أتعترف لي بذنوبك وخطاياك؟ فيقول العبد: نعم يا رب وعزّتك وجلالك لئن نجيتني من النار لأعترفن لك بذنوبي وخطاياي فيجوز الجسر ويقول العبد فيما بينه وبين نفسه: لئن اعترفتُ له بذنوبي وخطاياي ليردني إلى النار، فيوحي الله إليه عبدي اعترف لي بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأدخلك الجنة. فيقول العبد: لا وعزتك وجلالك ما أذنبت ذنباً قَطُّ، ولا أخطأت خطيئة قَطُّ، فيوحي الله إليه عبدي إنَّ لي عليك بينة فيلتفت العبد يميناً وشمالاً فلا يرى أحداً، فيقول: يا ربِّ أرني بينتك فيستنطق الله جلده بالمحقرات فإذا رأى ذلك العبد يقول: يا ربِّ عندي وعزّتك العظائم فيوحي الله إليه عبدي أنا أعرف بها منك اعترف لي بها أغفرها لك، وأدخلك الجنة، فيعترف العبد بذنوبه فيدخل الجنة، ثم ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه يقول: هو أدنى أهل الجنةِ منزلة فكيف بالذي فوقه»[1]؟

ورواه ابن أبي شيبة، عن هاشم بن القاسم، حدثنا أبو عقيل عبدالله بن عقيل الثقفي، عن يزيد بن سنان به.

وفي «صحيح» مسلم عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنة رجلٌ فهو يمشي مرةً، ويكبو مرةً وتسفعه النار مرة، فإذا جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة فيقول: أي ربِّ أدنني من هذه الشجرة أستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله تبارك

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٦٦٩)، وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/٤٠٢ وقال: فيه من لم أعرفهم، وضعفاء فيهم توثيق لين.

وتعالى: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول: لا يا رب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره، لأنه يرى ما لا صبر لـه عليه، فيـدنيه منها فيستظل بـظلها، ويشـرب من مائهـا، ثم يُرفـع له شجـرة هي أحسن من الأولى، فيقول: يا رب أدنني من هـذه لأشرب من مـائها، وأستَـظل بظلِّهـا لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرهـا؟ فيقول: لعلي إن أدنيتك منها أنْ تسـألني غيرهـا، فيعاهـده أنْ لا يسألـه غيرهـا، وربُّهُ يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيـه منها، فيستـظلُّ بظلِها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنـة هي أحسن من الأوليين، فيقول: أي ربِّ أدنني من هـذه الشجرة، لأستـظلّ بظلّهـا وأشـرب من مـائهـا لا أسـألـك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعـاهدني أن لا تسـألني غيرهـا؟ قال: بلىٰ يـا رب، هذه لا أسألك غيرها، وربه يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليـه فيدنيـه منها، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول: يا رب أدخلنيهـا فيقول: يا ابن آدم ما يَصْرِيني منك، أيرضيك أنْ أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قـال: يا رب أتستهـزيء مني وأنت ربُّ العالمين؟» فضحـك ابن مسعـود، فقــال: ألا تسألوني مِمَّ أضحك؟ قالوا مِمَ تضحك؟ قال: هكذا ضحـك رسول الله ﷺ، فقالوا: مِمَّ تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضَحِـك ربِّ العالمين حين قـال: «أتستهزىء بي وأنت ربُّ العالمين، فيقـول: لا أستهزىء بـك ولكني على ما أشاء قادر»(١).

وفي «صحيح» البرقاني من حديث أبي سعيد الخدري نحو هذه القصـة ونحن نسوقه بتمامه من عنده، وهو بإسناد مسلم سواء.

قال: قال رسول الله ﷺ: «[إن] أدنى أهل النار عذاباً منتعل بنعلين من نارٍ يغلي دماغه من حرارة نعليه»(٢). و«إن أدنى أهل الجنةِ منزلةً رجلٌ صَرَفَ الله وجههُ عن النارِ قبلَ الجنةِ، ومثَّلَ له شجرةً ذات ظلٍّ، فقال: أي ربِّ

(١) أخرجه مسلم (١٨٧) في الإيمان: باب (٨٣) آخر أهل النار خروجاً.
مايصريني منك: معناه ما يقطع مسئلتك مني.

(٢) أخرجه ابن أبي شبـة (١٥٩٨١)، ومسلم (٢١١) في الإيمان: بـاب (٩١) أهـون أهـل النـار عذاباً.

قدمني إلى هذه الشجرة لأكون في ظلّها، فقال الله عزّ وجلّ: هل عسيت إن فعلت أن تسألني غيره، قال: لا وعزتك فقدمه الله إليها، ومثّل له شجرة ذات ظلٍّ وثمر أخرى، فقال: أي ربِّ قدمني إلى هذه الشجرة أستظلّ بظلها، وآكل من ثمرها قال: فقال هل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره، قال: لا وعزّتك فيقدمه الله إليها فيمثّل له شجرة أخرى ذات ظلٍّ وثمر وماءٍ، فيقول: أي ربِّ قدمني إلى هذه الشجرة، فأكون في ظلِّها وآكل من ثمرها وأشرب من مائها، فيقول: هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسألني غيره، فيقول: لا وعزّتك لا أسألك غيره، فيقدمه الله إليها فتبرز له الجنة، فيقول: أي ربِّ قدمني إلى باب الجنة فأكون نجاف الجنة ـ وفي رواية: تحت نجافِ الجنة انظر إلى أهلها، فيقدمه الله إليها فيرى أهل الجنة وما فيها، فيقول: أي ربِّ أدخلني الجنة فيدخله الجنة، فإذا أدخل الجنة، قال: هذا لي، فيقول الله له: تمنَّ، قال فيتمنىٰ ويذكره الله سلْ كذا وكذا، فإذا انقطعت به الأماني، قال الله: هو لك وعشرةُ أمثاله، قال: ثُمَّ يدخل بيته فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين، فيقولان: الحمدُ لله الذي أحياك لنا وأحيانا لك. فيقول: ما أعطي أحدٌ مثل ما أعطيت»(١).

وفي «صحيح» مسلم من حديث المغيرة بن شعبة، عن النبي ﷺ قال: «سأل موسى ربَّه من أدنى أهلِ الجنةِ منزلة؟ فقال: هو رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة الجنة، فيقال له أدخل الجنة، فيقول: أي ربِّ كيف؟ وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتِهم، فيقال له: أترضىٰ أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول: رضيت ربِّ، فيقال له لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فيقول في الخامسة: رضيتُ ربِّ، فيقول لك هذا وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول رضيت ربِّ، قال: فأعلاهم منزلةً قال: ذلك الذي أردت غرستُ كرامتهم بيدي. وختمتُ عليها، فلم تَرَ عينٌ، ولا تسمع أذنٌ، ولم يخطرْ على قلب بشرٍ، ومصداقُه في كتاب الله: ﴿**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾ [السجدة: ١٧](٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٨) في الإيمان: باب (٨٤) أدنى أهل الجنة منزلة فيها النجاف: أسكفة الباب.
(٢) أخرجه مسلم (١٨٩) في الإيمان: باب (٨٤) أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

الباب التاسع والستون

وهو باب جامع فيه فصول منثورة لم تذكر فيما تقدم من الأبواب

فصل

في لسان أهل الجنة

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا القاسم بن هاشم، حدثنا صفوان بن صالح، حدثني داود بن الجراح العسقلاني، حدثنا الأوزاعي، عن هارون بن رباب، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخلُ أهلُ الجنةِ الجنةَ على طولِ آدم ستين ذراعاً بذراع الملك، على حُسن يوسف، وعلى ميلادِ عيسى ثلاث وثلاثين سنةً، وعلى لسان محمد ﷺ جردٌ مردٌ مكحلون»(١).

وروى داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لسانُ أهلِ الجنة عربي، وقال عقيل: قال الزهري: لسانُ أهلِ الجنة عربي(٢).

---

(١) أخرجه بمعناه أحمد ٢٤٣/٥، والترمذي (٢٥٤٥) ولفظه: «يدخل أهل الجنة جرداً مرداً مكحلين أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين». من حديث معاذ.
وأخرجه ابن عساكر: «تدخلون الجنة جرداً مرداً مكحلين ذوي أفانين أبناء ثلاث وثلاثين على صورة يوسف، وقلب أيوب» من حديث أنس. ذكره في «كنز العمال» (٣٩٣٨٠)، وأخرج الطبراني، وأبو الشيخ، والحاكم، وابن مردويه والبيهقي في «الشعب» عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ العرب لثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي». كما في «الدر المنثور» ٣/٤.

(٢) أورده ابن كثير في «النهاية» ٥٤٨/٢.

فصل

في احتجاج الجنة والنار

في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «احتجتِ النارُ والجنةُ فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله عزَّ وجلَّ لهذه: أنتَ عذابي أعذبُ بك من أشاء، وقال لهذه: أنتِ رحمتي أرحمُ بك من أشاءُ، ولكلٍّ واحدةٍ منكما مِلؤُها»(١).

وفي رواية أخرى: «تحاجتِ النَّار والجنة، فقالت النار: أوثرتُ بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاءُ الناسِ وسقطُهم وعجزهم، فقال الله سبحانه للجنّةِ: أنتِ رحمتي أرحمُ بكِ من أشاءُ من عبادي، وقال للنّار: أنت عذابي أعـذّبُ بكِ من أشاء من عبادي، ولكلٍّ واحدةٍ منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلىءُ حتى يضعَ قدمه عليها فتقول قَطْ قَطْ فهنالك تمتلىءُ وينزوي بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنّة فإن الله عزَّ وجلَّ ينشيءُ لها خلقاً»(٢).

فصل

في أن الجنة يبقى فيها فضل فينشيء الله لها خلقاً دون النار

في «الصحيحين» عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «لا تَزَال جهنَّم يلقىٰ فيها وتقول ﴿هَلْ من مزِيد﴾ حتى يضع ربُّ العِزَّةِ فيها قدمه

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٤٩) في التوحيد: باب (٢٥) ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إن رحمة الله قريبٌ من المحسنين﴾، ومسلم (٢٨٤٦) في صفة الجنة: باب (١٣) النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، واللفظ له.

(٢) أخرجه أحمد ٢/٣١٤، ونحوه عند البخاري (٧٤٤٩) المتقدم، والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١٣٧٨١) في النعوت، نحوه.

فينزوي بعضها إلى بعضٍ، وتقول: قَطِ قَطِ بعزتك وكَرَمِكَ، ولا يزالُ في الجنة فضل حتى ينشىء الله لها خلقاً، فيسكِنَهُم فَضَلَ الجنةِ»[1].

وفي لفظ مسلم: «يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى، ثم ينشىء الله سبحانه لها خلقاً [مما شاء] فيسكنهم فضل الجنة»[2].

وأما اللفظ الذي وقع في «صحيح» البخاري في حديث أبي هريرة: «وأنه ينشئُ للنار من يشاء، فيلقى فيها فتقول ﴿هَلْ من مزيد﴾[3] [ق: ٣٠]». فغلطٌ من بعض الرواة انقلب عليه لفظه، والروايات الصحيحةُ ونصُّ القرآن يردُّه، فإن الله سبحانهُ أخبرَ أنه يملأ جهنَّم من إبليسَ وأتباعه، وأنه لا يعذبُ إلا من قامت عليهِ حجتُه، وكذَّبَ رُسُلَهُ قال تعالى: ﴿كلّما أُلْقِيَ فيها فوجٌ سَأَلَهم خزنتُها ألَمْ يأتِكُم نَذيرٌ. قالُوا بَلَى قَدْ جاءَنَا نَذِيرٌ فكذَّبْنَا وقُلْنَا مَا نَزَّلَ الله مِنْ شيءٍ﴾ [الملك) ٨ ـ ٩] ولا يظلم الله أحداً من خلقه.

فصل

في امتناع النومِ على أهل الجنة

روى ابن مردويه، من حديث سفيان الثوري، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «النَّومُ أخو الموت، وأهلُ الجنة لا ينامون»[4].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٤٨) (٣٨) في الجنة: باب (١٣) النار يدخلها الجبارون، والبخاري (٦٦٦١) في الأيمان والنذور: باب (١٢) الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٨) (٣٩) في الجنة: باب (١٣).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٤٩) في التوحيد وهو كما قال ابن القيم: غلط لمخالفته حديث أنس المتقدم (٧٣٨٤) وحديثه الذي يليه (٧٤٥٠) ويدعى هذا النوع في مصطلح الحديث: المنقلب، ونقل الحافظ في «الفتح» ٤٣٦/١٣ قول أبي الحسن القابسي: المعروف في هذا الموضع أن الله ينشىء للجنة خلقاً، وأما النار فيضع فيها قدمه قال: ولا أعلم في شيء من الأحاديث أنه ينشىء للنار خلقاً إلا هذا انتهى.

(٤) أخرجه الديلمي مطولاً (٦٩٠٧) في «الفردوس»، والبزار (٣٥١٧) مختصراً وقال: لا نعلم أسنده من هذا الطريق إلا سفيان، ولا عنه إلا الفريابي، وذكره في «كنز العمال» (٣٩٣٢١) =

وذكر الطبراني من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: سئل نبي الله ﷺ فقيل أينام أهل الجنة؟ فقال النبي ﷺ: «النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون»[1].

فصل

في ارتقاء العبد وهو في الجنة من درجة إلى درجة أعلى منها

قال الإمام أحمد، حدثنا يزيد، أنبأنا حمَّاد بن سلمة، عن عاصم بنِ أبي النجود، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله ليرفعُ الدرجةَ للعبدِ الصالحِ في الجنةِ فيقول: يا ربِّ أنىٰ لي هذه؟ فيقول [باستغفار] ولدكِ لك»[2].

فصل

في إلحاق ذرية المؤمن به في الدرجة وإن لم يعملوا بعمله

قال تعالى: ﴿والَّذين آمَنُوا واتَّبعتْهم ذرّيتُهم بإيمان ألحقْنا بهِمْ ذُرِّيَّتَهُم ومَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلهمْ مِنْ شيءٍ كلُّ امرئٍ بما كَسَبَ رَهِين﴾ [الطور: ٢١] وروى قيس، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال:

= بلفظ: «النوم أخو الموت، ولا يموت أهل الجنة». ونسبه للبيهقي في «الشعب»، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠/٤١٥: ورجال البزار رجال الصحيح.

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «المجمع» ١٠/٤١٥، وأحمد في «الزهد» ص ١٥، وفيه «لا يموتون»، وأبو نعيم في «الحلية» ٧/٩٠، وقال: غريب من حديث الثوري تفرد به عبدالله، وفي «صفة الجنة» (٩٠) وقال: رواه الثوري وجماعة عن ابن المنكدر.
وفي الأصل: الطبري بدل الطبراني.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» ٢/٥٠٩، وذكره الهيثمي ١٠/٢١٠ وقال: رواه أحمد، والطبراني في «الأوسط» ورجالهما رجال الصحيح غير عاصم بن بهدلة وقد وثق، والبيهقي ٧/٧٩ في «السنن الكبرى» وفيه: «بدعاء ولدك لك».

قال رسول الله ﷺ «إنَّ الله ليرفعُ ذُريةَ المؤمنِ إليه في درجته، وإن كانـوا دونه في العمل، لتقرَّ بِهِمْ عينُه ثمّ قَرَأَ ﴿والَّذينَ آمَنُوا واتّبعتْهم ذُرِّيَتُهم بإيمانٍ ألحقْنا بِهِم ذُرِّيَتَهُم وما أَلَتناهُم من عَمَلِهِمْ مِنْ شيءٍ﴾ قال: ما نقصنا الآباءَ مِمَّا أَعْطَيْنَا البنين»[1].

وذكر بن مردويه في «تفسيره» من حديث شريك، عن سالم الأفطس، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس قال شريك: أظنه حكاه عن النبيِّ ﷺ قال: «إذا دخلَ الرجلُ الجنةَ سأل عن أبويهِ وزوجتِهِ وولده فيقال: أنهم لم يبلغوا درجَتك أو عملك فيقول: يا ربِّ قد عملت لي ولهم فيؤمر بإلحاقهم به ثم تَلا ابن عباس ﴿والَّذين آمَنُوا واتَّبعتهم ذُرِّيَتُهُم بإيمانٍ﴾ إلى آخر الآية[2].

وقد اختلف المفسرون في الذرية في هذه الآية هل المراد بها الصّغار أو الكبار أو النوعان؟ على ثلاثة أقوال. واختلافهم مبنيٌّ على أن قوله بإيمانٍ: حال من الذرية التابعينَ، أو المؤمنين المتبوعين.

فقالت طائفة: المعنى والذينَ آمنُوا وأتبعناهم ذُرِّياتهم في إيمانهم، فأتوا من الإيمان بمثل ما أتوا به، ألحقناهم بهم في الدرجات، قالوا: ويدل على هذا قراءة من قرأ ﴿وأتْبعتْهم ذُرِّيتُهُم﴾ فجعل الفعل في الإتباع لهم، قالوا وقد أطلق الله سبحانه الذرية على الكبار، كما قال: ﴿ومِنْ ذُرِّيتِهِ دَاودَ وسُليمان﴾ [الأنعام: ٨٤]. وقال: ﴿ذُرِّيـةَ مَنْ حَمَلْنا مَـعَ نُـوحٍ﴾ [الإسراء: ٣]. وقال: ﴿وكُنَّا ذُرِّيَةً مِنْ بَعْدِهم أفتهلِكُنا بِمَا فَعَل المُبْطِلونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣] وهذا قول الكبار العقلاءِ.

قالوا: ويدل على ذلك ما رواه سعيد بن جبير، عن ابن عباس يرفعه: «إنَّ الله يرفعُ ذُريةَ المؤمن إلى درجتِهِ، وإنْ كانوا دونَهُ في العمل لتقرَّ بِهِمْ عينُه»[3] فهذا يدل على أنهم دخلوا بأعمالهم، ولكنْ لم يكنْ لهم أعمالٌ

(١) أخرجه الحاكم ٤٦٨/٢، وابن جرير في «التفسير» ٢٤/٢٧، وذكره الهيثمي في «المجمع» ١١٤/٧ ونسبه للبزار وقال: وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري، وفيه ضعف.

(٢) أخرجه الطبراني في «الصغير» (٦٤٠)، و «الكبير» (١٢٢٤٨)، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١١٤، وقال: وفيه عبد الرحمن بن غزوان وهو ضعيف، وفي الأصل: بالإلحاق بهم والتصويب من مصادر التخريج.

(٣) أورده السيوطي في «الدر المنثور» ١١٩/٦، ونسبه إلى البزار وابن مردويه.

يبلغون بها درجةَ آبائِهِم فبلَّغهم إيَّاها، وإن تقاصر عملُهم عنها. قالوا: وأيضاً فالإيمان هو القول والعمل والنية، وهذا إنما يمكن من الكبار وعلى هذا، فيكون المعنى: أنَّ الله سبحانه يجمع ذرّية المؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه، إذ هذا حقيقة التبعية، وإن كانوا دونه في الإيمان رفعهم الله إلى درجته إقراراً لعينه، وتكميلاً لنعيمه، وهذا كما أن زوجات النبي ﷺ معه في الدرجة تبعاً، وإن لم يبلغوا تلك الدرجة بأعمالهنَّ.

وقالت طائفة أخرى: الذّرية ها هنا الصغار، والمعنى: والذين آمنوا وأتبعناهم ذرَياتهم في إيمان الآباء، والذرية تتبع الآباء ـ وإن كانوا صغاراً ـ في الإيمان وأحكامه، من الميراثِ والدِّية والصلاة عليهم، والدفن في قبور المسلمين وغير ذلك، إلا فيما كان من أحكام البالغين، ويكون قوله ﴿بإيمانٍ﴾ على هذا في موضع نصبٍ على الحالِ من المفعولين، أي: وأتبعناهم ذرِّياتهم بإيمانِ الآباء.

قالوا: ويدل على صحة هذا القول: أن التابعين لهم حكم أنفسهم في الثواب والعقاب، فإنهم مستقلون بأنفسهم ليسوا تابعين الآباء في شيءٍ من أحكام الدنيا، ولا أحكام الثواب والعقاب لاستقلالهم بأنفسهم، ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون كلّهم في درجة آبائهم، ويكون أولاد التابعين [البالغون] كلّهم في درجة آبائهم، وهلمّ جرّا إلى يوم القيامة، فيكون الآخرون في درجة السابقين.

قالوا: ويدل عليه أيضاً أنه سبحانه جعلهم معهم تبعاً في الدرجة كما جعلهم تبعاً معهم في الإيمان ولو كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعاً، بل إيمان استقلال. قالوا: ويدلُّ عليه أن الله سبحانه جعل المنازل في الجنة بحسب الأعمال في حقِّ المستقلين، وأما الأتباع فإن الله سبحانه يرفعهم إلى درجة أهليهم، وإن لم تكن لهم أعمالهم كما تقدم. وأيضاً فالحور العين والخدم في درجة أهاليهم وإن لم يكن لهم عمل بخلاف المكلفين البالغين، فإنهم يرفعون إلى حيث بلغتهم أعمالهم.

وقالت فرقة منهم الواحدي: الوجه أن تحمل الذُّرية على الصغار

والكبار، لأن الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه، والصغير يتبع الأب بإيمان الأب. قالوا: والذّرية تقع على الصغير والكبير، والواحد والكثير، والابن والأب، كما قال تعالى: ﴿وآيةٌ لهم أنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيتهم في الفلكِ المشحونِ﴾ [يس: ٤١] أي آباءهم. والإيمان يقع على الإيمان التبعيّ، وعلى الاختياريّ الكسبيّ، فمن وقوعه على التبعيّ قوله: ﴿فتحريرُ رقبةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]. فلو أعتق صغيراً جاز. قالوا: وأقوال السلف تدل على هذا. قال سعيد بن جبير: عن ابن عباس: «إنَّ الله يرفع ذُرِّية المؤمن في درجته وإن كانُوا دونَهُ في العمل لتقرَّ بهم عيونهم». ثم قرأ هذه الآية[1]. وقال ابن مسعود في هذه الآية: الرجل يكون له القدم، وتكون له الذُّرية فيدخل الجنة فيرفعون إليه لتقرَّ بهم عينه، وإن لم يبلغوا ذلك. وقال أبو مجلز: يجمعهم الله له كما كان يحبُّ أن يجتمعوا في الدنيا. وقال الشعبي: أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة. وقال الكلبي عن ابن عباس: إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء رفع الله الأبناء إلى الآباء، وإن كان الأبناء أرفع درجةً من الآباء رفع الله الآباء إلى الأبناء. وقال إبراهيم: أعطوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئاً، قال: ويدل على صحة هذا القول أن القراءتين كالآيتين فمن قرأ: ﴿واتّبعْتهم ذُرِّيتهم﴾ فهذا من حقِّ البالغين الذين يصح نسبة الفعل إليهم كما قال تعالى: ﴿والسَّابِقُون الأوَّلُونَ من المُهَاجِرِينَ والأنْصار والذين اتَّبعُوهُم بإحْسان﴾ [التوبة: ١٠٠] ومن قرأ: ﴿وأتْبَعْنَاهمُ ذُرِّياتِهِمْ﴾ فهذا في حقِّ الصِّغار الذينَ أتْبَعَهُمُ الله آباءهم في الإيمان حكماً فدلت القراءتان على النوعين.

قلتُ: واختصاص الذُّرية ها هنا بالصّغار أظهر لئلا يلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات، ولا يلزم مثل هذا في الصغار فإنَّ أطفال كلِّ رجلٍ وذريته معه في درجته. والله أعلم.

---

(١) تقدم مرفوعاً ص ٤٨٠ ت (١).

فصل

في أن الجنة تتكلم

قد تقدم قوله ﷺ: «احتجتِ الجنةُ والنارُ»[١]، وقوله: «قالت الجنةُ يا ربِّ قد اطردتْ أنهاري، وطابتْ ثماري فعجلْ عليَّ بأهلي»[٢] وقال إسماعيل بن أبي خالد، عن سعيد الطائي: أخبرتُ أن الله [تعالى] لما خلق الجنةَ قال لها: تزيني فتزينتْ، ثم قال لها: تكلمي، فتكلمتْ، فقالت: طوبىٰ لمن رضيتَ عنه[٣]. وقال قتادة: لمَّا خلقَ الله الجنة قال لها: تكلمي، فقالت: طُوبىٰ للمتقين.

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن علي، حدثنا هشام بن خالد، حدثنا بقية، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله جنةَ عدنٍ خلقَ فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلب بشرٍ، ثم قال لها: تكلمي، فقالت: قَدْ أفلَحَ المؤمنونَ»[٤].

فصل

في أن الجنة تزداد حسناً على الدوام

قال عبدالله بن أحمد: حدثنا خلف بن هشام، حدثنا خالد بن عبدالله، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبدالله بن الحارث، عن كعب قال: ما نَظَرَ الله إلى الجنةِ إلا قال: طيبي لأهلكِ، فتزدادُ طيباً حتى يدخلها أهلُها[٥].

---

(١) تقدم ص ٤٧٧ نحوه ت (١) و (٢).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٨٥)، وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (١٩)، والخطيب في «التاريخ» ١١/٢١٣ ـ ٢١٤ نحوه من حديث أبي سعيد مرفوعاً.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٤٣٩).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢١).

فصل

في أن الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبهن أزواجهن

كما تقدم حديث معاذ بن جبل في ذلك. وقول الحوراء لامرأته في الدنيا: «لا تؤذيه فيوشك أن يفارِقَك إلينا»[1]. وحديث عكرمة، عن النبي ﷺ في قول الحوراء: «اللهُّم أعنْهُ على دينكَ، وأقبلْ بقلبهِ على طاعتِكَ»[2].

وذكر ابن أبي الدنيا، عن أبي سليمان الداراني قال: كان شاب بالعراق يتعبد فخرج مع رفيق له إلى مكة، فكان إذا نزلوا فهو يصلي، وإن أكلوا فهو صائم، فصبر عليه رفيقه ذاهباً وجائياً، فلما أراد أن يفارقه، قال له: يا أخي أخبرني ما الذي هيَّجك إلى ما رأيت؟ قال: رأيت في النوم قصراً من قصور الجنة، وإذا لبنة من فضة ولبنة ذهب، فلمّا تمّ البناء إذا شرفةٌ من زبرجد، وشرفةٌ من ياقوت، وبينهما حوراء من حور العين مرخية شعرها، عليها ثوب من فضة يتثنى معها كلّما تثنت، فقالت: جُدَّ إلى الله في طلبي، فقد والله جددت إليه في طلبها، فهذا الذي تراه في طلبها.

قال أبو سليمان: هذا في طلب حوراء، فكيف بمن قد طلب ما هو أكثر منها؟

فصل

في ذبح الموت بين الجنة والنار

قال [الله] تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُم يومَ الحَسْرةِ إذْ قُضيَ الأمرُ وهُمْ في غَفْلَةٍ وهُمْ لا يُؤمنونَ﴾ [مريم: ٣٩] وعن أبي سعيد الخدري [رضي الله عنه] قال:

---

(١) أخرجه أحمد ٢٤٢/٥، والترمذي (١١٧٤) في الرضاع: باب (١٩) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٢٠١٤) في النكاح: باب (٦٢) في المرأة تؤذي زوجها.

(٢) تقدم ص ٣٠٤ ت (٥) مطولاً.

قال رسول الله ﷺ: «يجاءُ بالموتِ كأنَّـه كبشٌ أملحُ فيوقفُ بينَ الجنـةِ والنارِ، فيقالُ: يا أهلَ الجنةِ، هل تعرفونَ هذا؟ فيشرئبونَ وينـظرون ويقولـونَ: نعم. هـذا الموتُ. قـال: ثم يقالُ: يـا أهلَ النـارِ، هل تعـرفونَ هـذا؟ فيشـرئبـونَ وينظرونَ ويقولونَ: نعم. هذا الموتُ، قال فيؤمر به فيذبحُ، قال: ثُمَّ يقال: يا أهلَ الجنةِ خلودٌ فلا موتَ، ويا أهلَ النـارِ خلودٌ فلا مـوتَ، ثم قرأ رسـولُ الله ﷺ ﴿وأَنْذِرْهُم يومَ الحسْرةِ إذْ قُضيَ الأمرُ وهُمْ في غَفْلَةٍ وهُم لا يُؤمِنُونَ﴾»[1] متفق عليه.

وفي «الصحيحين» أيضـاً من حـديث ابن عمـر [رضي الله عنهمـا] أن رسول الله ﷺ قال: «يُدخلُ الله أهلَ الجنةِ الجنةَ، ويدخلُ أهلَ النارِ النار، ثم يقومُ مؤذنٌ بينهم، فيقولُ: يا أهلَ الجنةِ لا موتَ، ويـا أهلَ النـارِ لا موتَ كـلٌ خالدٌ فيما هو فيه»[2].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صار أهلُ الجنةِ إلى الجنة، وصـار أهـلُ النارِ إلى النـارِ أُتيَ بالمـوتِ حتى يُجعلَ بينَ الجنـةِ والنار، ثم يـذبحُ ثم ينادي منادٍ: يا أهلَ الجنةِ: لا موتَ، ويا أهلَ النارِ لا موتَ، فيزدادُ أهلُ الجنةِ فرحاً إلى فرحهم، ويزدادُ أهلُ النارِ حزناً إلى حُزْنِهم»[3].

وعن أبي هريرة [رضي الله عنه] أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ أُتي بالمـوتِ مُلَبَّباً فيـوقفُ على السُّورِ الـذي بينَ أهلِ الجنةِ وأهلِ النارِ، ثم يقالُ: يا أهلَ الجنةِ فيطلعونَ خـائفينَ، ثم يقالُ: يا أهلَ النارِ فيطلعونَ مستبشرين يرجون الشفـاعة، فيقـالُ لأهلِ الجنـةِ وأهلِ النارِ: هل تعرفونَ هذا؟ فيقولُ هؤلاء وهؤلاء: قد عرفناه، هـو المـوتُ، الذي

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٣٠) في التفسير: باب (١)، وأنذرهم يوم الحسرة، ومسلم (٢٨٤٩) في صفة الجنة: باب (١٣) النار يدخلها الجبارون.
يشرئبون: يرفعون رؤوسهم إلى المنادي.

(٢) أخـرجه البخـاري (٦٥٤٤) في الرقـاق: باب (٥٠) يـدخل الجنة سبعون ألفـاً بغير حسـاب، ومسلم (٢٨٥٠) في الجنة: باب (١٣) النار يدخلها الجبارون.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٤٨) في الرقاق، باب (٥٠)، ومسلم (٤٣) في الجنة: باب (١٣).

وُكِّلَ بنا، فيضجعُ فيذبحُ ذبحاً على السُّور، ثم يقالُ: يـا أهلَ الجنـةِ خلودٌ لا موتَ، ويا أهلَ النارِ خلودٌ لا موتَ»[1] رواه النسائي، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وهذا الكبش، والإضجاع، والذبح ومعاينة الفريقين ذلك حقيقة لا خيـال ولا تمثيل، كمـا أخطأ فيـه بعض الناس خـطأ قبيحاً: وقـال: الموت عـرض، والعرض لا يتجسم فضـلاً عن أن يذبـح، وهـذا لا يصـحُّ فـإن الله سبحانه ينشىء من الموت صورةَ كبشٍ يذبحُ، كما ينشيءُ من الأعمال صـوراً معـاينة يثـاب بها، ويعـاقب، والله تعالى ينشىء من الأعـراض أجسامـاً تكون الأعراض مادة لهـا، وينشىء من الأجسام أعـراضاً، كمـا ينشىء سبحانـه من الأعـراض أعراضـاً ومن الأجسام أجسـاماً. فـالأقسام الأربعـة ممكنة مقـدورة للرَّبِ تعـالى، ولا يستلزم جمعـاً بين النقيضين، ولا شيئـاً من المحـالِّ، ولا حاجة إلى تكلف من قال: إن الذبـح لملك الموت، فهـذا كلّه من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله، والتأويل الباطل الذي لا يوجبه عقل ولا نقل، وسببه قلّة الفهم لمراد الرسول ﷺ من كلامـه، فظنَّ هـذا القائـل أن لفظ الحديث: يـدلّ على أن نفس العرض يـذبح. وظنَّ غـالط آخر أن العرض يعدم ويزول، ويصيرُ مكانه جسم يذبح، ولم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرنـاه، وأن الله سبحانه ينشىء من الأعراض أجساماً يجعلها مادة لها كما في الصحيح عنه ﷺ: «تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنّهما غمامتان»[2] الحديث. فهذه هي القراءة ينشئها الله سبحانه غمامتين.

وكـذلك قـوله في الحـديث الآخر: «أنّ مـا تذكـرون من جلال الله من تسبيحِـهِ وتحميده وتكبيـره وتهليله يتعاطفن حـول العـرش، لَهُنَّ دَوَيٌّ كـدويِّ النحلِ يذكرنَ بصاحبهن»[3] ذكره أحمد.

وكذلك قوله في حديث عذاب القبر ونعيمه للصورة التي يراها: «فيقول

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٣٦٩ و٣٧٧ و٥١٣، والترمذي (٢٥٥٧) مطولاً في الجنة: باب (٢٠) ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار.

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤) في صلاة المسافرين: باب (٤٢) فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة.

(٣) قطعة من حديث أخرجه أحمد ٤/٢٦٨.

من أنتَ؟ فيقول أنا عملك الصّالح، وأنا عملك السيّء»[1] وهذا حقيقة لا خيال، ولكنّ الله سبحانه أنشأ له من عمله صورةً حسنة، وصورة قبيحة، وهل النور الذي يقسم بين المؤمنين يوم القيامة إلا نفس إيمانهم، أنشأ الله سبحانه لهم منه نوراً، يسعى بين أيديهم، فهذا أمر معقول لو لم يَرِدْ به النصّ، فورود النصِّ به من باب تطابقِ السمعِ والعقلِ.

وقال سعيد، عن قتادة: بلغنا أن نبي الله ﷺ قال: «إنَّ المؤمنَ إذا خرج منْ قبرِهِ صُوِّرَ له عملُه في صورة حَسنةٍ وبشارة حسنة، فيقولُ له: من أنتَ؟ فوالله إني لأراك أمرأ الصّدقِ، فيقول له: أنا عملك، فيكونُ له نوراً وقائداً إلى الجنة. وأما الكافرُ إذا خرج من قبره صُوِّرَ له عملُه في صورةٍ سيئةٍ وبشارة سيئة فيقولُ: ما أنتَ، فوالله إني لأراك أمرأ السوءِ. فيقولُ له: أنا عمَلُكَ، فينطلق به حتى يدخله النار»[2].

وقال مجاهد: مثل ذلك.

وقال ابن جريج: يُمثّلُ له عمله في صورة حسنة، وريحٍ طيبةٍ، فيعارض صاحبه ويبشره بكل خيرٍ، فيقول له: من أنتَ؟ فيقول: أنا عملُك فيجعلُ له نُوراً بين يديه حتى يدخله الجنة، فذلك قوله: ﴿يَهدِيهمْ رَبُّهم بإيمانهمْ﴾ [يونس: ٩] والكَافِرُ يُمثَّلُ له عَمَلُه في صورةٍ سيئةٍ وريح منتنةٍ، فيلازم صاحبه ويلاذه حتى يقذفه في النار.

وقال ابن المبارك: حدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن أنه ذكر هذه الآية ﴿أفَمَا نَحنُ بميّتينَ إلا موتَتَنا الأولى وما نَحنُ بمُعَذَّبينَ﴾ [الصافات: ٥٩] قال: علموا أن كل نعيم بعده الموت أنه يقطعه، فقالوا ﴿أفما نحنُ بميّتين إلا موتَتَنا الأولى وما نحن بمعذبين﴾ قيل: لا، قالوا: إن هذا لهو الفوز العظيم. وكان يزيد الرقاشي يقول في كلامه: أمن أهل الجنة من الموت، فطاب لهم العيش، وأمنوا من الأسقام، فهنّاهم في جوار الله طول المقام، ثم يبكي حتى تجري دموعه على لحيته.

---

(١) أخرجه أحمد ٢٨٧/٤ في حديث طويل.

(٢) ذكره في «كنز العمال» (٣٨٩٦٣) وقال: أخرجه ابن جرير ـ عن قتادة مرسلاً.

فصل

في ارتفاع العبادات في الجنة إلا عبادة الذكر فهي دائمة

روى مسلم في «صحيحه» من حديث جابر بن عبدالله [رضي الله عنهما] أن النبي ﷺ قال: «يأكلُ أهلُ الجنّةِ فيها ويشربونَ، ولا يَتمخطونَ ولا يَتغوطونَ، ولا يبولونَ، ويكونُ طعامُهم ذلك جُشاءً ورشحاً كرشحِ المسكِ، يلهمون التسبيحَ والحمدَ كما يُلهمون النَّفَس»(١).

وفي رواية «التسبيح والتكبير كما تلهمون» بالتاء المثناة من فوق: أي تسبيحهم وتحميدهم يجري مع الأنفاس، كما تلهمون أنتم النفس(٢).

فصل

في تذاكر أهل الجنة ما كان بينهم في دار الدنيا

قال الله تعالى: ﴿**فأقبلَ بعضُهم على بعضٍ يتساءَلونَ، قال قائلٌ منهم إني كان لي قرينٌ**﴾ [الصافات: ٥٠ ـ ٥١] الآيات. وقد تقدم الكلامُ عليها. وقال [تعالى] ﴿**وأقْبَلَ بعضُهم على بعض يتساءلونَ، قالوا إنَّا كنّا قبلُ في أهلِنا مُشْفِقِينَ، فمنَّ الله علينا ووقانا عذابَ السَّمُوم. إنّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدعوهُ إنهُ هو البرُّ الرحيم**﴾ [الطور: ٢٥ ـ ٢٨].

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث الربيع بن صبيح، عن الحسن، عن أنس يرفعه: «إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ يشتاقُ بعضهم إلى بعض فيسير سرير هذا إلى سرير هذا، وسرير هذا إلى سرير هذا، حتى يجتمعا جميعاً فيتكيء هذا، ويتكيء هذا، فيقول أحدهما لصاحبه: تعلم متى غفرَ الله لنا؟فيقول صاحبه: نعم يوم كذا وكذا، في موضع كذا وكذا، فدعونا الله فغفر لنا»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٥) (١٨) و(١٩) في الجنة: باب (٧) في صفة الجنة وأهلها.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٥) (٢٠) في الجنة: باب (٧).

(٣) أخرجه البزار في «كشف الأستار» (٣٥٥٣) باب زيارة الإخوان في الجنة، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ١٠/٤٢١، وقال رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن دينار، والربيع بن صبيح، وهما ضعيفان، وقد وثقا.

وإذا تذكروا ما كان بينهم، فتذاكرهم فيما كان يُشْكِلُ عليهم في الدنيا من مسائل العلم، وفهم القرآنِ والسُّنة، وصحةِ الأحاديث أولى وأحرى، فإن المذاكرة في الدنيا في ذلك ألَذّ من الطعام والشراب والجِماع، فتذاكر ذلك في الجنة أعظم لذّةً، وهذه لذّةٌ يختص بها أهل العلم، ويتميزون بها على من عداهم. والله المستعان.

الباب السبعون

في ذكر المستحق لهذه البشرى دون غيره

قال [الله] تعالى: ﴿وبشرِ الذينَ آمنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ أنَّ لهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ﴾ [البقرة: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿ألا إنَّ أوْلياء الله لا خَوْفٌ عَلَيْهم ولا هُم يَحزنونَ. الذينَ آمنُوا وكانُوا يتَّقُونَ، لهمُ البُشرىٰ في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخرةِ لا تبديلَ لكَلِماتِ الله ذلكَ هُو الفوزُ العَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣].

وقال تعالى: ﴿إنَّ الذينَ قالوا ربُّنا الله ثم استقامُوا تتنَزلُ عليهم الملائكةُ أنْ لا تَخافُوا ولا تحزنُوا وأبشرُوا بالجنةِ التي كنتمْ تُوعدونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿فبشرْ عباد. الذين يستمعونَ القولَ فيتبعونَ أحسنَهُ أولئكَ الذينَ هداهُمُ الله وأولئكَ هُمْ أولوا الألبابِ﴾ [الزمر: ١٧ ـ ١٨].

وقال تعالى: ﴿الذينَ آمنوا وهاجرُوا وجاهدُوا في سبيلِ الله بأموالِهم وأنفسهِم أعظمُ درجةً عندَ الله وأولئك هُمُ الفائزونَ. يُبشرهمْ ربُّهم برحمةٍ منه ورضوانٍ وجناتٍ لهم فيها نعيمٌ مقيمٌ. خالدينَ فيها أبداً إنَّ الله عندَه أجرٌ عظيمٌ﴾ [التوبة: ٢٠ ـ ٢٣].

وقال تعالى: ﴿والذين آمنوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ في رَوْضاتِ الجناتِ لَهُمْ ما يشاؤونَ عندَ ربِّهم ذلكَ هُو الفضلُ الكبيرُ. ذلك الذي يبشرُ الله عبادَهُ الذينَ آمنوا وعملوا الصَّالِحاتِ﴾[الشورى: ٢٢ ـ ٢٣]. وقال الله تعالى: ﴿إنَّما تُنْذِرُ من اتَّبَعَ الذِّكْرَ وخَشِيَ الرَّحْمنَ بالغَيبِ فبشِرْهُ بمغفرةٍ وأجْرٍ كريمٍ﴾ [يس: ١١]. وقال تعالى: ﴿يا أيُّها النبيُّ إنا أرسلناكَ شاهداً ومُبَشِّراً ونَذِيراً.

ودَاعِياً إلى الله بإذْنِهِ وسِرَاجاً مُنيراً. وبشِّرِ المؤمنينَ بأنَّ لهمْ من الله فضلاً كبيراً﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٧]. وقال تعالى: ﴿ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيلِ الله أمواتاً بلْ أحياءٌ عندَ ربِّهم يرزقونَ. فَرِحينَ بما آتاهُمُ الله من فضلِهِ ويَستبشرونَ بالذينَ لم يلْحَقُوا بِهِمْ من خَلْفِهِمْ أنْ لا خوفٌ عليهم ولا هُمْ يحزنون، [يستبشرونَ بنعمةٍ من الله وفضلٍ وأنَّ الله لا يضيعُ أجرَ المؤمنين]﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١]. وقال تعالى: ﴿إن الله اشترى مِنَ المؤمنينَ أنفسَهُمْ وأموالَهمْ بأَنَّ لهمُ الجنةَ يُقاتلونَ في سبيل الله فيقتلون ويُقتلونَ وعداً عليهِ حقاً في التوراةِ والإنجيل والقرآنِ ومن أوفى بعهدِهِ منَ الله فاستبشرُوا ببيعكم الذي بايعتمْ به وذلكَ هو الفوزُ العظيمُ﴾ [التوبة: ١١١]. وقال تعالى: ﴿ولَنَبْلُوَنَّكُم بشيءٍ من الخوفِ والجوعِ ونقصٍ مِنَ الأموالِ والأنفسِ والثمراتِ وبشر الصابرينَ. الذينَ إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنَّا لله وإنَّا إليهِ راجعونَ. أولئكَ عليهم صَلَواتٌ مِنْ ربِّهم ورحمةٌ وأولئكَ هم المهتدونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿وأُخرىٰ تُحِبُّونَها نَصْرٌ مِنَ اللهِ وفتحٌ قريبٌ وبشرِ المؤمنينَ﴾ [الصف: ١٣]، وقال في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ للمُتقينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وقال: ﴿أُعِدتْ للذينَ آمنُوا بالله ورُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١]. وقال: ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ كانتْ لهم جنات الفِرْدَوسِ نُزُلاً﴾ [الكهف: ١٠٧]،وقال تعالى: ﴿قَدْ أفْلَحَ المؤمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿أولئكَ هُمُ الوارثُونَ الذِينَ يَرثُونَ الفِرْدَوسَ هُمْ فِيهَا خالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١].

وفي «المسند» وغيره أن النبي ﷺ قال: «قد أنزلت عليَّ عشرُ آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ ﴿قدْ أفلحَ المؤمنونَ﴾ حتى ختم العشر آيات»[١]. وقال تعالى: ﴿إنَّ المسلمينَ والمسلمات﴾ إلى قوله ﴿أَعَدَّ الله لَهُمْ مَغْفِرَةً وأجراً عظيماً﴾ [الأحزاب: ٣٥]،وقال تعالى: ﴿التائبونَ العابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بالمعروفِ والنَّاهُونَ عن المنكرِ والحافِظُونَ لحدُودِ الله وبَشِّرِ المؤمنينَ﴾ [التوبة: ١١٢] وقال تعالى:

---

(١) أخرجه أحمد ١/٣٤.

﴿تلكَ الجنةَ التي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنا مَنْ كـانَ تَقِياً﴾ [مـريم: ٦٣] وقال تعـالى: ﴿وسارِعُوا إلى مغفرةٍ من ربِّكُمْ وجنةٍ عَرْضُها السَّمواتُ والأرضُ أُعِدتْ للمتقينَ. الـذينَ يُنفقونَ في السـراءِ والضَّراءِ والكَـاظِمينَ الغيظَ والعافِينَ عن النَّاسِ والله يحبُّ المحسنينَ. والذين إذا فَعَلوا فاحشةً أو ظَلَموا أنفسَهمْ ذَكَروا الله فاستغفرُوا لِذُنُوبهم ومَنْ يَغفرُ الـذُّنوبَ إلاَّ الله ولم يُصِـرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمـونَ. أولئـكَ جـزاؤُهم مغفـرةٌ من رَبِّهم وجَنَـاتٌ تجـري مِنْ تحتِهـا الأنهارُ خـالدينَ فيهـا ونِعْمَ أجْرُ العـامِلين﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦] وقال تعالى: ﴿يا أيُّها الـذينَ آمَنُوا هَـلْ أدُلُّكم على تِجارَةٍ تُنجيكمْ من عَـذَابٍ أليم. تُؤْمِنُونَ بالله ورَسُولِه وتجاهِدُونَ في سبيلِ الله بأموالِكم وأنفسِكُم ذلِكُمْ خَيْـرٌ لَكُم إنْ كُنتُم تَعْلَمـونَ﴾ إلى قـولـه: ﴿وَبَشِّـرِ المؤمنينَ﴾ [الصف: ١٠ ـ ١٣] وقـال تـعـالـى: ﴿ولِـمَـنْ خـافَ مَـقَـامَ رَبِّـهِ جَـنَّـتـانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] وقال تعالى: ﴿وأمّا مَنْ خافَ مَقَامَ ربِّهِ ونَهى النَّفْسَ عنِ الهَوَى فإنَّ الجنَّة هِيَ المأوىٰ﴾ [النازعات: ٤٠].

وهذا في القرآن كثير مداره على ثلاث قواعـد: إيمان، وتقـوى، وعمل خالص لله على موافقة السنة، وأهل هذه الأصول الثلاثـة هم أهل البشـرىٰ دون من عداهم من سائـر الخلق، وعليها دارتْ بشـاراتُ القرآن والسنـة جميعها، وهي تجتمع في أصلين: إخلاص في طاعة الله، وإحسان إلى خلقه ـ وضدّها يجتمع في الذين يراؤون ويمنعون الماعون ـ ويرجع إلى خصلة واحدة، وهي موافقةُ الربِّ سبحانه وتعالى في محابِّهِ، ولا طريق إلى ذلك إلا بتحقيق القدوة ظاهراً وباطناً برسول الله ﷺ.

وأمـا الأعمـال التي هي تفـاصيـل هـذا الأصـل، فهي «بضـع وسبعـون شعبة: أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطـة الأذى عن الطريق»(١)، وبين هـاتين الشعبيتن سائـر الشعب التي مرجعهـا إلى تصديق الـرسول في كـلِّ ما

---

(١) قـطعـة من حـديث صحيح أخـرجه مسلم (٣٥) (٥٨) في الإيمـان، وابن مـاجـه (٥٧) في المقدمة، وأحمد ٢/٤٤٥، والترمـذي (٢٦١٧) في الإيمان، وأبـو داود (٤٦٧٦) في السنة، وابن حبان (١٦٦) في «الإحسان».

أخبر به، وطاعته في جميع ما أمر به إيجاباً واستحباباً، كالإيمان بأسماء الربِّ وصفاتِهِ وأفعاله من غير تحرِيفٍ لها ولا تعطيل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل.

كما قال الشافعي رحمه الله: الحمد لله [الذي] هو كما وصف به نفسه، وفوق ما يصفه به خلقه، وكأنه أخذ هذا من قول النبي ﷺ «اللَّهُمَّ لكَ الحمدُ كالذي نقولُ وخيراً مِمَّا نقول»[1].

وقد ذكرنا في أول الكتاب جملة مقالات أهل السنة والحديث التي أجمعوا عليها، كما حكاه الأشعري عنهم، ونحن نحكي إجماعهم، كما حكاه حربٌ صاحب الإمام أحمد عنهم بلفظه، في «مسائله» المشهورة:

هذا مذهب أهل العلم، وأصحاب الأثر، وأهل السنة المتمسكين بها، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها، أو عاب قائلها، فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحقّ.

قال: وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم بن مخلد[2]، وعبدالله بن الزبير الحميدي، وسعيد بن منصور، وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم، فكان من قولهم: إن الإيمانَ قولٌ وعمل، ونية وتمسكٌ بالسنَّة، والإيمانُ يزيد وينقص، ويستثنى منه في الإيمان غير أن يكون الاستثناء شكاً، إنما هي سنةٌ ماضيةٌ عند العلماء. فإذا سئل الرجل: أمؤمن أنت؟ فإنه يقول: أنا مؤمن إن شاء الله؟ أو مؤمن أرجو، أو يقول: آمنت بالله وملائكته [وكتبه] ورسُله.

ومن زعم أن الإيمان قول بلا عمل، فهو مرجئٌ، ومن زعم أن الإيمان هو القول، والأعمال شرائع فهو مرجيء.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٢٠) في الدعوات: باب (٨٨) وقال: حديث غريب، وليس إسناده بالقوي.

(٢) في الأصل: وإسحاق عن إبراهيم بن مخلد.

ومن زعم أن الإيمان يزيـد ولا ينقص، فقد قـال: قول المـرجئة، ومن لم يَرَ الاستثناء في الإيمان فهو مرجىء.

ومن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل والملائكة فهو مرجىء. ومن زعم أن المعرفة تقع في القلب وإن لم يتكلم بها فهـو مرجىءٌ، والقـدر خيره وشـره، وقليله وكثيـره، وظاهـره وباطنـه، وحُلوه ومُرّه، ومحبـوبه ومكـروهه، وحسنـه وسيئـه، وأوله وآخـره من الله عز وجـل قضاء قصـاه على عبـاده، وقـدَرٌ قـدّره عليهم لا يعدو أحد منهم مشيئة الله عز وجلّ ولا يجاوز قضاءه، بل هم كلّهم صائرون إلى ماخلقهم له،واقعون فيما قدره عليهم، وهو عدل منه جلَّ ربُّنا وعزَّ.

والزنى والسرقـة، وشرب الخمـر، وقتل النفس، وأكـل المال الحـرام، والشرك والمعاصي كلّهـا بقضاء الله وقـدر من الله من غير أن يكـون لأحد من الخلق على الله حجة، بل لله الحجة البـالغة على خلقـه ﴿لا يُسأَلُ عمَّـا يَفْعَل وهُم يسألون﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وعلم الله عزَّ وجلَّ ماضٍ في خلقه بمشيئـة منه [فهـو سبحانـه] قد علم من إبليس، ومن غيره ـ ممن عصاه من لدنْ عُصي تبارك وتعـالى إلى أن تقوم الساعة ـ المعصيةَ وخلَقهم لها.

وعلم الـطاعةَ من أهـل الطاعـةِ وخلقِهم لها، فكـلٌّ يعمل لمـا خلق لـه وصائر إلى ما قضي عليه، لايعدو أحد منهم قدر الله ومشيئته، والله الفعال لما يـريد، ومن زعم أن الله سبحـانه [وتعـالى] شـاء لعبـاده الـذين عصـوه الخيـر والطاعة، وأن العبـاد شاءوا لأنفسهم الشـرَ والمعصيةَ، فعملوا على مشيئتهم، فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب من مشيئة الله تبارك وتعالى، وأي افتـراء على الله أكبر من هذا؟

ومن زعم أن الزنى ليس بقدر، قيـل له: أرأيت هـذه المرأة حملت من الزنى، وجاءت بولد، هل شاء الله عزَّ وجلَّ أن يخلق هذا الولـد، وهل مضى في سـابق علمه؟ فـإن قال: لا، فقـد زعم أن مع الله خـالقـاً، وهـذا الشـرك صراحاً.

ومن زعم أن السرقة، وشرب الخمر، وأكلَ المال الحرام ليس بقضاء،

فقـد زعم أن هذا الإنسـان قادر على أن يـأكل رزق غيـره، وهذا صُـراح قول المجوسية، بل أكل رزقه الذي قضى الله أن يأكله من الوجه الذي أكله.

ومن زعم أن قتـل النفس ليس بقـدر من الله عـز وجـل، فقـد زعم أن المقتول مات بغيـر أجله، وأي كفرٍ أوضـح من هذا؟ بـل ذلك بقضـاء الله عزَّ وجلَّ، وذلك عدل منه في خلقـه، وتدبيـره فيهم، وما جـرى من سابق علمـه فيهم، وهو العدل الحق الذي يفعل ما يريد.

ومن أقرّ بالعلم لزمه الإقرار بالقدرِ، والمشيئة على الصِّغَـر والقماءة[1]، ولا نشهـد على أحد من أهـل القبلة أنـه في النـار، لـذنب عمله، ولا لكبيـرةٍ أتاها، إلا أن يكون ذلك في حديث جاء، ولا ننص الشهادة، ولا نشهد لأحـد أنه في الجنة بصالح عمله، ولا بخير أتاه إلا أن يكون في ذلك حديث.

كما جاء على ما رُوي، وننصُّ الشهادة والخلافة في قـريش ما بقي في الناس اثنان، ليس لأحد من الناس أن ينـازعهم فيها، ولا نخـرج عليهم، ولا نقـرّ لغيرهم بهـا إلى قيام السـاعة، والجهـاد ماضٍ قـائم مـع الأئمـة بـروا أو فجروا، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عـادل، والجمعة والعيـدان والحج مـع السلطان، وإن لم يكـونـوا بـررةً عـدولاً أتقيـاء، ودفـع الصـدقـات والخـراج والأعشار والفيءِ والغنائم إليهم عـدلوا فيهـا أو جَاروا، والانقيـاد لمن ولّاه الله عز وجل أمركم، لا تنزع يداً من طاعته، ولا تخرج عليـه بسيف، حتى يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً، ولا تخرج على السلطان، وتسمـع وتطيـع، ولا تنكث بيعة فمن فعل ذلك، فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة، وإن أمرك السلطان بأمر هو لله معصية، فليس لك أن تطيعه البتة، وليس لك أن تخرج عليـه، ولا تمنعه حقّه، والإمساك في الفتنة سنةٌ ماضيـةٌ واجبٌ لزومهـا، فإن ابتليت فقـدم نفسـك دون دينـك، ولا تعن على الفتنـة بيـد ولا بلسان، ولكن أكفف يـدك ولسانك وهواك، والله المعين.

والكفّ عن أهـل القبلة، فلا تكفـر أحداً منهم بـذنب، ولا تخرجـه من

---

(١) القماءة: الصغر والذل والحقارة.

الإسلام بعمل إلا أن يكون في ذلك حديث كما جاء، وكما روي فتصدقه وتقبله وتعلم أنه كما روي: [نحو كفر من يستحلّ] ترك الصلاة، وشرب الخمر، وما أشبه ذلك، أو يبتدع بدعة ينسب صاحبها إلى الكفر، والخروج من الإسلام، فاتبع ذلك ولا تجاوزه، والأعور الدجال خارجٌ لا شك في ذلك ولا ارتياب، وهو أكذب الكاذبين.

وعذاب القبر حقٌّ، يُسأل العبد عن دينه، وعن ربه، وعن الجنة والنار، ومنكر ونكير حقّ، وهما فتّانا القبر. نسأل الله الثبات.

وحوض محمد ﷺ حقٌّ، حوض ترده أمته، وله آنية يشربون بها منه.

والصِّراطُ حقٌّ يوضع على سواءِ جهنم، ويمرُّ الناس عليه، والجنة من وراء ذلك. والميزان حقٌّ توزن به الحسنات والسيئات، كما شاء الله أن توزن. والصورُ حق ينفخ فيه إسرافيل فيموت الخلق، ثم ينفخ فيه الأخرى فيقومون لِرَبِّ العالمين للحساب، وفصل القضاء، والثواب والعقاب، والجنة والنار.

واللوح المحفوظ يستنسخ منه أعمال العباد، لما سبق فيه من المقادير والقضاء. والقلم حقّ كتب الله به مقادير كل شيء، وأحصاه في الذكر، والشفاعة يوم القيامة حقٌّ يشفع قوم في قوم، فلا يصيرون إلى النار. ويخرج قوم من النار بعد ما دخلوها، ولبثوا فيها ما شاء الله، ثم يخرجهم من النار، وقوم يخلدون فيها أبداً، وهم أهل الشرك والتكذيب، والجحود والكفر بالله عزّ وجلّ، ويذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار، وقد خلقت الجنة وما فيها، وخلقت النار وما فيها، خلقهما الله عزَّ وجلَّ، وخلق الخلق لهما، ولا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً. فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عزَّ وجلَّ: **﴿كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجْهَهُ﴾** [القصص: ٨٨]. وبنحو هذا من متشابه القرآن، قلْ له: كلُّ شيءٍ ممّا كتب عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خلقهما للبقاء لا للفناء، ولا للهلاك، وهما من الآخرة لا من الدنيا، والحور العين لا يَمُتْن عند قيام الساعة، ولا عند النفخة، ولا أبداً، لأن الله عزَّ وجلَّ خلقهن للبقاء لا للفناء، ولم يكتب عليهن الموت.

فمن قال: خلاف هذا فهو مبتدع ضلّ عن سواء السبيل، وخلق سبع سماوات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض، وبين الأرض العليا إلى السماء الدنيا مسيرة خمس مئة عام، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمس مئة عام، والماء فوق السماء العليا السابعة، وعرش الرحمان عزَّ وجلَّ فوق الماء، والله عزَّ وجلَّ على العرش، والكرسي موضع قدميه، وهو يعلم ما في السماوات والأرضين السبع وما بينهما، وما تحت الثرى، وما في قعر البحر، ومنبت كل شعرة وشجرة، وكل زرع وكل نبات، ومسقط كلِّ ورقةٍ، وعدد كلِّ كلمة، وعدد الرمل والحصى والتراب، ومثاقيل الجبال، وأعمال العبادِ وآثارهم، وكلامهم وأنفاسهم، ويعلم كل شيء، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو على العرش فوق السماء السابعة، ودونه حجب من نار ونور وظلمة، وما هو أعلم به، فإن احتج مبتدع و مخالف بقول الله عزَّ وجلَّ: **﴿ونحنُ أقربُ إليه مِنْ حَبْلِ الوريدِ﴾** [ق: ١٦]. وبقوله تعالى: **﴿ما يكونُ من نَجْوى ثلاثةٍ إلا هُوَ رابعهُم [ولا خَمْسةٍ إلا هو سادسُهمْ ولا أدْنى مِنْ ذَلكَ ولا أكثر] إلاَّ هُو معَهم أينما كانوا﴾** [المجادلة: ٧]. ونحو هذا من متشابه القرآن. فقل: إنما يعني بذلك العلم، لأن الله عزَّ وجلَّ على العرش فوق السماء السابعة العليا، يعلم ذلك كله وهو بائنٌ من خلقه، لا يخلو من علمه مكانٌ. ولله عزَّ وجلَّ عرشٌ، وللعرش حملةٌ يحملونه، والله عزَّ وجلَّ [مستو] على عرشه وليس له حدٌّ. والله عزَّ وجلَّ سميعٌ لا يشكّ، بصير لا يرتاب، عليم لا يجهل، جواد لا يبخل، حليم لا يعجل، حفيظ لا ينسى، ولا يسهو. قريب لا يغفل، ويتكلم وينظر ويبسط، ويضحك ويفرح، ويحبُّ ويكرهُ ويبغضُ، ويرضى ويغضب، ويسخطُ [ويرحم]، ويعفو ويغفر، ويعطي ويمنع، وينزلُ كلّ ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء **﴿ليس كمثله شيءٌ وهو السَّميع البصيرُ﴾** [الشورى: ١١] وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمان يقلبها كيف يشاء، ويوعيها ما أراد، وخلق آدم بيده على صورته، والسماوات والأرض يوم القيامة في كفِّه، ويضع قدمه في النار فتنزوي، ويخرج قوماً من النار بيده، وينظر إلى وجهه أهل الجنة، ويرونه

فيكـرمهم ويتجلى لهم، وتعرض عليـه العباد يـوم القيامـة، ويتـولىٰ حسـابهم بنفسه لا يلي ذلك غيره عزَّ وجلَّ.

والقرآن كلام الله تكلم بـه، وليس بمخلوق، ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمي كافر، ومن زعم أن القرآن كلام الله [ووقف]، فلم يقل: ليس بمخلوق، فهـو أخبث من القـول الأول، ومن زعم أن ألفـاظنـا وتـلاوتنـا لـه مخلوقة، والقرآن كلام الله فهو جهمي ﴿وكَلَّم الله موسى تكليماً﴾ منـه إليه، وناوله التوراة من يده إلى يده. ولم يزل الله عز وجل متكلماً، والرؤيـا من الله حقٌّ إذا رأى صاحبها في منـامه ليس ضِغثاً، فقصها على عالم وصدَقَ فيها تأويلها العالم على أصل تأويلها الصحيح، ولم يحرّف، فالرؤيا تأويلهـا حينئذٍ حقٌّ، وقد كانت الرؤيا من الأنبيـاء وحياً، فـأي جاهـل أجهل ممن يـطعن في الرؤيا، ويزعم أنها ليست بشيء؟

وبلغني أن من قـال: هذا القـول لا يرى الاغتسـال من الاحتلام، وقـد روي عن النبي ﷺ: «إنَّ رؤيا المؤمن كلامٌ يكلِّم بـه الرَّبُ عبـدَهُ»[(١)]. وقال: «إنَّ الرؤيا من الله»[(٢)] وذكر محاسن أصحـاب رسول الله ﷺ والكفُّ عن ذكـر مساويهم التي شجرت بينهم.

فمن سبّ أصحـاب رسول الله ﷺ، أو واحـداً منهم أو تنقصـه أو طعن عليهم، أو عـرَّض بعيبهم، أو عـاب أحـداً منهم، فهـو مبتـدع رافضي خبيث مخالـف، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

بـل حبهم سنـةٌ، والـدعـاء لهم قـربـة، والاقتـداء بهم وسيلة، والأخـذ بـآثارهم فضيلة، وخيـر الأمة بعـد النبي ﷺ أبو بكـر، وعمـر بعـد أبي بكـر،

---

(١) ذكره في «مجمع الزوائد» ١٧٤/٧، عن عبـادة بن الصامت، وقـال: رواه الطبـراني، وفيه من لم أعرفه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٤٧) في الطب: باب (٣٩) باب النفث في الـرقية، ومسلم (٢٢٦١) في الرؤيا.

وعثمـان بعد عمـر، وعليٌّ بعد عثمـان، ووقف قوم على عثمـان، وهـم خلفاء راشدون مهديّون، ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير النـاس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم، ولا أن يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص. فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه، بـل يعاقبـه، ويستتيبه، فـإن تاب قُبـلَ منه، وإن لم يتبْ أعـاد عليه العقوبة، وخلّده الحبس، حتى يموت أو يراجع.

ونعـرف للعرب حقّهـا، وفضلها وسـابقتها، ونحبهم لحـديث رسول الله ﷺ «فإن حبَّهم إيمان، وبغضهم نفـاق»[1] ولا نقول بقـول الشعوبيـة، وأراذل الموالي الذين لا يحبون العرب، ولا يقّرون لهم بفضل، فإن قولهم: بدعة.

ومن حـرّم المكاسب والتجـارات، وطلب المال من وجهـه، فقد جهـل وأخـطأ وخالف [بـل] المكاسب من وجـوهها حـلالٌ وقد أحلهـا الله عز وجـل ورسوله، فالرجل ينبغي له أن يسعى على نفسه وعياله من فضل ربه، فإن ترك ذلك على أنه لا يـرى الكسب [فهو مخـالف]، والدينُ إنمـا هو كتـاب الله عزَّ وجـلَّ، وآثار وسنن وروايـات صحاحٌ عن الثقـات بالأخبـار الصحيحة القـويـة المعـروفـة يصـدق بعضهـا بعضـاً، حتى ينتهي ذلـك إلى رسـول الله ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم، والتابعين وتابعي التابعين، ومن بعدهم من الأئمـة المعروفين المقتدى بهم، المتمسكين بالسنة، والمتعلقين بالآثار، لا يعـرفون ببـدعة، ولا يـطعن فيهم بكذب، ولا يـرمـون بخـلاف، إلى أن قـال: فهـذه الأقاويل التي وصفت مذاهب أهل السنة والجماعة والأثر، وأصحاب الروايات وحملة العلم، الذين أدركناهم، وأخذنا عنهم الحديث، وتعلمنا منهم السنن، وكانوا أئمة معروفين، ثقات أهل صدق وأمانة يقتدىٰ بهم، ويؤخذ عنهم، ولم يكـونوا أصحـاب بدعـة ولا خلاف، ولا تخليط، وهـو قول أئمتهم وعلمـائهم الذين كانوا قبلهم فتمسكوا بذلك، وتعلموه وعلموه.

---

(١) أخرجه الحاكم ٤/٨٧، وضعفه الذهبي.

قلت: حرب هذا هو صاحب أحمد وإسحاق، وله عنهما مسائل جليلة، وأخذ عن سعيد بن منصور، وعبد الله بن الزبير الحميدي. وهذه الطبقة، وقد حكى هذه المذاهب عنهم واتفاقهم عليها، ومن تأمل المنقول عن هؤلاء وأضعاف أضعافهم من أئمة السنة والحديث، وجده مطابقاً لما نقله حرب، ولو تتبعناه لكان بقدر هذا الكتاب مراراً، وقد جمعنا منه في مسألة علوّ الرب [تعالى] على خلقه واستوائه على عرشه. وحدها سفراً متوسطاً، فهذا مذهب المستحقين لهذه البشرى قولاً وعملاً واعتقاداً. وبالله التوفيق.

فصل

ونختم هذا الكتاب بما ابتدأناه به أولاً، وهو خاتمة دعوى أهل الجنة

قال تعالى: ﴿إنَّ الذينَ آمنوا وعَمِلُوا الصالحاتِ يهدِيْهِمْ ربُّهم بإيمانهم تجري من تحتِهُم الأنهارُ في جناتِ النعيمِ، دَعْواهمْ فيها سبحانَكَ اللهمَّ، وتحيتُهم فيها سلامٌ وآخِرُ دعواهُم أن الحمْدُ لله ربِّ العالمينَ﴾ [يونس: ٩ - ١٠].

قال حجاج: عن ابن جريج: أُخبرت أن قوله: ﴿دَعْواهُم فيها سُبحانك اللَّهم﴾. قال: إذا مرّ بهم الطير يشتهونه، قالوا: سبحانك اللَّهم، وذلك دعواهم، فيأتيهم الملك بما اشتهوا، فيسلم عليهم، فيردُّون عليه، فذلك [قوله تعالى]: ﴿وتحيَّتهمْ فيها سَلامٌ﴾، قال: فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم، فذلك قوله [تعالى]: ﴿وآخِرُ دَعْواهُم أن الحمدُ لله رَبِّ العالمينَ﴾.

وقال سعيد، عن قتادة: قوله تعالى: ﴿دعواهُم فيها سبحانَكَ اللَّهمَّ﴾ يقول: ذلك قولهم فيها، ﴿وتحيتُهمْ فيها سَلامٌ﴾.

وقال الأشجعي: سمعت سفيان [الثوري] يقول: إذا أرادوا الشيء

قالوا: سبحانك اللهم، فيأتيهم ما دعـوا به، ومعنى هـذه الكلمة تنـزيهُ الـرَّبِّ تعالى وتعظيمه وإجلاله عَمَّا لا يليقُ بِهِ.

وذكر سفيان عن عبدالله بن موهب قال: سمعت موسى بن طلحـة قال: سئل رسول الله ﷺ عن سبحان الله، فقال: «تنزيه الله عن السوء»[١].

وسأل ابن الكواء علياً عنها، فقال: كلمةٌ رضيها الله [تعالى] لنفسه.

وقـال حفص بن سليمان: حدثنا طلحـة بن يحيى بن طلحة، عن أبيـه، عن طلحة بن عُبيدالله قال: سألت رسول الله ﷺ عن تفسير سبحان الله فقال: «هو تنزيه الله عزَّ وجلَّ عن كلِّ سُوءٍ»[٢]. فأخبر [الله] تعالى عن أول دعـواهم إذا استدعوا شيئاً قالوا: سبحان الله، وعن آخر دعواهم عنـد ما يحصـلُ لهم، وهـو قـولهم: ﴿الحمـد لله ربِّ العـالمينَ﴾[٣]. ومعنى الآيـة أعمُّ من ذلـك. والدعوى: مثل الدعاء، يرادُ به الثناء، ويراد به المسألة.

وفي الحديث: «أفضل الدُّعاء الحمدُ لله [ربِّ العالمين]»[٤]. فالدعاء ها هنا دعاء ثناء وذكر يلهمه [الله] أهل الجنـة، فأخبـر سبحانـه عن أوله وآخـره، فأوله تسبيحٌ، وآخره حمدٌ يلهمونَهما كما يلهمونَ النَّفَس.

---

(١) لم نجده.

(٢) أخرجه البزار (٣٠٨٢) في الأذكار باب في تفسير سبحان الله ولا نعلمه يروى عن طلحة متصلاً إلا بهذا الإسناد، وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/٩٤، وقال: رواه البزار وفيه عبدالرحمن إبن حماد الطلحي وهو ضعيف.

(٣) انظر «الدر المنثور» ٣/٣٠١ في تفسير قوله تعالى ﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾.

(٤) حديث حسن، أخرجه الترمذي (٣٣٨٠) في الدعوات، وابن ماجه (٣٨٠٠) في الأدب ولفظه: «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله». =

وفي هـذا إشـارة إلى أن التكـاليف في الجنـة تسقطُ عنهم، ولا تبقى عبـادتُهم إلا هذه الـدعـوىٰ التي يُلهمـونَهـا، وفي لفـظة: «اللَّهُمَّ» إشـارة إلى صريح الـدعاءِ، فـإنها متضمنـة لمعنىٰ يا الله، فهي متضمنـةٌ للسؤال والثناءِ، وهـذا هو الـذي فهمـه من قـال: إذا أرادوا الشيء قـالـوا: سبحـانـك اللَّهُم، فذكروا بعض المعنى ولم يستوفوه، مـع أنهم قصَّروا بـه، فإنهم أوهمـوا أنهم إنما يقولون ذلك: عندما يريدون الشيء، وليس في الآيـة ما يـدلُّ على ذلك، بل يدلُّ على أن أول [دعائهم] التسبيح، وآخره الحمد.

وقد دلّ الحديث الصحيح على أنهم يُلْهمون ذلـك كإلهـام النَّفس، فلا تختص الـدعوى المـذكورة بـوقت إرادة الشيء، وهذا كمـا أنه الألـيق بمعنى الآية، فهو الأليق بحالهم. والله سبحانه وتعالى أعلم.

= ورد في آخر النسخة المخطوطة: نجـزت كتـابـة حـادي الأرواح إلى بـلاد الأفـراح بمعـونـة المتفضل الفتاح وذلك تاسع عشر شهر رمضان المعظم قدره سنة ٩٦٣ هـ أحسن الله ختـامها على يـد الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن محيي الدين يحيى بن أحمـد بن الدويك الشافعي الـدمشقي سكناً وذلك بالجامع الكبير بطرابلس المحروس حماه الله تعالى، وحسبنا الله ونعم الوكيل، والحمـد لله رب العالمين.

تمّ تحقيقهُ والتعليق عليه في غرة شهر الله المحرم سنة ١٤١٠ هـ، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي

الحمد لله الذي جعل جنات الفردوس لعباده المؤمنين نزلا ويسرهم للاعمال الصالحة الموصلة اليها
فلم يتخذوا سواها شغلا وسهل لهم طرقها فسلكوا السبل الموصلة اليها ذللا خلقها لهم قبل ان
يخلقهم واسكنهم اياها قبل ان يوجدهم وحجبها بالمكاره واخرجهم الى دار الامتحان ليبلوهم ايهم احسن
عملا وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عليه وضرب مدة الحياة الفانية دونه اجلا واودعها ما
لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وجلاها عليهم حتى عاينوها بعين البصيرة التي
هي انفذ من عين البصر وبشرهم بما اعد لهم فيها على لسان رسوله فهي خير البشرى على لسان خير البشر
وكمل لهم البشرى بكونهم خالدين فيها لا يبغون عنها حولا والحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة
رسلا وباعث الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل اذ لم يخلقهم عبثا ولم
يتركهم سدى ولم يغفلهم هملا بل خلقهم لامر عظيم وهياهم لخطب جسيم وعمر لهم دارين فهذه لمن
اجاب الداعي ولم يبغ سوى ربه الكريم بدلا وهذه لمن لم يجب دعوته ولم يرفع بها راسا ولم يعلق
بها املا والحمد لله الذي رضي من عباده باليسير من العمل وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل وافاض عليهم
النعمة وكتب على نفسه الرحمة وضمن الكتاب الذي كتبه ان رحمته سبقت غضبه دعا عباده الى دار السلام
فعمهم بالدعوة حجة منه عليهم وعدلا وخص بالهداية والتوفيق من شا نعمة منه وفضلا فهذا
عدله وحكمته وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يوتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم واشهد ان لا
اله الا الله وحده لا شريك له شهادة عبده وابن عبده وابن امته ومن لا غنى له طرفة عين عن فضله
ورحمته ولا مطمع له في الفوز بالجنة والنجاة من النار الا بعفوه ومغفرته واشهد ان محمدا عبده بالفوز
ورسوله وامينه على وحيه وخيرته من خلقه ارسله رحمة للعالمين وقدوة للعاملين ومحجة
للسالكين وحجة على العباد اجمعين بعثه للايمان مناديا والى دار السلام داعيا وللخليقة هاديا
ولكتابه تاليا وفي مرضاته ساعيا وبالمعروف امرا وعن المنكر ناهيا ارسله على حين فترة من الرسل
فهدى به الى اقرب الطرق واوضح السبل وافترض على العباد طاعته ومحبته وتعزيره وتوقيره والقيام اقوم الطرق
بحقوقه وسد الى الجنة جميع الطرق فلم يفتحها لاحد الا من طريقه فلو اتوا من كل طريق واستفتحوا من كل
باب لما فتح لهم حتى يكونوا خلفه من الداخلين وعلى منهاجه وطريقته من السالكين فسبحان من شرح له صدره
ووضع عنه وزره ورفع له ذكره وجعل الذلة والصغار على من خالف امره ودعا الى الله والى الجنة سرا وجهارا
واذن بذلك بين اظهر الامة ليلا ونهارا الى ان طلع فجر الاسلام واشرقت شمس الايمان وعلت
كلمة الرحمن وبطلت دعوة الشيطان واضات بنور رسالته الارض بعد ظلماتها وتالفت به
القلوب بعد تفرقها وشتاتها فاشرق وجه الدهر حسنا واصبح الظلام ضياء واهتدى
كل حيران فلما اكمل الله به دينه واتم به نعمته ونشر به على الخلائق رحمته فبلغ رسالات

هذا الكتاب بما ابتدانا به اولا وهو خاتمة دعوى اهل الجنة قال تعالى ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار في جنات
النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم ان الحمد
لله رب العالمين قال ــــــــ حجاج عن ابن جريج اخبرت ان قوله دعواهم
فيها سبحانك اللهم قال اذا مر بهم الطير يشتهونه قالوا سبحانك اللهم وذلك
دعواهم فياتيهم الملك بما اشتهوا فيسلم عليهم فيردون عليه فذلك وتحيتهم فيها
سلام قال فاذا اكلوا حمدوا الله ربهم فذلك قوله واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
... سعيد عن قتادة قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم يقول ذلك قولهم فيها
وتحيتهم فيها سلام ... الاشجعي سمعت سفيان يقول اذا ارادوا الشيء
قالوا سبحانك اللهم فياتيهم ما دعوا به ... هذه الكلمة تنزيه الرب تعالى وتعظيمه
واجلاله عما لا يليق به ... ذكر سفيان عن عبد الله بن ... قال سمعت موسى بن طلحة
قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبحان الله فقال تنزيه الله عن السوء
... ابن اللواء ... فقال كلمة رضيها الله لنفسه ... حفص بن سليمان
... طلحة بن يحيى بن طلحة عن ابيه عن طلحة بن عبيد الله قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن تفسير سبحان الله قال هو تنزيه لله عز وجل عن كل سوء فاخبر تعالى عن
اول دعواهم عند ما يحصل لهم وهو قولهم الحمد لله رب العالمين ومعنى الابتداء
من ذلك والدعوى مثل الدعاء يراد به الثناء ويراد به المسلة ...
افضل الدعاء الحمد لله فالدعاء هاهنا دعاء ثناء وذكر لما هدا اهل الجنة فاخبر
سبحانه عن اوله واخره فاوله التسبيح واخره حمد يلهمونه كما يلهمون النفس
وفي هذه اشارة الى ان التكاليف في الجنة تسقط عنهم ولا يبقى عبادتهم الا هذه
الدعوى التي يلهمونها وفي لفظة اللهم اشارة الى صريح الدعاء فانها متضمنة للسوال
والثناء وهذا هو الذي فهمه من قال اذا ارادوا الشيء قالوا سبحانك اللهم فذكروا بعض المعنى
ولم يستوفوه مع انهم قصروا به ... او وهموا انهم انما يقولون ذلك عند ما يريدون الشيء
وليس في الاية ما يدل على ذلك بل يدل على ان اول ذلك لهم التسبيح واخره الحمد
وقد دل الحديث الصحيح على انهم يلهمون ذلك كالهام النفس لا تختص الدعوى المذكورة
بوقت ارادة الشيء وهذا اخر ما انتهى اليه معنى الاية فهو الاليق بحاله والله سبحانه وتعالى اعلم

تنجزت كتابة حادي الارواح الى بلاد الافراح بمعونة المتفضل الفتاح وذلك تاسع
شهر رمضان المعظم قدره سنة ٩٦٣ احسن الله ختامها على يد الفقير الى
الله تعالى ابراهيم بن محمد ... ابو البركات ... الدمشقي كتبها
وذلك بجامع الكبير ... عفا الله عنه
وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين

الصفحة الأخيرة من المخطوط